

المجلد

الكتاب

الكتاب

الكتاب

# صُورُجُ الزُّهْدِ

وَمَعَارِدِ الْجَوْهَرِ

تصنيف الرجال الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي

المنوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

الجزء الثالث



طبعة جديدة منقحة ، وتمتاز بالفهارس  
العلمية الدقيقة المنوعة

دارالاندلس

للطباعة والنشر - بيروت

131599

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ذكر خلافة

### معاوية بن أبي سفيان

وبويع معاوية في شوال سنة إحدى وأربعين ، ببيت المقدس ، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وتوفي في رجب سنة إحدى وستين ، وله ثمانون سنة ، ودفن بدمشق بباب الصغير ، وقبره يُزار إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس .

## ذكر لمع من أخباره

### وسيره وحوادث من بعض أفعاله

مقتل حجر الكندي : وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية 'حجر' بن عدي الكندي ، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام : حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها :

ترفعُ أيها القمر المنير	لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير الى معاوية بن حرب	ليقتله ، كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق	وتأكل من محاسنه النسر
تخبرت الخبائر بعد 'حجر'	وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بني عدي	تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردت عليا	وشيخا في دمشق له زئير

ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحرف كما منح البعير  
فإن تهلك فكل عميد قوم إلى هلك من الدنيا يصير

ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدم  
البريد بأخبارهم إلى معاوية ، فبعث برجل أعور ، فلما أشرف على  
حجر وأصحابه قال رجل منهم : إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا  
النصف وينجو الباقيون ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أما ترون الرجل  
المقبل مُصاباً بإحدى عينيه ، فلما وصل إليهم قال لحجر : إن أمير  
المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان  
والمثولي لأبي تراب وقتل أصحابك ، إلا أن ترجعوا عن كفركم ،  
وتلعنوا صاحبكم وتبرأوا منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : إن  
الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه ، ثم القدوم على  
الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار ، وأجاب نصف  
من كان معه إلى البراءة من علي ، فلما قدم حجر ليقتل قال : دعوني  
أصلي ركعتين ، فجعل يطول في صلاته ، فقيل له : أجزعاً من الموت  
فقال : لا ، ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت وما صليت قط  
أخف من هذه ، وكيف لا أجزع ، وإني لأرى قبراً محفوراً ، وسيفاً  
مشهوراً ، وكفنًا منشوراً ، ثم تقدم فنحرف ، وألحق به من وافقه على  
قوله من أصحابه ، وقيل : إن قتلهم كان في سنة خمسين .

عدي بن حاتم ومعاوية : وذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على  
معاوية ، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات ؟ يعني أولاده ، قال :  
قتلوا مع علي ، قال : ما انصفك علي قتل أودلاك وبقي أولاده ،  
فقال عدي : ما أنصفت علياً ، إذ قتل وبقيت بعده ، فقال معاوية :  
أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يحورها إلا دم شريف من  
أشراف اليمن ، فقال عدي : والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي

الجزء الثالث : ذكر معاوية بن أبي سفيان .....

صدورنا ، وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندين إلك من الشر شبراً ، وإن حَزَّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي ، فلم السيف يا معاوية لباعث السيف ، فقال معاوية : هذه كلمات حكم فاكتبوها ، وأقبل على عدي محادثاً له كأنه ما خاطبه بشيء .

بين عمرو بن عثمان وأسامة عند معاوية : وذكر أن معاوية بن أبي سفيان تنازع إليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض ، فقال عمرو لأسامة : كأنك تنكرني ، فقال أسامة : ما يسرني نسبك بولائي ، فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب عمرو بن عثمان ، وقام الحسن فجلس إلى جانب أسامة ، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان ، فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن ، وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد ، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين ، وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر ، فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر ، فلما رأى ذلك معاوية قال : لا تعجلوا ، أنا كنت شاهداً إذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة ، فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين ، وأقبل الأمويون عليه فقالوا : ألا كنت أصلحت بيننا ، قال : دعوني فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس علي عقلي ، وإن الحرب أولها نجوى ، وأوسطها شكوى ، وآخرها بلوى ، وتمثل بأبيات امرئ القيس المتقدمة في هذا الكتاب في أخبار عمر رضي الله عنه ؛ وأولها :

الحرب أول ما تكون فتية تدنو بزينتها لكل جهول

ثم قال : ما في القلوب يشب الحروب ، والأمر الكبير يدفعه  
الأمر الصغير وتمثل :

قد يلحق الصغير بالجليل وإنما القسرم من الأفيل  
وتسحق النخل من الفسيل

الحاق زياد بأبي سفيان : قال المسعودي : ولما هم معاوية بإلحاق زياد  
بأبي سفيان أبيه - وذلك في سنة أربع وأربعين - شهد عنده زياد  
ابن أسماء الحرمازي ومالك بن ربيعة السلوي والمنذر ابن الزبير بن  
العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه ، وأن أبا سفيان قال لعلي عليه  
السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب :

أما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الأعادي  
لبين امره صخر بن حرب ولم يكن المجمع عن زياد  
ولكني أخاف صروف كف لها نغم ونفي عن بلادي  
فقد طالت محاولتي ثقيفا وتركي فيهم ثم الفؤاد

ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة أبي مريم السلوي ، وكان اخبر الناس ببده  
الامر وذلك انه جمع بين أبي سفيان وسمية ام زياد في الجاهلية  
على زنا ، وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة الى  
الحارث بن كلدة ، وكانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف  
خارجا عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا .

وكان سبب ادعاء معاوية له فيما ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى  
ان عليا كان ولاء فارس حين اخرج منها سهل بن حنيف ، فضرب  
زياد ببعضهم بعضا حتى غلب عليها ، وما زال يتنقل في كورها  
حتى صلح امر فارس ، ثم ولاء علي اصطخر ، وكان معاوية يتهدده ،  
ثم اخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وشالما ولديه وكتب اليه يقسم  
ليقتلها إن لم يراجع ويدخل في طاعة معاوية ، وكتب معاوية الى  
سُر ألا يعرض لاني ناد ، وكتب الي زياد ان يدخل في طاعته

ويردّه الى عمله ، فقدم زياد على معاوية فصالحه على مال وحلي ، ودعاه معاوية الى ان يستحلفه ، فأبى زياد ذلك ، وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية : ارمِ بالغرض الأقصى ، ودع عنك الفضول ، فإن هذا الأمر لا يمد اليه أحد يداً الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية ، فخذ لنفسك قبل التوطين ، فقال زياد : فأشر علي قال : أرى ان تنقل اصلك الى اصله ، وتصل حبلك بحبله ، وأن تعير الناس منك اذناً صماء ، فقال زياد : يا ابن شعبة ، أغرس عوداً في غير منبته ولا مدرة فتحية ولا عرق فيسقيه ؟ ثم ان زياداً عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة ، وأرسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها معاوية ، فأثما فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه ، وقالت : انت اخي اخبرني بذلك أبو مريم ، ثم اخرجها معاوية الى المسجد ، وجمع الناس ، فقام أبو مريم السلوي فقال : أشهد أن ابا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال : ابغني بغياً ، فأثيته وقلت له : لم أجد الا جارية الحارث بن كلة سمية ، فقال : اثني بها على ذفرها وقدرها ، فقال له زياد : مهلاً يا أبا مريم ، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً ، فقال أبو مريم : لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي ، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت ، والله لقد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليها وقعدت دهنانا ، فلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ، فقل : ما أصبت مثلها يا أبا مريم ، لولا استرخاء من ثديها وذفر من فيها ، فقام زياد فقال : ايها الناس ، هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ، ولست أدري حق ذلك من باطله ، وإنما كان عبيد ربيياً مبروراً أو ولياً مشكوراً ، والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي - وكانت صفية مولاة



سمية - فقال : يا معاوية ، قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت أنت أن الولد للعاهر وأن الحجر للفراش ، مخالفة لكتاب الله تعالى ، وانصرفاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهادة أبي مریم على زنا أبي سفيان ، فقال معاوية : والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها ، فقال يونس : هل إلا إلى الله ثم أقم ؟ قال : نعم وأستغفر الله ، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم في ذلك ويقال : إنه ليزيد بن مفرغ الميبري :

ألا أبلغ معاوية بن حرب      مغلفةً عن الرجل الباني  
أتغضب أن يقال : أبوك عفاً      وترضى أن يقال : أبوك زاني ؟  
فاشهد أن رحمتك من زياد      كرحم الفيل من ولد الأمان

وفي زياد إخوته يقول خالد النجاري :

إن زياداً ونافعاً وأباً

بكرةً عندي من أعجب العجب

ان رجلاً ثلاثة خلقوا      من رحم أنثى مخالفي للنسب

ذا قرشي فيما يقول ،      وذا مولى ، وهذا بزعم عربي

ولما قتل علي كرم الله وجهه كان في نفس معاوية من يوم صفين

على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال وولده عبدالله بن هاشم

إحنٌ ، فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب إليه ، أما

بعد : فانظر عبدالله بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ،

ثم ابتعث به إلى ، فحمله زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق

وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة ، فأدخل إلى

معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو بن العاص :

هل تعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا الذي يقول أبوه يوم صفين :

إني شريتُ النفس لما اعتلأ وأكثَرَ اللوم وما أقلأ  
 أعور يبني أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملا  
 لا بد أن يفُلُّ أو يُفَلَّا أشأهم بندي الكعوب شلا  
 لا خير عندي في كريم ولي

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا  
 دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب فاشغب أوداجه على  
 أسباجه ، ولا تردّه الى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على الفراق ، وهم  
 أهل عتر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجاء ، وأن له هوى سيرديه ،  
 ورأياً سيطفيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فقال  
 عبدالله : يا عمرو ، إن أقتل فرجلاً أسلمه قومه ، وأدركه يومه ،  
 أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك الى النزال ،  
 وأنت تلوذ بسمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة  
 القوداء ، لا تدفع يد لأمس ، فقال عمرو : أما والله لقد وقعت في  
 لهازم شذقم للأقران ذي لبد ، ولا أحسبك منفلاً من مخاليب أمير  
 المؤمنين ، فقال عبدالله : أما والله يا ابن العاص انك لبطر في الرخاء ،  
 جبان عند اللقاء ، غشوم اذا وليت ، هيابة اذا لقيت ، تهدر كما يهدر  
 العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة ، ولا  
 يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك اذا غمرك أقوام لم يعنفوا  
 صفاراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيدي شداد ، وألسنة حداد ، يدعون  
 العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون  
 الدليل ، فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ،  
 وتبقى امعاؤه ، وتضطرب اطلاؤه ، كأنما انطبق عليه صمد ، فقال  
 عبدالله : يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلك فوجدنا لسانك كذوباً

غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسامونك ، ولو زمت  
المنطق في غير اهل الشام لجمحت اليك عقلك ، ولتجلجج لسانك ، ولاضطرب  
فخذاك اضطراب القعود الذي اثقله حمله ، فقال معاوية : ايها عنكما ،  
وأمر بإطلاق عبدالله ، فقال عمرو لمعاوية :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني      وكان من التوفيق قتل ابن هاشم  
أليس أبوه يا معاوية الذي      أعان علياً يوم حزن الغلاصم  
فلم ينثني حتى جرت من دمائنا      بصفين أمثال البحور الحضارم  
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه      ويوشك أن تفرع به سن نادم  
فقال عبد الله يجيبه :

معاوي إن المرء عمراً أبت له      ضفينة صدر غشها غير نائم  
يرى لك قتلي يا ابن هند ، وإنما      يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم  
على أنهم لا يقتلون أسيرهم      إذا منعت عنه عهود المسالم  
وقد كان منا يوم صفين نفرة      عليك جناهاها هاشم وابن هاشم  
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى

ولا ما جرى إلا كأضغاث حام  
فإن تعف عني تعف عن ذي قرابة  
وإن تر قتلي تستحل عزامي  
فقال معاوية :

أرى العفو عن علياً قريش وسيلة      إلى الله في يوم المصيب القهاطر  
ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم      بإدراك ثأري في لؤي وعامر  
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه      وزلت به إحدى الحنود العوائر  
فكان أبوه يوم صفين جرة      علينا فأردته رماح نهابر

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية ، فقال معاوية :

من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة ؟ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، أما الجود فابتدال المال ، والعطية قبل السؤال ، وأما النجدة فالجراءة على الأقسام ، والصبر عند ازورار الأقدام ، وأما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح للمال ، والمحاماة عن الجار .

ولما صرف علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد بن أبي بكر ، فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتاباً فيه : من محمد بن أبي بكر ، إلى الغاوي معاوية بن صخر ، أما بعد ، فإن الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ، ولا ضعف في قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم غوياً ورشيداً ، وشقيماً وسعيداً ، ثم اختار علي علم واصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه بعلمه ، واصطفاه برسالته ، واثمنه على وحيه ، وبعثه رسولا ومبشراً ونذيراً ووكيلاً ، فكان أول من أجاب ولئاب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب : صدقه بالغيث المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ، وهو هو ، أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم : أخوه الشاربي بنفسه يوم مؤتة ، وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته ، وانت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الفوائس ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجوع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلبان عليه

إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق ، والشاهد لعلّي - مع فضله المبين القديم - أنصاره ، الذين معه وهم الذين ذكرهم الله بفضلهم ، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، وهم معه كتاب وعصائب ، يروون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه ، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وأبو ولده : أول الناس له أتباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه ، فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك ، وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي أمنت كبنده ، ويشت من رَوْحِه ؛ فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية : من معاوية بن صخر ، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر . أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع كلام كثير لك فيه تضييف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه ، وقرباته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواساته إياه في كل هول وخوف ، فكان احتجاجك عليّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك ، فاحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا ، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأبلغ حجته ، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه ، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقّه ، وخالفه على أمره ،

على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم إنها دَعَوَاهُ إلى بيعتها فأبطأ عنها ،  
وتلكا عليها ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، ثم إنه بايع لها  
وسلم لها ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يُطْلِعَانَهُ على سرهما ،  
حتى قبضها الله ، ثم قام ثالثها عثمان فهدى بهديها وسار بسيرهما ،  
فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي ،  
فطلبتا له الفوائل ، وأظهرتا عداوتكما فيه حتى بلغتا فيه 'مناجيا' ،  
فخذ حذرک يا ابن أبي بكر ، وقس شبرک بفترک ، يقصر عن أن  
توازي أو تساوي مَنْ يزن الجبال بحمده ، لا يلين عن فسرِّقناته ،  
ولا يدرك ذو مقال أناة أبوك مهد مهاده ، وبني للمكه وساده ،  
فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به ونحن شركاؤه ، ولولا  
ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلّمنا إليه ،  
ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله ، فعب أباك  
بما بدا لك أو دَعُ ذلك ، والسلام على من أتاب .

كتاب معاوية الى علي ، وما كتب به معاوية إلى علي : أما  
بعد ، فلو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجننا بعضنا  
على بعض ، وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما  
نرّم به ما مضى ، ونصلح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام  
على أن لا تلزمني لك طاعة ، وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك إليه  
أمس ، فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا تخاف من القتال  
إلا ما أخاف ، وقد والله رَقَّت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن  
بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل يستدل به عزيز ،  
ويسترق به حر ، والسلام .

جواب علي لمعاوية : فكتب إليه عليّ كرم الله وجهه : من علي  
ابن أبي طالب ، إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فقد جاءني

كتابك تذكر فيه أنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض ، وأنا وإياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد ، فأما طلبك مني الشام فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فليست بأمضى على الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة ، وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن ، وليس أمية كهاتم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا الطليق كالمهاجر ، ولا المبطل كالمحقق ، وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز ، وبعنا بها الحر ، والسلام .

بين سعد ومعاوية : وحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، عن محمد بن حميد الرازي ، عن أبي مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، قال : لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة ، فأجلسه معه على سريره ، ووقع معاوية في علي وشرع في سبّه ، فزحف سعد ثم قال : أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال لعلي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس : والله لأن أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قاله يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يديه ، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي »

أحبُّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثم نهض .

ووجدت في وجه آخر من الروايات ، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار ، عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضَرَطَ له معاوية ، وقال له : أقعد حتى نسمع جواب ما قلت ، ما كُنْتَ عندي قط ألام منك الآن ، فهلا سرته ، ولم قعدت عن بيعته ؟ فإني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت ، فقال سعد : والله إني لأحق بموضعك منك ، فقال معاوية : يا أبا ليك ذلك بنو عذرة ، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة ، قال النوفلي : وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري :

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه	من كان أثبتتها في الدين أو نادا
من كان أقدمها سلباً ، وأكثرها	علماً ، وأطهرها أهلاً وأولادا
من وحّد الله إذ كانت مكذبة	تدعو مع الله أو ثانياً وأندادا
من كان يُقدِّمُ في الهيجاء إن نكلوا	عنها ، وإن بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكماً وأقسطها	حلماً ، وأصدقها وعداً وإيعادا
إن يصدّقوك فلم يعدوا أبا حسن	إن أنت لم تلق للأبرار حسادا
إن أنت لم تلق من تبي أخا صلف	ومن عدني لحق الله سبحانه
أو من بني عامر ، أو من بني أسد	رهط العبيد ذوي جهل وفساد
أو رهط سعد ، وسعد كان قد علموا	عن مستقيم صراط الله صادا
قوم قد أذنبوا ذنبا ثم سادهم	لولا خمول بني زهر لما سادا

وكان سعد وأمامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة ممن قعد عن علي بن أبي طالب ، وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعد عن بيعته وذلك أنهم قالوا : إنها فتنة ، ومنهم من



قال لعلي : أعطنا سيوفاً نقاتل بها معك فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبتت عن أجسامهم ، وإذا ضربنا بها الكافرين مرتت في أبدانهم ، فاعرض عنهم عليّ ، وقال : ( ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون .

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الأخباريين أن الأمر لما أفضى إلى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له معاوية : كيف وجدك على خليلك أبي الحسن ؟ قال : كوجد أم موسى على موسى ، وأشكو إلى الله التقصير ، فقال معاوية : اكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكني فيمن حضر فلم ينصره ، قال : فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال : منعي ما منعك إذ تبص به ريب المنون وأنت بالشام ، قال : أو ما ترى طلي بدمه نصره له ؟ قال : بلى ، ولكنك وإياه كما قال الجعدي :

لا ألفينك بعد الموت تندبني . وفي حياتي ما زودتني زادا

ودخل على معاوية ضرار بن الخطاب فقال له : كيف حزنك على أبي الحسن ؟ قال : حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها .

ومما جرى بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملاً لعليّ على مصر ، فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنك يهودي ابن يهودي ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضها إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر قومه ، ورمى غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات بجوران طريداً .

فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ، فإنما أنت وثني ابن وثني ، دخلت في الإسلام كرهاً ، وخرجت منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ، ولم

يحدث نفاقك ، وقد كان أبي أوتر قوسه ، ورمى غرضه ، فشغب به من لم يبلغ عقبه ، ولا شق عُباره ، ونحن أنصار الدين الذي منه خرجت ، وأعداء الدين الذي فيه دخلت .

ودخل قيس بن سعد بعد وفاة علي ووقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية ، فقال لهم معاوية : يا معشر الأنصار ، بم تطلبون ما قبلي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيراً علي ، ولفلتم حدتي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلطى في أسنكم ، وهجوتوني في أسلافي بأشد من وقع الأسنة ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلت : ارفع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيهات يابى الحقين العذرة ، فقال قيس : نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله ، لا بما تمت به اليك الأحزاب ، وأما عداوتنا لك فلو شئت كفتها عنك ، وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله ويثبت حقه ، وأما استقامة الأمر فعلى كره كان منا ، وأما فلئنا حدك يوم صفين فإننا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة ، وأما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاه بعده ، وأما قولك يابى الحقين العذرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية ، فقال معاوية يموه : ارفعوا حوائجكم .

وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى علي بالموضع العظيم ، وبلغ من خوفه الله وطاعته إياه أنه كان يصلي فلما أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوق ، فقال عن الثعبان برأسه ، وسجد الى جانبه ، فتطوق الثعبان برقبته ، فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيئاً ، حتى فرغ ، ثم أخذ الثعبان فرمى به ، كذلك ذكر الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم : قد أعياني أن أعلم  
أجبان أنت أم شجاع ، لأنني أراك تتقدم حتى أقول : أراد القتال ،  
ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار ، فقال له معاوية : والله ما أتقدم حتى أرى  
التقدم غنا ، ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزماً ، كما قال القطامي :  
شجاعٌ إذا ما امكنتني فرصة وإلا تكن لي فرصة فجبان

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى عن أبي الأعز التيمي ، قال :  
بينما أنا واقف بصفين إذ مر بي العباس بن ربيعة مغفراً بالسلاح ،  
وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما شعلتا نار أو عينا أرقم ،  
وبيده صفيحة له يمانية يعلبها ، والمنايا تلوح في شفرتها ، وهو  
على فرس صعب ، فبينما هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته إذ  
هتف به هاتف يقال له عرار بن أدم من أهل الشام :  
يا عباس ، هلم إلى النزال قال : فالنزول إذاً ، فإنه إياس من  
الحياة ، فنزل إليه الشامي وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلوا فإننا معشر نزل  
وثق العباس وركه وهو يقول :

الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه في محزمه يريد منطقته ودفع فرسه إلى  
غلام له اسود كإني والله أنظر إلى فلافل شعره ، ثم زحف كل  
واحد منهما إلى صاحبه ، وكف الفريقان أعنة الخيول ينظرون ما  
يكون من الرجلين ، فتكافحا بسيفيهما ملياً من نهارهما لا يصل واحد  
منهما إلى صاحبه لكمال لأمته ، إلى أن لحظ العباس وهناً في درع  
الشامي فأهوى إليه بيده وهتكه إلى ثنودته ، ثم عاد لمحاولته ،  
وقد أفرج له مفتق الدرع ، فضربه العباس ضربة انتظم بها جوا

صدره ، فخره الشامي لوجه ، فكبر الناس تكبيرة ارتفعت لها الأرض من تحتهم ، وانساب العباس في الناس ، فإذا قاتل يقول من ورائي : ( قاتلوم يعذبهم الله بأيديكم ويخزيم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين - الآية ) فالتفت فإذا بعلي رضي الله عنه ، فقال : يا ابن الأعز ، من المبارز لعدونا ؟ قلت : ابن اخيكم العباس بن ربيعة ، قال : وإنه هو العباس ؟ قلت : نعم ، فقال : يا عباس ، ألم أنك وعبد الله بن العباس أن تحلا بمركز أو تبارزا أحداً ؟ قال : إن ذلك كما قلت ، قال علي : فما عدا بما بدا ؟ قال : أفادعي إلى البراز فلا أجيب ؟ قال : طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوك ، وتفيظ واستطار ، ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلاً ، فقال : اللهم اشكر للعباس مقامه ، واغفر ذنبه ، اللهم إني قد غفرت له فاغفر له ، وتأسف معاوية على عرار بن آدم ، وقال : متى ينطق فحل بمثله أبطل دمه ! لاها الله ، ألا رجل يشري نفسه يطلب بدم عرار ، فانتدب له رجلان من لحم من أهل البأس ومن صناديد الشام ؛ فقال : اذهبا فأيكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللثجين وبعدهما من برود اليمن ، فأتياه فدعواه إلى البراز ، وصاحا بين الصفيين : يا عباس يا عباس ، ابرز إلى الداعي ، فقال : ان لي سيداً أريد أن أوامره ، فأتى علياً وهو في جناح الميمنة يحرض الناس ، فأخبره الخبر ، فقال علي : والله لو د معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلا طعن في بطنه إطفاء لنور الله ( ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ) أما والله ليملكنهم منا رجال ورجال يسمونهم سوم الخسف حتى تغفو الآثار ، ثم قال : يا عباس ، ناقلني سلاحك بسلاحي ، فناقله ، ووثب علي فرس العباس ، وقصد

اللخمين ، فلم يشكا أنه العباس ، فقالا له : أذن لك صاحبك ؟ فتخرج أن يقوله نعم ، فقال : ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي ، فبرز له أحدهما فما أخطأه ، ثم برز له الآخر فألقاه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول ( الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) ثم قال : يا عباس ، خذ سلاحك وهات سلاحي ، فإن عاد لك أحد فعد لي ، ونما الخبر إلى معاوية فقال : قبح الله اللجاج إنه لعقور ما ركبته قط إلا خذلت ، فقال عمرو بن العاص : المخذول والله اللخميان ، والمغرور من غررقه ، لا أنت المخذول ، قال : اسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك ، قال : وإن لم يكن ، رحم الله اللخمين ، ولا أراه يفعل ، قال : ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر لصفقتك ، قال : قد علمت ذلك ، ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها ، فإني أعلم أن علي بن أبي طالب على الحق وأنت على ضده ، فقال معاوية : مصر والله أعمتك ، ولولا مصر لألفيتك بصيراً ، ثم ضحك معاوية ضحكاً ذهب به كل مذهب ، قال : مم تضحك يا أمير المؤمنين ، أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت علياً ، وإبدائك سواتك ، أما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ، ورأيت الموت عياناً ، ولو شاء لقتلك ، ولكن أبا ابن أبي طالب في قتلك إلا تكرمماً ، فقال عمرو : أما والله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك ، فمن نفسك فاضحك أودع .

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن معاوية برز في بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة علي ، وكان هلياً فيها في ذلك الوقت يعي

الناس ، فغير علي لأمته وجواده ، وخرج بلأمة بعض أصحابه ، وصمد له معاوية ، فلما تدانبا أثبتته معاوية فغمز برجليه على جواده وعلي وراه ، حتى فاته ودخل في مصاف أهل الشام ، فأصاب علي رجلاً من مصافهم دونه ، ثم رجع وهو يقول :

يا لطف نفسي فأتسي معاوية فوق طمر كالعقاب الضاريه  
وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية في بعض الأيام ، فلما رآه معاوية قال :

يموتُ الصالحونَ وأنتَ حيٌّ تخطأكَ المنايا لا تموتُ  
فأجابه عمرو :

فلستُ بميتٍ ما دمت حياً ولست بميت حتى تموت  
وذكر أن معاوية لما نظر إلى عسكر أهل العراق - وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف - ونظر إلى علي على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كأنه يفرسهم في الأرض غرساً فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص ، قال لعمرو : يا أبا عبد الله ، أما تنظر إلى ابن أبي طالب وما هو عليه ؟ فقال له عمرو : من طلب عظيماً خاطر بعظيم .

وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث 'بشراً' بن أربطة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحى ، وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل ، فأجابوه إلى بيعة معاوية ، وبلغ الخبر علياً فأنفذ حارثة بن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين ، ومضى بسر إلى مكة ، ثم سار إلى اليمن ، وكان عبيد الله بن العباس بها ، فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبد الله بن عبد المطلب ، وخلف ابن

عبد الرحمن وقتلهم عند أمها جويرية بنت قارظ الكناني ، فقتلها بسر وقتل معها خالاً لها من ثقيف وقد كان بسر بن أرطاة العامري - عامر بن لؤي بن غالب - قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم ، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال كهمدان ، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء ، ولم يبلغه عن أحد أنه يماليء علياً أو يهواه إلا قتله ، ونما إليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب ، وظفر حارثة بابن أخي بسر مع أربعين من أهل بيته ، فقتلهم ، وكانت جويرية أم ابني عبيد الله بن العباس الذين قتلها 'بسر' تدور حول البيت فاشرة شعرها وهي من أجل النساء وهي تقول ترثيها :

هامن أحس من ابني اللذين هما	كالدرتين تَسْطَى عنها الصدف
هامن أحس من ابني اللذين هما	سمعي وقلبي ، فعقلي اليوم مختطف
هامن أحس من ابني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مزدحف
نبئتُ بسرأ ، وما صدقت مازعموا	من قولهم ومن الإفك الذي وصفوا
أنحي على ودجبي ابني مرهفة	مشعوذة ، وكذلك الإثم يقترف

بين معاوية وعمرو بن العاص ووردان ، وذكر الواقدي قال : دخل عمرو بن العاص يوماً على معاوية بعدما كبر ودق ومنعه موله وردان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير وردان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما النساء فلا أرب لي فيهن ، وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حق وهي بها جلدي فما أدري أيها ألين ، وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيها ألد وأطيب ، وأما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب ، فما شيء ألد عندي من شراب بارد

في يوم صائف ، ومن أن أنظر الى بني وبني بني يدورون حولي فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلته ، فالتفت معاوية الى وردان فقال : ما بقي منك يا وردان ؟ قال : صنبة كريمة سنية أعلقها في أعناق قوم ذوي فضل وأخطار لا يكافئونني بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبني في أعقابهم بعدي ، فقال معاوية : تباً لجلسنا سائر هذا اليوم ، إن هذا العبد غلبني وغلبك .

وفاة عمرو بن العاص : وفي سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بن سعيد بن سعد بمصر ، وله تسعون سنة ، وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ، ولما حضرته الوفاة قال : اللهم لا براءة لي فاعتذر ، ولا قوة لي فانتصر ، أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فركبنا ، اللهم هذه يدي الى ذقني ، ثم قال : خذوا لي في الارض خدأ ، وسنثوا على التراب سناً ، ثم وضع أصبعه في فيه حتى مات ، وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر ؛ فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ، ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد ، وكان أبوه من المستهزئين ، وفيه نزلت ( إن شانئك هو الابتر ) .

وولي معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لأبيه .

وخلف عمرو من العين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ، ومن الورق ألف درهم وغلة مائتي ألف دينار بمصر وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم .

وفيه يقول ابن الزبير الاسدي الشاعر من أبيات :

الم تر أن الدهر أخنت صروفه على عمرو السهمي تجبى له مصر  
فلم يُغن عنه حزمه واحتياله ولا جمعه لما أتبع له الدهر  
وأمسى مقيماً بالعراء وضللت مكايده عنه وأمواله الدثر



وفي سنة خمس وأربعين ولى معاويةُ زيادَ بن أبيه البصرة وأعمالها ،  
وقال لما دخلها :

ألا ربُّ مسرورٍ بنا لا نسرهُ      وآخر محزون بنا لا نضرهُ  
وقد كان معاويةُ أغزى في هذه السنة سفيان بن عوف العامري ،  
وأمره أن يبلغ الطوانة فأصيب معه خلق من الناس ، فغم الناسُ  
الحزنُ بمن أُصيب بأرض الروم ، وبلغ معاويةُ أن يزيدَ ابنه لما بلغه  
خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال :

أهونَ عليَّ بما لاقت جموعهمُ      يوم الطوانة من حمى ومن مومٍ  
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً      بديرٍ مرَّانٍ عندي أم كلثومٍ  
أبو أيوب الأنصاري : فحلف عليه ليغزونَ ، وأردف به سفيان ،  
فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة ، وبلغ الناسُ فيها إلى القسطنطينية ،  
وفيها مات أبو أيوب الأنصاري ، ودفن هناك على باب القسطنطينية ،  
واسم أبي أيوب خالد بن زيد ، وقد قيل : إن أبا أيوب مات في سنة  
إحدى وخمسين غازياً مع يزيد ، وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما  
كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط .

المغيرة بن شعبة : وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة  
فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان والياً ، ثم عاد إليها فظعن فمات ،  
فمر أعرابي عليه وهو يدفن فقال :

أرسمَ ديارٍ للمغيرة تعرف      عليها دويُّ الإنس والجن تعزف  
فإن كنت قد لاقيت هامان بعدنا      وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف  
وذكر أن المغيرة ركب إلى هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي  
في دير لها في الحيرة مترهنة ، وهو أمير الكوفة يومئذ ، وقد كانت هند  
عميت ، فلما جاء الدير استأذن عليها ، فأتتها جاريتها فقالت : هذا  
المغيرة يستأذن عليك ، فقالت للجارية : ألقني إليه أثاثاً ، فألقت إليه

وسادة من شعر ، فلما دخل قعد عليها ، وقال : أنا المغيرة ، فقالت له :  
 قد عرفتك عامل المدرة ، فما جاء بك ؟ قال : أتيتك خاطباً إليك  
 نفسك ، قالت : أما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت إلا  
 بمجانتك ، ولكني أخبرك الذي أردت ذلك له ، قال : وما هو ؟  
 قالت : أردت ان تزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول :  
 تزوجت ابنة النعمان ، قال : ذلك أردت ، ولكن أخبريني ما كان  
 أبوك يقول في هذا الحي من ثقيف ، قالت : كان ينسبهم في إباد ،  
 وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما من بني سالم والآخر من  
 بني يسار ، فسألها عن أنسابها ، فانتسب أحدهما إلى هوازن والآخر  
 إلى إباد ، فقال أبي : ما لحي معد على إباد فضل ، فخرجنا وأبي  
 يقول :

إن ثقيفاً لم تكن هوازنًا ولم تناسب عامراً ومازنا  
 إلا حديثاً وافق المحاسنا

فقال المغيرة : أما نحن فنحن هوازن وأبوك أعلم ، قال : فأخبريني أي  
 العرب كان أحب إلى أبيك ، قالت : أطوعهم له ، قال : ومن أولئك ؟  
 قالت : بكر بن وائل ، قال : فأين بنو تميم ؟ قالت : ما استعنتهم في  
 طاعة ، قال : فقيس ؟ قالت : ما اقتربوا إليه بما يجب إلا استعقبوه بما  
 يكره ، قال : فكيف أطاع فارس ؟ قالت : كانت طاعته إيام فيما يهوى ،  
 فانصرف المغيرة .

ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من  
 جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة .

وفي سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فذلك من مروان بن الحكم ،  
 وقد كان وهبها له قبل ذلك ، فاستردّها .

وقد كان معاوية حجاً في سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبي

صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام ، فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار ، فجزع من ذلك وأعظمه ، وردّه إلى موضعه ، وزاد فيه ست مراقي .

موت زياد : وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن أبيه بالكوفة في شهر رمضان ، وكان يكنى أبا المغيرة ، وقد كان كتب إلى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه ، وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين ، واتصلت ولايته بأهل المدينة ، فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا إلى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ؛ لعلمهم بما هو عليه من الظلم والفساد ، فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت آكلة سوداء ، فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل : اثنتين وخمسين ، ودفن بالثوية من أرض الكوفة .

وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي ، فن أبى ذلك عرضه على السيف : فذكر عبد الرحمن بن السائب قال : حضرت فصرت إلى الرحبة ومعي جماعة من الانصار ، فرأيت شيئاً في منامي وأنا جالس في الجماعة ، وقد خفقت ، وهو أني رأيت شيئاً طويلاً قد أقبل ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فانتبهت فزعا ، فما كان إلا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال : انصرفوا فإن الأمير عنكم مشغول ، وإذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء ، وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من أبيات :  
ما كان منتهباً عما أراد بنا حتى تأتت له النقاد ذو الرقبة  
فأسقط الشق منه ضربة ثبتت لما تناول ظلماً صاحب الرحبة  
يعني بصاحب الرحبة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ! وقد

ذهب جماعة إلى أن علياً دفن في القصر بالكوفة ؛ ويقال إن زياداً طعن في يده ، وإنه شاور شريحاً في قطعها ، فقال له : لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش أجذم ، وإن حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك لم قطعتها ؟ قلت : بغضاً للقائك ، وفراراً من قضائك ، فلام الناس شريحاً ، فقال لهم : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوماً ، ورجله يوماً ، وسائر جسده يوماً .

البيعة ليزيد ، وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها ، فكان ممن وفد من أهل العراق الأحنف ابن قيس في آخرين من وجوه الناس ، فقال معاوية للضحاك بن قيس : إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله ، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك ، وادعُ إلى بيعته ، فإني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عذابة الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك ، وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه ، فلما كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رغبة يزيد ابنه وهدية وأن ذلك دعاء إلى أن يوليئه عهده ، ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك ، وحضَّ الناس على البيعة ليزيد ، وقال لمعاوية : اعزم على ما أردت ، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عذابة الأشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ، ثم قال معاوية : أين الأحنف بن قيس ؟ فقام الأحنف فقال : إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان يؤتلف ، ويزيد حبيب قريب ، فإن تولت عهدك فمن غير كبير يؤمن ، أو مرض

مُضْن ، وقد حلبت الدهور ، وجربت الأمور ، فاعرف من تسند  
إليه عهدك ، ومن تولّيه الأمر من بعدك ، واعص رأي من يأمرك  
ولا يقدر لك ، ويشير عليك ولا ينظر لك ، فقام الضحّاك بن  
قيس مُغْضَبًا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق ، وقال : اردد  
رأيهم في نحورهم ، وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام  
الضحّاك ، ثم قام رجل من الازد ، فأشار إلى معاوية وقال : أنت  
أمير المؤمنين ، فإذا مُتْ فأمير المؤمنين يزيد ، فمن أبي هذا فهذا ،  
وأخذ بقائم سيفه فسكّه ، فقال له معاوية : إقعد فأنت من أخطب  
الناس ، فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفي ذلك  
يقول عبد الرحمن بن مہام السلوي :

فإن تأتوا برملة أو بهند	نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا مات كسرى قام كسرى	نعدّ ثلاثة متناسينا
فيا لها لوان لنا أنوفا	ولكن لا نعود كما عنيانا
إذا لضربتم حتى تعودوا	بمكة تلعقون بها السحينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا	دماء بني أمية ما رويننا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم	تصيدون الأرانب غافليننا

وأنفذت الكتب ببيعة يزيد إلى الأمصار ، وكتب معاوية إلى  
مروان بن الحكم - وكان عامله على المدينة - يعلمه باختياره يزيد ،  
ومبايعته إياه بولاية العهد ، وبأمره بمبايعته ، وأخذ البيعة له على من  
قبله ، فلما قرأ مروان ذلك خرج مغضباً في أهل بيته وأخواله من  
بني كنانة ، حتى أتى دمشق فنزلها ، ودخل على معاوية يمشي بين  
السّماطين ، حتى إذا كان منه بقدر ما يُسمع صوته سلم ، وتكلم  
بعضه كثر منه معاوية ، منه : أقم الأمور يا ابن أمة سفيان ،

واحدل عن تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك من قومك نظراً ، وأن لك على مناواتهم وزراء ، فقال له معاوية : أنت نظير أمير المؤمنين وهدته في كل شديدة ، وعضده ، والثاني بعد ولي عهده ، وجعله ولي عهد يزيد ، وورده إلى المدينة ، ثم إنه عزله عنها ، وولاهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد بن معاوية .

## ذكر

### جمل من اخلاقه وسياسته

#### وطرائف من عيون اخباره

قد ذكرنا فيما تقدم جملاً من اخبار معاوية وسيره ، فلنذكر الآن في هذا الباب جملاً من اخلاقه وسياسته وأخباره ، وغير ذلك مما لحق هذا المعنى إلى وفاته .

من اخلاق معاوية وعاداته : كان من أخلاق معاوية أنه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات : كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهي ، ثم يصلي أربع ركعات ، ثم يخرج إلى مجلسه فيأذن الخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ، ويدخل عليه وزراءه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم إلى العشي ، ثم يؤتى بالغداء الأصفر - وهو فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ أو ما يشبهه - ثم يتحدث طويلاً ، ثم يدخل منزله لما أراد ثم يخرج فيقول : يا غلام اخرج الكرسي ، فيخرج إلى المسجد فيوضع فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي ، ويقوم الأحراس فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي الوصي والمرأة ومن لا أحد له ، فيقول : ظلمت ، فيقول : أعزوه ،

ويقول : عُدِّيَ علي ، فيقول : ابعثوا معه ، ويقول : صنع بي ، فيقول :  
انظروا في أمره ، حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ،  
ثم يقول : ائذنوا للناس على قدر منازلهم ، ولا يشغلني احد عن رد  
السلام ، فيقال : كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه ؟ فيقول :  
بنعمة من الله ، فاذا استووا جلوساً ، قال : يا هؤلاء ، إنما سميتم أشرفاً  
لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لا يصل  
الينا ، فيقوم الرجل فيقول : استشهد فلان ، فيقول : افرضوا لولده ،  
ويقول آخر : غاب فلان عن اهله ، فيقول : تعاهدوهم ، اعطوهم ،  
اقضوا حوائجهم ، اخدموهم ، ثم يؤتى بالغداء ، ويحضر الكاتب فيقوم  
عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له : اجلس على المائدة ، فيجلس ، فيمد يده  
فياكل لقمتين او ثلاثاً والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمره فيقال :  
يا عبدالله اعقب ، فيقوم ويتقدم آخر ، حتى يأتي على اصحاب الحوائج  
كلهم ، وربما قدم عليه من اصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على  
تدر الغداء ، ثم يرفع الغداء ويقال للناس : أجزوا ، فينصرفون فيدخل  
منزله ، فلا يطعم فيه طامع ، حتى ينادى بالظهر ، فيخرج فيصلي ثم  
يدخل فيصلي أربع ركعات ، ثم يجلس فيأذن خاصة الخاصة ، فإن  
كان الوقت وقت شتاء أتاهم بزاد الحاج من الأخبصة اليابسة والخشكناج  
والأقراص المعجونة باللبن والسكر ودقيق السميد والكمك المسمن  
والفواكه اليابسة والذانجوج وان كان وقت صيف أتاهم بالفواكه الرطبة ،  
ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ، ويجلس  
الى العصر ، ثم يخرج فيصلي العصر ، ثم يدخل الى منزله فلا يطعم فيه  
طامع ، حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره  
ويؤذن للناس على منازلهم ، فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما  
ينادي بالمغرب ، ولا ينادى له اصحاب الحوائج ، ثم يرفع العشاء وينادي

بالمغرب فيخرج فيصلها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل  
ركعة خمسين آية يحمر نارة ويخافت اخرى ، ثم يدخل منزله فلا  
يطعم فيه طامع حتى ينادى بالمشاء الآخرة فيخرج فيصلها ، ثم يؤذن  
للخاصة وبخاصة الخاصة والوزراء والحاشية ، فيؤامره الوزراء فيما ارادوا  
صدراً من ليلتهم ، ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وأيامها  
والعجم وملوكها وسياستها لرعيها وسيير ملوك الامم وحروبها  
ومكايدها وسياستها لرعيها ، وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ، ثم  
تأتيه الطرف الغربية من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل  
اللطيفة ، ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر  
فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكاييد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان  
له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جل  
من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ، ثم يخرج فيصلها الصبح ،  
ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم .

وقد كان كرم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك بن مروان  
وغیره فلم يدركوا حله ، ولا إتقانه للسياسة ، ولا التأني للامور ،  
ولا مداراته للناس على منازلهم ، ورفقه بهم على طبقاتهم .  
من دهاء معاوية : وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه  
قلوب خواصه وعوامه أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له  
الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق  
فقال : هذه ناقتي ، أخذت مني بصفين ، فارتفع أمرها الى معاوية ،  
وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقتة ، فقضى معاوية  
على الكوفي ، وأمره بتسليم البعير اليه ، فقال الكوفي : أصلحك الله !  
إنه جبل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ودس الى  
الكوفي بعد تفرقهم فأحضره ، وسأله عن ثمن بعيره ، فدفع اليه



ضخفه ، وبرته ، وأحسن اليه ، وقال له : أبلغ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمال ، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها ، وركنوا الى قول عمرو بن العاص : إن علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنّة ، ينشأ عليها الصغير ، ويهلك عليها الكبير .

من غفلة أهل الشام والعراق : قال المسعودي : وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : مَنْ أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر ؟ قال : أراه لصاً من لصوص الفتن .

وحكى الجاحظ قال : سمعت رجلاً من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول : إذا أتيت من يكلمني منه ؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم : ما تقول في محمد هذا ؟ أربنا هو ؟

وذكر ثمامة بن أشرس قال : كنت ماراً في السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون ، فنزلت عن بغلتي وقلت : لشيء ما هذا الاجتماع ، ودخلت بين الناس ، وإذا برجل يصف كحلا معه أنه ينجح من كل داء يصيب العين ، فنظرت إليه فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكا ، فقلت له : يا هذا ، لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك !! فقال لي : يا جاهل أما هنا اشتكت عيناى ؟ إنما اشتكتا بمصر ، فقال كلهم : صدق ، وذكر أنه ما انفلت من نعالهم إلا بعد كد .

وذكر لي بعض إخواني أن رجلاً من العامة بمدينة السلام رفع

الى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندن ،  
فسأله الوالي عن مذهب الرجل ، فقال : إنه مرجىء قدري ناصبي  
رافضي ، فله قصة عن ذلك قال : إنه يبغض معاوية بن الخطاب  
الذي قاتل علي بن العاص ، فقال له الوالي : ما أدري على أي شيء  
أحسدك : على علمك بالمقالات ، أو على بصرك بالأنساب ؟

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم ، قال : كنا نقعد نتناظر في أبي  
بكر وعمر وعلي ومعاوية ، ونذكر ما يذكره أهل العلم ، وكان قوم  
من العامة يأتون فيستمعون منا ، فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من  
أعقلهم وأكبرهم حية : كم تطئنون في علي ومعاوية وفلان وفلان ؟  
فقلت له : فما تقول أنت في ذلك ؟ قال : من تريد ؟ قلت علي ، ما  
تقول فيه ؟ قال : أليس هو أبو فاطمة ؟ قلت : ومن كانت فاطمة ؟ قال :  
امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية ، قلت : فما كانت  
قصة علي ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان الى الشام  
وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ، ونزل عبد الله بن علي  
الشام ، ووجه الى أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب  
النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس السفاح أنهم  
ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه  
غير بني أمية حتى وليتم الخلافة ، فقال في ذلك إبراهيم بن المهاجر  
البجلي :

أهيا الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل المعجب  
عجباً من عبد شمس ؛ إنهم فتحوا للناس أبواب الكذب  
ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا والله مانعهم يحرز الميراث إلا من قرب  
 متطيب في عهد الرشيد : وقد كان ببغداد رجل في أيام هرون  
 الرشيد متطيب ، يطيب العامة بصفاته ، وكان دهرياً يظهر أنه من أهل  
 السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ، ويعرف بالسني ، تنقاد إليه العامة ؛  
 فكان يجتمع إليه في كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس ، فإذا  
 اجتمعوا وثب قائماً على قدميه فقال لهم : معاشر المسلمين ، فلم  
 لا ضار ولا نافع إلا الله فلأني شيء مصيركم إلي تسألونني عن  
 مضاركم ومنافعكم ؟ الجأوا إلى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون  
 فعلكم مثل قولكم ، فيقبل بعضهم على بعض فيقولون : إي والله قد  
 صدقنا ، فكم من مريض لم يعالج حتى مات ، ومنهم من كان يتركه  
 حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء ، فيقول : إيمانك ضعيف ،  
 ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك ، فكان يقتل بقوله  
 هذا خلقاً كثيراً لتزهيده إياهم في معالجة مرضاهم .  
 من اخلاق العامة ، ومن أخلاق العامة أن يسودوا غير السيد ،  
 ويفضلوا غير الفاضل ، ويقولوا بعلم غير العالم ، وهم أتباع من سبق  
 إليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول ، والفضل والنقصان ، ولا  
 معرفة للحق من الباطل عندهم ، ثم انظر هل ترى إذا اعتبرت ما  
 ذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها إلا مشحونة بالخاصة من  
 أولي التمييز والمروءة والحجبا ، وتفقد العامة في احتشادها وجموعها ،  
 فلا تراهم الدهر إلا مُرْقِلِينَ إلى قائد دب ، وضارب بدف على سياسة  
 قرد ، أو متشوقين إلى اللهو واللعب ، أو مختلفين إلى مشعبذ متمس  
 ممخرق ، أو مستمعين إلى قاصّ كذاب ، أو مجتمعين حول مضروب ،  
 أو وقوفاً عند مصلوب : يُنَمَقُ بهم فيتبعون ، ويصاح بهم فلا يرتدعون ،  
 لا ينكرون منكراً ، ولا يعرفون معروفاً ، ولا يبالون أن يلحقوا

البارّ بالفاجر ، والمؤمن بالكافر ، وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم حيث يقول : « الناس اثنان : عالم ، ومتعلم ، وما عدا ذلك همج رعا ع لا يعبا الله بهم ، وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال : همج رعا ع أتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، وأجمع الناس في تسميتهم على أنهم غوغاء ، وهم الذين إذا اجتمعوا غلبوا ، وإذا تفرقوا لم يعرفوا ، ثم تدبر تفرقهم في أحوالهم ومذاهبهم ، فانظر إلى إجماع ملئهم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام يدعو الخلق إلى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويعليه على أصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة ، وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ، ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور ، فأشادوا بذكره ، ورفعوا من منزلته : بأن جعلوه كاتباً للوحي ، وعظّموه بهذه الكلمة ، وأضافوه إليها ، وسلبوها عن غيره ، وأسقطوا ذكر سواه ، وأصل ذلك العادة والإلّف ، وما ولدوا عليه ، وما نشئوا فيه ، فألفوا وقت التحصيل والبلوغ ، وقد عملت العادة عملها ، وبلغت مبالغها ، وفي العادة قالت الشعراء وتكلم أهل الدراية والأدباء ، قال الشاعر :

لا تُهنّي بعد إذا أكرمتني فشيدهُ عادةٌ منتزعه

وقال آخر معاتباً لصاحبه :

ولكنّ فِطامُ النفس أثقلُ حملاً

من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب : العادة أملك بالأرب ، وقالت حكماء العجم : العادة هي الطبيعة الثانية ، وقد صنف أبو عقاب الكاتب

كتاباً في أخلاق العوام يصف فيه أخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم ،  
وسماه بالملهي ، ولولا أني أكره التطويل والخروج عما قصدنا إليه في  
هذا الكتاب من الإيجاز لشرحت من نوادر العامة وأخلاقها ، وظرائف  
أفعالها عجائب ، ولذكرت مراتب الناس في أخلاقهم ، وتصرفهم  
في أحوالهم .

فلنرجع الآن إلى أخبار معاوية وسياسته ، وما أوسع الناس من  
أخلاقه ، وما أفاض عليهم من بره وعطائه ، وشملهم من إحسانه : مما  
اجتذب به القلوب ، واستدعى به النفوس ، حتى آثروه على الأهل  
والقرايات .

عقيل بن أبي طالب ومعاوية : من ذلك أنه وفد عليه عقيل  
ابن أبي طالب منتجعاً وزائراً ، فرحّب به معاوية ، وسرّ بوروده ،  
لاختياره إياه على أخيه ، وأوسع حلاً واحتمالاً ، فقال له : يا أبا  
يزيد ، كيف تركت عليّاً ؟ فقال : تركته على ما يحبّ الله ورسوله  
وألفيتك على ما يكره الله ورسوله ، فقال له معاوية : لولا أنك زائر  
منتجع جنابتنا لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه ، ثم أحبّ  
معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه ، فوثب عن  
مجلسه ، وأمر له بنزل ، وحمل إليه مالا عظيماً ، فلما كان من غد  
جلس وأرسل إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا يزيد ، كيف تركت عليّاً  
أخاك ؟ قال : تركته خيراً لنفسه منك ، وأنت خير لي منه ، فقال  
له معاوية : أنت والله كما قال الشاعر :

وإذا عدت فخار آل محرق فالجد منهم في بني عتاب

فجعل الجد من بني هاشم منوطاً فيك يا أبا يزيد ما تغيرك

الأيام والليالي ، فقال عقيل :

اصبر لحرب أنت جانبها لا بد أن تصلى بحاميا

الجزء الثالث : ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر :

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يوماً فخرتهم بآل مجاشع  
بالحاملين على الموالي عُزْمَهُم والضاربين الهام يوم الفازع

وصف بني صوحان : ولكن أنت يا معاوية إذا افتخرت بنو أمية  
فبمن تفخر؟ فقال معاوية : عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت ، فإني  
لم أجلس لهذا ، وإنما أردت أن أسألك عن أصحاب علي فإنك ذو  
معرفة بهم ، فقال عَقِيل : سَلْ عما بدا لك ، فقال : ميز لي أصحاب  
علي ، وابدأ بآل صَوْحَانَ فإنهم مخاريق الكلام ، قال : أما صعصة  
فعظيم الشأن ، غضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ما  
فتق ، ويفتق ما رتق ، قليل النظير ، وأما زيد وعبد الله فإنها  
نهران جاربان ، يصب فيها الخلجان ، وينفث بها البلدان ، رجلاً  
جَدِيلاً لعب معه ، وبنو صوحان كما قال الشاعر :

إذا نزل العدو فإن عندي أسوداً تخلس الأسد النفوسا

من صعصة الى عقيل ، فاتصل كلام عقيل بصعصة فكتب إليه  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، ذكر الله أكبر ، وبه يستفتح المستفتحون ،  
وأنت مفاتيح الدنيا والآخرة ؛ أما بعد ، فقد بلغ مولاك كلامك  
لعدو الله وعدو رسوله ، فحمدت الله على ذلك ، وسألته أن يفيء  
بك إلى الدرجة العليا ، والقضيب الأحمر ، والعمود الأسود ، فإنه  
عمود من فارقه فارق الدين الأزهر ، ولئن نزعَت بك نفسك إلى  
معاوية طلباً لماله إبك لنو علم بجميع خصاله ، فاحذر أن تعلق  
بك ناره فيضلك عن الحجة ، فإن الله قد رفع عنكم أهل البيت  
ما وضعه في غيركم ، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل  
إلينا ، فأجَلْ الله أقداركم ، وحمي أخطاركم ، وكتب آثاركم ،

فإن أقداركم مرضية ، وأخطاركم محمية ، وآثاركم بدرية ، وأنتم سلم الله إلى خلقه ، ووسيلته إلى طرقه ، أيدي عليه ، ووجوه جلية ، وأنتم كما قال الشاعر :

فما كان من خير أتوه فإنما توارثته آباء آبائهم قبل  
وحمل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

بين علي ووجوه أصحابه : وحدث الهيثم عن أبي سفيان عمرو بن يزيد ، عن البراء بن يزيد ، عن محمد بن عبد الله بن الحارث الطائي ثم أحد بني عفان ، قال : لما انصرف علي من الجمل قال لآذنه : مَنْ بالباب من وجوه العرب ؟ قال : محمد بن عمير ابن عطارد التيمي والأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي ، في رجال سمام ، فقال : ائذن لهم ، فدخلوا فسلموا عليه بالخلافة ، فقال لهم : أنتم وجوه العرب عندي ، ورؤساء أصحابي ، فأشيروا علي في أمر هذا الغلام المترف - يعني معاوية - فافتنت بهم المشورة عليه ، فقال صعصعة : إن معاوية أترفه الهوى ، وحببت إليه الدنيا ، فهانت عليه مصارع الرجال ، وابتاع آخرته بدنياه ، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتُصِيب ، إن شاء الله ، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين ، والرأي أن ترسل له عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك ، بكتاب تدعوه إلى بيعتك ، فإن أجاب وأتاب كان له ما لك وعليه ما عليك ، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين ، فقال علي : عزمك عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيدك ، وتوجهت به إلى معاوية ، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً ، وعجزه استنابة واستنابة ، وليكن فاتحة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم » من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية : سلام عليك ، أما بعد ، ثم اكتب ما

أَصْرَتْ بِهِ عَلِي ، وَاجْعَلْ عَنوَانِ الكِتَابِ « أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » ، قَالَ : أَعْنِينِي مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لِتَفْعَلْنَ ، قَالَ : أَفْعَلْ ، فَخَرَجَ بِالكِتَابِ وَتَجَهَّزَ وَسَارَ حَتَّى وَرَدَ دِمَشْقَ ، فَاتَى بِأَبِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لِأَذْنِهِ : اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَبِلبَابِ أَرْفَلَةَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَأَخَذَتْهُ الْأَيْدِي وَالنِّعَالُ لِقَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ « أَتَبْقَتُونَ رِجَالًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ » ، وَكَثُرَتْ الْجَلْبَةُ وَاللِّغْطُ ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَعَاوِيَةَ فَوَجَّهَ مِنْ يَكْشِفُ النَّاسَ عَنْهُ ، فَكَشَفُوا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا ، فَقَالَ لَهُمْ : مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صَرْحَانَ مَعَهُ كِتَابٌ مِنْ عَلِي ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَمْرُهُ ، هَذَا أَحَدُ سَهَامِ عَلِي وَخُطْبَاءِ الْعَرَبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ إِلَى لِقَائِهِ شَيْقًا ، إِذْذَنَ لَهُ بِأَغْلَامٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الرُّسُلُ تَقْتُلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ ، ثُمَّ اعْتَرَضَهُ مَعَاوِيَةُ فِي الْكَلَامِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ لِيَعْرِفَ قَرِيبَتَهُ أَطْبَعًا أَمْ تَكَلَّفًا فَقَالَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ نِزَارٍ ؟ قَالَ : وَمَا كَانَ نِزَارٌ ؟ قَالَ كَانَ إِذَا غَزَا نَكَسَ ، وَإِذَا لَقِيَ افْتَرَسَ ، وَإِذَا انصَرَفَ احْتَرَسَ ، قَالَ فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ رَبِيعَةَ ، قَالَ : وَمَا كَانَ رَبِيعَةَ ؟ قَالَ : كَانَ يَطِيلُ النَّجَادَ ، وَيَعْمُولُ الْعِبَادَ ، وَيَضْرِبُ بِبِقَاعِ الْأَرْضِ الْعِمَادَ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ جَدِيدَةَ ، قَالَ : وَمَا كَانَ جَدِيدَةَ ؟ قَالَ : كَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا قَاطِعًا ، وَفِي الْمَكْرَمَاتِ غَيْثًا نَافِعًا ، وَفِي اللَّقَاءِ لَهْبًا سَاطِعًا ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قَالَ : وَمَا كَانَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : كَانَ خَصِيْبًا خَضْرَمًا أَبْضًا ، وَهَاتَا لُضْفَهُ مَا مَحْدٌ ، لَا سَأَلَ عَمَّا فَقدَ ، كَ



المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال : ويحك يا ابن صوحان ! فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً ، قال : بلى والله يا ابن أبي سفيان ، تركت لهم ما لا يصلح الا بهم ، ولهم تركت الأبيض والأحمر ، والأصفر والاشقر ، والسرير والمنبر ، والملك الى المحشر ، وأنسى لا يكون ذلك كذلك وهم منارُ الله في الأرض ونجومه في السماء ؟ ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، فقال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صعصعة ما أراد ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد ، بعدتم عن أنفِ المرعى وعلوتم عن عذب الماء ، قال : فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان ؟! قال : الويل لأهل النار ، ذلك لبني هاشم ، قال : قم ، فأخرجوه ، فقال صعصعة : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد ، من أراد المشاجرة قبل المفاوضة ، فقال معاوية : لشيء ما سوّدته قومه ، ووددت والله أني من صلبه ، ثم التفت الى بني أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال .

معاوية وجماعة من اصحاب علي : وحدث منصور بن وحشي ، عن أبي الفياض عبد الله بن محمد الهاشمي ، عن الوليد بن البخاري العبسي ، عن الحارث بن سمار البهراني ، قال : حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكوآء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً فقال : نشدتكم بالله إلا ما قلمت حقاً وصدقاً ، أي الخلفاء رأيتهم في؟ فقال ابن الكوآء : لولا أنك عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله في قتل الأخيار ، ولكننا نقول : إنك ما علمنا واسع الدنيا ، ضيق الآخرة ، قريب الثرى ، بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات ، فقال معاوية : إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته ،

الجزء الثالث : ذكر أئمة مطوية بن أبي سفيان

التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم  
الله ، والمهلين ما حرم الله ، والمحرمين ما أحل الله ، فقال عبد الله بن  
الكواء : يا ابن أبي سفيان ، إن لكل كلام جواباً ، ونحن نخاف جبروتك ،  
فإن كنت تطلق ألسنتنا ذمينا عن أهل العراق بالسنة حداد لا  
تأخذها في الله لومة لائم ، وإلا فإننا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على  
فرجه ، قال : والله لا يطلق لك لسان ، ثم تكلم صعصعة فقال :  
تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ، ولم تقصر عما أردت ، وليس  
الأمر على ما ذكرت ، أنسى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ،  
ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً ؟ أما والله ما لك  
في يوم بدر مضرب ولا مرمى ، وما كنت فيه إلا كما قال القائل :  
« لا حل ولا سيرة ، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن  
أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنت طليق ابن طليق ،  
أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنسى تصلح الخلافة لطليق ،  
فقال معاوية : لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :  
قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم  
لقتلتكم .

صعصعة بن صوحان عند معاوية يصف له أهل البلاد : وحدث  
أبو جعفر محمد بن حبيب ، قال : أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء  
الغنوي ، قال : أخبرنا الوليد بن البخاري ، عن أبيه ، عن ابن مردوع  
الكاتب قال : دخل صعصعة بن صوحان العبدي على معاوية فقال له :  
يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبجأها ، فأخبرني عن أهل  
البصرة ، وإياك والحمل على قوم لقوم ، قال : البصرة واسطة العرب ،  
ومنتهى الشرف والسؤدد ، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره ،  
وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرجا على قطبها ، قال :

فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : قبة الاسلام ، وذروة الكلام ومظان ذوي الاعلام ، إلا أن بها اجلافاً تمنع ذوي الأمر للطاعة ، وتخرجهم عن الجماعة ، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة ، قال : قلخبرني عن أهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى فتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلهم غناء فيها ، غير ان لهم ثباتاً في الدين ، وتمسكاً بعروة اليقين ، يتبعون الأئمة الأبرار ، ويخلصون الفسقة الفجار ؛ فقال معاوية : من البررة والفسقة ؟ فقال : يا ابن ابي سفيان ، ترك الخداع من كشف القناع ، علي وأصحابه من الأئمة الأبرار ، وأنت واصحابك من اولئك ، ثم أحب معاوية ان يمضي صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب ، فقال : أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر ، قال : أسد مضر بسلان بين غيلين ، إذا ارسلتها افترست ، وإذا تركتها احترست ، فقال معاوية : هنالك يا ابن صوحان العز الراسي ، فهل في قومك مثل هذا ؟ قال : هذا لأهل دونك يا ابن ابي سفيان ، ومن أحب قوماً حشر معهم . قال : فأخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك . قال : والله ما انا عنهم براض ، ولكني أقول فيهم وعليهم : هم والله اعلام الليل ، وأذئاب في الدين والميل لن تغلب رايتها اذا رسخت ، خوارج الدين ، برازخ اليقين ، من نصروه فلج ومن خذلوه زلج ، قال : فأخبرني عن مضر ، قال : كنانة العرب ، ومعدن العز والحسب ، يقذف البحر بها آذيه ، والبر رديه ، ثم أمسك معاوية ، فقال له صعصعة : سل يا معاوية والا اخبرتك بما تحيد عنه ، قال : وما ذاك يا ابن صوحان ؟ قال : أهل الشام ، قال : فأخبرني عنهم ، قال : اطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق ، عصاة الجبار ، وخلفة الأشرار ، فعليهم الدمار ، ولهم سوء الدار ، فقال معاوية : والله يا ابن صوحان انك لحامل مدنتك منذ أزمان ، إلا أن حلم ابن ابي سفيان برد عنك ، فقال

صعصعة : بل أمر الله وقدرته ، إن أمر الله كان قدراً مقدوراً .  
صعصعة أيضاً : وحدث أبو الهيثم قال : حدثني أبو البشير محمد بن بشر الفزاري ، عن إبراهيم بن عقيل البصري ، قال : قال معاوية يوماً - وعنده صعصعة وكانت قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس - : الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي ، فقال صعصعة :

تُمنِّيكَ نفسك ما لا يكون جَهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية : يا صعصعة ، تعلمت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبالاً أمرك ! قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بيني وبينك ؟ قال : الذي يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير ، قال : اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع .

من اخبار صعصعة : قال المسعودي : ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان ، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني ، على إيجاز واختصار .

ومن ذلك خبره مع عبدالله بن العباس ، وهو ما حدث به المدقني عن زيد بن طليح الذهلي الشيباني ، قال : أخبرني أبي ، عن مصقلة ابن هبيرة الشيباني ، قال ، سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس : ما السؤدد فيكم ؟ فقال : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، وبذل النوال ، وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير ، وأن يكون الناس عندك شرعاً ، قال : فما المروءة ؟ قال : اخوان اجتماعاً فإن لقياً قهراً حارسها قليل ، وصاحبها جليل ، يحتاجان إلى صيانة مع

نزاهة وديانة ، قال : فهل تحفظ في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول مرة بن زهل بن شيبان حيث يقول :

إن السيادة والمروءة علقًا . حيث السماء من السماك الأعزل  
وإذا تقابل مجريان لغاية عثر الهجين وأسلته الأرجل  
ويحي الصريح مع العناق معوداً قرب الجياد فلم يحته الأفكل

في أبيات ، فقال له ابن عباس : لو أن رجلاً ضرب آباط إبسه مشرقاً ومغرباً لفائدة هذه الأبيات ما عنفته ، إنا منك يا ابن صوحان لعل علم وحكم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب ، فمن الحكيم فيكم ؟ قال : من ملك غضبه فلم يعجل ، وسعى إليه بحق أو باطل فلم يقبل ، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصنح ولم يقتل ، ذلك الحكيم يا ابن عباس ، قال : فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال : ولا قليلاً ، وإنما وصفت لك أقواماً لا تجدم إلا خاشعين راهبين لله مردين ينيون ولا ينالون ، فأما الآخرون فإنهم سبغ جهلهم حلمهم ، ولا يبالي أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة ما كان بعد أن يدرك زعمه ويقضي بغيته ، ولو وتره أبوه لقتل أباه ، أو أخوه لقتل أخاه ، أما سمعت إلى قول زبان بن عمرو بن زبان ، وذلك أن عمراً أباه قتله مالك بن كومة ، فأقام زبان زماناً ، ثم غزا مالكا ، فأتاه في مائتي فارس صباحاً وهو في أربعين بيتاً فقتله ، وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل ، ويقال : بل كان أخاه ، وذلك أنه كان جاورهم ، فقيل لزبان في ذلك : قتلت صاحبنا ، فقال :

فلو أمي ثقفتُ بحيث كانوا لبل ثيابها علقُ صبيب  
ولو كانت أمية أخت عمرو بهذا المساء ظل لها نجيب  
شهرت السيف في الأدنين مني ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال له ابن عباس : فمن الفارس فيكم ؟ حدّ لي حدا أسمعه منك فانك تضع الأشياء مواضعها يا ابن صوحان ، قال : الفارس من قصر أجله في نفسه ، وضغم على أمه بضره ، وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ، ذلك الفارس إذا وقدت الحروب ، واشتدت بالأنفس الكروب ، وقداعوا للنزال ، وتزاحفوا للقتال ؛ وتخالسوا المهج ، واقتحموا بالسيوف اللهب ، قال : أحسنت والله يا ابن صوحان ، إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ، ما ورثت هذا عن كلاله ، زدني قال : نعم ، الفارس كثير الخذر ، مدير النظر ، يلتفت بقلبه ، ولا يدبر حرزات صلبه ، قال : أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف ، فهل في مثل هذه الصفة من شعر ؟ قال : نعم ، لزهير بن جَنَاب الكلبى يرثي ابنه عمراً حيث يقول :

فارس تكلاً للصحابة منه بحسام يمر مر الحريق  
لا تراه لدى الوغى في مجال ينفل الطرف ، لا ، ولا في مضيق  
من يراه يخلك في الحرب يوماً أنه أخرق مضل الطريق

في أبيات ، فقال له ابن عباس : فأين أخواك منك يا ابن صوحان ؟  
صِفْهُمَا لأعرف وزنكم ، قال : أما زيد فكما قال أخو غني :

فوق لا يبالي أن يكون بوجه إذا سدّ خلّات الكرام 'شحوب'  
إذا ما تراآه الرجال تحفظوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب  
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه إليه ويدعوه الندى فيجيب  
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيبه إذا لم يكن في المنقيات حلوب  
كان بيوت الحي ما لم يكن بها بسايس ما يلفى بين عريب

في أبيات ، كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة ، شريف الأخوة ،  
جليل الخطر ، بعيد الأثر ، كمش العروة ، أليف البدوة ، سليم جوانح

الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكر الله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيات ، لا ينافس في الدنيا ، وأقل أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بعقّام ، يهرب منه الدعار والأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار ، فقال ابن عباس : ما ظنك برجل من أهل الجنة ، رحم الله زيدا ! فإن كان عبد الله منه ؟ قال : كان عبد الله سيداً شجاعاً ، مألماً مطاعاً ، خيره وساع ، وشره دفاع ، قلبي النحيظة ، أحوزي الغريزة ، لا ينهيه منهنه عما أراده ، ولا يركب من الأمر إلا عتاده ، سمّام عدي ، وباذل قري ، صعب المقادة ، جزل الرفادة ، أخو إخوان ، وفتو فتیان ، وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان :

سمّامُ عدي ، بالنبل يقتل من رمى      وبالسيف والرمح الرديني مشغب  
مهيّب مفيد للنوال 'معوّد'      بفعل الندي والمكرّمات مجرب

في أبيات ، فقال له ابن عباس : أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب .

ومن أخبار صعصعة ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي ، عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي ، قال : أخبرني رجل من بني فزارة ثم من بني عدي ، قال : وقف رجل من بني فزارة على صعصعة ، فأسمعه كلاماً منه : بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك ، أما لئن شئت لأكونن لك لصاقاً ، فلا تنطق إلا حدّدت لسانك بأذرب من ظبّة السيف ، بهضب قوي ، وامان علي ، ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال ، فقال صعصعة : لو أجد غرضاً منك لرميت ، بل أرى شبحاً ولا أرى مثلاً ، إلا كسراب بقعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، أما لو كنت

كفوا لرميت حصانك بأذربَ من ذلك السنان ، ولرشتك بنبال  
تردعك عن النضال ، ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام ،  
فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري ، وقال : أما لو  
كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شام إلى الهضام ،  
لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس ، خاب أبوه ، ما  
أجهله ! يستجمل أخوا عبد القيس ، وقواه المريرة ، ثم تمثل :

'صبتُ عليك ولم تنصب' من أمم إن الشقاء على الأشقيين مصبوب

أبو أيوب وصعصعة : وحدث المبرد ، عن الرياشي ، عن ربيعة بن  
عبد الله النميري ، قال : أخبرني رجل من الأزدي ، قال : نظرت إلى  
أبي أيوب الأنصاري ، في يوم النهروان ، وقد علا عبد الله بن وهب  
الراسبي ، فضربه ضربة على كتفه ، فأبان يده ، وقال : 'بؤها إلى  
النار يا مارق ، فقال عبد الله : ستعلم أينما أولى بها صلياً ، قال :  
وأبيك إني لأعلم ؛ إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال : أولى  
بها والله صلياً من ضلّ في الدنيا عمياً ، وصار إلى الآخرة شقياً ،  
أبعدك الله ! وأنزحك ! أما والله : لقد أندرته هذه الصرعة بالأمس ،  
فأبيت إلا نكوصاً على عقبيك ، فذق يا مارق وبال أمرك ، وشرك  
أبا أيوب في قتله : ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله ، وأدركه  
بأخرى في بطنه ، وقال : لقد صرت إلى نار لا تطفأ ، ولا يبوخ  
سعيها ، ثم احتزا رأسه ، وأتيا به علياً ، فقالا : هذا رأس الفاسق ،  
الناكث ، المارق : عبد الله بن وهب ، فنظر إليه فقطب ، وقال :  
شاه هذا الوجه ! حتى خيل إلينا أنه يبكي ، ثم قال : قد كان أخو  
راسب حافظاً لكتاب الله ، تاركاً لحدود الله ، ثم قال لهما : اطلباني  
ذا الشديّة ، فطلب فلم يوجد ، فرجعا إليه وقالوا : ما أصبنا شيئاً ،  
فقال : والله لقد قتل في يومه هذا ، وما كذبني رسول الله صلى



الله عليه وسلم ، ولا كذبت عليه ، قوموا يجمعكم فاطلبوه ، فقامت جماعة من أصحابه ، فتفرقوا في القتل ، فأصلبوه في دهاس من الأرض ، فرقه زهاء مائة قتيل ، فأخرجوه يجر برجله ، ثم أتى به علي ، فقال : اشهدوا انه ذو الشئبة ، وقد ذكرنا اخباره في كتابنا فيما سلف من هذا الكتاب .

من قول علي في ربيعة : ولعلي في ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ، ويرثيهم شعراً ومنتوراً ، وقد كانوا أنصاره واعوانه ، والركن المبيع من أركانه ، فمن بعض ذلك قوله يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قبل قدمها حُضَيْنُ تَقْدَمَا  
فيوردها في الصف حتى يعلها حياض المسايا تَطْطُرُ المِوتَ واللِّدْمَا  
جزى الله قوماً قاتلوا في لقائه لدى المِوتِ قَدْماً ما أعز وأكرما  
وأطيب اخباراً ، وأكرم شيمه ، إذا كان أصوات الرجال تَطْطُرُ  
ربيعة أعني ، إنهم اهل نَجْدَة وبأس إذا لاقوا خيلاً حرمرما

معاوية وجميل بن كعب : وذكر المدائني أن معاوية أمر جميل بن كعب الثعلبي - وكان من سادات ربيعة وشيعة علي وأنصاره - فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكنني منك ، ألت القاتل يوم الجمل :

أصبحت الأمة في أمر عجب . والملك مجموع غداً لمن غلب  
قد قلت قولاً صادقاً غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة ، قال معاوية : وأي نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة نعدة من حماة أصحابي ؟ اضربوا عنقه ، فقال : اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ، ولا لأنك ترغى قتلي ، ولكن قتلتني على حطام الدنيا ، فان

فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله ؛ فقال معاوية : قاتلك الله ! لقد سببت فابلغت في السب ، ودعوت فبالغت في الدعاء ، ثم أمر به فأطلق ، وتمثل معاوية بأبيات للنعمان بن المنذر ، لم يقل النعمان غيرها ، فيما ذكر ابن الكلبي ، وهي :

تعفو الملوك عن الجليل من الأمور بفضلها  
ولقد تُعاقب في اليسير ، وليس ذاك لجهلها  
إلا ليعرف فضلها ويُخفف شدة نكلها

معاوية عند موته ، وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدي وغيرهم من نقلة الأخبار ان معاوية لما احتضر تمثل :  
هو الموت ، لا منجى من الموت ، والذي

تحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وجُدْ بملكك على جاهل من لم يرج غيرك ، ولم يثق إلا بك ، فانك واسع المغفرة ، وليس لذي خطيئة مهرب ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وإني لأرجو ان لا يعذبه الله . وذكر محمد بن إسحاق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام في بدء علة التي كانت وفاته فيها ، فرأى نحول جسمه ، فبكى لفنائه وما قد اشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة ، وقال متمثلاً :

أرئى الليالي اسرعت في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي  
حنينَ طولي وحنينَ عرضي أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أذف أمره ، وحنان فراقه ، واشتدت علة ، وأيس من برئ ،  
أنشأ يقول :

فباليثني لم أعن في الملك ساعة ولم أك في اللذات أعشى النواظر  
وكنت كذي ضميرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار أهل المقابر

قال المسعودي : ولماوية أخبار كثيرة مع علي وغيره ، وقد  
أتينا على الفرر من أخباره ، وما كان في أيامه في كتابينا ،  
« أخبار الزمان ، والأوسط ، وغيرها من كتبنا ، مما أفرد للآثار ،  
وهذا باب كبير ، والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في  
هذا الكتاب كثير ، ومن ضمن الاختصار لم يحجز له الإكثار .  
وإنما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفاً من كل نوع  
من العلوم والأخبار ، وما انتخبناه من طرائف الآثار ؛ ليستدل  
الناظر فيه بما ذكرنا على المراد ، مما تركنا ذكره ، وقد تقدم  
وصفه وبسطه ، فيما سلف من كتبنا .  
وإذ قد تقدم ما ذكرنا ، فلنذكر الآن جملاً من فضل الصحابة  
وغيرهم ، عليهم السلام ؛ إذ كانوا حجة على من بعدهم ، وقدوة لمن  
تأخر عنهم ، وبالله التأييد .

## ذكر

### الصحابة ومدحهم

وعليّ ، والعباس ، وفضلها

معاوية وعبد الله بن العباس : دخل عبد الله بن العباس على  
معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس قال له معاوية :  
إني أريد أن أسألك عن مسائل ؟ قال : سل عما بدا لك .  
وصف أبي بكر : قال : ما تقول في أبي بكر ؟ قال : رحم الله أبا بكر ،  
كان والله للقرآن تالياً وعن المنكرات تاهياً ، وبذنبه عارفاً ، ومن الله

تخائفاً ، وعن الشبهات زاجراً ، وبالمعروف آمراً ، وبالليل قائماً ،  
وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً ، وسادهم زهداً وعفافاً ،  
فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه .

وصف عمر : قال معاوية : إياها يا ابن عباس ، فما تقول في  
عمر بن الخطاب ؟ .

قال رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الإسلام ،  
وماوى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، ومحل الإيمان ، وكهف الضعفاء ،  
ومعقل الحنفاء ، قام بحق الله عز وجل صابراً محتسباً ، حق  
أوضح الدين ، وفتح البلاد ، وأمن العباد ، فأعقب الله على من  
تنقصه اللعنة إلى يوم الدين .

قال : فما تقول في عثمان ؟ .

وصف عثمان : قال : رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم  
المفدّة ، وأفضل البررة ، هجّاداً بالأسعار ، كثير الدموع عند  
ذكر النار ، نهاضاً عند كل مكرمة ، سباقاً إلى كل منحة ،  
حيياً أبا وفيها ، صاحب جيش العسرة ، ختن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وآله ، فأعقب الله على من يلغنه لعنة اللاعنين ، إلى  
يوم الدين .

قال : فما تقول في علي ؟ .

وصف علي : قال : رضي الله عن أبي الحسن ، كان والله علم الهدى ،  
وكهف التقى ، ومحل الخبثاء ، وبجر الندى ، وطود النهى ،  
وكهف العلا للورى ، داعياً إلى المحجة العظمى ، متمسكاً بالعروة  
الوثقى ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمص وارتدى ،  
وأبر من انتعل وسمى ، وأفصح من تنفس وقرا ، وأكثر من شهد  
النجوى ، سوى الأنبياء والنبي المصطفى ، صاحب القبليتين فهل

يوازيه أحد ؟ وهو أبو السبطين فهل يقارنه بشر ؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد ؟ للأسود قتال وفي الحروب ختال ، لم تر عيني مثله ولن ترى ، فعلى من اتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد .

قال : إيه يا ابن عباس ، لقد أكثرت في ابن عمك ، فما تقول في أبيك العباس ؟ .

وصف العباس : . قال : رحم الله العباس أبا الفضل ، كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقررة عين صفي الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آبائه الأجواد ، وأحلام أجداده الأجداد ، تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسقاية ، والمشاعر والتلاوة ، ولم لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من دب ؟ .

فقال معاوية : يا ابن عباس ، أنا أعلم أنك كلداني في أهل بيتك .

قال : ولم لا أكون كذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، ؟ .

ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام :

وصف الصحابة عامة : يا معاوية ، إن الله جل ثناؤه ، وتقديست أسماؤه ، خص نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال : ( رحماء بينهم ) الآية ، قاموا بمعالم الدين ، وناصحوا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذبت طرقه ، وقويت أسبابه . وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد

الجزء الثالث : ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء ، رحلوا الى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بَعْدُ فيها .  
فَقَطَعَ عليه معاوية الكلام ، وقال : إِيهَا يَا ابْنَ عَبَّاسِ ، حَدِيثًا فِي غَيْرِ هَذَا .

## ذِكْرُ

### أَيَّامُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ

**موجز :** وبويع يزيد بن معاوية ، فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال ، وأخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته ، ففي ذلك يقول عبد الله بن همام السلولي :

تَلَقَّفَهَا يَزِيدٌ عَنْ أَبِيهِ فَخَذَهَا يَا مَعَاوِيَةَ عَنْ يَزِيدِ  
لَقَدْ عَلِقْتَ بِكُمْ فَتَلَقَّفُوهُمَا وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْفَرَضَ الْبَعِيدَا

وهلك يزيد بجوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وفي ذلك يقول رجل من عنزة :

يَا أَيُّهَا الْقَبْرِ بِجَوَارِينَا ضَمَّتْ شَرَّ النَّاسِ أَجْمَعِينَا

وقد رثاه الأخطل النصراني ، فقال من قصيدة :

لِعَمْرِي لَقَدْ دَلَّسَى إِلَى اللَّحْدِ خَالِدَ جَنَازَةَ لَا نِكْسُ الْفَوَادِ وَلَا غَمْرَ  
مَقِيمٍ بِجَوَارِينِ لَيْسَ يَرِيْمُهَا سَقْتَهُ الْفَوَادِي مِنْ ثَوِيٍّ وَمِنْ قَبْرِ

في أبيات .

## ذکر

### مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته

أهل الكوفة يدعون الحسين : ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة إلى الحسين بن علي : إنا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك .

وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير ، وخرج يتهادى بين مواليه ويقول :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصَّبْحِ مَغِيرًا وَلَا دَعَيْتُ يَزِيدًا  
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضِيًا وَالْمَنَابِجَ تَرَصَّدَنِي أَنْ أَحْيِدَا

مسلم بن عقيل يتقدم الحسين إلى الكوفة : ولحق بمكة ، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، وقال له : سر إلى أهل الكوفة فإن كان حقاً ما كتبوا به عرفني حتى ألحق بك ، فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان ، حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال ، والأمير عليها النعمان بن بشير الأنصاري ، فنزل على رجل يقال له عَوْسَجَةَ مستتراً ، فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل ، وقيل : ثمانية عشر ألفاً ، فكتب بالخبر إلى الحسين ، وسأله القدوم إليه .

ابن عباس ينصح الحسين : فلما هم الحسين بالخروج إلى العراق أتاه ابن العباس ، فقال له : يا ابن عم ، قد بلغني أنك تريد العراق ، وإنهم أهل غدر ، وإنما يدعونك للحرب ، فلا تعجل ، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن ،

الجزء الثالث : ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .....

فانها في 'عزلة' ، ولك فيها أنصار وإخوان ، فأقم بها و'بث' دعائك ،  
واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم ، فان  
قوا على ذلك ونفوه عنها ، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم ، وما  
أنا لغدرهم بآمن ، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتي الله بأمره  
فإن فيها حصوناً وشعاباً ، فقال الحسين : يا بن عم ، إني لأعلم أنك  
لي ناصح وعليّ شفيق ، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلي باجتماع أهل  
المصر على بيعتي ونصرتي ، وقد أجمعت على المسير إليهم ، قال : إنهم  
من 'خبرت' وجربت ، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غداً مع  
أميرهم ، إنك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك  
وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك ، فان عصيتني وأبيت إلا  
الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولده معك ، فوالله إني لخائف  
أن تقتل كما قتل عثمان ونسائه وولده ينظرون إليه ، فكان الذي  
رد عليه : لأن أقتلَ والله بمكان كذا أحبُّ إلي من أن أستحل بمكة ،  
فيئس ابن عباس منه ، وخرج من عنده ، فمر بعبد الله بن الزبير  
فقال : قرت عينك يا ابن الزبير ، وأنشد :

يا لك من 'قبرة' بمصر خلا لك الجو فيضي واصفري  
ونقري ما شئت أن تنقري

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز .

الحسين وابن الزبير ، وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة  
وهو أثقل الناس عليه ، وقد غمه مكانه بمكة ؛ لأن الناس ما كانوا  
يعدلونه بالحسين ، فلم يكن شيء 'يؤتاه' أحب إليه من شخوص الحسين  
عن مكة ، فأتاه فقال : أبا عبد الله ما عندك ؟ فوالله لقد خفت الله  
في ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستدلالهم الصالحين من عباد



الله ، فقال حسين : قد عزمْتُ على إثيان الكوفة ، فقال : وفقك الله !  
 أما لو أن لي بها مثل أنصارك ما عدلتُ عنها ، ثم خاف أن  
 يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز إلى بيعتك  
 أجبناك وكنا إليك سِرَاعاً ، وكنت أحق بذلك من يزيد وأبي يزيد  
 نصيحة أبي بكر بن هشام : ودخل أبو بكر بن الحارث بن  
 هشام على الحسين فقال : يا ابن عم ، إن الرحم يُظائرني عليك ، ولا  
 أدري كيف أنا في النصيحة لك ، فقال : يا أبا بكر ما أنت ممن  
 يستفسر ولا يُتهم ، فقل ، فقال أبو بكر : كان أبوك أقدم سابقة ،  
 وأحسن في الإسلام أثراً ، وأشد بأساً ، والناس له أُرْجى ، ومنه  
 أسمع وعليه أجمع ، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام  
 وهو أعز منه ، فخذلوه ، وتثاقلوا عنه ، حرصاً على الدنيا ، وضناً بها ،  
 فجرعوه الفيظ ، وخالفوه حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله  
 ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا ، وقد شهدت  
 ذلك كله ورأيت ، ثم أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك  
 وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك  
 وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أُرْجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم  
 لاستطفوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من وعدك أن  
 ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فاذا ذكر الله في  
 نفسك ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد أجهدك  
 رأيك ، ومهما يقض الله يكن ، فقال : إنا لله وعند الله نحتسب يا أبا  
 عبدالله ، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام الخزومي  
 والي مكة وهو يقول :

كم نرى ناصحاً يقول فيمنصو وظنين المغيب بلغني نصيحاً  
 فقال : وما ذاك ؟ فأخبره بما قال للحسين ، فقال : نصحت له ورب الكعبة .

يُهدد يستعد : واتصل الخبر بيزيد ، فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة ؛ فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر ، فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلتئم بها ، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون : وعليك السلام يا ابن رسول الله ! قدمت خير مقدم ، حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير ، فتحصن فيه ، ثم اصرف عليه ، فقال : يا ابن رسول الله ما لي وما لك ؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان ؟ فقال ابن زياد : لقد طال نومك يا نعم ، وحسرت اللثام عن فيه ، فمرفه ، ففتح له ، وتنادى الناس : ابن مرجانة ، وحصبوه بالحصباء ، فقاتهم ودخل القصر ، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانيء بن عروة المرادي ، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه ، فوجه محمد بن الاشعث ابن قيس الى هانيء ، فجاءه فسأله عن مسلم ، فانكره فأغلظ له ابن زياد القول ، فقال هانيء : إن لزياد أبيك عندي بلاء حسناً ، وأنا أحب مكافاته به ، فهل لك في خير ؟ قال ابن زياد : وما هو ؟ قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقتك وحق صاحبك ، فقال ابن زياد : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر انفه وشق حاجبيه ، ونثر لحم وجنته ، وكسر القضيب على وجهه ورأسه ، وضرب هانيء بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط ، فجاذبه الرجل ، ومنعه السيف ، وصاح أصحاب هانيء بالباب : قتل صاحبنا ، فخافهم ابن زياد ، وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه ، وأخرج اليهم ابن زياد شريحاً القاضي ، فشهد عندهم أنه حي لم يقتل ، فانصرفوا ، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد

بها، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه، فحصره في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يده على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى إلى باب مولاة للاشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سأله عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبح غداً إلى محمد بن الاشعث فأعلمه، فمضى ابن الاشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به، ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً، فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشد عليهم فأخرجهم من الدار، ثم حملوا عليه الثانية، فشد عليهم وأخرجهم أيضاً، فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثم يلقونها عليه من فوق البيوت، فلما رأى ذلك قال: اكل ما أرى من الأحلاب لقتل مسلم ابن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه حيص، فخرج اليهم مصلتاً سيفه إلى السكة، فقاتلهم، واختلف هو وبكبير ابن حمران الأحمري ضربتين: فضرب بكبير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى، وضربه مسلم ضربة منكراً في رأسه، ثم ضربه أخرى على حبل العائق فكاد يصل إلى جوفه، وهو يرتجز ويقول:

أقسم لا أقتلُ إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً مرا

الجزء الثالث : ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ..... ٥٩

كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو اغرا  
فلما رأوا ذلك منه تقدم إليه محمد بن الأشعث فقال له : فإنك  
لا تكذب ولا تفر ، واعطاء الأمان ، فأمكنهم من نفسه ، وحملوه على  
بغية واتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الأشعث حين اعطاء الأمان  
سيفه وسلاحه ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها  
ابن الأشعث :

وتركت عمك أن تقاتل دونه فشلاً ، ولولا أنت كان منيماً  
وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيفاً له ودروعاً  
مقتل هانيء بن عروة : فلما صار مسلم إلى باب القصر نظر إلى قلة مبردة ،  
فاستسقام منها ، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي - وهو أبو قتيبة بن مسلم - أن  
يسقوه ، فوجه عمرو بن حريث فأثاه بماء في قدح ، فلما رفعه إلى  
فيه امتلأ القدح دماً ، فصبه وملاه له الثانية ، فلما رفعه إلى فيه  
سقطت ثناياه فيه وامتلاً دماً ، فقل : الحمد لله ، لو كان من الرزق  
المقسوم لشربته ، ثم أدخل إلى ابن زياد ، فلما انقضى كلامه ومسلم  
يغلظ له في الجواب امر به فاصعد إلى أعلى القصر ، ثم دعا الأحمري  
الذي ضربه مسلم فقال : كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بشارك من  
ضربته ، فاصعدوه إلى أعلى القصر ، فضرب بكبير الأحمري عنقه ،  
فأموى رأسه إلى الأرض ، ثم أتبعوا رأسه جسده ، ثم امر بهانيء  
ابن عروة فأخرج إلى السوق فضرب عنقه صبراً ، وهو يصيح : يا آل  
مراد ، وهو شيخها وزعيمها ، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف  
دارع وثمانية آلاف راجل ، وإذا اجابتها احلافها من كندة وغيرها  
كان في ثلاثين ألف دارع ، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلاناً ،  
فقال الشاعر وهو يرثي هانيء بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر  
ما نالها :

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل  
إلى بطلٍ قد هشم السيفُ وجهه واخر يهوي في طمار قتييل  
أصابها امرُ الأمير فأصبعا أحاديثَ من يسمي بكل سبيل  
ترى جسداً قد غيرَ الموتُ لونه ونضحَ دمٍ قد سال كل مسيل  
أيترك أسماء المهاج آمنأ وقد طلبته مذحج بذحُول  
فق هو أحيى من فتاة حَيِّيةٍ وأقطع من ذي شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد بكبير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم فقال :  
أقتلته ؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وانتم تصعدون به لتقتلوه ؟  
قال . كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله ، فلما ادنيناه لنضرب  
عنقه قال : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا  
وقتلونا ، فقلت : الحمد لله الذي اقادني منك ، وضربته ضربة لم تعمل  
شيئاً ، فقال لي : أو ما يكفيك وفي خدش مني وفاء بدمك أيها  
المبيد ، قال ابن زياد : أو فخرأ عند الموت ؟ قال : وضربته الثانية  
فقتلته ، ثم اتبعنا رأسه جسده .

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة  
سنة ستين ، وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة ،  
وقيل : يوم الأربعاء يوم عرفة لتسع ماضين من ذي الحجة سنة ستين .  
ثم امر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت ، وحمل رأسه الى دمشق ،  
ومذا اول قتييل صلبت جثته من بني هاشم ، وأول رأس حمل من  
رؤوسهم الى دمشق .

الحسين يقاتل جيش ابن زياد ، فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر  
ابن يزيد التميمي فقال له : ابن تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : اريد  
هذا المصر ، فعرّفه بقتل مسلم وما كان من خبره ، ثم قال : ارجع  
فإني لم أدع خلفي خيراً ارجوه لك ، فهم بالرجوع فقال له إخوة

مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثأركا أو نقتل كلنا ، فقال الحسين : لا خير في الحياة بعدكم ، ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن أبي وقاص ، فعدل الى كربلاء - وهو في مقدار خمسمائة فارس من اهل بيته واصحابه ونحو مائة راجل - فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه ، وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه ، وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز :

أودت ركابي فضة وذهبا أنا قتلتُ الملكَ المحجبا  
قتلتُ خيرَ الناسِ أمّا وأبا وخيرهم إذ يُنسبون نسباً

فبعث به ابن زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس ، فدخل الى يزيد وعنده ابو برزة الأسلمي فوضع الرأس بين يديه ، فأقبل ينكت القضيب في فيه ، ويقول :

نُفَلِّقُ هاماً من رجال أجبَةٍ علينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلاما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه ، وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة ، لم يحضرم شامي ، وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين ، منهم ابنه علي بن الحسين الأكبر ، وكان يرتجز ويقول :

أنا عليّ بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبى  
تالله لا يحكم فينا ابن الدّعي

وقتل من ولد أخيه الحسن بن علي : عبد الله بن الحسن ، والقاسم

ابن الحسن وأبو بكر بن الحسن ، ومن إخوته العباس بن علي ، وعبد  
الله بن علي ، وجعفر بن علي ، وعثمان بن علي ، ومحمد بن علي ، ومن  
ولد جعفر بن أبي طالب : محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعون بن عبد  
الله بن جعفر ، ومن ولد عقيل بن أبي طالب : عبد الله بن عقيل ،  
وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، وذلك لعشر خلون من المحرم سنة  
إحدى وستين .

وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل : ابن تسع  
وخمسين سنة وقيل غير ذلك .

ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة ؛ وأربع وثلاثون  
ضربة ، ضربَ زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى ، وطعنه سنان  
ابن أنس النخعي ، ثم نزل فاحتر رأسه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

وأي رزِيَّة عدلت حُسيناً غداة تبينه كفاً سنان ؟

وقتل معه من الأنصار أربعة ، وبقي من قتل معه من أصحابه -  
على ما قدمنا من العدة - من سائر العرب ، وفي ذلك يقول مسلم بن  
قتيبة مولى بني هاشم :

عَيْنُ جودي بعبرة وعويل	واندبي إن نذبت آل الرسول
واندبي تسعة لصلب علي	قد أصيبوا ، وخسة لعقيل
وابن عمّ النبي عوناً أخام	ليس فيما ينوب بالخذول
وسميّ النبي غودر فيهم	قد علّوه بصارم مصقول
واندبي كهلم فليس إذا ما	عدّ في الخير كهلم كالكهول
لعن الله حيث كان زياداً	وابنه والمعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين ، فانتدب  
لذلك إسحاق بن حيوة الحضرمي في نفر معه ، فوطئوه بخيلهم ،

ودفن أهل العاصرية - وهم قوم من بني عاضر من بني أسد - الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم ، وكان عدة من قتل من أصحاب عمرو بن سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلاً .

## ذكر

### أسماء ولد علي بن أبي طالب

رضي الله عنه !

أسماء ولد علي وأمهاتهم : الحسن ، والحسين ، ومُحَسَّن ، وأم كلثوم الكبرى ، وزينب الكبرى ، أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد وأمه خَوْلَة بنت إياس الحنفية ، وقيل : ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفي ، وعبيد الله ، وأبو بكر وأمه ليلي بنت مسعود النهشلي ، وعمر ، ورقية أمها تغلبية ، ويحيى وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفراً الطيار استشهد وخلف عليها عَوْناً ومحمداً وعبد الله ، وان عقب جعفر منها من عبد الله بن جعفر ، وأن أبا بكر الصديق تزوجها بعده ، وخلف عليها محمداً ، ثم تزوجها علي فخلف عليها يحيى ، وانها ابنة المعجوز الحرشية التي كانت أكثرَ الناس أصهاراً ، وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار المعجوز الحرشية ، وأن أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية ، ورَمَلَة وأم الحسن أمها أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ، وأم كلثوم الصغرى ، وزينب الصغرى ، وُجْمَانَة وميمونة ، وخديجة ، وفاطمة ، وأم الكرام ، ونفيسة ، وأم سلمة ، وأم أبيها .



وقد أتينا على أنساب آل أبي طالب ، ومن أعقب منهم ومصارهم ،  
وغير ذلك من أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » .

فوالعقب من أولاد علي : والعقب لملي من خمسة : الحسن ،  
والحسين ، ومحمد ، وعمر ، والعباس ، وقد استقصى أنسابهم ، وأتى على  
ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب ، وأنساب غيرهم من قريش  
من بني هاشم ، وغيرهم الزبير بن بكار في كتابه في « أنساب قريش »  
وأحسن من هذا الكتاب في أنساب آل أبي طالب الكتاب الذي  
سمع من طاهر بن يحيى العلوي الحسيني بمدينة النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وقد صنف في أنساب آل أبي طالب كتب كثيرة : منها  
كتاب العباس من ولد العباس بن علي ، وكتاب أبي علي الجعفري ،  
وكتاب المهلوس العلوي من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رقاه قتيل الطف : وفي قتيل الطف يقول سليمان بن قته يرثيه علي  
ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب « أنساب قريش » من أبيات :

فإن قتيلَ الطّف من آل هاشم      أذلّ رقاباً من قريش فذلتِ  
فإن يُتبعوه عائذ البيت يُصّبِحوا      كعادِ تعمت عن هداها فضلتِ  
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة      بقتل حسين والبلاد اقشعرت  
فلا يُبعد الله الديار وأهلها      وإن أصبحت منهم برغمي تخلتِ

## ذكر

### لمع من أخبار يزيد ، وسيره

ونوادير من بعض أفعاله

**خروج يزيد لوفود العرب :** ولما أفضى الأمر إلى يزيد بن معاوية دخل منزله ، فلم يظهر للناس ثلاثاً ، فاجتمع ببابه أشرف العرب ووفود البلدان وأمرء الأجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالأمر ، فلما كان في اليوم الرابع خرج أشعث أغبر فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن معاوية كان حبلاً من حبال الله مده الله ما شاء أن يده ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، وكان دون من كان قبله ، وخير من بعده ، إن يفر الله له فهو أهله ، وإن يعذبه فيذنبه ، وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أشتغل بطلب علم ، فلي رسلكم فإن الله لو أراد شيئاً كان ، اذكروا الله واستغفروه ، ثم نزل ، ودخل منزله ، ثم أذن للناس .

فدخلوا عليه لا يدرون أيهنونه أم يعزونه ، فقام عاصم بن أبي صيفي ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أصبحت قد رزيت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ، ومنحت هبة الله ، قضى معاوية نجه ، فغفر الله له ذنبه ، وأعطيت بعده الرياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، واحمده على أفضل العطية ، فقال يزيد : ادن مني يا ابن أبي صيفي ، فدنا حتى جلس قريباً منه .

ثم قام عبد الله بن مازن فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ،

رزئت خير الآباء ، وسميت خير الأسماء ، ومنحت أفضل الأشياء ،  
فهنالك الله بالعطية ، وأعانك على الرعية ، فقد أصبحت قريش مفعولة  
بعد ساستها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك ، والعقبى  
من بعده ، ثم أنشأ يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها  
عنك فيأبى الله إلا سؤقها إليك حتى قلدوك طوقها  
فقال له يزيد : ادن مني يا ابن مازن ، فدنا حتى جلس قريباً منه .  
ثم قام عبد الله بن همام فقال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على  
الرزية ، وصبرك على المصيبة ، وبارك لك في العطية ، ومنحك محبة  
الرعية ، مضى معاوية لسبيله غمر الله له ، وأورده موارد السرور ،  
ووفقك بعده لصالح الأمور ، فقد رزئت جليلاً ، وأعطيت جزيلاً ،  
جئت بعده للرياسة ، ووليت السياسة ، أصبت بأعظم المصائب ،  
ومنحت أفضل الرغائب ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، واشكره  
على أفضل العطية ، وأحدث لخالك حمداً ، والله يتمنا بك ويحفظك ،  
ويحفظ بك وعليت ، وأنشأ يقول :

اصبِرْ يزيد فقد فارقت ذامقة واشكر حباة الذي بالملك أصفاكا  
أصبحت لارزء في الأقوام نعلمه كما رزئت ولا عقبى كعقباكا  
أعطيت طاعة خلق الله كلهم وأنت ترعاهم والله يرعاكا  
وفي معاوية الباقي لنا خلفاً إما نعييت ولا نسمع بمنعاكا  
فقال يزيد : ادن مني يا ابن همام ، فدنى حتى جلس قريباً منه .  
ثم قام الناس يعزونه ويهشونه بالخلافة ، فلما ارتفع عن مجلسه  
أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ، ومحل في قومه ،  
وزاد في عطائهم ، ورفع مراتبهم ، وقد أتينا في كتابنا أخبار  
الزمان ، على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة أبيه

معاوية . ومسيره من ناحية حمص حين بلغه ما بأبيه من العمة ،  
ووروده على ثنية العقاب من أرض دمشق ، فأغنى ذلك عن إعادة  
هذا الخبر في هذا الكتاب .

بين يزيد وعهد الملك ، وذكر عدة من الأخباريين وأهل السير  
أن عبد الملك بن مروان دخل على يزيد ، فقال : أريضة لك إلى  
جانب أرض لي ، ولي فيها صمة ، فأقطعنيها ، فقال : يا عبد الملك ،  
إنه لا يتعاطمني كبير ، ولا أجزع من صغير ، فأخبرني عنها ، وإلا  
سألت غيرك ، فقال : ما بالحجاز أعظم منها قدراً ، قال : قد أقطمتك ،  
فشكره عبد الملك ودعا له ، فلما ولئى قال يزيد : إن الناس يزعمون  
أن هذا يصير خليفة ، فإن صدقوا فقد صانعناه . وإن كذبوا فقد  
وصانناه .

فسوق يزيد وعماله : وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود  
وفهود ومنادمة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن  
يمينه ابن زياد ، وذلك بعد قتل الحسين ، فأقبل على ساقيه فقال :  
اسقني شربة ترؤي مشاشي ثم ويل فاسق مثلها ابن زياد  
صاحب السر والأمانة عِنْدِي ولتسديد مغنمي وجهادي  
ثم أمر المغنين فغنوا به .

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي  
أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس  
شرب الشراب ، وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ،  
ويطرح له متكأ ، وكان قرداً خبيثاً وكان يحمله على أتان وحشية  
قد ربيضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم  
الحلبة ، فجاء في بعض الأيام سابقاً ، فتناوله الحصبة ودخل الحجره  
قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباه من الحرير الأحمر والأصفر مشمر ،

وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق ، وعلى الأتان مرج من الحرير الأحمر منقوش ملع بأنواع من الألوان ، فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عيناها فليس عليها ان سقطت ضمان  
ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياذ أمير المؤمنين أتان  
وفي يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الأحوص :  
ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تهزول  
تجبي له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل

وقيل : إن الأحوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه .  
ما قيل في مقتل الحسين : ولما قتل الحسين بن علي رضي الله  
عنها بكر بلاه وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عميل بن  
أبي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات ، لما قد ورد عليهن  
من قتل السادات ، وهي تقول .

ماذا تقولون إن قال النبي لكم : ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟  
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم  
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الأسود الدؤلي من قصيدة :  
أقول وذاك من جزع ووجد أزال الله ملك بني زياد  
وأبعدهم ، بما غدرُوا وخانوا كما بعُدتْ ثمود وقرم عاد  
اهل المدينة وعمال يزيد ، ولما شمل الناس جورُ يزيد وعماله ،  
وعتمهم ظله ، وما ظهر من فسقه : من قتله ابن بنت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وأنصاره ، وما أظهر من شرب الخمر وسيره سيرة  
فرعون ، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته ، وأنصف منه لخاصته

وعامته : أخرج أهل المدينة عامه عليهم - وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان - ومروان بن الحكم ، وسائر بني أمية ، وذلك عند تنك ابن الزبير وتآلهه ، وإظهار الدعوة لنفسه ، وذلك في سنة ثلاث وستين ، وكان إخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن إذن ابن الزبير ، فاغتنمها مروان منهم ، إذ لم يقبضوا عليهم وبمعلوم إلى ابن الزبير ، فحثوا السير نحو الشام ، ونمى فعل أهل المدينة ببني أمية وعامل يزيد إلى يزيد ، فسير إليهم بالجيش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها ، وقتل أهلها ، وبأيعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد ، وسماها نكتة ، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة ، وقال : « مَنْ أَخَافَ الْمَدِينَةَ أَخَافَ اللَّهَ ، فَسَمِيَ مُسْلِمٌ هَذَا لَعْنَةُ اللَّهِ بِمَجْرَمٍ وَمُسْرَفٍ ؛ لِمَا كَانَ مِنْ فَعْلِهِ ، وَيُقَالُ : إِنْ يَزِيدُ حِينَ جَرَدَ هَذَا الْجَيْشَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا الْأَمْرُ أَنْبَرَى وَأَشْرَفَ الْقَوْمُ عَلَى وَادِي الْقَرْيِ  
أَجْمَعَ السَّكْرَانَ مِنْ قَوْمٍ تَرَى

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله يكنى بأبي بكر ، وكان يُسَمَّى يزيد السكران الحمير ، وكتب إلى ابن الزبير :  
أَدْعُو إِلَهَكَ فِي السَّمَاءِ فَإِنِّي أَدْعُو عَلَيْكَ رِجَالَ عَكٍّ وَأَشْمَرَ  
كَيْفَ النِّجَاةِ أَبَا خُبَيْبٍ مِنْهُمْ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَتْيِ الْعَسْكَرِ

وقعة الحرّة : ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرّة وعليهم مُسْرَفٌ خَرَجَ إِلَى حَرْبِهِ أَهْلُهَا عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيْعِ الْعَدَوِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْفَسِيلِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَتَلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَسَائِرِ قُرَيْشٍ

والأنصار وغيرهم من سائر الناس ؛ فمن قتل من آل أبي طالب  
 اثنتان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد بن  
 علي بن أبي طالب ؛ ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل  
 ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد  
 الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، والعباس بن عتبة بن أبي  
 لهب بن عبد المطلب ، وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ومثلهم  
 من الأنصار ، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء ،  
 دون من لم يعرف .

وبايع الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد ، ومن أبي ذلك أمره  
 مشرف على السيف غير علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب  
 السجادة ، وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وفي وقعة  
 الحرة يقول محمد بن أسلم :

فإن تقتلونا يومَ حرةٍ واقمِ فذعنُ عني الإسلامَ أوّلَ من قتل  
 ونحن تركناكم ببدرٍ أذلةً وأبنا بأسيافٍ لنا منكم تفل

ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجادة وقد لاذ بالقبر وهو  
 يدعو ، فأتى به إلى مشرف وهو مغتاضٌ عليه ، فتبرأ منه ومن  
 آباءه ، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد ، وقام له ، وأقعده إلى  
 جانبه ، وقال له : سكتني حوائجك ، فلم يسأله في أحد من قدم  
 إلى السيف إلا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه ، فقيل لعلي : رأيناك  
 تحرك شفتيك ، فما الذي قلت ؟ قال : قلت : اللهم رب السموات  
 السبع وما أظللن ، والأرضين السبع وما أقللن ، رب العرش العظيم ،  
 رب محمد وآله الطاهرين ، أعوذ بك من شره ، وأدرك بك في نحوره ،  
 أسألك أن تؤتيني خيره ، وتكفيني شره ، وقيل لمسلم : رأيناك تسب  
 هذا الغلام وسلفه ، فلما أتى به إليك رفعت منزله ، فقال : ما

كان ذلك لرأي مني ، لقد ملئ قلبه منه رعباً .  
وأما علي بن عبد الله بن العباس فإن أخواله من كندة ممنوعه  
منه ، وأناس من ربيعة كانوا في جيشه ، فقال علي في ذلك :

أبى العباسُ قرمُ بني لؤي وأخوآلي الملوكُ بنو وليعه  
مُمنعوا ذِماري يوم جاءت كتائبُ مشرفٍ وبني التكيعة  
أرادني التي لا عزَّ فيها فعالت دونه أيدي ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي  
وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مشرفٍ خرج عنها يريد مكة في  
جيوشه من أهل الشام . ليوقع ابن الزبير وأهل مكة ، بأمر يزيد ،  
وذلك في سنة أربع وستين .

فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد مات مشرف لعنه الله !  
واستخلف على الجيش الحصين بن نمير ، فسار الحصين حتى أتى مكة  
وأحاط بها ، وعاد ابن الزبير بالبيت الحرام ، وكان قد سمى نفسه  
العائد بالبيت ، وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في أشعارها ، من  
ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قته :

فإن تتبِعُوهُ عائذَ البيتِ تُصْبِحُوا كعادِ تَعَمَّتْ عن هداها فضلتِ

رمي الكعبة بالمجانيق ، ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام  
المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج ، وابن  
الزبير في المسجد ، ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلاً في جلته ،  
منضافاً إلى بيعته ، منقاداً إلى إمامته ، على شرائط شرطها عليه لا  
يخالف له رأياً ولا يعصي له أمراً ، فتواردت أحجار المجانيق  
والعرادات على البيت ، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات  
الكتان وغير ذلك من المحروقات ، وانهدمت الكعبة ، واحترقت البنية ،



ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب الجحائق أحدَ عَشَرَ رجلاً ،  
وقيل أكثر من ذلك وذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع  
الأول من السنة المذكورة ، قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوماً ، واشتد  
الأمر على أهل مكة وابن الزبير ، واتصل الأذى بالأحجار والنار  
والسيف : ففي ذلك يقول أبو وجزة المدني :

ابنُ نَمَيْرٍ بَشَسَ مَا تَوَلَّى قَدْ أَحْرَقَ الْمَقَامَ وَالْمُصَلَّى

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ، ومثالب كثيرة : من شرب الخمر ،  
وقتل ابن بنت الرسول ، ولعن الوصي ، وهدم البيت وإحراقه ،  
وسفك الدماء ، والفسق والفجور ، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد  
باليأس من غفرانه ، كوروده فيمن جعد توحيدده وخالف رسله ، وقد  
أتينا على الفرر من ذلك فيما تقدم وسلف من كتبنا . والله ولي التوفيق .

## ذکر

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم

والمختار بن أبي عبيد ، وبعبد الله بن الزبير

ولم من أخبارهم وسيرهم ، وبعض ما كان في أيامهم

موجز عن معاوية بن يزيد : قال المسعودي : ومَلَكَ معاوية بن  
يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فكانت أيامه أربعين يوماً إلى أن مات ،  
وقيل شهرين ، وقيل غير ذلك ، وكان يكنى بأبي يزيد ، وكفي حين  
ولي الخلافة بأبي ليلى ، وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب ،  
وفيه يقول الشاعر :

إني أرى فتنةً هاحتَ مَرَّاجِلُهَا وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لَمَنْ غَلَبَا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له : اعهدنا الى من رأيت من أهل بيتك ، فقال : والله ما 'ذقت' حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرما ؟ وتتمجلون أنتم حلاوتها ، وأتمجل مرارتها ، اللهم إني بريء منها ، 'متخلٍ عنها' ، اللهم إني لا أجد نقرأ كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونها أهلاً لها ، فقالت له أمه : ليت أني خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام ، فقال لها : وليتني يا أماء خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر ، أتفوزن بنو أمية بحلاوتها وأبوؤ بوزرما ومنعها أهلها ؟ كلا إني لبريء منها .

وفد تنوزع في سبب وفاته ، فمنهم من رأى أنه سقي شربة ، ومنهم من رأى أنه مات حَتَفَ أنفه ، ومنهم من رأى أنه طعن ، وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، ودفن بدمشق ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وليكون الأمر له من بعده ، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة ، فقدم عثمان بن عتبة ابن أبي سفيان ، فقالوا : نبايعك ؟ قال : على أن لا أحارب ولا أباهر قتلاً ، فأبوا ذلك عليه ، فصار إلى مكة ، ودخل في جملة ابن الزبير . وزال الأمر عن آل حرّاب فلم يكن فيهم من يرومها ، ولا يتشوف نحوها ، ولا يرتجي أحد منهم لها .

وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير ، فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع المدوي .

الختار في الكوفة : فقال الختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير : إني لأعرف قوماً لو أن لهم رجلاً له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جنداً تغلب أهل الشام ، فقال : من هم ؟ قال : شيعة بني هاشم بالكوفة قال : كن أنت ذلك الرجل ؛ فبعثه إلى الكوفة ، فنزل ناحية منها ، وجعل يُظنر البكاء على الطالبين وشيعتهم ، ويظهر الحنين والجزع لهم ،

ويحث على أخذ النار لهم والمطالبة بدمائهم ، فبالت الشيعة إليه ، وانضافوا إلى جملة ، وسار إلى قصر الإمارة فأخرج ابن مطيع منه ، وغلب على الكوفة ، وابتنى لنفسه داراً ، واتخذ بستاناً أنفق عليه أموالاً عظيمة أخرجها من بيت المال ، وفرق الأموال على الناس بها تفرقه واسعة ، وكتب إلى ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لهجزه عن القيام بها ، ويسوم ابن الزبير أن يحسب له بما أنفقه من بيت المال ، فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته ، وجحد بيعته ، وكتب المختار كتاباً إلى علي بن الحسين السجاد يريد به علي أن يبايع له ، ويقول بإمامته ، ويظهر دعوته ، وأنفذ إليه مالا كثيراً ، فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه ، وسبّه على رؤوس الملائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهر كذبه وفجوره ، ودخوله على الناس باظهار الميل إلى آل أبي طالب ، فلما يش المختار من علي بن الحسين كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريد به علي مثل ذلك ، فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه إلى شيء من ذلك ، فإن الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم ، وتقربه إليهم بمحبتهم ، وباطنه مخالف لظاهره في الميل إليهم والتوليتهم والبراءة من أعدائهم ، بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم ، والواجب عليه أن يشهر أمره ، ويظهر كذبه ، على حسب ما فعل هو وأظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك ، فقال له ابن عباس : لا تفعل ، فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير ، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار .

واشتد أمر المختار بالكوفة ، وكثر رجاله ، ومال الناس إليه ، وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم في أنفسهم وعقولهم ، فمنهم من يخاطبه بإمامة محمد بن الحنفية ، ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب ، وتتبع قلة

الحسين فقتلهم : قتل عمرو بن سعد بن أبي وقاص الزمري ، وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه ، فزاد ميل أهل الكوفة إليه ومحبتهم له .

حال ابن الزبير : وأظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة ، وقال : إنما بطني شبر ، فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا ، وأنا العائد بالبيت ، والمستجير بالرب ، وكثرت أذيتُهُ لبني هاشم مع شحّه بالدنيا على سائر الناس ، ففي ذلك يقول أبو حرة مولى الزبير :

إن الموالى أُمست وهي عابئة على الخليفة تشكو الجوع والحرباً  
ماذا علينا وماذا كانت يرزونا أي الملوك على ما حولنا غلباً ؟  
وفيه يقول بعد مفارقتها إياه :

ما زال في سورة الأعراف يقرؤها حتى فؤادي مثل الحزّ في اللين  
لو كان بطنك شبراً قد شبت ، وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين  
إن أمراً كنت مولاة فضيعني يرجو الفلاح لعمرى حق مغبون  
وفيه يقول ايضاً :

فيا راكباً إما عرضت فبلغن كبير بني العوام إن قيل : من تعني  
تخبر من لاقت أنك عائد وتكثر قتلا بين زمزم والركن  
وفيه يقول ايضاً الضحاك بن فيروز الديلمي :

لخبرنا أن سوف تكفيك قبضة وبطنك شبراً أو اقل من الشبر  
وانت إذا ما نلت شيئاً قضمته كما قضمت نار الغضب السدر  
فلو كنت تجزي إذ تبيت بنعمة قريباً لردّ عليك العطوف على عمرو

ابن الزبير واخوه عمرو ، وذلك ان يزيد بن معاوية كان قد ولّى الوليد بن عتبة بن ابي سفيان المدينة فسرّح منها جيشاً الى

مكة لحرب ابن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير أخوه ، وكان عمرو منحرفاً عن عبدالله ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به أخوه عبدالله ، فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجرداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات .

ابن الزبير وعبدالله بن زياد بن الحنفية ؛ وحبس عبدالله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم ، وهو حبس موحش مظلم ، وأراد قتله ، فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن ، وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها ابوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير :

تخبرُ من لا قيت انك عائدٌ بل العائد المظلوم في سجن عارم  
ومن يرى هذا الشيخ بالحيف من منى من الناس يعلم أنه غيرُ ظالم  
سمي نبي الله وابن وصيه وفكك أغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمداً الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب ، وجمع لهم حطباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت احد ، وفي القوم محمد بن الحنفية .

ابن الزبير وآل بيت الرسول ؛ وحدث النوفلي علي بن سليمان ، عن فضيل بن عبد الوهاب الكوفي ، عن ابي عمران الرازي ، عن فطر بن خليفة ، عن الديال بن حرمة ، قال : كنت فيمن استنفره أبو عبدالله الجدلي من أهل الكوفة من قبل المختار ، فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس ، فقال أبو عبدالله : هذه خيل عظيمة ، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل علي بن هاشم ، فيأتي عليهم ، فانتدبوا معي ، فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل ، فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه ، قال : فجئنا الى بني هاشم ،

فاذا هم في الشعب ؛ فاستخرجناهم ، فقال لنا ابن الحنفية : لا تقاتلوا الا من قاتلكم ، فلما رأى ابن الزبير تنمرنا له واقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة ، وقال : انا عائد الله .

وحدث النوفلي في كتابه في الأخبار ، عن ابن عائشة ، عن أبيه ، عن حماد بن سلمة ، قال : كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره أيام في الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ، ويقول : إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته إذ هم ابوا البيعة فيما سلف ، وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا ، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب اهل البيت واهل بارهم المترجم بكتاب « حدائق الأذهان » .

وخطب ابن الزبير فقال : قد بايعني الناس ، ولم يتخلف عن بيعتي إلا هذا الغلام محمد بن الحنفية ، والموعود بيني وبينه أن تغرب الشمس ، ثم أضرم داره عليه ناراً ، فدخل ابن العباس على ابن الحنفية فقال : يا ابن عم ، إني لا آمنه عليك فبايعه ، فقل : سيمنعني حجاب قوي ، فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ، ويفكر في كلام ابن الحنفية ، وقد كادت الشمس ان تغرب ، فوافاهم ابو عبدالله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل ، وقالوا لابن الحنفية : انذن لنا فيه ، فأبى ، وخرج إلى أيلة فأقام بها سنين ، ثم قتل ابن الزبير ، كذلك حدث عمر بن شبة النميري ، عن عطاء بن مسلم ، فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني المصري<sup>(١)</sup> بمصر ، وأبو إسحاق الجوهري بالبصرة ، وغيرها ، وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية ، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية ، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية : فمنهم من قطع بموقه ، ومنهم من زعم أنه لم يميت وأنه حي في جبال رَضْوَى ، وقد تنازع كل فريق من هؤلاء ايضاً ، وإنما جوا بالكيسانية لإضافتهم الى المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وكان اسمه كيسان ،

(١) في نسخة : ابو حسن المهراني البصري بمصر .

ويكنى أبا عمرة ، وأن علي بن أبي طالب سماه بذلك ، ومنهم من رأى أن كيسان أبا عمرة هو غير المختار ، وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الأمة في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا قول كل فريق منهم ، وما أيد به مذهبه ، وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية دخل إلى شُعْب رَضْوَى في جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية .

وقد ذكر جماعة من الأخباريين أن كَثِيرًا الشاعر كان كَيْسَانِيًا ، ويقول : إن محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وحكى الزبير بن بكار في كتابه « أنساب قريش » في أنساب آل أبي طالب وأخبارهم منه قال : أخبرني عمي<sup>(١)</sup> ، قال : قال كثير أبياتاً له يذكر ابن الحنفية رضي الله عنه ، وأولها :

هو المهدي خبْرناه كعْبُ أخو الأجبّار في الحقبِ الخوالي  
أقر الله عيني إذ دعاني أمين الله يلفظ في السؤال  
وأثنى في هواي علي خيراً وساءل عن بني وكيف حالي  
وفيه يقول أيضاً كثير :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواه  
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء  
فسبط سبط إيمان وبيرٍ وسبط غيبته كربلاء  
وسبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يتبعها اللواء<sup>(٢)</sup>  
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

(١) في نسخة : أخبرني عمير مكان أخبرني عمي .

(٢) في نسخة : يقود الخيل يقدمها اللواء .

وفيه يقول السيد الحميري ، وكان كيسانياً :

ألا قل للوصي قَدَتِكَ نَفْسِي أَطَلَّتْ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمَقَامَا  
أَضْرَ بِمَعْشَرٍ وَالْوَكِّ مَنَا وَسَمَّوْكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا  
وَعَادَوْا فَيْكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طَرَاً مَغِيْبِكَ عَنْهُمْ سَبْعِينَ عَامَا  
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةٍ طَعْمَ مَوْتٍ وَلَا وَاوَرَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظَامَا  
لَقَدْ أَمْسَى بِمَرْدَفِ شَعْبِ رَضْوَى تُرَاجِعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا<sup>(١)</sup>

وفيه يقول السيد أيضاً :

يا مَبْرُؤِي مَا لِمَنْ بَكَ لَا يَرَى وَبِنَا إِلَيْهِ مِنَ الصَّبَابَةِ أَوْلَتْقُ  
حَقِّ مَقِيٍّ؟ وَإِلَى مَقِيٍّ؟ وَكَمْ الْمَدَى؟ يَا ابْنَ الرَّسُولِ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ

وللسيد فيه أشعار كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا .

وذكر علي بن محمد بن سليمان النوفلي في كتابه الأخبار بما سمعناه من أبي العباس بن عمار ، قال : حدثنا جعفر بن محمد النوفلي ، قال : حدثنا إسماعيل الساحر ، وكان راوية السيد الحميري ، قال : ما مات السيد إلا على قوله بالكيسانية وأنكر قوله في القصيدة التي أولها :

تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ

قال أبو الحسن علي بن محمد النوفلي عقيب هذا الخبر : وليس يشبه هذا شعر السيد ، لأن السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول « تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ » .

وذكر عمر بن شبة النميري ، عن مساور بن السائب ، أن ابن الزبير خطب أربعين يوماً لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا يمنعني أن أصلي عليه إلا أن تَشْمَخَ رِجَالُ بَأَنَافِمَا .

(١) في نسخة : لَقَدْ أَمْسَى بِمَرْدَفِ شَعْبِ رَضْوَى .



بين ابن عباس وابن الزبير ، وذكر سعيد بن جبیر أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير : أنت الذي تؤنّبني وتبخلني ؟ قال ابن عباس : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره ، فقال ابن الزبير : إني لا أكنم بفضم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة ، وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفاً على نفسه ، فنزل الطائف ، فتوفي هنالك ، ذكر هذا الخبر عمر ابن شبة النميري ، عن سويد بن سعيد ، يرفعه إلى سعيد بن جبیر فيما حدثنا به المهراني بمصر ، والكلابي بالبصرة ، وغيرها ، عن عمر بن شبة

بين ابن الحنفية وابن الزبير ، وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومي ، قال : خطب ابن الزبير فقال من علي ، فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية فجاء حتى وضع له كرسي قدامه ، فعلاه ، وقال : يا معشر قريش ، شامت الوجوه ! أينتَقَص علي وأنتم حضور ؟ إن علياً كان سهماً صادقاً أحد مرامي <sup>(١)</sup> الله على أعدائه يقلّمهم لكفرهم ويهوّئهم ما كلّمهم ، فثقل عليهم ، فرموه بقرفة الأباطيل <sup>(٢)</sup> ، وإنا معشر له على ثبج من أمره <sup>(٣)</sup> بنو النخبة من الأنصار ، فإن تكن لنا في الأيام دولة نثر عظامهم ونحسر عن أجسادهم ، والأبدان يومئذ بالية ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فعاد ابن الزبير إلى خطبته ، وقال : عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال ابن الحنفية ؟ فقال محمد : يا ابن أم رومان ، وما لي لا أتكلّم؟ أليست فاطمة بنت محمد حليّة أبي وأم إخوتي ؟ أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتي ؟ أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد عظماً إلا هشمته ، وإن فالتني فيه المصائب صبرت .

(١) في نسخة : سهماً صارماً أحد مرامي الله - الخ ...  
(٢) في نسخة : فرموه بصرفة الأباطيل .  
(٣) في نسخة : حلّ نج من أمره بنو الحسبة .

(١) في نسخة : سهماً صارماً أحد مرامي الله - الخ ...

ابن الزبير ينتقص ابن العباس ، حدثنا ابن عمار ، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : حدثني ابن عائشة والعتبي جميعاً عن أبيهما ، وألفاظها متقاربة ، قال : خطب ابن الزبير فقال : ما بال أقوام يفتون في المتعة ، وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ، ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم ، يُعرض بابن عباس ، فقال ابن عباس : يا غلام ، اصمدي صمده ، فقال يا ابن الزبير :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئة نلقاها (١)  
نرُدُّ أولاهما على آخرها

أما قولك في المتعة فسل أمك تحبرك ، فإن أول متعة سطع بجمرها لجمهر سطع بين أمك وأبيك ، يريد متعة الحج ، وأما قولك « أم المؤمنين » فبينا سميت أم المؤمنين ، وبنا ضرب عليها الحجاب وأما قولك « حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى ، فإن يكن على ما أقول ، فقد كفر بقتالنا ، وإن يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا ، فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء ، فأخبرها ، فقالت : صدق . قال المسعودي : وفي هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة ، وقد أتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس في متعة النساء ومنتعة الحج ، وتنازعهم في ذلك ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الأهلية وما ذكر في حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وقول عمر « كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تقدمت بالنهي لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا » وما روي عن جابر قال : تمتعنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافة أبي بكر ، وصدر من خلافة عمر ، وغير ذلك من

(١) في نسخة : إذا ما فتنة للقاما .

أقاربهم ، في كتابنا المترجم بكتاب « الاستبصار » ، وفي كتاب « الصفة » ،  
وفي كتابنا المترجم بالكتاب « الواجب في الفروض اللوازم » ، وما قال الناس  
في غسل الرجلين ، ومسحها ، والمسح على الخفين ، وطلاق السنة ، وطلاق  
العدة ، وطلاق التعدي وغير ذلك .

وقد حدث النوفلي ، عن أبي عاصم ، عن ابن جريج ، قال : حدثني  
منصور بن شيبة ، عن صفية بنت أبي عبيد ، عن أسماء بنت أبي بكر ،  
قالت : لما قلعتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم  
يكن معه هدي أن يحل ، قالت : فأحلت ، فلبست ثيابي ، وتطيبت ،  
وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ، فقال : قومي عني ، فقلت : ما  
تخاف ؟ قال : أخاف أن أثب عليك ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس .

وقد ذكر هذا الحديث عن أبي عاصم غير النوفلي ، وقد تنازع الناس  
في ذلك ؛ فمنهم من رأى أنه عني متعة النساء ، ومنهم من رأى أنه أراد متعة  
الحج ؛ لأن الزبير تزوج أسماء بكراً في الإسلام ، وزوجه أبو بكر مملأ ،  
فكيف تكون متعة النساء .

بين ابن الزبير والحصين بن نمير ؛ ولما هلك يزيد بن معاوية ووليها معاوية  
ابن يزيد نمي ذلك إلى الحصين بن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام ، وهو  
على حرب ابن الزبير ، فهادنوا ابن الزبير ، ونزلوا مكة ، فلقى الحصين  
عبد الله في المسجد ، فقال له : هل لك يا ابن الزبير أنت أحملك إلى الشام  
وابايع لك بالخلافة ؟ فقال له عبد الله رافعاً صوته : أبعد قتل أهل الحرّة ،  
لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام ، فقال الحصين : من  
زعم يا ابن الزبير أنك داهية فهم أحق ، أكلمك سرّاً وتكلمني علانية ،  
أدعوك إلى أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم أنك تقاتلنا ، فستعلم أيننا  
المقتول ، وانصرف أهل الشام إلى بلادهم مع الحصين ، فلما صاروا إلى المدينة

جعل أهلها يهتفون بهم ، ويتوعدونهم ، ويذكرون قتلام بالحرّة ، فلما  
 أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها سعد روح بن زنباع الجذامي على  
 منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في ذلك الجيش ، فقال : يا أهل  
 المدينة ، ما هذا الإيعاد الذي توعدوننا ؟ إنا والله ما دعوناكم إلى كلب لمبايعة  
 رجل منهم ، ولا إلى رجل من بلقين ، ولا إلى رجل من لحم أو جذام ،  
 ولا غيرهم من العرب والموالي ، ولكن دعوناكم إلى هذا الحي من قريش ، يعني  
 بني أمية ، ثم إلى طاعة يزيد بن معاوية ، وعلى طاعته قاتلناكم ، فإيانا  
 توعدون ؟ أما والله إنا لأبناء الطمن والطاعون ، وفضلات الموت والمنون ،  
 فما شتم ، ومضى القوم إلى الشام .

ابن الزبير يبني الكعبة على قواعد إبراهيم : وحمل إلى ابن الزبير من  
 صنعاء الفسيفساء التي كان بناها أبرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هناك ،  
 ومعه ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش السندروس  
 وأنواع الألوان من الأصباغ ، فمن رآه ظنه ذهباً ، وشرع ابن الزبير في بناء  
 الكعبة ، وشهد عنده سبعون شيخاً من قريش أن قريشاً حين بنت الكعبة  
 عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس إبراهيم الخليل  
 الذي أسسه هو وإسماعيل عليها السلام ، فبناه ابن الزبير وزاد فيه الأذرع  
 المذكورة ، وجعل فيه الفسيفساء والأساطين ، وجعل له بابين : بابا يدخل  
 منه ، وبابا يخرج منه ، فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله  
 ابن الزبير ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بما زاده ابن الزبير في  
 البيت ، فأمره عبد الملك بهدمه ، وردّه إلى ما كان عليه آنفاً من بناء قريش  
 وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعل له باباً واحداً ، ففعل  
 الحجاج ذلك .

واستوثق الأمر لابن الزبير ، وأخذت له البيعة بالشام ، وخطب له على  
 سائر منابر الإسلام إلا منبر طبرية من بلاد الأردن ، فإن حسان بن مالك

يجدل<sup>(١)</sup> أبي أن يبايع لابن الزبير ، وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية ، وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ؛ ففي ذلك يقول قضاة الأسدي ، وكان بايع لابن الزبير ثم نكث :

دعا ابن مطيع للبياع فجهته إلى بيعة قلبي لها غير ألف  
فناولني خشناء لما لمستها بكفي ليست من أكف الخلائف<sup>(٢)</sup>

عبيد الله بن زياد والخلافة : وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس وأعلمهم بموتها ، وأن الأمر شورى لم ينصب له أحد ، وقال : لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ، ولا عدد أكثر من عددكم ، ولا مال أكثر من مالكم ، في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم ، ومقاتلتكم ستون ألفاً ، وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم ؛ فانظروا رجلاً ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم ، وينصف مظلومكم من ظالمكم ، ويوزع بينكم أموالكم ؛ فقام إليه أشرف أهلها - ومنهم الأحنف بن قيس التميمي ، وقيس بن الهيثم السلمي ، ومسمع بن مالك العبدي - فقالوا : ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الأمير ، وأنت أحق من قام على أمرنا حتى يجتمع الناس على خليفة ، فقال : أما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت .

الكوفة تأبى الانقياد له ، وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملاً لعبيد الله بن زياد ، فكتب إليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ، ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة ، فصعد عمرو بن حريث على المنبر ، فخطب الناس وذكر لهم ما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال : الحمد لله الذي أطلق أيماننا ، لا حاجة لنا في بني أمية ، ولا في إمارة ابن مرجانة ، وهي أم عبيد الله ، وأم أبيه زياد

(١) في نسخة : حسان بن مالك بن بجدل ، بالحاء المهملة .  
(٢) خشناء : أراد كفا غير لسنة المن ، وفي نسخة : حشناء .

سحبة على ما ذكرنا آنفاً ، إنما البيعة لأهل الحبحر - يعني أهل الحجاز - فخلع أهل الكوفة ولاية بني أمية وإمارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم ، فقال جماعة : عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها ، فلما هموا بتأميمه أقبل نساء من همدان وغيرهن من نساء كهلان والأنصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معمولات يندبن الحسين ويقلن : أما رضي عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة ، فبكى الناس ، وأعرضوا عن عمرو ، وكان المبرزات في ذلك نساء همدان ، وقد كان علي عليه السلام مائلاً إلى همدان مؤثراً لهم ، وهو القائل :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام  
وقال :

عبيت همدان وعبوت حميرا

ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشام إلا ناس كانوا بنوطة دمشق ، بقرية تعرف بعين ثرما ، فيها منهم قوم إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ إليهم عبد الله بن مطيع العدوي ، على ما قدمنا آنفاً ، فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره .  
تدبير مروان بن الحكم : ونظر مروان بن الحكم في إطباق الناس على مبايعة ابن الزبير ، وإجابتهم له ، فأراد أن يلحق به وينضاف إلى جملة ، فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام ، وقال له : إنك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل ، فصار مروان إلى الجابية ، من أرض الجولان ، بين دمشق والأردن ، واستمال الضحاك بن قيس الفهري الناس ، ورأسهم ، وانحاز عن مروان ، وأزاد دمشق ، فسبقه إليها الأشدق : عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك إلى حوران والبثنة وأظهر الدعوة لابن الزبير ، والتقى

الأشدق ومروان ، فقال الأشدق لمروان : هل لك فيما أقوله لك فهو خير لي  
ولك ؟ قال مروان : وما هو ؟ قال أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن  
تكون لي من بعدك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية ،  
فرضي الأشدق بذلك ، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا ، ومضى الأشدق  
إلى حسان بن مالك بالأردن ، فأرغبه في بيعة مروان فجنح لها .

البيعة لمروان : وبويع مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد  
شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عبد الملك ، وأمه آمنة بنت علقمة بن  
صفوان ، وذلك بالأردن ، وكان أول من بايعه أهلها ، وتمت بيعته .

وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرهاً على ما قيل بغير رضا من  
عصبة من الناس ، بل كل خوفه لا عدداً يسيراً حملوه على وثوبه عليها ، وقد  
كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان ، إلا مروان ، فإنه أخذها على  
ما وصفنا .

وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ، ولعمرو بن سعيد الأشدق بعد خالد ،  
وكان مروان يلقب بخييط باطل ، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم أخوذة :

لما الله قوماً أمروا خييطَ باطلٍ على الناس يعطي من يشاء ويمنع

واشترط حسان بن مالك - وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام - على  
مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية ، وابنه يزيد ، وابنه معاوية بن  
يزيد : منها أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وإن مات قام ابنه أو  
ابن عمه مكانه ، وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي<sup>(١)</sup> ، وصدر المجلس ، وكل  
ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة ، فرضي مروان بذلك ؛  
فانقاد إليه ، وقال له مالك بن هبيرة اليشكري : إنه ليسبت لك في أعناقنا  
بيعة ، وليس نقاتل إلا عن عرض دنيا ، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية

(١) في نسخة : وعلى أن لهم بكر الأمر والنهي .

ويزيد نصرته ، وإن تكن الأخرى فوالله ما قرئش عندنا إلا سواء ، فأجابه مروان الى ما سأل .

لقاء مروان والضحاك بن قيس : وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهري ، وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ، ومعه أناس من قضاة ، عليهم وائل بن عمرو العدوي ، وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه ، وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير ، والتقى مروان والضحاك ومن معها بمرج راهط على أميال من دمشق ، فكانت بينهم الحروب سجالا ، وكثرت اليمانية عليهم وبواديا مع مروان (١) ، فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير ، قتله رجل من تيم اللات ، وقتل من معه من نزار ، وأكثرهم من قيس مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط ، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم :

لما رأيت الناس صاروا حربا      والمال لا يؤخذ إلا غصبا  
دعوت غساناً لهم وكلبا      والسكسكيين رجالا غلبا  
والقين تمشي في الحديد نكبا      والأعوجيات يثبن وثبا  
يحملن سروات ودينا صلبا (٢)

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم :

أرى أحاديث أهل المرج قد بلغت      أهل الفرات واهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحارث العامري ، ثم الكلبي ، مع الضحاك ، فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم ، فقصر فرسهما وغشيتها اليمانية من خيل مروان ، فقالا له : انج بنفسك فإننا مقتولان ، فولى راكضاً ، ولحق الرجلان ، فقتلا : وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحارث الكلبي من أبيات كثيرة :

لعمري لقد أبقت وقية راهط      لمروان صدعاً بينا متناكبا

(١) في نسخة : واحتال بها مروان . (٢) في نسخة : يحملن مرواء ودينا صلبا .



فقد يثبت المرعى على دمن الثرى      وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
 أريني سلاحي لا أبالك إنني      أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا  
 أنذهب كلب لم تنلها رماحنا      وتترك قتلى رامط هي ما هيا  
 فلم تر مني نبوة قبل هذه      فراري ، وتركي صاحبي وراثيا  
 عشية أغدو في الفريقين لا أرى      من القوم إلا من علي ولا ليا  
 أيذهب يوم واحد إن أساته      بصالح ابامي وحسن بلائيا  
 أبعد ابن عمرو وابن ممن تتابعا      ومقتل همام أهني الأمانيا

وتلاحق الناس بمن حضر الوقعة بأجنادهم من أرض الشام ، وكان النعمان ابن بشير والياً على حصص قد خطب لابن الزبير ممالئاً للضحاك ، فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حصص هارباً ، فسار ليلته جمعا متحيراً لا يدري أين يأخذ ، فأتبعه خالد بن عدي الكعلاعي فيمن خف معه من أهل حصص ، فلحقه وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان ، وانتهى زفر بن الحارث الصعلابي في هزيمته إلى قرقيسيا ، فغلب عليها ، واستقام الشام لمروان ، وبث فيه رجاله وعماله .

وسار مروان في جنوده من الشام إلى أهل مصر ؛ فعاصرها وخندق عليها خندقاً مما يلي المقبرة ، وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ، وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشد بن كريب بن أبرهة ابن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير ، وتوافقوا على الصلح ، وقتل مروان أكيدر بن الحمام صبواً ، وكان فارس مضر ، فقال أبو رشد لمروان : إن شئت والله أهدأها جذعة ، يعني يوم الدار بالمدينة ، فقال مروان : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز .

وقدم مروان الشام فنزل الصميرة على ميلين من طبرية من بلاد الأردن ، فأحضر حسان بن مالك ، وأرغبه وأرهبه ، فقام حسان في الناس خطيباً ،

ودعاهم إلى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان ، وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك ، فلم يخالفه في ذلك أحد .

موت مروان بن الحكم : وهلك مروان بدمشق في هذه السنة ، وهي سنة خمس وستين ، وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عُني بأخبارهم في سبب وفاته : فمنهم من رأى أنه مات مطعوناً ، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ، ومنهم من رأى أن فاخنة بنت أبي هاشم بن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هي التي قتلته ، وذلك أن مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بعد خالد ، ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بعد عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلّمه وأغلظ له ، فغضب من ذلك وقال : أتكلمني يا ابن الرطبة ؟ كان مروان قد تزوج بأمه فاخنة لئذله بذلك ويضع منه ، فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان ، وشكا إليها ما نزل به منه ، فقالت : لا يعيبك بعدها ؛ فمنهم من رأى أنها وضعت على نفسها وسادة وقعدت فوقها مع جوارها حتى مات ، ومنهم من رأى أنها أعدت له لبناً مسموماً فلما دخل عليها تناولته إياه فشرب ، فلما استقر في جوفه وقع يجود بنفسه وأمسك لسانه ، فحضره عبد الملك وغيره من ولده ؛ فجعل مروان يشير إلى أم خالد برأسه يخبرهم أنها قتلته ، وأم خالد تقول : بأبي وأمي أنت ، حتى عند النزاع لم تشتغل عني ، إنه يوصيكم بي ، حتى هلك ، فكانت أيامه تسعة أشهر وأياماً قلائل ، وقيل . ثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا للدة التي ملكت فيها بنو أمية من الأعوام ، فيما يرد من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة مروان : وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد ذكر غير ذلك في سنه ، وكان قصيراً أحمر ، ومولده لسنتين خلّتاً من الهجرة ، وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر . وقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه

في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومروان ابن ثمان سنين، وكان لمروان عشرون أخاً وثمانى اخوات ، وله من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث بنات ، وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وعبد الله ، وأبان ، وداود ، وعمر ، وأم عمر ، وعبد الرحمن ، وأم عثمان ، وعمرو ، وام عمرو ، وبشر ، ومحمد ، ومعاوية ، وقد ذكرنا هؤلاء وامن أعقب منهم ومن لم يعقب .

ولد يزيد بن معاوية : وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان ، وذلك أنه خلف : معاوية ، وخالدا ، وعبد الله الأكبر ، وأبا سفيان ، وعبد الله الأصغر ، وعمر ، وعاتكة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الذي لقبه الأصغر ، وعثمان ، وعتبة الاعور ، وأبا بكر ، ومهدا ، ويزيد ، وأم يزيد ، وام عبد الرحمن ، ورملة .

ولد معاوية : وخلف ابوه معاوية بن ابي سفيان من الولد : عبد الرحمن ، ويزيد ، وعبد الله ، وهندا ، ورملة ، وصفية .

## ذكر

### أيام عبد الملك بن مروان

موجز : وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الأحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ، ثم بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة ، فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال ، وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا الجامع مدة ملك بني أمية ، ثم هاجت فتنة ابن الأشعث في شعبان من سنة اثنتين وثمانين ، ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لأربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين ، وكانت ولايته منذ بويع إلى أن توفي إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً ، وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال ، وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس ، وقبض وهو ابن ست وستين سنة<sup>(١)</sup> ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان الغالب عليه البخل ، وكان له إقدام على الدماء ، وكان عماله على مثل مذهبه ، كالحجاج بالعراق ، والمهلب بخراسان ، وهشام بن إسماعيل بالمدينة ، وغيرهم بغيرها ، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء ، وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب .

(١) في نسخة : وقبض وهو ابن اثنتين وستين سنة .

## ذكر

### جمل من أفعاله ، وسيره

ولم يملح بما كان في أيامه ، ونوادير من أخباره

منادمة الشعبي لعبد الملك : ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تأقت نفسه إلى محادثة الرجال والإشراف على أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمناذمته غير الشعبي ، فلما حيل إليه ونادمه وحظي عنده قال له : يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ، ولا ترد علي الخطأ في مجلسي ، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتك منه شيء ، وأرني فهمك في طرفك وسمعك ، ولا تجهد نفسك في تطرية جوابي ، ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي ؛ فإن أسوأ الناس حالا من استكند الملوك بالباطل<sup>(١)</sup> ، وإن أسوأ حالا منهم من استخف بحقهم ، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويسقط حق الحرمة ؛ فان الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه ، وعند إصابته فرصة .

مهب الرياح : وقال عبد الملك للشعبي يوماً : من أين تهب الرياح ؟ قال : لا علم لي يا أمير المؤمنين قال عبد الملك : أما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش إلى مطلع الشمس ، وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس إلى مطلع

(١) في نسخة : فان امر الناس حالا من استعد الملوك بالباطل .

سُهَيْل ، وأما الجنوب فمن مطلع سُهَيْل إلى مغرب الشمس ، وأما الدَّبُور  
فمن مغرب الشمس إلى مطلع بنات نَعَش .

حركة للشيعة : وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، وتلاقوا  
بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ، ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ  
كبيراً ، بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه ، ولما قتلته إلى جانبهم فلم ينصروه ،  
ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه ،  
ففرزوا إلى خمسة نفر منهم : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة<sup>(١)</sup>  
الفزاري ، وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبدالله ابن وال التميمي ،  
ورفاعه بن شداد البجلي ، فمكروا بالنخيلة ، بعد أن كان لهم مع المختار  
ابن ابي عبيد الثقفي خطب طويل بتشيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم ،  
ففي ذلك يقول عبدالله بن الأحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات :

صعوت وودعتُ الصبا والغوانيا      وقلت لأصحابي : أجيئوا المناذيا  
وقولوا له اذا قام يدعو إلى الهدى      وقبل الدعاء : ابئك لبيك داعيا

في شعر طويل بحث فيه على الخروج ، ويرثي الحسين ومن قتل معه ،  
ويلوم شيعة بتخلفهم عنه ، ويذكر أنهم قد تابوا إلى الله وأتابوا إليه من الكبائر  
التي ارتكبوها إذ لم ينصروه ، ويقول أيضاً في هذا الشعر :

ألا وانعَ خير الناس جداً ووالدا      حسينا لأهل الدين إن كنت داعيا  
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة      عديم وأيتام تشكى المواليا  
فأضحى حسين للرماح دريئة      وغودر منلوباً لدى الطف ثاوريا  
فياليتني إذ ذاك كنت شهدته      فضاربت عنه الشانئين الأعاديا  
سقى الله قبراً ضمناً المجد والتقى      بغربية الطف الغمام الغواديا  
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة      أنيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا

(١) في نسخة : والمسيب بن محمد الفزاري

ثم صاروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبدالله بن الأحمر يقول :  
 خرجن يلعن بنا ارسالا عوابسا يحملتنا ابطالا  
 نريد أن نلقى بها الأقبالا القاسطين الغدر الضلالا  
 وقد رفضنا الولد والأموالا والخيرات البيض والحبالا  
 نرضى به ذا النعم المفضالا

موقعة عين الوردة : فاتم إلى قرقيسياء من شاطيء الفرات وبها زفر  
 ابن الحارث الكلبي ، فأخرج إليهم الأنزال ، وصاروا من قرقيسياء ليسبقوا  
 إلى عين الوردة ، وقد كان عبيدالله بن زياد توجه من الشام إلى -ربهم في  
 ثلاثين ألفاً ، وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء ، منهم الحصين بن  
 نعيم السكوني ، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ؛ وأدم بن محرز الباهلي ،  
 وربيع بن المخارق الفنوي ، وجبلة بن عبدالله الحثمي ، حتى إذا صاروا إلى  
 عين الوردة التقى الأقبام ، وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات في الطلائع ،  
 فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعي ، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ،  
 وأبلى وحث وحرض ، ورماه يزيد بن الحصين بن نعيم بسهم فقتله ، فأخذ  
 الراية المسيب بن نجبة الفزاري ، وكان من وجوه أصحاب علي رضي الله عنه ،  
 وكر على القوم وهو يقول :

قد علمت ميالة الذوائب واضحة اللبات والترائب  
 أني غداة الروح والمقانب أشجع من ذي لبدة مؤائب<sup>(١)</sup>

فقاتل حتى قتل ، فاستقتل الترابيون ، وكسروا أجفان السيوف ، وسالت  
 عليهم عساكر أهل الشام بالليل ينادون الجنة الجنة إلى البقية من أصحاب أبي  
 تراب الجنة الجنة إلى الترابية ، وأخذ راية الترابيين عبدالله بن سعد بن نفييل  
 وأتاهم إخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن في نحو من

(١) في الطبري وابن كثير : أني غداة الروح والتغالب .

خمسة فارس عليهم المثنى بن نجرمة ، وسعد<sup>(١)</sup> بن حذيفة ، وهم يقولون :  
أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا ، فليل لعبد الله بن سعد بن نجيل وهو في القتال :  
إن إخواننا قد لحقونا من البصرة والمدائن ، فقال : ذاك لو جاءوا ونحن أحياء ،  
فكان أول من استشهد في ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو  
المدني ، وطعن سعد بن أبي سعد<sup>(٢)</sup> الحنفي ، وعبد الله بن الخطل الطائي ،  
وقتل عبد الله بن سعد<sup>(٣)</sup> بن نجيل .

فلما علم من بقي من الترابيين : أن لا طاقة لهم بمن بإزائهم من أهل الشام  
المجازوا عنهم ، وارتحلوا ، وعليهم رفاعة بن شداد البجلي ، وتأخر أبو الحويرث  
العبيدي في جابية الناس ، وطلب منهم أهل الشام المكافئة والمشاركة ، لما رأوا  
من بأسهم وصبرهم مع قلتهم ، فلحق أهل الكوفة بمصرم ، وأهل المدائن  
والبصرة ببلادهم ، وسمع من الترابيين في مسيرهم ورجوعهم من عين الوردة  
قائلاً يقول ، رافعاً عقيرته :

يا عين بكى ابن الصرد<sup>١</sup> بكى إذا الليل خمد  
كان إذا البأس نكد تخاله فيه أشد  
مضى حميداً قد رشد<sup>٢</sup> في طاعة الأعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من  
قتل من الترابيين مع سليمان بن صرد الخزاعي على عين الوردة وأسماءهم ،  
فقللهم .

وحكى أبو مخنف في كتابه في أخبار الترابيين بعين الوردة قصيدة  
عزها إلى أعشى همدان طويلة يرثي بها أهل عين وردة من الترابيين ويصف  
ما فعلوه منها :

(١) في نسخة : المثنى بن محرصة وسعيد بن حذيفة .  
(٢) » » : وطعن سعيد بن سعيد الحنفي . (٣) في نسخة : عبد الله بن سعيد بن نجيل .



توجه من دون الثنية سائراً الى ابن زياد في الجموع الكتاب  
فساروا وهم من بين ملتصق التقى وآخر مما جرّ بالأمس نائب  
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاضلاً عليهم فحيوهم ببيض قواضب  
فجاءهم جمع من الشام بعده جموع كروج البحر من كل جانب  
فما برحوا حتى أبيدت جموعهم ولم ينج منهم ثم غير عصاب  
وغودر أهل الصبر صرعى وأصبحوا

تَعَاوَرَهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ  
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلاً كأن لم يقاتل مرة ويحارب  
ورأس بني شميخ وفارس قومه جميعاً مع التيمي هادي الكتاب  
وعمر بن عمرو بن بشر وخالد وبكر وزيد والحليس بن غالب  
أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه وطعن بأطراف الأسنة صائب  
فيا خير جيش للعراق وأهله سقيتم روايا كل أسحَم ساكب  
فلا تبعدوا فرساننا وحماتنا إذا البيض أبدت عن خدام الكواعب  
فإن تقتلوا فالقتل أكرم ميتة وكل فتى يوماً لإحدى النوائب  
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة محلين حوراً كالليوث الضوارب

وقيل : إن وقعة عين الوردة كانت في سنة ست وستين .

وصف القرآن لعلي كرم الله وجهه : وفي سنة ست وستين ، في أيام عبد  
الملك بن مروان توفي الحارث الأعور صاحب علي عليه السلام ، وهو الذي  
دخل على علي فقال : يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه  
الأحاديث وتركوا كتاب الله ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قال : نعم ، قال : أما  
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكوز فتنة » قلت :  
فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله : فيه نبأ ما كان قبلكم ،  
وخبير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه  
من حمار قصمه الله ، ومن أراد الهدى في غيره أضله الله ، هو جبل الله

المتين ، وهو الذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ عنه العقول ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يعلم علم مثله ، هو الذي لما سمعته الجن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ، من قال به صدق ، ومن زال عنه عدا ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور .

مقتل عبيدالله بن زياد : ولما كان من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيدالله بن زياد في عساكر الشام يؤم العراق ، فلما انتهى إلى الموصل - وذلك في سنة ست وستين - التقى هو وإبراهيم بن الأشتر النخعي ، وإبراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالخازر<sup>(١)</sup> ، فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها ابن مرجانة عبيدالله بن زياد ، والحسين بن نعيم ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وابن حوشب ذي ظلم ، وعبدالله بن إياس السلمي ، وأبو أشرس<sup>(٢)</sup> ، وغالب الباهلي ، وأشرف أهل الشام ، وذلك أن عمير بن الحباب السلمي كان على ميمنة ابن زياد في ذلك الجيش ، وكان في نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط ، فصاح : يا لثارات قيس يا لمضر ، يا لنزار ، فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم في جيشهم من أهل الشام من قحطان ، وقد كان عمير كاتب إبراهيم بن الأشتر سراً قبل ذلك ، والتقيا ، فتواطأ على ما ذكرنا ، وحمل إبراهيم بن الأشتر رأس ابن زياد وغيره إلى المختار ، فبعث به المختار إلى عبدالله بن الزبير بمكة .

اضطراب في كل ناحية : وقد كان عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من أمر ابن زياد ، فأثاه خبر

(١) هكذا وقع في تاريخ الطبري (١٤٢/٧) وفي نسخة «بالجاردة» وفي نسخة أخرى «بالجازر» .  
(٢) في نسخة «وعبد الله بن إياس السلمي أبو سدس» .

مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل ، أتاه في تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة ، وكان على الجيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ، ثم جاءه خبر دخول ناقل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مُصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين ، ثم جاءه مسير ملك الروم لاوي بن فلنط ونزوله المصيصة يريد الشام ، ثم جاءه خبر دمشق ، وأن عبيدها وأوباشها ودُعارها قد خرجوا على أهلها ، ونزلوا الجبل ، ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة ، وأن خيل الأعراب أغارت على حصن وبعطبك والبقاع ، وغير ذلك مما نفي إليه من المفضعات في تلك الليلة ، فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكاً ، ولا أحسن وجهاً ، ولا أبسط لساناً ، ولا أثبت جناحاً منه تلك الليلة ، تجلداً وسياسة للملوك ، وترك إظهار الفشل ، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم ، فشغله وهادنه ، وسار إلى فلسطين وبها ناقل<sup>(١)</sup> بن قيس على جيش ابن الزبير ، فالتقوا بأجنادين ، فقتل ناقل بن قيس وعامة أصحابه ، وانهزم الباقون ، ونفي خبر قتله وهزيمة الجيش إلى مصعب بن الزبير وهو في الطريق ، فولى راجعاً إلى المدينة ، ففي ذلك يقول رجل من كلب من مروانية :

قَتَلْنَا بِأَجْنَادِينَ سَعْدًا وَنَاتِلًا قِصَاصًا بِمَا لَاقَى حَبِيشَ وَمَنْدَرَ

ورجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها، وسار إبراهيم بن الأشتر فنزل نصيبين، وتحصن منه أهل الجزيرة ، ثم استخلف على نصيبين ، ولحق بالختار بالكوفة. بين مصعب والختار الثقيفي ومقتل الختار : وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة ، وقد كان أخوه عبدالله بن الزبير أنفذه إلى العراق والياً ، فنزل حروراء ، والتقى هو والختار فكانت بينهم حروب عظيمة ، وقتل ذريع ، وانهزم الختار ، وقد قتل محمد بن الأشعث وابنان له ،

(١) في نسخة : « بابل » في كل المواضع التي ذكر فيها هذا الاسم .

ودخل قصر الإمارة بالكوفة وتحصن فيه ، وجعل يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه من أهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحشبية من الكيسانية وغيرهم ، فخرج إليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء ، فحمل عليه رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن بن أسد فقتله واحتز رأسه ، وتنادوا بقتله ، فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء ، وأبى مصعب أن يعطي الأمان لمن بقي في القصر من أصحابه ، فحاربوا إلى أن أضر بهم الجهد ، ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك ، فكان ممن قتل مع المختار عبيد الله<sup>(١)</sup> بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وله خبر مع المختار في تخلصه منا ومضيه إلى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب إلى أن خرج معه في جيشه ، وقد أتينا على خبره وسائر ما أومأنا إليه في كتابنا ، أخبرنا الزمان ، فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل ، كل هؤلاء طالبون بدم الحسين ، وقتله أعدائه ، فقتلهم مصعب ، وسام الحشبية<sup>(٢)</sup> ، وتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها ، وأتى بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه ؛ ففعلن إلا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري ، والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصاري ، وقالتا : كيف تبرأ من رجل يقول ربي الله ؟ كان صائم نهاره قائم ليله ، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قبيلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته ، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس ، فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله بخبرها وما قالتا ، فكتب إليه : إنهما رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه وإلا فاقتلها ، فعرضها مصعب على السيف ، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه ، وقالت : لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لكفرت : أشهد أن المختار كافر ، وأبت ابنة النعمان بن بشير ، وقالت : شهادة أرزقها فأتركها ؟ كلا ! إنها موتة ثم الجنة والقدم على الرسول وأهل بيته ، والله لا

(١) في نسخة « فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن علي » .

(٢) في نسخة « وسام الحشبية » .

يكون ، آتي مع ابن هند فاتبعه وأترك ابن أبي طالب ؟ اللهم أشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ، ثم قدما فقتلت صبورا ، ففي ذلك يقول الشاعر :

إن من أعجب الأعاجيب عندي قتلَ بيضاء حرة عطْبُولِ  
قتلوا ظمأ على غير جرم إن لله درهما من قتل  
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرُّ الذبول

ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر المهلب وقتله لنافع بن الأزرق ، وذلك في سنة خمس وستين ، ونافع هو الذي تنسب إليه الأزارقة من الخوارج ؛ إذ كنا أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف ، وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمي ، وعطية بن الأسود الحنفي ، وأبي فديك ، وشوذب الشيباني ، وسويد الشيباني ، وقطامة الشيباني ، والمهذب السكوني ، وقطري بن الفجاءة ، والضحاك بن قيس الشيباني ، ووقعة ابن لماجور الخارجي مع المهلب ومقتله ، وظفر المهلب بهم في ذلك اليوم ، وخبر عبيد ربه وأخبار خوارج اليمن كأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وابن بيهم الهيصمي ، مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » من الأباضية وهم سُراة عمان من الأزدي وغيرهم من الأزارقة والنجدات والحمرية<sup>(١)</sup> والجابية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الأرض ، مثل بلاد سنجار وتل أعقر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديقة<sup>(٢)</sup> مما يلي بلاد الموصل ، ثم من سكن من الأكراد بلاد أذربيجان وهم المعروفون بالشرارة منهم ، وأسلم المعروف بابن شادلويه ، وقد كان تملك على أعمال ابن أبي الساج من بلاد أذربيجان وأران والبيلقان وأرمينية ، ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وكوهستان وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على

(٢) في نسخة « والحديثة » .

(١) في نسخة « والحمرية » .

ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان ، وأكثرهم صفرية وحمرية ، ومنهم ببلاد  
حمران إصطخر وصاهك بين كرمان وفارس ، ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ،  
ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الأرض .

وفاة عبدالله بن العباس : وفي سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبدالله  
ابن العباس بن عبد المطلب في سنة ثمان وستين ، وقيل : في سنة تسع وستين ،  
بالبطائف ، وأمه لبابة بنت الحارث بن حزن ، من ولد عامر بن صعصعة ،  
وله إحدى وسبعون سنة ، وقيل : إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقد  
ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قبض رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وكان قد ذهب  
بصره لبكائه على عليّ والحسن والحسين ، وكانت له وفرة طويلة يخضب  
شيبه بالحناء ، وهو الذي يقول :

إن يأخذ الله من عيني نورها ففي لساني وقلبي منها نور  
قلبي ذكي ، وعقلي غير مدخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للظهور في  
بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « اللهم فقهه في  
الدين ، وعلمه التأويل ، » .

وقيل لابن عباس رضي الله عنه : ما منع عليك رضي الله عنه أن يبعثك  
مكان أبي موسى في يوم الحكمين ؟ فقال : منعه من ذلك حائل القدر ، وقصر  
المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ،  
فأبتم ما أبرم ومبرما لما نقض ، أسف إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن  
مضى قدر ، وبقي أسف ، ومع اليوم غد ، وللآخرة خير للمتقين .

وكان لابن عباس من الولد : علي ، وهو أبو الخلفاء من بني العباس ،  
والعباس ، ومحمد ، والفضل ، وعبد الرحمن ، وعبيد الله ، ولبابة ،

وأهم زرعة<sup>(١)</sup> بنت مشرح الكندية ، فأما عبيد الله وعبد والفضل فلا أعقاب لهم .

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق : وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مراون عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام ، وقد كان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلباً للملك ، وكان فيم كتب إليه عبد الملك : إنك لتطمع نفسك بالخلافة ، ولست لها بأهل ، فكتب إليه عمرو : استدراج النعم إياك أفادك البغي ، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة ، زجرت عما وافقت عليه ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب<sup>(٢)</sup> يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز ، وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة .

وقد كان عبد الملك سار إلى زُفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسياء وبلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمراً قد دعا الناس إلى بيعته بدمشق ، فكرر راجعاً إليها ، فامتنع عمرو فيها ، فناشده عبد الملك الرحم ، وقال له : لا تفسد أمر أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، وفيما صنعت قوة لابن الزبير ، ارجع إلى بيتك فإني سأجعل لك العهد ، فرضي وصالح ، ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة فارس يزولون معه حيث زال .

وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك إياه : فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه : ويحك ! أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب؟ قال : نعم ، قال : فافعل ، وكان عمرو رجلاً عظيم الكبر لا يرى أن لأحد عليه فضلاً ، ولا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد ، فلما فتح الحاجب الباب

(١) في نسخة « وأهم رعبة بنت مشرح » . (٢) في نسخة « ضعف الأنساب » .

دخل عمرو ، فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه ، ومضى عمرو لا يلتفت ، وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون ، فعاتبه عبد الملك طويلاً ، وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بأن يضرب عنقه ، فكله عبد الملك وأغلظ له القول ، فقال : يا عبد الملك ، أتستطيل عليّ كأنك ترى لك عليّ فضلاً ؟ إن شئت والله نقضت العهد بيني وبينك ، ثم نصبت لك الحرب ، فقال عبد الملك : قد شئت ذلك ، فقال : وأنا قد فعلت ، فقال عبد الملك : يا أبا الزعيزعة شأنك ، فالتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرهم في الدار ، فدنا من عبد الملك ، فقال : ما يدريك مني ؟ قال : لتمسني رحمك ، وكانت أم عمرو عمة عبد الملك كانت تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل ، فضربه أبو الزعيزعة فقتله ، فقال له عبد الملك : ارم برأسه إلى أصحابه ، فلما رأوا رأسه تفرقوا ، ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقه فيه ، وذكر خلافه وشقاقه ، ونزل من المنبر وهو يقول :

أذْنَيْتُهُ مَنِي لِيَتَسَكَّنَ نَفْرَةَ فَاصُولَ صَوْلَةَ حَازِمَ مُسْتَمَكِّنِ  
غَضِبًا وَمَحَابَةَ لِدِينِي ؛ إِنَّهُ لَيْسَ الْمَسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْحَسَنِ

وقيل : إن عمراً خرج من منزله يريد عبد الملك ، فعثر بالبساط ، فقالت له امرأته نائلة بنت قريص<sup>(١)</sup> بن وكيع بن مسعود : أنشدك الله أن لا تأتيه فقال : دعيني عنك فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني ، وخرج وهو مكفر بالدرع ، فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أمية ، فقال عبد الملك وقد أخذت الأبواب : إني كنت حلفت لئن ملكتك لأشدنك في جامعة ، فأتى بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه ، فأيقن عمرو أنه قاتله ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : يا أبا أمية ، مالك جنت في الدرع اللقتال ؟! فأيقن عمرو بالشر فقال : أنشدك الله أن تخرجني إلى

(١) في نسخة « نائلة بنت قريص بن وكيع بن مسعود » .



الناس في الجامعة ، فقال له عبد الملك : وتماكرني أيضاً وأنا أمكر منك ؟  
 تريد أن أخرجك إلى الناس فيمنعوك ويستنقذك من يدي ، وخرج عبد  
 الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز - وقد كان قدم من مصر في ذلك  
 اليوم - بقتله إذا خرج

وقد قيل : أمر ابنه الوليد بذلك ، فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو  
 بالرحم فتركه ؛ فلما رجع عبد الملك من الصلاة وراه حياً قال لعبد العزيز :  
 والله ما أردت قتله إلا من أجلكم ألا يجوزها دونكم ، ثم أضجعه ، فقال  
 له عمرو : أغدر يا ابن الزرقاء ؟ فذبحه ، ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد  
 إلى الباب بمن معه من رجاله ليكسره ، فخرج إليه الوليد وموالي عبد الملك  
 فاقتتلوا ، واختلف الوليد ويحيى ؛ فضربه يحيى بالسيف على ألبته فانصرع ،  
 وألقى رأس عمرو إلى الناس ، فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم  
 من أعلى الدار بدر الدنانير ، فاشتغلوا بها عن القتال ، وقال عبد الملك :  
 وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثأرهم ، وقد كان الوليد فقد حين  
 ضرب ، وذلك أن إبراهيم بن عدي احتمله فأدخله بيت القراطيس في المعمة  
 وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد ، واجتمعت الكلمة على عبد الملك ، وانقاد  
 الناس إليه .

وقد قيل في مقتله غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا ، أخبار  
 الزمان ، وقد ذكرنا شعر أخته فيه - وكانت تحت الوليد بن عبد الملك -  
 فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المنصور ؛ إذ هو الموضع المستحق له دون  
 هذا الموضع لما تغفل بنا إليه الكلام ، وتسلسل بنا القول نحوه .

وأقام عبد الملك بدمشق بنية سنة سبعين ، وقد كان مصعب بن الزبير  
 خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه ، حتى انتهى إلى الموضع  
 المعروف بباجميرا مما يلي الجزيرة ، يريد الشام لحرب عبد الملك ، فبلغه مسير  
 خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد من مكة إلى البصرة في ولده وعدة من

مواليه ناكثاً لبيعة عبدالله بن الزبير ، فنزل بعض نواحي البصرة ، وأن قوماً قد انضافوا إليه من ربيعة ومضر ، ومنهم عبدالله بن الوليد ، ومالك بن مسعود البكري ، وصفوان بن الأهتم<sup>(١)</sup> التميمي ، وصعصعة بن معاوية عم الأحنف ، فكانت لهم بالبصرة حروب كانت أخيراً على خالد بن عبدالله ؛ فخرج هارباً بابنيه في البر حتى لحقوا بعبد الملك ، وانصرف مصعب راجعاً إلى البصرة ، وذلك في سنة إحدى وسبعين ، ثم عاد من العراق إلى باجيرا ، ففي ذلك يقول الشاعر :

أَبَيْتَ يَا مُصْعَبُ إِلَّا سَيْرًا فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكَ بِاجْمِيرَا

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء ، فحاصر بها زفر بن الحارث العامري الكلابي ، وكان يدعو إلى ابن الزبير ، فنزل على إمامته وبايعه ، وسار عبد الملك فنزل على نصيبين - وفيها يزيد والحبشي موليا الحارث في ألفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعون إلى إمامة محمد بن الحنفية - فحاصروهم ، فنزلوا على إمامته ، وانضافوا إلى جملة .

وخرج مصعب في أهل العراق - وذلك في سنة اثنتين وسبعين - يريد عبد الملك ، ودلف إليه عبد الملك في عباكر مصر والجزيرة والشام ، فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة ، وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، وقيل : على ساقته : وقد أحمده أمره في قيامه بما أهل له ، فكتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هم بعسكر مصعب وغيرهم سرّاً وصار يرغبهم ويرهبهم ، فكان فيمن كتب إليه إبراهيم ابن الأشر النخعي ، فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله ، وأتى مصعباً بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه ، فقال له مصعب : أقرأته ، فقل : أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الأمير ، وآتي يوم القيامة غادراً قد نقضت

بيعتة وخلعت طاعته ، فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أماناً له وولاية لما شاء من العراق وإقطاعاً وغير ذلك ، ثم قال إبراهيم لمصعب : هل أتاك أحد من اشراف العساكر بكتاب ؟ فقال مصعب : لا ، فقال إبراهيم : والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا عن ايصالها إليك إلا للرضا به والغدر بك ، فأطعني وابدأ بهم ، فأمرهم على السيف ، او استوثق منهم في الحديد ، وألقى هذا الرجل ، فأبى مصعب ذلك وتحيز من كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري ، وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل ، وسار ابراهيم بن الأشتر على مقدمة مصعب في متسعة الخيل ، فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد بن مروان ، وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمداً أخاه ، فبعث الى محمد : عزمت عليك ان لا تقاتل في هذا اليوم ، وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم ، وقد أشار على عبد الملك ان لا تحارب له خيل في ذلك اليوم ، فإنه منحوس : وليكن حربه بعد ثلاث فإنه يُنصر ، فبعث اليه محمد : وانا اعزم على نفسي لأقاتلن ولا ألتفت الى زخاريف منجمك ، والمحالات من الكذب ، فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضره : ألا ترون ؟ ثم رفع طرفه الى السماء ، وقال : اللهم إن مُصعباً أصبح يدعو إلى أخيه وأصبحت ادعو لنفسي ، اللهم فانصر خيرنا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتقى محمد بن مروان وابن الأشتر ، ومحمد يرتجز ويقول :  
مثلي على مثلك أولى بالسلب محجل الرجلين أعرب الذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء ، فقال عتاب بن ورقاء التميمي ، وكان مع ابن الأشتر : يا ابراهيم ، ان الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف ، حسداً له لإشرافه على الفتح ، فقال له ابراهيم : وكيف ينصرفون وعدوهم بإزائهم ؟! فقال عتاب : فمر اليمنة ان تنصرف ، فأبى ابراهيم ذلك ، ففضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف ، فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم ، واختلط الرجال ، وصمدت الفرسان لابراهيم ، واشتبكت عليه الأسنة ،

فبرى منها عدة رماح وأسلمه من كان معه ، فاقتلع من سرجه ودار به الرجال ، وازدحموا عليه ، فقتل بعد ان أبلى ونكأ فيهم ، وقد تنوزع في أخذ رأسه : فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحسين بن نعيم الكندي هو الذي أخذ رأسه ، ومنهم من ذكر ان عبيد بن ميسرة مولى بني يشكر ثم من بني رفاعة هو الذي اخذ رأسه ، وأتى عبد الملك بحسد إبراهيم فالقي بين يديه ، فأخذه مولى الحسين بن نعيم ، فجمع عليه حطباً وحرقه بالنار .

وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجائلين من ارض السودان ، وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن ربعي إلى رايات ربيعة فأضافوها إلى عسكر عبد الملك ودخلوا في طاعته ، ثم تصاف القوم ، فأفرد مصعب ، وتخلي عنه من كان معه من مضر واليمن ، وبقي في سبعة نفر منهم اسماعيل بن طلحة بن عبيد الله التميمي ، وابنه عيسى بن مصعب ، فقال لابنه عيسى : يا بني اركب فرسك فانج بنفسك فالحق بمكة بعمك ، فأخبره بما صنع بي اهل العراق ، ودعني فإني مقتول ، فقال له : لا والله ، لا يتحدث نساء قريش أني فررت عنك ، ولا احدثهم عنك ابداً ، فقال له مصعب : اما اذا ابيت فتقدم امامي حتى احتسبك ، فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل .

وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعباً ، فاستشار عبد الملك من حضره ، فقال له علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : لا تؤمنه ، وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : بل آمنه ، وارتفع الكلام بين علي وخالد حتى تسايا على مصافهما ، فأمر عبد الملك أخاه محمداً أن يمضي إلى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما أراد ، فمضى محمد ، فوقف قريباً من مصعب ، ثم قال : يا مصعب ، هلم إلي ، أنا ابن عمك محمد بن مروان ، وقد أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك ، وكل ما أحدثت ، وأن

تنزل أي البلاد شئت ، ولو أراد بك غير ذلك لأنزله بك ، فأنشدك الله في نفسك .

وأقبل رجل من أهل الشام الى عيسى بن مصعب ليحتر رأسه ، فعطف عليه مصعب والرجل غافل ، فناداه أهل الشام : ويلك يا فلان الاسد قد أقبل نحوك ، ولحقه مصعب فقدّه ، وعرقب فرس مصعب ، وبقي راجلاً ، فأقبل عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين ، سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح ، وضربه عبيد الله فقتله ، واحتز رأسه ، وأتى به عبد الملك ، فسجد عبد الملك ، وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلاً ليضرب عبد الملك في حال سجوده ثم ندم واسترجع ، فكان يقول بعد ذلك : ذهب الفتك من الناس ، إذ هممت ولم أفعل فأكرن قد قتلت عبد الملك ومصعباً ملكي العرب في ساعة واحدة ، وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب :

نعاطي الملوك الحق ما قسّطوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك : متى تلد قريش مثل مصعب ؟ وكان قتل مصعب يوم الثلاثاء ، لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ، وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدَيْرِ الجائليق ، ودعا عبد الملك أهل العراق إلى بيعته فبايعوه .

وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع معاوية وابنه يزيد ، وكان في ذلك اليوم في جيش مصعب ، فأتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الأمان ، فقيل له : أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح ، فما تصنع بالأمان ؟ قال : ليس مالي ويأمن ولدي بعدي ، فلما وضع بين يدي عبد الملك قال : قَطَعَ اللهُ يد ضاربك كيف لم يجهز عليك ؟ أكفرت صنائع آل حرب معك ؟ فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته .

وفي مصرع مصعب بدير الجائلتيق من أرض العراق ، يقول عبد الله بن قيس الرقيات :

لقد أورث المصيرين عاراً وذلة قتيلُ بدير الجائلتيق مقم  
فما نصحت لله بكر بن وائل ، ولا صبرت عند اللقاء تميم  
ولكنه ضاع الذمار ، ولم يكن بها مضريُّ يوم ذاك كريم  
جزى الله بصرياً بذاك ملامة وكوفيهم ، إن المليم ملِّيمُ  
وفي ذلك يقول شاعر أهل الشام من أبيات :

لعمري لقد أضجرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب  
يهزون كل طويل القنا ة معتدل النصل والثعلب  
إذا ما منافق أهل المرا ق عوتب يوماً فلم يمتب  
دلفنا إليه لدى موقف قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن ، وجمال ، وهيئة ، وكال في الصورة ، وفيه يقول ابن الرقيات من كلمة :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وقد أتينا على أخبار مصعب ، وسكينة بنت الحسين زوجه ، وعائشة بنت طلحة ولبلى من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الأوسط

اربع رؤوس في مكان واحد : وحدث المنقري ، قال : حدثني سويد بن سعيد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي مسلم النخعي ، قال : رأيت رأس الحسين جيء به ، فوضع في دار الإمارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جيء به ، فوضع في ذلك الموضع بين يدي المختار ، ثم رأيت رأس المختار قد جيء به ، فوضع بين يدي مصعب ابن الزبير ، ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به ، فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك .

وقد قيل في وجه آخر من الروايات ، قال الراوي : فرأى عبد الملك

مني اضطراباً ، فسألني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ، ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ، ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب ابن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك ، فوقاك الله يا أمير المؤمنين ! قال : فوثب عبد الملك بن مروان ، وأمر بهدم الطاق الذي على المجلس ، ذكر هذا الحديث عن الوليد بن خباب وغيره .

الناس يبايعون عبد الملك : وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة ، فخرج إليه أهل الكوفة فبايعوه ، ووفى الناس بما كان وعدهم به في مكاتبتهم إياهم سرأ وخلع ، وأجاز ، وأقطع ، ورتب الناس على قدر مراتبهم ، وعمهم ترغيبه ، وترهيبه ، وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد ، وعلى الكوفة بشر بن مروان أخاه ، وخلف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشام منهم روح بن زنباع الجذامي ، وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة ، وسار في بقية أهل الشام إلى دار ملكه دمشق .

روح بن زنباع وبشر بن مروان : وكان بشر بن مروان اديباً ظريفاً ، يحب الشعر والسمر والسباع والمعاقره ، وقد كان أخوه عبد الملك قال له : إن روحاً عمك الذي لا ينبغي أن تقطع امرأً دونه ، لصدقه وعفاه ومناصحته ومحبه لنا أهل البيت ، فاحتشم بشر منه ، وقال لندمائه : أخاف إن انبسطنا أن يكتب روح إلى أمير المؤمنين بذلك ، وإني لأحب من الأنس والاجتماع ما يحبه مثلي ، فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته : أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك إلى أمير المؤمنين غير شاكر ولا لائم ، فسر بشر ، ووعدته الجائزة وحسن المكافأة إن هرأتني له ما وعد به ، وكان روح شديد الفيرة ، وكانت له جارية إذا خرج من منزله إلى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله ، فأخذ الفتى دواة

وأتى منزل روح عشياً مختفياً، وخرج روح للصلاة ، فتوصل الفتى الى دخول الدهليز في حال خروج روح ، وكمن تحت الدرجة ، ولم يزل يَحْتال ليلته حتى توصل الى بيت روح ، فكتب على حائط في أقرب المواضع من مرقد روح :

يا روح مَنْ لُبْنِيَّاتٍ وَأرْملةِ إِذا نَعاك لأهل المغرب الناعي  
إن ابن مروان قد حانت منيته فاحتل لنفسك ياروحُ بَنَ زِنْباعِ  
ولا يغرنك أبكار منعمة واسمع هديت مقال الناصح الداعي<sup>(١)</sup>

ورجع الى مكانه بالدهليز ، فبات فيه ، فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فقبه غلمانه ، والفتى متنكر في جملتهم مختلط بهم ، فلما عاد روح وافتتح باب حجرتة تبين الكتابة وقرأها ، فراعته ذلك وأنكره ، وقال : ما هذا؟ فوالله ما يدخل حجرتي إنسي<sup>١</sup> سواي ، ولا حظ لي في المقام بالعراق ثم نهض الى بشر ، فقال له : يا ابن أخي ، أوصني بما أحببت من حاجة أو سبب عند أمير المؤمنين ، قال : أو تريد الشخصوص يا عم ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ هل أنكرت شيئاً أو رأيت قبيحاً لا يسعك المقام عليه ؟ قال : لا والله ، بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيراً ، ولكن أمر حدث ، ولا بد لي من الانصراف إلى أمير المؤمنين فأقسم عليه أن يخبره ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت إلى أيام ، قال : ومن أين علمت بذلك؟ فأخبره بنجر الكتابة ، وقال : ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة ، وما كتب ذلك إلا الجن أو الملائكة ، فقال له بشر : أقم فإني أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة ، فلم يثنه شيء ، وسار إلى الشام ، فأقبل بشر على الشراب والطرب ، فلما لقي روح عبد الملك أنكر أمره ، وقال : ما إقدامك إلا لحادثة حدثت على بشر ، أو لأمر كرهته ، فأثنى على بشر ،

(١) في نسخة : مقال الناصح الراعي .



وحد سيرته ، وقال : لا بل لأمر لا يمكنني ذكره حتى تخلو ، فقال عبد الملك لجلسائه : انصرفوا ، وخلا بروح ، فأخبره بقصته وأنشده الأبيات ، فضحك محمد الملك حتى استغرق<sup>(١)</sup> ، وقال : ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت ، فلا تُرَع .

عبد الله بن الزبير ينعي اخاه مصعبا : ولما اتصل قتل مصعب بأخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والإماء في سكك المدينة ومكة ، فصعد المنبر وجبينه يرشح عرقاً ، فقال : الحمد لله ملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، ألا إنه لن يذل الله من كان الحق معه ، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه ، إنه أتنا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا ، وهو قتل مصعب ، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوي من بعد ذلك إلى كريم الصبر وجميل العزاء ، وأما الذي أفرحنا فإن القتل له شهادة ، ويجعل الله لنا وله في ذلك الخيرة ، أما والله إنا لا نموت حنفاً<sup>(٢)</sup> كهيئة آل أبي العاص وإنما نموت قنعاً بالرماح ، وقتلا تحت ظلال السيوف ، ألا وإن الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سطرانه ولا يتبدل ، فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الأثر البطر ، وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الحزين المهين .

الحجاج في مكة : فأتى الحجاج الطائف ، فأقام بها شهوراً ، ثم زحف إلى مكة ، فحاصر ابن الزبير بها ، وكتب إلى عبد الملك إني قد ظفرت بأبي قبيس ، فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبي قبيس كبر عبد الملك فكبر من معه في داره ، واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا ، واتصل ذلك بأهل الأسواق فكبروا ثم سألوا عن الخبر ،

(١) في نسخة : حتى استغرق . (٢) في نسخة : لا نموت حنفاً .

فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبي قبيس ، فقالوا : لا نرضى حق يحمله إلينا مكبلاً على رأسه برنسن على جمل يمر بنا في الأسواق القرابي الملعون ، وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، وفيها قتل مصعب وما ذكرنا من قول أهل دمشق في ابن الزبير فذكره عمر بن شبة النميري عن ابن عاصم ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ، ووقف الحجاج بالناس بعرفة محرماً في درع ومغفر ، وهو من أبناء إحدى وثلاثين سنة ، ونحر ابن الزبير بمكة ، ولم يخرج إلى عرفة بسبب الحجاج ، فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة .

ابن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر : ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت من السنّ مائة سنة لم تقع لها سن ، ولا أبيض لها شعر ، ولم ينكر لها عقل ، على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب ، فقال : يا أمه ، كيف تجدنيك ؟ قالت : إني لشاكية يا بني ، فقال لها : إن في الموت راحة ، قالت : لملك تمنّاه لي ، وما أحب أن أموت حتى يأتي علي أحمد طرفيك : إما قتلت فأحتسبك ، وإما ظفرت فقرت عيني بك ، وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه إذا سمعن الواقعة عليه أن يضمنن أمه أسماء إليهن ، وكان عروة بن الزبير على رأي عمه عبد الملك بن مروان . وكانت كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج متصلة بأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله ، فخرج عروة إلى الحجاج ، ورجع إلى أخيه فقال له : هذا خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما أحدثت أنت ومن معك ، وأن تنزل أي البلاد شئت ، لك بذلك عهد الله وميثاقه ، وغير ذلك من الكلام ، فأبى عبد الله قبول ذلك ، وقالت له أمه

أسماء : أي بني ، لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل ، مت كريماً ، وإياك أن تؤسر ، أو تعطي بيديك ، فقال : يا أمه ، إني أخاف أن يمثل بي بعد القتل ، فقالت : يا بني ، وهل تتألم الشاة من ألم السلخ بعد الذبح ؟ ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة ، وقد التجأ إلى البيت وهم ينادون : يا ابن ذات النطاقين ، فقال ابن الزبير متمثلاً :

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها  
ونظر إلى طائفة منهم قد أقبلوا نحوه بالسيوف ، فقال لأصحابه : من هؤلاء ؟ قالوا : أهل مصر ، قال : قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة ، فحمل عليهم ، فضرب رجلاً منهم به أدمة فقدته ، وقال : صبراً يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر ، فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ، ورجع إلى البيت وهو يقول :

ولست ببيتاع الحياة بسبة ولا أبتغي من رهبة الموت سلماً  
فاستلم الحجر ، ثم تكاثروا عليه ، فحمل عليهم ، وهو يقول :  
قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق  
فأناه حجر فصك جبينه فأدماه وأوضعه ، فقال :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما  
فكشفتهم عن المسجد ، ورجع على من بقي من أصحابه عند البيت ، فقال لهم : ألقوا أغماد السيوف ، وليصن كل رجل منكم سيفه كما يصون وجهه ، لا ينكسر سيف أحدكم فيقعده كالمرأة ، ولا يسأل رجل منكم : أين عبد الله من يسأل عني فإنني<sup>(١)</sup> في الرعيل الأول ، ثم أنشأ يقول :

يا رب إن جنود الشام قد كثروا وهتكوا من حجاب البيت أستارا  
يا رب إني ضعيف الركن مضطهد فابعث إلي جنوداً منك أنصارا

(١) في نسخة : من يسأل عني يلقني في الرعيل الأول .

وتكاثر أهل الشام عليه ألوفاً من كل باب ، فحمل عليهم ، فشدخ بالحجارة ، فانصرع ، وأكب عليه موليّان له ، وأحدهما يقول :  
العبد يحمي ربه ويحتمي

حتى قتلوا جميعاً ، وتفرق من كان معه من أصحابه ، وأمر به الحجاج فصلب بمكة ، وكان مقتله يوم الثلاثاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى ، سنة ثلاث وسبعين .

وكلمت أسماء أمه الحجاج في دفنه ، فأبى عليها ، فقالت للحجاج : أشهد إني لسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فهو المختار ، وأما المبير فما أظنك إلا هو .

وسنذكر لهما من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا .

ولاية الحجاج الحجاز : وأقام الحجاج والياً على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليامة ثلاث سنين ، ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة .

جابر بن عبد الله : ومات جابر بن عبد الله الأنصاري في أيام عبد الملك بالمدينة ، وذلك في سنة ثمان وسبعين ، وقد ذهب بصره ، وهو ابن نيف وتسعين سنة .

وقد كان قدم إلى معاوية بدمشق ، فلم يأذن له أياماً ، فلما أذن له قال : يا معاوية ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم القيامة ، يوم فاقنه وحاجته ، فغضب معاوية ، وقال له لقد سمعته يقول : « إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تردوا على الخوض ، أفلا صبرت ؟ قال : ذكرتني ما نسيت ، وخرج فاستوى على الخوض ، فقال : يا معاوية ، ففدتها وكتبت اليه .

وإني لأختار القنوع على الغنى إذا اجتمع الماء بالبارد المحض  
وأقضي على نفسي إذا الأمر نابني وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضى  
وألبس أثواب الحياة ، وقد أرى مكان الغنى أن لا أمين به عرضي

وقال لرسوله : قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا وجدت في صحيفتك  
حسنة أنا سبها أبداً .

محمد بن الحنفية : ومات محمد بن علي بن أبي طالب ، ابن الحنفية في سنة  
إحدى وثمانين في أيامه بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه أبان بن عثمان  
ابن عفان بإذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم ، وقبض وهو ابن  
خمس وستين سنة ، وقيل : إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات  
بها ، وقيل إنه مات ببلاد أيلة ، وقد تنوزع في موضع قبره ، وقد قعدنا  
قول الكيسانية ومن قال منهم إنه يجبل رضوي وكان له من الولد : الحسن ،  
وأبو هاشم ، وعبد الله ، وجعفر الأكبر ، وحمزة ، وعلي لأم ولد ، وجعفر  
الأصغر وعون ، أمها أم جعفر ، والقاسم ، وإبراهيم .

حدثنا نصر بن علي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن يونس بن أبي  
إسحاق ، قال : حدثنا سهل بن عبيد بن عمرو الخابوري قال : كتب ابن  
الحنفية إلى عبد الملك . إن الحجاج قد قدم بلدنا وقد خفته فأحب أن لا  
تجعل له علي سلطاناً بيد ولا لسان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إن  
محمد بن علي كتب إلي يستعفيني منك ، وقد أخرجت يدك عنه ، فلم أجعل  
لك عليه سلطاناً بيد ولا لسان ، فلا تترض له ، فلقية في الطواف فعرض علي  
شفته ، ثم قال : لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين ، فقال له محمد : ويحك  
أوما علمت أن الله تبارك وتعالى في كل يوم ولية ثلاثمائة وستين لحظة ، أو  
قال نظرة ، لعله أن ينظر إلي منها بنظرة ، أو قال يلحظني بلحظة ،  
فيرحمي فلا يجعل لك علي سلطاناً بيد ولا لسان ، قال : فكتب بها الحجاج

الجزء الثالث: ذكر أيام عبد الملك بن مروان..... ١١٧

إلى عبد الملك، فكتب بها عبد الملك إلى ملك الروم وكان قد توعدده؛ فكتب إليه ملك الروم: ليست هذه من سجيبتك ولا من سجيبة آباءك ما قالها إلا نبي، أو رجل من أهل بيت نبي.

ملك الروم والشعبي: وذكر الشعبي قال: أنفذني عبد الملك إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبتة، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة، حتى استحجبت خروجي<sup>(١)</sup> فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت الملكة أنت؟ قلت: لا، ولكنني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة، وقيل لي: إذا أدبت الرسائل عند وصولك إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأدبت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، ونسيت الرقعة فلما صرت في بعض الدار إذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لي من أهل بيت الملكة أنت؟ قلت: لا ولكنني رجل من العرب في الجملة، ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رُدِدْتُ، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا، قال: اقرأها، فلما قرأتها فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره، فقلت له: والله لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفندري لم كتبها؟ قلت: لا، قال: حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم، فقال: ما أردت إلا ما قال.

وصف معاوية عبد الملك: وذكر عند معاوية عبد الملك فقال: هو آخذ بثلاث، وفارك ثلاث؛ آخذ بقلوب الناس إذا حدث، وبجسن الاستماع إذا

(١) في نسخة: حتى استحجبت خروجي.

حدث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف ، تارك للمهارة ، تارك للغبية ، تارك لما يعتذر منه .

وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوماً : أريد الخلوة بك ، فلما خلا به قال له عبد الملك : بشرط ثلاث خصال : لا تُطْرِرَ نفسي عندك فأنا أعلم بها منك ، ولا تغتب عندي أحداً فلست أسمع منك ، ولا تكذبني فلا رأي لمكذب ، قال : أتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئت .

عبد الملك وعامل له قبل هدية : وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا ، فأشخصه إليه ، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليت ؟ قال له : يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال : أجب فيما سألتك عنه ، أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعم ، قال : إن كنت قبلت ولم تعوض إنك للثيم ، ولئن كنت أنلت هئديها من غير مالك أو استكفيتها ما لم يكن مثله مستكفاه إنك لخائن جائر ، وما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، وأمر بصرفه من عمله .

عبد الملك وعمرو بن بلال يصلح بينه وبين زوجته : وحدث المنقري عن الضبي قال : قال الوليد بن إسحاق : قال ابن عباس : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية - وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر - تحت عبد الملك بن مروان ، ففضبت عليه ، فطلب رضاها بكل شيء ، فأبت عليه وكانت أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى خاصته ، فقال له عمرو بن بلال رجل من بني أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامي : ما لي عليك إن أرضيتها ؟ قال : حكمك ، فخرج وجلس بابها يبكي فقالت له خاصتها : ما لك تبكي أبا حفص ؟ قال : فرزعت إلى ابنة عمي فاستأذنوا لي عليها ، فأذنت له وبينها ستر فقال : قد عرفت حالي مع أمراء المؤمنين معاوية

وزيد ومروان وعبد الملك ، ولم يكن لي غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل المعتدي ، قلت له : أنا ولي الدم وقد عفوت ، فأبى علي وقال : ما أحب أن أعود رعتي هذا ، وهو قاتله بالعداء ، فأنشدك الله إلا ما طلبته منه ، فقالت : لا أكله ، قال : ما أظنك تكسبين شيئاً هو أفضل من إحياء نفس ، ولم يزل بها خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت : علي بشيبي ، فلبست ، وكان بينها وبين عبد الملك باب ، وكانت قد ردمته ، فأمرت بفتحه ، ثم دخلت فأقبل الحصي يشتد فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عاتكة ، قال : ويلك !! ورأيتها ؟ قال : نعم ، إذ طلعت وعبد الملك على سريره ، فسلمت ، فسكت ، فقالت : أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك ، الله أن عدداً أحد ابنه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا عنه أعزمت لتقتله ! قال : إي والله وهو راغم ، فأخذت بيده فأعرض عنها ، فأخذت برجله فقبلتها<sup>(١)</sup> ، فقال : هو لك ، وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثاً وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة ، فدخل عمرو بن بلال ، فقال له : يا أبا حفص ، ألفت الحيلة في القيادة ، ولك الحكم ، فقال : يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق ، قال : هي لك ، قال : وفرائض لولدي وأهل بيتي ، قال : وذلك كله ، وبلغ عاتكة الخبر ، فقالت : ويلي على القواد إنما خدعني .

الحجاج يصف الفتنة : وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن صف لي الفتنة ، فكتب إليه : إن الفتنة تشب بالنجوى ، وتحصد بالشكوى ، وتنتج بالخطب ، فكتب إليه : إنك قد أصبت وأحسن الصفة ، فإن أردت أن يستقيم لك من قبلك فخدم بالجماعة ، وأعظم عطاء الفرقة ، وألصق بهم الحاجة .

وحدثنا المنقري ، قال . حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال : حدثنا

(١) في نسخة : برجليه فقبلتها .



أبورياش ضبة بن نفاقة ، عن مقلس بن سابق الدمشقي ثم السكسكي ، أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الأشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن أهل العراق استعجلوا قدرتي قبل انقضاء أجلي ، اللهم لا تسلطنا على مَنْ هو خير منا ، ولا تسلط علينا من نحن خير منه ، اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك ، فإذا بلغه فلا تجاوز به سخطك كتاب من عبد الملك الى الحجاج لم يفهمه : وكتب عبد الملك إلى الحجاج: أنت عندي سالم ، فلم يعرف ما أراد بذلك ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن ذلك ، وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد على قتيبة وناوله الكتاب شرط الرسول ، فخبجل واستحيا ، فقرأه قتيبة وأراد أن يقول له اقعد ، فقال : اضبط ، قال : قد فعلت ، فاستحيا قتيبة ، وقال : ما أردت إلا أن أقول لك اقعد ففلطت ، فقال : قد غلظت أنا وغلظت أنت ، قال قتيبة : ولا سواء ، أغلظ أنا من فمي وتغلظت أنت من استك ، أعلم الأمير أن سالما كان عبداً لرجل ، وكان عنده أثيرا ، وكان يُسمى به إليه كثيرا ، فقال :

يُديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العيين والأنف سالم

فأراد عبد الملك أنك عندي بمنزلة سالم ، فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهداً على خراسان .

وقد روي نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله القسري فضرط ، فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل ، فقال له خالد : اقعد ، فأبى ، فقال له ، أقسمت عليك لتضربن ، قال : قد ضرطت ، فخبجل خالد ، واعتذر إليه وأمر له بمال .

وأهدى الى عبد الملك أتراسة مكللة بالدر والياقوت ، فأعجبته ، وعنده جماعه من خاصته وأهل خلوته ، فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد : اغمز

منها ترمساً وأراد أن يمتحن صلابته ، فقام فغمزه فصرط ، فاستضحك عبد الملك ، فضحك جلساؤه ، فقال : كم دية الضرطة ؟ فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة ، فأمر له بذلك ، فأنشأ رجل من القوم :

أضرط خالد من غمز ترس ويحبوه الأمير بها بدورا  
فيا لك ضرطة جلبت غناء ويالك ضرطة أغنت فقيرا  
يودُّ الناس لو ضرطوا فنالوا من المال الذي أعطي عشيرا  
ولو نعم بان الضرط يغني ضرطنا أصلح الله الأميرا

فقال عبد الملك : أعطوه أربعة آلاف درهم ، ولا حاجة لنا في ضراطك .

عبد الملك يحج ، وحدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي والطوسي وغيرهما في كتاب الاخبار المعروف بالموقعيات ، عن الزبير بن بكار ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد عن عتبة بن أبي لهب ، قال : حج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة ، فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفيء . فقال عبد الملك وهو على المنبر : يا معشر قريش ، مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين ، فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة ، فلما دنا الرواح خرجت اليها من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته اليها ، فقالا : إن هذا لمن كنز ، فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليها ديناراً ، فقال أحدهما لصاحبه : الى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه ؟ فضمها أخوه ، وقال له : ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه ، وأخذ فأساً معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها ، فبأرت الحية فقتلته ، ورجعت الى جحرها ، فقام أخوه

(١) في نسخة : وقالوا أفما كان أعطانا من الفيء .

فدفنه ، وأقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء ، فقال لها : يا هذه إني والله ما رضيت ما أصابك ، ولقد نهيت أخي عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضريني ولا أضرك ، وترجعين إلي ما كنت عليه ، قالت الحية : لا ، قال : ولم ذلك ؟ قالت : إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة ، وأنشدم شعر النابغة :

فقلت : أرى قبراً تراه مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره

فيا معشر قريش ، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم ، فسمعت له وأطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليناً كريماً فعدوتم عليه فقتلتموه ، وبعثنا عليكم مسلماً يوم الحرة فقتلتموه ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة ، ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان .

روح بن زنباع وعبد الملك : وحدث أمدائي وابن دأب أن روح بن زنباع جلس عبد الملك رأى منه إعراضاً وجفوة ، فقال للوليد بن عبد الملك : أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين بإعراضه عني بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهما نحوي وأهوت بمخالبها إلى وجهي ؟ فقال له الوليد : احتل له في حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور بن سابور ملك فارس ، قال روح : وما كان من خبره مع الملك ؟ قال الوليد : كان مرزبان هذا من ستمار سابور ، فظهرت له من سابور جفوة ، فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب ، وعواء الذئاب ، ونهيق الحمير ، بزقائه الديوك ، وشحيج البغل ، وصهيل الخيل ، ومثل هذا ، ثم احتال حتى توصل إلى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه ، وأخفى أثره ، فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب ، فلم يشك الملك أنه كلب ، فقال الملك : انظروا ما هذا؟

فعوى عواء الذئاب ، فنزل الملك عن سريره ، فنهق نهيق الحمير ، فمضى الملك هارباً ، ومضى الغلمان يتبعون الأثر والصوت ، فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتاً آخر من اصوات البهائم ، فأحجموا عنه ، ثم اجتمعوا فاقترحوا عليه فأخرجوه ، فلما نظروا اليه قالوا للملك : هذا مرزبان المضحك ، فضحك الملك ضحكاً شديداً ، وقال له : ويحك ! ما حملك على هذا ؟ قال : ان الله مسخني كلباً وذئباً وحماراً وكل خلق لما غضبت علي ، فأمر الملك بالخلع عليه ، وورده الى مرتبته التي كان فيها ، وتجدد للملك به سرور ، فقال روح للوليد : اذا اطمان المجلس بأمر المؤمنين فاسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحاً ؟ قال الوليد : أفعل ، وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيئاً من المزاح ، فتقدم الوليد وسبقه بالدخول ، فتبعه روح ، فلما اطمان بها مجلس عبد الملك قال الوليد لروح : يا أبا زرعة ، هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح ، قال روح : حدثني ابن ابي عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت :

ذَهَبَ إِلَهُهُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ      وَقُضِرَتْ عَيْشُكَ أَيَّامَ قَمَرٍ  
أَنْفَقْتَ مَا لَكَ غَيْرَ مَحْتَسِمٍ      فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي الْحَمْرِ

وكان ابن ابي عتيق صاحب غزل وفكاهة ، فأخذ هذين البيتين في رقعة وخرج بهذا الشعر فإذا هو بابن عمر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، انظر في هذه الرقعة وأمر عليّ برأيك فيها ، فلما قرأها عبد الله استرجع ، فقال له : ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر ؟ قال : أرى أن تعفو وتصفح ، قال : والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته<sup>(١)</sup> بناحية لأنيكنه نيكاً جيداً ، فأخذت ابن عمر أفكل ورعدة واربد لونه ، وقال : ما لك غضب الله عليك ؟ قال : ما

(١) في نسخة : لئن لقيت صاحبه .

هو الا ما قلت لك ، وافترقا ، فلما كان بعد أيام لقيه فأعرض عنه ابن عمر : فقال : يا أبا عبد الرحمن ، اني لقيت صاحب البيتين ونكته ، فصعقَ عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه : انها امرأتى فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه وضحك ، وقال : احسنت فزدها ، فضحك عبد الملك حتى فحص برجله ، وقال له : قاتلك الله يا روح ، ما أطيب حديثك ! ومدَّ يده اليه ، فقام اليه روح فأكبَّ عليه وقبل اطرافه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، الذنب فاعتذر أم للملاة فأصطبر وأرجو عاقبتها ؟ قال : لا والله ما ذاك لشيء تكرهه ، ثم عاد الى احسن حالاته .

عبد الملك الهمداني وسليان بن المنصور : وقد حكى مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني ، وكان سميراً لسليان بن المنصور ، وكان سليان قد جفاه ، فأناه يوماً في قائم الظهيرة واحتدام الهجيرة فاستأذن ، فقال له الحاجب : ليس هذا بوقت اذن على الامير ، فقال له : أعلمه بمكاني ، فدخل فاستأذن له ، فقال له سليان : مره يسلم قائماً ويخفف ، فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف ، فدخل فسلم قائماً ثم قال : أصلح الله الامير ، اني انصرفت بالأمس الى نحو منزلي وقد أمسيت ، فبينما انا في طريقي اذ أذن مؤذن ، فدنوت ، ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت ، قال سليان : فبلغت السماء فكان ماذا ؟ قال : فتقدم انسان إما كردي او طمطهاني فأم القوم بكلام ما افهمه ولغة ما اعرفها ، فقال : ويل لكل زمة زما مالا وعده ، قال : ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعده ، فإذا خلفه سكران ما يعقل سكرأ ، فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول : ايرعبيك درليلكا في حر أم قارنك ومصليك ، فضحك سليان حتى تمرغ على فراشه ، وقال : ادن مني يا ابا محمد ، فأنت أطيب امة محمد ، ثم دعا بخلعة ، وقال : الزم الباب واغد في كل يوم ، وعاد الى أحسن حالاته عنده .

## ذكر

طرف من أخبار الحجاج ، وخطبه

وما كان منه في بعض أفعاله .

سبب ولوع الحجاج بسفك الدماء : كانت أم الحجاج عند الحارث بن كلدة ، فدخل عليها في السحر فوجدتها تتخلل ، فبعث اليها بطلاقها ، فقالت : لم بعثت إلي بطلاقي ؟ أليس رابك مني ؟ قال : نعم ، دخلت عليك عند السحر وأنت تتخللين (١) ، فان كنت بادرت الغداء فأنت شرهة ، وإن كنت بت والطعام بين اسنانك فأنت قدرة ، فقالت : كل ذلك لم يكن ، لكنني تخللت من شظايا السواك ، فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي أبو الحجاج ، فولدت له الحجاج بن يوسف مشوهاً لا دبر له ، فثقب عن دبره ، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها ، فأعيام أمره ، فيقال : إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة ، فقال : ما خبركم ؟ فقالوا : ابن ولد ليوسف من الفارعة ، وكان اسمها ، وقد أبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها ، فقال : اذبحوا جدياً أسود وأولغوه دمه ، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك ، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود وأولغوه دمه ، ثم اذبحوا له أسوداً صالحاً فأولغوه دمه واطلوه به وجهه ، فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع ، قال : ففعلوا به ذلك ، فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره ، هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر

(١) في نسخة : فوجدتك تتخللين .

لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يُتدّم عليها غيره ، ولا سبق إليها سواه .

عبد الملك يولي المهلب قتال الخوارج : حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان ابن داود البصري المنقري ، قال : حدثني ابن عائشة وغيره قال : سمعت أبي يقول : لما غلبت الخوارج على البصرة بعث إليهم عبد الملك جيشاً فهزموه ثم بعث إليهم آخر فهزموه فقال : مَنْ للبصرة والخوارج ؟ فقيل له : لهم إلا المهلب بن أبي صفرة ، فبعث إلى المهلب ، فقال : على أن لي حراج ما أجليتهم عنه ، قال : إذن تشركني في ملكي ، قال : فثلاثاء ، قال : لا ، فنصفه ، والله لا أنقص منه شيئاً ، على أن تمدني بالرجال ؛ فإذا أخطلت فلا حق لك علي ، فجعلوا يقولون : ولى عبد الملك على العراق رجلاً ضعيه ، وجعل يقول : بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ، ثم كتب المهلب إلى عبد الملك : إنه ليس عندي رجال أقاتل بهم ، فإما بعثت إلي بالرجال وإما خلّيت بينهم وبين البصرة ، فخرج عبد الملك إلى أصحابه فقال : ويلكم ! من للعراق ؟ فسكت الناس وقام الحجاج وقال : أنا لها ، قال : اجلس ، ثم قال : ويلكم ! من للعراق ؟ فصمتوا ، وقام الحجاج وقال : أنا لها ، قال : اجلس ، ثم قال : ويلكم ! من للعراق ؟ فصمتوا ، وقام الحجاج الثالثة فقال : والله أنا لها يا أمير المؤمنين ، قال : أنت زنبورها ، فكتب إليه عهده ، فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقبلوا وأن يروحوا وراءه ، ودعا يجمل عليه قتب ، فجلس عليه بغير حسيّة ولا وطاء ، وأخذ الكتاب بيده ، ولبس ثياب السفر ، وتعمم بعمامته<sup>(١)</sup> حتى دخل الكوفة وحده ، فجعل ينادي : الصلاة جامعة ، وما منهم رجل جالس في بئسه إلا ومعه العشرين والثلاثون وأكثر من ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر مثلثاً متنكباً قوسه ، فجلس واضعاً إبهامه على فيه فقال بعضهم لبعض : قوموا حتى

نحصبه فدخل محمد بن عمير الدارمي في مواليه فلما رأى الحجاج جالساً على المنبر لا يجنب ولا ينطق قال : لعن الله بني أمية حين يولون العراق مثل هذا ، لقد ربح الله العراق حيث يكون مثل هذا عليها ، ثم ضرب بيده إلى حصباء المسجد ليحصبه ، وقال : والله لو وجدوا أذمّ من هذا لبشوه إلينا ، فلما تمّ أن يحصبه قال له بعض أهل بيته : أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول ، فمن قائل يقول : 'حصر الرجل فما يقدر على الكلام ، ومن قائل يقول : أعرابي ما أبصر حجته ، فلما غصّ المسجد بأمله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ، ونحى العمامة عن رأسه ، فوالله ما حمد الله ولا أتى عليه ، ولا صلى على نبيه ، وكان أول ما بدأهم به أن قال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني  
خطبة الحجاج عند مقدمه العراق : إني والله لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً  
متطاولة ، ورءوساً قد أينعت وحنان قطاقها ، وإني أنا صاحبها ، كأني أنظر  
إلى الدماء ترقق بين العمام واللحى :

هذا أوان الحرب فاشتدّي زيمٍ قد لفتها الليل بسواق حطّم  
ليس براعي إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضمّ  
وقال :

قد لفتها الليل بسُئليّ أروّع خراج من الدؤويّ  
مهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شمّرت عن ساقها فكدوا وجدّت الحرب بكم فجدوا  
والقوس فيها وتّرّ عردٌ مثل ذراع البكر أو أشد  
إن أمير المؤمنين نثر كنانته ، فوجدني أمرها طعماً وأحدّها سناناً ،  
وأقواها قداحاً ، فإن تستقيموا تستقم لكم الأمور ، وإن تأخذوا لي بُنيّات



الطريق تجدوني لكل مرصد مرصداً ، والله لا أقبل لكم عشرةً ، ولا أقبل  
منكم عذرة .

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق ، والله ما  
أغمر كتغماز التين ولا يُقعقع لي بالشتان ولقد فررت عن ذكاء ، وفئتشت  
عن تجربة والله لألحونكم لحو العود ، ولأعصبنكم عصب السلة<sup>(١)</sup> ، ولأضربنكم  
ضرب غرائب الإبل ولأقرعنكم قرع المروة .

يا أهل العراق ، طالما سعيتم في الضلالة ، وسلكتم سبيل الفرواية ، وسنتم  
سنن السوء ، وتماديتم في الجهالة ، ياعبيد العصا وأولاد الإمام ، أنا الحجاج بن  
يوسف ، إني والله لا أعدُ إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فإياكم وهذه  
الزرافات والجماعات ، وقال وقيل ، وما يكون وما هو كائن ، وما انتم  
وذاك يا بني اللكيمة ؟ لينظر الرجل في أمر نفسه ، وليعذر ان يكون  
من فراسي .

يا أهل العراق ، إنما مثلكم كما قال الله عز وجل : ( كمثل قرية كانت  
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله  
لباس الجوع والخوف - الآية ) فأمرعوا واستقيموا ، واعتدلوا ولا تميلوا ،  
وشايعوا وبايعوا واخضعوا ، واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإهذار ، ولا  
منكم الفرار والنفار ، إنما هو انتضاء السيف ، ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف ،  
حتى يقيم الله لأمر المؤمنين أوداكم ، ويذل له صعبكم .

إني نظرت فوجدت الصدق مع البر ، ووجدت البر في الجنة ، ووجدت  
الكذب مع الفجور ، ووجدت الفجور في النار .

ألا وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم الى محاربة  
عدوكم مع المهلب ، وقد أمرتكم بذلك ، وأجّلت لكم ثلاثاً ، وأعطيت الله

(١) في نسخة : ولأعضدنكم عضد السلة .

عهداً يؤخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحداً من بعث المهلب بعدها إلا ضربت عنقه ، وانتهبت ماله ، يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين .

فقال الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني إليكم أحمد الله الذي لا إله إلا هو .

فقال الحجاج : اسكت يا غلام ، ثم قال مفضباً : يا أهل العراق ، يا أهل النفاق والشقاق ومساويء الاخلاق ، يا أهل الفرقة والضلال ، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام ؟ أما والله لئن بقيت لكم لأحونكم لحو العود ولأؤدبنكم ادباً سوى هذا الادب ، هذا ادب ابن سمية ، وهو صاحب شرطة كان بالعراق ، اقرأ يا غلام الكتاب ، فلما بلغ السلام قال أهل المسجد : وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته

ثم نزل ، وأمر للناس بأعطياتهم ، والمهلب يومئذ بمهرجان قدق يقاتل الأزارقة .

فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس ، فمر به عمير بن ضابئ التميمي البرجمي ثم احد بني الحدادية وكان من اشرف اهل الكوفة ، وكان من بعث المهلب ، فقال : اصلح الله الامير ، اني شيخ كبير زامن عليل ضعيف ، ولي عدة اولاد ، فليختر الامير أيهم شاء مكاني اشد هم ظهراً ، واكرمهم فرساً ، واتهم اداة ، قال الحجاج : لا بأس بشاب مكان شيخ ، فلما ولت قال له عنبة بن سعيد ومالك بن اسماء : اصلح الله الامير ! اتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعاً من اضلاعه ، فقال الحجاج : ولي به ، فأتي به ، فقال له : ايها الشيخ ، انت الواثق على أمير المؤمنين عثمان بعد

قتله ، والكاسر ضلماً من اضلاعه ؟ فقال له : إنه كان حبس ابي شيخاً كبيراً ضعيفاً فلم يُطْلِقْه حتى مات في سجنه ، فقال الحجاج : اما امير المؤمنين عثمان فتفروه بنفسك ، واما الأزارقة فتبعث اليهم بالبدلاء ، او ليس أبوك الذي يقول :

هَمَمْتُ ولم افعل وكدت وليتني فعلت وأوليت البكاء حلالة

أما والله ان في قتلك ايها الشيخ لصلاح المصريين ، ثم أقبل يصعد بصره إليه ويصوته وبعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ، ثم أقبل عليه فقال : يا عمير سمعت مقاتلي على المنبر ؟ فقال : نعم ، قال : والله إنه لقبح بمثلي أن يكون كذاباً ، قم إليه يا غلام فاضرب عنقه ، ففعل ، فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول ، وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب ، فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس في الفرات ، فأناه صاحب الجسر فقال : أصلح الله الأمير ! قد سقط بعض الناس في الفرات ، قال : ويحك ! ولم ذلك ؟ قال : أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم ، قال : انطلق فاعقد لهم جسرين .

وخرج عبدالله بن الزبير الأسدي مذعوراً ، حتى اذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم ، فقال له : ما الخبر ؟ فقال ابن الزبير : الشر الشر ، قتل عمير من بعث المهلب ، وانشأ يقول :

أقول لإبراهيم لما لقيته أرى الأمر أمسى مهلكاً متصعباً  
تجهز فإما أن تزور ابن ضابي عميراً وإما أن تزور المهلبا  
هما خُطتا خَسَفَ نجاؤك منها ركوبك حوليا من الثلج اشبا  
فأضحى ولو كانت خراسان دونه رأها مكان السوق أو هو أقربا  
وإلا فما الحجاج مُغمدُ سيفه مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هرباً الى السواد ، وارسلوا الى اهاليهم أن زودونا ونحن

بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر : افتح ولا تحمل بين أحد وبين الخروج<sup>(١)</sup> ،  
ووجه العراض الى المهلب ، فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه ،  
فقال : من هذا الذي استعمل على العراق؟ هذا والله الذكر من الرجال ؟  
فويل والله للعدو<sup>(٢)</sup> ان شاء الله تعالى .

خروج ابن الأشعث : وقد كان الحجاج استعمل عبد الرحمن بن محمد بن  
الأشعث علي سجستان وُبستَ والرخج ، فعارب من هنالك من امم الترك ،  
وهم انواع من الترك يقال لهم الفوز والخلج ، وحارب من يلي تلك البلاد من  
ملوك الهند ، مثل رقبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب  
ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم ، وذكرنا مملكة كل واحد منهم ، والصقع  
الذي هو به ، وذوي السمات منهم ؛ وبيننا أن كل ملك يلي هذا الصقع من  
بلاد الهند يقال له رقبيل ، فخلع ابن الأشعث طاعة الحجاج ، وصار الى بلاد  
كرمان ، فثنى بخلع عبد الملك ، وانقاد الى طاعته اهل البصرة والجبيل بما  
يلي الكوفة والبصرة وغيرهما ، وسار الحجاج الى البصرة ، وسار ابن الأشعث  
إليه ، فكانت له حروب عظيمة ، وفي عبد الرحمن بن الأشعث يقول الشاعر :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العري وعراعر الأقوام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الأشعث ، فكتب  
إليه عبد الملك : لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه ، وسلطانه يشماله ،  
وخرج من الدين عرياناً ، وإني لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته  
واستئصالهم في ذلك على يدي أمير المؤمنين ، وما جوابه عندي في خلع  
الطاعة إلا قول القائل :

أناة وحلماً وانتظاراً بهم غنداً فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

(١) في نسخة : « بين أحد وبين الرجوع » . (٢) في نسخة : « قوتل والله العدو » .

أظن صروف الدهر والجهل منهم ستحملكم مني على مركب وعَرِّ  
 ألم تعلموا أني تخاف عرّامتي وأن قنّاتي لا تلين على الكسر

ودخل ابن الأشعث الكوفة ، وكتب الحجاج كتاباً إلى عبد الملك يذكر  
 فيه جيوش ابن الأشعث وكثرتها ، ويستنجد عبد الملك ويسأله الأمداد ،  
 وقال في كتابه : واغوثاه يا الله ، واغوثاه يا الله ، فأمده  
 بالجيوش وكتب إليه : يا لبيك ، يا لبيك ، يا لبيك .

وقانع دير المهاجم وقتل ابن الأشعث : فالتقى الحجاج وابن الأشعث  
 بالموضع المعروف بدير المهاجم ، فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة  
 تفانى فيها خلق ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين ، وكانت على ابن الأشعث  
 فضى حتى انتهى إلى ملوك الهند ، ولم يزل الحجاج يجتال في قتله حتى قتل ،  
 وأتى برأسه ، فعلا الحجاج منبر الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على  
 رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم  
 فخالط اللحم منكم والعظم والأطراف والأعضاء ، وجرى منكم مجرى الدم ،  
 وأفضى إلى الأضلاع والأخاخ ، فحشا ما هناك شقاقاً واختلافاً ونفاقاً ، ثم  
 أربع فيه فعمش ، وباض فيه ففرخ ، واتخذتموه دليلاً تتابعونه ، وقائداً  
 تطاوعونه ومؤمراً تستأمرونه ، أستم أصحابي بالأهواز حين سميت بالغدر بي  
 فاستجمعتم عليّ وحيث ظنتم أن الله سيخذل دينه وخلافته ، وأقسم بالله إنى  
 لأراكم بطرفي وأنتم تتسللون لواءاً منهزمين ، سراعا مفترقين ، كل امرئ  
 منكم على عنقه السيف رعباً وجبناً ، ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية ؟ بها كان  
 فشلكم وتخاذلكم ، وبراءة الله منكم ، وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين  
 ونكوص وليكم عنكم ، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها لا يسأل الرجل  
 عن بنيه ، ولا يلوي امرؤ على أخيه ، حتى عضتكم السلاح ، وقصفتكم  
 الرماح ، وهوم دير المهاجم ، بها كانت الملاحم ، والمعارك العظام :

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليفه

فما الذي أرجوه منكم يا أهل العراق ؟ أم ما الذي أتوقعه ؟ ولماذا  
أسببكم ؟ ولأي شيء أذخركم ؟ أالفجرات بعد العداوات ؟ أم للنزوة بعد  
النزوات ؟ وما الذي أراقب بكم ؟ وما الذي أنتظر فيكم ؟ إن بعثتم إلى  
تهوركم جبنتم ، وإن أمنتم أو خفتم نافتكم ، لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة .

يا أهل العراق ، هل استنبحكم تابع ، أو استشلاكم غاو ، أو استخفكم  
ناكث أو استنفركم عاص إلا تابعتموه وبايعتموه ، وآويتموه وكفيتموه ؟ يا أهل  
العراق ، هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دبي كاذب إلا كنتم  
أنصاره وأشياعه ؟

يا أهل العراق ، لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ وتعظكم الوقائع ،  
هل يقع في صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الأمور ومواردها .

يا أهل الشام ، أنا لكم كالظلم الرامح عن فراخه ، ينفي عنهن القذى ،  
ويكنفنهن من المطر ، ويحفظهن من الذئاب ، ويحميهن من سائر الدواب ، لا  
يخلص إليهن معه قذى ، ولا يفضي إليهن ردَى ، ولا يمسهن أذى .

يا أهل الشام ، أنتم العدة والعدد ، والجنة في الحرب ، إن نحارب  
حاربتهم ، أو نجانب جانبهم<sup>(١)</sup> ، وما أنتم وأهل العراق إلا كما قال نابغة  
بني جمدة :

وإن تداعبهم حظههم      ولم ترزقوه ولم تكذب  
كقول اليهود : قتلنا المسيح      ولم يقتلوه ولم يصلب

في أبيات .

من عبد الملك الى الحجاج : ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير

(١) في نسخة : « ان حارب محارب أو جانب بجانب » .

الجماجم وإعطائه الأموال بلغ ذلك عبد الملك ، فكتب اليه : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء ، وتبذيرك في الاموال ، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطأ الدية وفي العمدة القود ، وفي الاموال ردها الى مواضعها ، ثم العمل فيها برأيه ، فإنما أمير المؤمنين أمين الله ، وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل ، فإن كنت أردت الناس له فما أغنهم عنك ، وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغنك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران : لين وشدة ، فلا يؤنسك إلا الطاعة ، ولا يوحشك إلا المعصية ، و'ظن' بأمر المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ ، واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانها ولا أسيراً ، وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها	وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا	إلى الله منه ضيع الدرّ حالبه
فان تر مني غفلة قرشية	فيا رجاء قد غص بالماء شاربه
وإن تر مني وثبة أموية	فهذا وهذا كلّ ذا أنا صاحبه
فلا ، لا تلني والحوادث جمّة	فإنك مجزيّ بما أنت كاسبه
ولا تعدّ ما يأتيك مني وإن تعدّ	يقوم بها يوماً عليك نوادبه
ولا تنقصن للناس حقاً علمته	ولا تعطين ما ليس لله جانبه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك .

جواب الحجاج : فلما قرأ الحجاج كتابه كتب : أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء ، وتبذيري في الاموال ، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلّه ، وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه ، فان كان قتلي أولئك العصاة سرفاً وإعطائي أولئك المطيعين تبذيراً فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف ؛ وليعدّ لي فيه حداً أنتهي اليه

إن شاء الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله ، ووالله ما علي من عقل ولا قوَد : ما أصبت القوم خطأ فادَّيهم ، ولا ظلمتهم فأقاد بهم ، ولا أعطيتهم إلا لك ، ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أنا منتظره من أمريك فالينها عدة (١) ، وأعظمها معنة ، فقد عبات للعدة الجلاء (٢) ، وللمعنة الصبر ، وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي  
وما لامرئ بعد الخليفة جنة  
أسالم من سألت من ذي قرابة  
إذا قارف الحجاج منك خطيئة  
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصح  
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي  
فقف بي على حد الرضا لا أجوزه  
وإلا فدعني والأمور فاني  
أذاك فيومي لا تزول كواكب  
تقيه من الأمر الذي هو كاسب  
ومن لم تسأله فإني محاربه  
فقامت عليه في الصباح نوادبه  
وأقصي الذي تسري الي عقاربه  
مصأولتي ، والدهر جَم نوابه؟  
مدى الدهرحق يرجع الدر حالبه  
شفيق رفيق أحكمتني تجاربه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج .

فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال : خاف أبو محمد صولتي ، ولن أعود لشيء يكرهه .

الحجاج يلتمس محدثاً مؤنساً : وحدث حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة ، فقال للحرمي : اثني بمحدث من المسجد ، فاعترض رجلاً جسيماً عظيماً ، فقال له : أجب الأمير ، فانطلق به حتى أدخله إليه ، فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج : إيه ما عندك ؟ فلم يتكلم ، فقال للحرمي : أخرجه أخرج الله نفسك ، أمرتك أن تأتيني بمحدث فأتيتني بمرعوب قد ذهب فؤاده ، فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد ، فجعل يناول

(١) في نسخة : « فالينها عزة » . (٢) في نسخة : « للفرزة الحلاء » .



الناس فيأخذونها ، حتى انتهى الى شيخ ، فأعطاه فنَبَذَها ، فأعادها الحجاج فردّها ، ففعل ذلك الحجاج ثلاثاً ، فدنا منه الحجاج وقال : أنا الحجاج فأخذها ، ودخل القصر ، وقال للحرمي : الحقني به ، فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : بمن الرجل ؟ فقال : من بني شيبان ، قال : ما اسمك ؟ قال سميرة بن الجعد ، قال : يا سميرة ، هل قرأت القرآن ؟ قال : جمعت في صدري فإن عملت به فقد حفظته وإن لم أعمل به ضيعته ، قال : فهل تفرض ؟ قال : إني لأفرض الصلّيب وأعرف الاختلاف في الجد ، قال : فهل تبصر الفقه ؟ قال : إني لأبصر ما أقوم به أهلي وأرشد ذا العمى من قومي ، قال : فهل تعرف النجوم ؟ قال : إني لأعرف منازل القمر ، وما أهتدي به في السفر ، قال : فهل تروي الشعر ؟ قال إني لأروي المثل والشاهد ، قال : المثل قد عرفناه فما الشاهد ؟ قال : اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر ، فإني أروي ذلك الشاهد ، فاتخذ الحجاج سميراً ، فلم يك يطلب شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه علماً وكان يرى رأي الخوارج وكان من أصحاب قَطْرِي بن الفُجَاءة التميمي ، والفجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو رجل من تميم ، وكان قَطْرِي يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطريا مكان سميرة من الحجاج فكتب إليه بأبيات منها :

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا	إذا نحن رُحنا في الحديد المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا	صبوراً على وقع السيوف البوائر
وراح يجر الحز عند أميره	أمير بتقوى ربه غير أمر
أبا الجعد ، أين العلم والحلم والنهي	وميراث آباء كرام العناصر ؟
ألم تر لنا الموت لا شك نازل	ولا بد من بعث الالى في المقابر
حفاة عراة والثواب لربهم	فمن بين ذي ربح وآخر خاسر
فان الذي قد نلت يفتى ، وإنما	حياتك في الدنيا كوقعة طائر

فرأجع ابا جعد ولاتك مفضياً على ظلمة اعشيت جميع النواظر  
 وقب توبة تهدي إليك شهادة فإنك ذو ذنب ولست بكافر  
 وصر نحونا تلق الجهاد غنيمة تفدك ابتياعاً راجحاً غير خاسر  
 هي الغاية القصوى الرغيب ثوابها إذا نال في الدنيا الفنى كل تاجر

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه واخذ سلاحه ، ولحق بقطري ، وطلبه  
 الحجاج فلم يقدر عليه ، ولم يشعر الحجاج إلا وكتاب قد بدر منه فيه  
 شعر قطري الذي كان كتب به إليه ، وفي أسفل الكتاب الى الحجاج  
 أبيات ، منها :

فمن مبلغ الحجاج أن سميرة قلا كل دين غير دين الخوارج  
 رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه ملاعين تراكين قصد الخوارج  
 فأقبلت نحو الله بالله واثقاً وما كرتي غير الإله بفارج  
 إلى عصبه ؛ أما النهار فإنهم هم الأسد أسد الغيل عند التهايج  
 وأما إذا ما الليل جن فإنهم قيام كأنواح النساء النواشج  
 ينادون للتحكيم ، تالله انهم رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج  
 وحكم ابن قيس مثل ذاك فأعصموا بجبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد ، فقال : هذا من سميرة  
 الشيباني ، وهو من الخوارج ، ولا نعلم به .

ولأبي الجعد سميرة بن الجعد سمير الحجاج هذا أشعار كثيرة ، منها قوله  
 من أبيات :

عجبت لحالات البلاء وللدهر وللحين يأتي المرء من حيث لا يدري  
 وللناس يأتون الضلالة بعدما أتاهم من الرحمن نور من البدر  
 والله لا يخفى عليه صنيعنا حفيظ علينا في المقام وفي السفر  
 علا فوق عرش فوق سبع ، ودونه سماء يرى الأرواح من دونها تجري

وقد قيل : إن هذا الشر لغيره من الخوارج .

بعض ما اتفق عليه الخوارج وما اختلفوا فيه : ولأصناف من الخوارج أخبار حسان من الأزارقة والأباضية وغيرهما ؛ وقد أتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان » ، والأوسط ، وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الأصول : من إكفارهم عثمان وعليًا ، والخروج على الإمام الجائر ، وتكفير مرتكب الكبائر ، والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري وعمرو بن العاص السهمي ، وحكمها ، والبراءة ممن صوّب حكمها أو رضي به ، وإكفار معاوية وناصره ومقلّديه بحبه ، فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشرارة والخروية ، ثم اختلفوا بعد ذلك في مواضع من العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد ، والإمامة ، وغير ذلك من آرائهم ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين 'عرّوة بن أدية التميمي وقيل : إن أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربي وقيل : إن أول من حكم رجل من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بني يشكر ، وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع علي ، فإنه في ذلك اليوم قال : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله ، وخرج عن الصف ، فحمل على أصحاب علي فقتل منهم رجلا ، ثم حمل على أصحاب معاوية فتحاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم ، وكر على أصحاب علي فقتله رجل من همدان .

ذكر بعض الخوارج : وقد أتى الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني وأبو البختري القاضي وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أوردوه من كتبهم ، وذكر أصحاب المقالات في الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم عند تباينهم في فروعهم ، وما اجتمعوا عليه من أصولهم ، وقد أتينا على أكثر ما تنازعوا فيه من مذاهبهم في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » ، وذكرنا

من خرج منهم من وقت التحكيم في عصرٍ عصرٍ إلى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بني حنذان ، وذلك في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، وهو المعروف بعرون ، وخرج ببلاد كفر توتي ، وورد إلى نصيبين ، فكانت له مع أهلها حرب أمر فيها وقتل منهم خلق عظيم ، والمعروف بأبي شعيب ، خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة ، وقد كان أدخل على المقتدر بالله ، وقد كان بعد العشرين وثلثمائة للأباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وإمام نصبوه فقتل وقتل من كان معه .

**الحجاج وشيب الخارجي :** سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شيب الخارجي ، وولّى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب ، فدخل الكوفة وتحصن في دار الإمارة ، ودخل شيب وأمه وزوجته غزاة الكوفة عند الصباح ، وقد كانت غزاة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيها صورة البقرة وآل عمران ، فأتوا الجامع في سبعين رجلاً ، فصلوا به الغداة ، وخرجت غزاة مما كانت أوجبت على نفسها .

فقال الناس بالكوفة في تلك السنة :

وقت الغزاة نذرَها يا رب لا تغفر لها

وكانت الغزاة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكذلك أم شيب وقد كان عبد الملك - حين بلغه خبر هرب الحجاج ، وتحصنه في دار الإمارة بالكوفة من شيب - بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شيب ، فقدم على الحجاج بالكوفة ، فخرجوا إلى شيب فحاربوه فانهزم شيب وقتلت الغزاة وأمه ، ومضى شيب في فوارس من أصحابه ، وأتبعه سفيان في أهل الشام ، فلحقه بالأهواز ، فولى شيب ، فلما وصل إلى

جسر<sup>(١)</sup> دجيل نفرّ به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومنفرّ ، فألقاه في الماء ، فقال له بعض اصحابه : أغرقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دجيل ميتاً بشطه ، فحمل على البريد الى الحجاج ، فأمر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها ، فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة ، فشق فأصيب علة الدم في داخله .

ابن القرية : وفي سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث ، وانشائه الكتب له ، ووضع الصدور والخطب ، وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف ، وقد أتينا على خبر مقتله ، وما كان من كلامه مع الحجاج ، وقد كان قتله صبراً ، في الكتاب الأوسط ، وأن قتله اياه كان بالسيف ، وقيل : بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة في محره فأتى عليه .

وابن القرية القائل : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فأما العاقل فان الدين شريعته ، والحلم طبيعته<sup>(٢)</sup> ، والرأي الحسن سجيته ، إن نطق أصاب ، وإن كلم أجاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن سمع الفقه روى ، وأما الأحمق فان تكلم عجل ، وإن حدث ذهل ، وإن حمل على القبيح حمل ، وأما الفاجر فإن استأمنته خانك ، وإن صاحبتك شانك ، وإن استكتم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يصدق ، وإن فقه لم يفقه .

ليلي الاخوية والحجاج : وذكر المدائني ان الحجاج لم يكن يظهر لندمائيه منه بشاشة ولا سماحة في الخلق الا في يوم دخلت عليه ليلي الأخيلية فقال لها : لقد بلغني أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه ، فوالله ما وفيت له ، ولو كان هو بمكاذك وأنت بمكانه ما عدل عنك ، قالت : أصلح

(١) في نسخة : « فلما صار على جسر دجيل نفر منه فرسه » .

(٢) في نسخة : « والحكمة طبيعته » .

الله الأمير ابي عذر ، قال : وما هو ؟ قالت : اني سمعته وهو يقول :  
ولو ان ليلي الأخيلية سلّمت عليّ وفوقي جندل وصفائح  
لسلّمت تسليم البساشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معي نسوة قد سمعن قوله ، فكرهت أن اكذب به ، فاستحسن  
الحجاج قولها وقضى حوائجها ، وانبسط في محادثتها ، فلم تُرَ منه بشاشة  
وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم .

وذكر حماد الراوية غير هذا الوجه ، وهو ان زوج ليلي حلف عليها -  
وقد اجتازوا بقبر توبة ليلاً - ان تنزل وتأتي قبره وتسلم عليه ~~وتكذب~~ ،  
حيث يقول ، وذكر البيتين المتقدمين ، قال : وأبت أن تفعل ، فاقسم عليها  
زوجها ، فنزلت حتى جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كفر السحاب ،  
فقالت : السلام عليك يا توبة ، فلم تستم النداء<sup>(١)</sup> حتى انفرج القبر عن  
طائر كالحمامة البيضاء ، فضربت صدرها فوقع ميتة ، فأخذوا في جهازها  
وكفنها ، ودفنت الى جانب قبره .

بعض عادات العرب ، وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير - على حسب ما  
قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آرائهم ومذاهبهم في الهام والصدى  
والصنفر - وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة ، وتجعل  
عليه برذعة او حشية يسمونها البلية ، وقد ضربوا بذلك أمثالهم ، وذكره  
خطبائهم في خطبهم ، فقالوا : البلايا على الولايا ، وقد كان بعضهم يتطير  
بالسانح ، ويتيامن بالبارح ، وبعضهم يضاد هذا ، فيتطير بالبارح ، ويتيامن  
بالسانح ، فأهل نجد يتيامنون بالسانح ، وأهل التهائم بالضد من ذلك ، على  
حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعي فيما سلف من هذا الكتاب .

(١) في نسخة : « فلم تستم السلام » .

خطبة لعلي بن ابي طالب يعاتب اصحابه : حدثنا المنقري ، قال : حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي ، قال : حدثنا فضيل بن مرزوق ، قال : لما غلب بسر بن ارطاة على اليمن ، وكان من قبله لابني عبيدالله بن عباس - وكان لأهل مكة والمدينة واليمن - ما كان ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطيباً فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ان بسر بن ارطاة قد غلب على اليمن ، والله ما أرى هؤلاء القوم الا سينغلبون على ما في أيديكم ، وما ذلك بحق في أيديهم ، ولكن بطاعتهم واستقامتهم لصاحبهم ، ومعصيتكم لي ، وتناصرهم وتحاذلكم ، واصلاح بلادهم وافساد بلادكم ، وتالله يا أهل الكوفة لوددت اني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ، ثم رفع يديه فقال : اللهم اني قد مللتهم وملوني ، وسئمتهم وسئمتوني ، فابدلني بهم خيراً منهم ، وابدلهم بي شراً مني ، اللهم عجل عليهم بالانعام الثقي الذيال الميال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنا ، ولا يتجاوز عن مسيئها ، قال : وما كان ولد الحجاج يومئذ .

الحجاج يسأل عن النعمة : حدثنا الجوهري ، عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي ، عن محمد بن يزيد ، عن سفيان بن حسين ، قال : سأل الحجاج الجوهري : ما النعمة ؟ قال : الامن ، فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الصحة ، فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الشباب ، فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : الغنى ، فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش ، قال : زدني ، قال : لا اجد مزيداً .

خطبة للحجاج وقد أرجف الناس بموته : حدثنا الجوهري ، عن مسلم بن ابراهيم ابي عمرو الفراهيدي ، عن الصلت بن دينار ، قال : مرض الحجاج

فأرجف به أهل الكوفة ، فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال : ان اهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا: مات الحجاج ، ومات الحجاج فمَهْ؟ والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت ، وما رضي الله الخلود لأحد من خلقه في الدنيا الا لأهونهم عليه ، وهو ابليس ، والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود : رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، فكان ذلك ، ثم اضمحل فكان لم يكن ، يا ايها الرجل ، وكلّم ذلك الرجل ، كأني بكل حي ميتاً ، وبكل رطب يابساً ، وقد نقل كل امرئ بشباب ظهره إلى حفرتة ، فخذ له في الأرض ثلاث أذرع لمولاً في ذراعين عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصّت<sup>(١)</sup> من صديده ودمه ، وانقلب الحبيبان يفتسم أحدهما صاحبه : حبيبه من ولده يفتسم حبيبه من ماله ، أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول ، والسلام .

**خطبة للحجاج يهدد ويتوعد :** حدثنا المنقري ، عن مسلم بن إبراهيم أبي عمرو الفراهيدي ، عن الصلت بن دينار قال : سمعت الحجاج يقول : قال الله تعالى : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) فهذه لله ، وفيها مثنوية ، وقال : ( واسمعوا وأطيعوا ) وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك ، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالاً ، عذيري من أهل هذه الحمراء ، يُلقي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول : إلى أن يبلغها يكون فرج الله ، لأجعلنهم كالرسم الدائر وكالأمس الغابر ، عذيري من عبد هذيل ، يقرأ القرآن كأنه رَجَزُ الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه ، يعني عبدالله بن مسعود ، عذيري من سليمان بن داود ، يقول لربه : ( رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ) كان والله فيما علمت عبداً حسوداً بخيلاً .

(١) في نسخة : « وحمّت من صديده ودمه » .



الحجاج وعبد الله بن هانيء : وحدثنا المنقري ، عن عبيد بن أبي السري ، عن عماد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن بن السائب ، قال : قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانيء وهو رجل من أودحي من اليمن ، وكان شريفاً في قومه ، وقد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها ، وشهد معه تحريق البيت ، وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأناك بعد ، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانيء ابنتك ، فقال : لا والله ، ولا كرامة ، فدعا له بالسياط ، فقال : أنا أزوجه ، فزوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج عبد الله بن هانيء ابنتك ، قال : ومن أود ؟ والله لا أزوجه ولا كرامة ، قال : هاتوا السيف ، قال : دعني حتى أشاور أهلي ، فشاورهم ، فقالوا : زوجة لا يقتلك هذا الفاسق ، فزوجه ، فقال له الحجاج : يا عبد الله ، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان ، وما أود هنالك ، فقال : لا تقل أصلح الله الأمير ذلك ، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب ، قال : وما هذه المناقب ؟ قال ما سُبَّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط ، قال : هذه والله منقبة ، قال : وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد ، وكان والله ما علمته امرأة سوء ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا قتولاه ، قال : وهذه والله منقبة ، قال وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ، ففعلت ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما منا رجل عرض عليه<sup>(١)</sup> شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل ، وقال : وأزيدتم ابنيه الحسن والحسين وأمه فاطمة ، قال : وهذه والله منقبة ، قال : وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحة ما لنا ،

(١) في نسخة : « وما منا رجل علم من أبيه » .

وضحك ، وكان دميماً شديداً الأدمة مجدوراً في رأسه أعجز مائل الشدق  
أحوال قبيح الوجه وحش المنظر .

الحجاج والشهبي : حدثنا المنقري ، عن جعفر بن عمرو الحرصي ، عن  
مجدي بن رجاء ، قال : سمعت عمران بن مسلم بن أبي بكر الهذلي يقول :  
سمعت الشعبي يقول : أتى بي الحجاج موثقاً ، فلما دخلت عليه استقبلني يزيد  
ابن مسلم فقال : إنا لله يا شعبي ، على ما بين دفتيك من العلم ، وليس  
بيوم شفاعة ، بؤ للأمير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منه ،  
فلما دخلت عليه استقبلني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد ، فلما  
مثلت بين يدي الحجاج قال : وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر ؟ قلت :  
نعم أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المبرك (١) ، واجذب بنا الجناب وضاق  
المسلك ، واكتحلنا السهاد ، واستحللنا الخوف ، ووقعنا في فتنة (٢) لم نكن  
فيها بريرة أتقيا ولا فجرة اقويا ، قال : صدق ، والله ما بروا بخروجهم  
علينا ، ولا قروا اذ فجروا ، اطلقوا عنه ، قال الشعبي : ثم احتاج الى  
فريضة ، فقال : ما تقول في أخت وأم وجد ؟ قلت : اختلف فيها خمسة من  
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبدالله ، وزيد ، وعلي ، وعثمان ،  
وابن عباس ، قال : فماذا قال فيها ابن عباس فلقد كان متقياً ؟ قلت : جعل  
الجد أباً ، وأعطى الأم الثلث ، ولم يعط الاخت شيئاً ، قال : فماذا قال فيها  
عبدالله ؟ قلت : جعلها من ستة ؛ فأعطى الاخت النصف ، وأعطى الأم  
السدس ، وأعطى الجد الثلث ، قال : فما قال فيها زيد ؟ قلت : جعلها من  
تسعة ؛ فأعطى الام ثلاثة ، وأعطى الاخت سهمين ، وأعطى الجد اربعة ،  
قال : فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ قلت : جعلها أثلاثاً ، قال : فما  
قال فيها أبو تراب ؟ قلت : جعلها من ستة ، أعطى الاخت النصف ، وأعطى

(١) في نسخة : أحزن بنا المنزل .

(٢) في نسخة : ووقعنا في خزية .

الام الثلث ، وأعطى الجد السدس ، قال : فضرب بيده على أنفه ، وقال : انه المرء لا يرغب عن قوله ثم قال للقاضي : أمرها على مذهب امير المؤمنين عثمان .

الحجاج يريد الحج : حدثنا المنقري ، عن أبي عبد الرحمن العتبي ، عن أبيه قال : أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال : يا أهل العراق ، اني قد استعملت عليكم محمداً وبه الرغبة عنكم ، اما انكم لا تستأهلونه ، وقد أوصيته فيكم بخلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار ، فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، أما اني اذا وليت عنكم اعلم انكم تقولون : لا احسن الله له الصحابة ، وما منعكم من تعجيله الا الفراق ، وأنا اعجل لكم الجواب ، لا أحسن الله عليكم الخلافة ، ثم نزل .

عبيد بن ابي الخارق يتولى عملا ويطلب المشورة : حدثنا العتبي ، عن عبد الغني بن محمد بن جعفر ، عن الهيثم بن عدي ، عن أبي عبد الرحمن الكناني ، عن ابن عباس الهمداني ، عن عبيد بن أبي الخارق ، قال : استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت : أمهنا دِهقان يستعان برأيه ؟ فقالوا : جميل بن صهيب ، فأرسلت اليه ، فجاءني شيخ كبير قد سقطت حاجباه على عينيه ، فقال : أزعجتني وأنا شيخ كبير ، قلت : أردت 'يمنك' ، وبركتك ، ومشورتك ، فأمر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير ، وقال : ما حاجتك ؟ قلت : استعماني الحجاج على الفلوجة وهو بما لا يؤمن شره ، فأثير علي ، قال : أيما أحب اليك : رضا الحجاج ، أو رضا بيت المال ، أو رضا نفسك ؟ قلت : أحب أن أرضي كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد ، قال : فاحفظ عني اربع خلال : افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك ، وهو أجدر أن يخافك عمالك ، وأطيل الجلوس لأهل عملك ، فانه كلما أطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ، ولا يختلف حكمك بين الناس ،

وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء ، ولا يطمع فيك أحد من أهل  
عملك ؛ ولا تقبل من أهل عملك هدية ، فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا  
بأضعافها ، مع ما في ذلك من المقالة القبيحة ، ثم اسلخ ما بين أقيمتهم الى  
عجوب أذناهم ، فيرضوا عنك ، ولا يكون للحجاج عليك سبيل .

حدث المنقري ، عن يوسف بن موسى القطان ، عن جرير ، عن المغيرة ،  
عن الربيع بن خالد ، قال : سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول :  
أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته ؟ فقلت : لله عليّ أن  
لا أصلي خلفك صلاة ابدأ ، ولئن رأيت قوماً يجاهدونك لأقاتلنك معهم ،  
فقاتل في دير الجماجم حتى قتل .

الغضبان بن القبعثري : حدث المنقري ، عن العتيبي ، عن أبيه ، أن  
الحجاج وجه الغضبان بن القبعثري الى بلاد كرمان ليأتيه بنخبر ابن الأشعث  
عند خلمه ، ففصل من عنده ، فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل ،  
فاذا هو بأعرابي قد أقبل عليه فقال : السلام عليك ، فقال الغضبان : كلمة  
مقولة ، قال له الأعرابي : من أين جئت ؟ قال : من ورائي ، قال : وأين  
تريد ؟ قال : أمامي ، قال : وعلام جئت ؟ قال : على فرسي ، قال : وفيم  
جئت ؟ قال : في ثيابي ، قال : أتأذن لي أن أدنو اليك<sup>(١)</sup> قال : وراءك  
أوسع لك ، قال : والله ما أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لا تعرض  
بها فوالله لا تذوقها ، قال : أوليس عندك إلا ما أرى ؟ قال : بل هراوة  
من أرزن أضرب بها رأسك ، قال : إن الرمضاء قد أحرقت قدمي ، قال :  
بل عليها يبردان ، قال : فكيف ترى فرسي هذا ؟ قال : أراه خيراً من  
آخر شر منه وأرى آخر أفره منه ، قال : قد علمت هذا ، قال : لو  
علمته ما سألتني عنه فتركه الأعرابي وولى ، ثم دخل على عبد الرحمن بن  
الأشعث فقال : ما وراءك يا غضبان ؟ قال : الشر ، تغدّ بالحجاج قبل أن

يتعشى بك ، ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ، ودخل مع ابن الأشعث في أمره ، فلم يلبث إلا قليلاً ثم أسر<sup>(١)</sup> ابن الأشعث ، فأخذ الغضبان فيمن أسر<sup>(٢)</sup> ، فلما أدخل على الحجاج قال : يا غضبان ، كيف رأيت بلاد كرمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، بلاد ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، والخليل بها ضعاف ، وإن كثر الجند بها جاعوا ، وإن قلوا ضاعوا ، قال : ألت صاحب الكلمة الحبيثة ، تفد<sup>(٣)</sup> بالحجاج قبل أن يتعشى بك ، قال : أصلح الله الأمير ! ما نفعت من قبلت له ، ولا ضرت من قبلت فيه ، قال : لأقطعن<sup>(٤)</sup> يديك ورجليك من خلاف ثم لأصلبنيك ، قال : لا أرى الأمير أصلحه الله يفعل ذلك ، فأمر به فقيّد وألقي في السجن ، فأقام به حتى بنى الحجاج خضراء<sup>(٥)</sup> واسط ، فلما استتم بناءها جلس في صحنها ، وقال : كيف ترون قبتي هذه ؟ قالوا : ما بني لخلق قبلك مثلها ، قال : فإن فيها مع ذلك عيباً فهل فيكم مخبري به ؟ قالوا : والله لا نرى بها عيباً ، فأمر بإحضار الغضبان ، فأتى به يرأس في قيوده ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : أراك يا غضبان سميناً ، قال : أيها الأمير القيد والرتعة ، ومن يكن ضيف الأمير يسمن ، قال : فكيف ترى قبتي هذه ؟ قال : أرى قبة ما بني لأحد مثلها إلا أن بها عيباً ، فإن أمني الأمير أخبرته به ، قال : قل آمناً ، قال : بنيت في غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم ، فما لما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة ، قال : رُدُّوه فإنه صاحب الكلمة الحبيثة ، قال : أصلح الله الأمير ! إن الحديد قد أكل لحمي وبري عظمي ، فقال : احموه ، فلما استقل<sup>(٦)</sup> به الرجال قال : ( سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ) قال : أنزلوه ، فلما استوى على الأرض قال : ( اللهم أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ) قال : جرُّوه ، فلما جرُّوه قال :

(١) في نسخة : حتى أثار ابن الأشعث .

(٢) » » : بنى الحجاج قصر واسط فلما استتم بناءه جلس في صحنه .

( بسم الله مجربها ومرساها ، إن ربي لغفور رحيم ) قال : أطلقوا عنه

حدث المنقري ، عن عبد الله بن<sup>(١)</sup> محمد بن حفص التميمي ، عن الحسين ابن عيسى الحنفي ، قال : لما هلك بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق ، فقام الفضبان بن القَبَعَثَرِي الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل العراق ، ويا أهل الكوفة ، إن عبد الملك قد ولى عليكم مَنْ لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئتكم ، الظلوم الفشوم ، الحجاج ، ألا وإن لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مُصنَّب وقتله ، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه ، فإن ذلك لا يعدُّ منكم خلعاً ، فإنه متى<sup>(٢)</sup> يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ، ثم قتلتموه عُداً خلعاً ، فأطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم ، فقال له أهل الكوفة : جبت يا غضبان ، بل ننتظر سيرته ، فإن رأينا منكراً غيرناه ، قال : ستعلمون .

فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته ، فأمر به فحبس ، فأقام في حبه ثلاث سنين ، حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث إليه بثلاثين جارية : عشراً من النجائب ، وعشرأً من قعد النكاح ، وعشرأً من ذوات الأحلام ، فلما نظر إلى الكتاب لم يدر ما وصفه له من الجوارى ، فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه ، فقال له بعضهم : أصلح الله الأمير ! ينبغي أن يعرف هذا مَنْ كان في أوليته بدوياً فله معرفة أهل البدو ، ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ، ثم شرب الشراب فله بَدَاءُ أهل الشراب ، قال : وأين هذا ؟ قيل : في حبسك ، قال : ومن هو ؟ قيل : الفضبان الشيباني ، فأحضر ، فلما مثل بين يديه قال : أنت القائل لأهل الكوفة يتغدون بي قبل أن أتعشى بهم ، قال : أصلح الله الأمير ! ما نفعت من قالها ، ولا ضرت من

(١) في نسخة : الحسن بن عيسى الحنفي . (٢) في نسخة : فانه متى يظلمكم - الخ ...

قيلت فيه ، قال : إن أمير المؤمنين كتب إلي كتاباً لم أدر ما فيه ، فهل عندك شيء<sup>(١)</sup> منه ؟ قال : يقرأ علي ، فقرأ عليه ، فقال : هذا بين ، قال : وما هو ؟ قال : أما النجبية من النساء فالتى عظمت هامتها ، وطال عنقها ، وبعد ما بين منكبيها وثديها ، واتسعت راحتها وثخننت ركبتيها<sup>(٢)</sup> فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كالليث العادي وأما قعد النكاح فهن ذوات الأعجاز ، منكسرات الثديي ، كثيرات اللحم ، يقرب بعضهن من بعض ، فأولئك يشفين القرم ، ويروين الظمان ، وأما ذوات الأحلام فبنات خمس وثلاثين إلى الأربعين ، فتلك التى تبسه كما يبس الحالب الناقة<sup>(٣)</sup> فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق ؛ قال الحجاج : أخبرني بشر النساء ، قال : أصلح الله الأمير ! شهرن الصغيرة الرقبة ، الحديدة الركبة ، السريعة الوثبة ، الواسطة في نساء الحي ، التى إذا غضبت غضب لها مائة ، وإذا سمعت كلمة قالت : لا والله لا أنتهي حتى أقرها قرارها ، التى فى بطنها جارية ، ويتبعها جارية ، وفى حجرها جارية ، قال الحجاج : على هذه لعنة الله ! ثم قال : ويحك ! فأخبرني بخير النساء ، قال : خيرهن القريبة القادمة من السماء ، الكثيرة الأخذ من الأرض ، الودود الولود ، التى فى بطنها غلام ، وفى حجرها غلام ، ويتبعها غلام ؛ قال : ويحك ! فأخبرني بشر الرجال ، قال : شرهم السبوط الربوط ، الممود فى حرم الحي ، الذى إذا سقط لإحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرج ، فهن يجزيه الخير أو يقلن : عافى الله فلاناً ، قال : على هذا لعنة الله ! فأخبرني بخير الرجال ، قال خيرهم الذى يقول فيه السماخ التغلي :

فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة      ولا فى بيوت الحي بالمتولج  
فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه      ويضرب فى رأس الكمي المدجج

(٣) فى نسخة : فتلك التى يستن كما يستن الحالب الناقة .

(١) فى نسخة : فهل عندك فيه شيء .  
(٢) فى نسخة : وتمت ركبتيها .

فقال له : حسبك ، كم حبسنا عطاءك ؟ قال : ثلاث سنين ، فأمر له بها وتخلّى سبيله .

**وصف البصرة والكوفة :** حدث المنقري عن محمد بن أبي السري ، عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبي عبد الله النخعي ، قال : لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك ومعه أشرف أهل المصريين فأدخلهم عليه ، فبينما هم عنده يوماً اذ تذاكروا البلدان ، فقال محمد بن عمير بن عطار : أصلح الله الأمير ! ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها ، وسفلت عن الشام ووبائها وبردها ، وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطيب ثمرها ؛ وقال خالد بن صفوان الاهتمي : أصلح الله الأمير ! نحن أوسع منهم برية ، وأسرع منهم في السرية ، وأكثر منهم قنذاً وعاجاً وناجاً<sup>(١)</sup> ، ماؤنا صفو ، وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق ، فقال الحجاج : أصلح الله أمير المؤمنين ! اني بالبلدين خير ، وقد وطئتها جميعاً ، فقال له : قل فانت عندنا مصدق ، فقال : اما البصرة فعجوز شطاء دفراء بجراء أوتيت من كل حلي وزينة ، وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة ، لا حلي لها ولا زينة ؛ فقال عبد الملك : فضلت الكوفة على البصرة .

**الحجاج يصف الدنيا :** حدث المنقري عن عمرو بن الحباب الباهلي ، عن اسماعيل بن خالد ، قال : سمعت الشعبي يقول : سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه احد ، سمعته يقول : أما بعد فإن الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يفرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة ، فطول الامل يقصر الأجل .

**رسول المهلب الى الحجاج :** حدث المنقري عن سهل بن تمام بن بزيع<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة : قنذا وهاجا وبأسا . (٢) في نسخة : سهل بن تمام بن بديع .



عن عباد بن جبیب بن المهلب بن عین ابیه قال : لما قتل المهلب عبد ربه بن الصعتر بكرمان قال : ائتوني برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤوس من قتلنا ، فدلوه على بشر بن مالك الجرشي ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك الجرشي ، قال : كيف تركت المهلب ؟ قال : تركته صالحاً قال ما رجا وأمن ما خاف ، قال : فكيف فاتكم قطري ؟ قال : كادنا من حيث كدناه ، قال : أفلا طلبتموه ؟ قال : كان فلأ ، وكان الجد علينا أم من الفل<sup>(١)</sup> ، قال : أصبتم ، فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : كانوا اعداء البيات حتى يأمنوا ، وأصحاب السرج حتى يردوا ، قال : اجل ، فأبهم أفضل ؟ قال : ذاك الى أبهم أبهم شاء ان يستكفيه أمراً كفاه ، قال : اني ارى لك عقلاً فقل ، قال : هم كالحلقة المستوية<sup>(٢)</sup> لا يدري أين طرفها ، قال : اين هم من أبهم ؟ قال : فضله عليهم كفضلهم على سائر الناس ، قال : كيف كانت الجند ؟ قال : ارضاهم الحق ، وأشبعهم الفضل ، وكانوا مع وال يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك ، فله منهم برّ الاولاد ، ولهم منه شفقة الوالد ، قال : هل كنت هيأت ما أرى ؟ قال : لا يعلم الغيب الا الله ، قال : فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال : هذا الكلام المطبوع<sup>(٣)</sup> لا الكلام المصنوع .

الحجاج وجرير بن الخطفي : وأخذ الحجاج بن جرير بن الخطفي ، فأراد قتله ، فمشى اليه قومه من مضر فقالوا : اصلح الله الامير ! لسان مضر وشاعرها ، هبّ لنا ، فوهبه لهم .

وكانت هند بنت أسماء زوج الحجاج بمن طالب به ، فقالت للحجاج : أتأذن لجرير عليّ يوماً استنشده من وراء حجاب ؟ فقال لها : نعم ، فأمرت بمجلس لها فبهى فجلست فيه والحجاج معها ، ثم بعثت الى جرير ، فدخل

(١) في نسخة : قال كان الحسد أم علينا من القتل . (٣) في نسخة : هذا للكلام الخلق .

(٢) » » : هم كالحلقة المفرغة .

الجزء الثالث : ذكر طرف من أخبار الحجاج ، وخطبه ..... ١٥٣

عليها يسمع كلامها ولا يراها ، فقالت : يا ابن الخطفي ، انشدني ما شئت  
به في النساء ، فقال لها : ما شئت بامرأة قط ، ولا خلق الله شيئاً هو  
أبغض الي من النساء ، قالت : يا عدو الله ، وأين قولك :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام  
تجري السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من متون غمام (١)  
لو كنت صادقة بما حدثتنا لوصلت ذلك فكان غير لمام (٢)  
سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام

قال : ما قلت هذا ، ولكني أنا الذي أقول :

لقد جرّد الحجاج للحق سيفه ألا فاستقيموا لا يملن مائل  
وما يستوي داعي الضلالة والهدى ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت : دع عنك هذا ، فأين قولك :

خليلي لا تستفزرا الدمع في هند أعيدكما بالله أن تجيدا وجدي (٣)  
ظمئت إلى شرب الشراب وحسنه كذي فرية يرجو هداها وما يجدي (٤)

قال لها : ما قلت هذا ، ولكني أنا الذي أقول :

ومن يأمن الحجاج ؟ أما عقابه فمر ، وأما عقده فوثيق  
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي بر عليك شفيق

قالت : دع عنك هذا ، فأين قولك :

يا عاذلي دعا الملام وأقصرا طال الهوى وأطلت التفنيد  
إني وجدت ، ولو أردت زيادة في الحب عندي ما وجدت مزيدا

(١) البرد - بفتح الباء والراء - حب (٣) في نسخة : من هند . ولا تستفزرا : أي لا  
الغمام ، يشبهون به الأسنان .  
تحداه غزيرا ، أي كثيراً .  
(٢) في نسخة : وكان غير لمام .  
(٤) في نسخة : كذي منية يرجو جدها وما يجدي .

فقال : باطل أصلحك الله ، ولكني أنا الذي أقول :

من سدّ مطّلع النفاق عليهم أم من يصول كصوله الحجاج ؟  
 أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيره الأزواج !  
 هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا برح الحفاء وليس حيث يفاجي (١)  
 فربّ ناكث بيعتين تركته وخضاب لحينه دم الأوداج

فقال الحجاج : يا عدو الله ، تحرض عليّ النساء ؟ فقال : لا والذي أكرمك  
 أيها الأمير ، ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتى هذه ، وما علمت بمكانك ،  
 فأفلني جعلني الله فداك ، قال : قد فعلت ، فأمرت له هند بيجارية ركوة ،  
 وأوفده الحجاج على عبد الملك .

بين الحجاج وأعشى همدان : ولما انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف  
 الحجاج أن لا يؤتى بأسير الا ضرب عنقه ، فأتي بأسرى كثيرة ، وكان  
 أول من أتى به أعشى همدان الشاعر ، وهو أول من خلع عبد الملك  
 والحجاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان ، فقال له الحجاج : إيه أنت  
 القائل :

من مبلغ الحجاج اني قد جنيت عليه حربا  
 وصفقت في كف امرئ جلد إذا ما الأمر عبي (٢)  
 أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا  
 فابعت عطية بالخيول يكبهن عليه كبا  
 وانهمض هديت لعله يجلو بك الرحمن كروبا  
 نبئت أن بُني يو سف خرا من زائق فتبا

(١) كذا في بعض النسخ ، وهو تخليط في الرواية وتحريف في الكلام ، وصوابه :

هذا ابن يوسف فافهموا وتيقنوا ماضي البصيرة واضح المنهاج

فاستوثقوا وتبينوا سبل الهدى ودعوا النجى فليس حين تناج

(٢) في نسخة : ورضمت في كف امرئ .

وهي أبيات ، وأنت القائل :

شطت نوى من داره الإيوان<sup>١</sup> إيوان كسرى ذي القرى والريحان  
من عاشق أمسى يزابلستان إن ثقيفاً منهم الكذّابان<sup>٢</sup>  
كذّابها الماضي وكذاب ثان أمكن ربي من ثقيف همدان<sup>٣</sup>  
يوماً من الليل يسلي ما كان

وانت القائل :

وسألتني الجهد أن محله فالجهد بين محمد وسعيد<sup>٤</sup>  
بين الأشج<sup>٥</sup> وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللولود  
قال : لا ، ولبني الذي أقول :

أبى الله إلا أن يتم نوره ويُطفىء نور الفقمتين فيخمدنا  
وينزل ذلاً بالعراق وأهله بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا  
وما أحدثوا من بدعة وضلالة من القول لم يصعد إلى الله مصعدا

قال : لسنا نحمدك على هذا القول ، إنما قلته تأسفاً على أن لا تكون  
ظفرت وظهرت ، وتحريضاً لأصحابك علينا ، وليس عن هذا سألتك ،  
اخبرني عن قولك :

أمكن ربي من ثقيف همدان يوماً من الليل يسلي ما كان  
فكيف ترى الله أمكن ثقيفاً من همدان ، ولم يمكن همدان من ثقيف ؟  
وعن قولك :

بين الأشج<sup>٦</sup> وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللولود

والله لا تبخبع لأخذ بعدها ، وأمر به فضربت عنقه .

ولم يزل يؤتى برجل رجل حق أتى برجل من بني عامر ، وكان من فرسان  
الجماجم مع ابن الأشعث ، فقال له : والله لأقتلنك شر قتلة ، قال : والله ما

(١) في نسخة : وسألتني الجهد .

ذلك لك ، قال : ولم ؟ قال : لأن الله يقول في كتابه العزيز : ( فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ) وأنت قد قتلت فأثخنت ، وأسرت فأوثقت ، فإما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرتنا ، فقال له الحجاج : أكفرت ؟ قال : نعم ، وغيّرتُ وبدلتُ ، قال : خلوا سبيله .

ثم أتني برجل من ثقيف فقال له الحجاج : أكفرت ؟ قال : نعم ، قال له الحجاج : لكن هذا الذي خلفك لم يكفر ، وخلفه رجل من الشكون ، فقال السكوني : أعن نفسي تخادعني ؟ بلى والله ولو كان شيء أشد من الكفر لبؤت به ، فخلتني سبيلها .

فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج ، وقد أتينا على مبسوط هذه الأخبار مما لم نورد في هذا الكتاب في كتابينا «أخبار الزمان» و«الأوسط» ، التالي له الذي كتابنا هذا تاليه ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعاً ، على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب ، وبالله العون والقوة .

## ذكر

### أيام الوليد بن عبد الملك

موجز : وبويع الوليد بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك ، وتوفي الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ؛ فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين ، وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة (١) ، وكان يكنى بأبي العباس .

( ١ ) في نسخة « وهلك وهو ابن أربع وأربعين سنة » .

## ذكر

### لمع من أخباره ، وسيره

وما كان من الحجاج في أيامه

خلق الوليد وولده : كان الوليد جباراً عنيداً ، ظلوماً غشوماً ، وخلف من الولد أربعة عشر ذكراً منهم يزيد ، وعمرو ، وبشر العالم ، والعباس ، وكان يدعى فارس بن مروان لشهامته ، فعدل الوليد بالأمر عن ولده بعده اتباعاً لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها ، وكان نقش خاتمه يا وليد إنك ميت ، فكان كلما هم أن يجعل الأمر لولده قلب الفص وقرأ « إنك ميت » فيقول : لاها الله ، لا خالفت ما أمرني به أبي ، إني لمبت .

بناء مسجد دمشق والمدينة : وفي سنة سبع<sup>(١)</sup> وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ، وبناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فأنفق عليها الأموال الجلية ، وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال : لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدرُوا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبّه ، فقال : هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليها السلام ، فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن آدم ، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقي من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وإنما تلقى ندمك ، إذا زلّت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد فاغتم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل

( ١ ) في نسخة « تسع وثمانين »

الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكَظْم ، ويحال بينك وبين العمل ؛ وكتب  
زَمَنَ سَليمان بن داود ؛ فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط  
المسجد : ربنا الله ، لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد ، وهدم الكنيسة  
التي كانت فيه عبدُ الله الوليدُ أميرُ المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ،  
وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا ، وهو سنة  
اثنيتين وثلاثين وثلثمائة .

بين الوليد والحجاج : ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد ، فوجده في  
بعض نَزَمِه ، فاستقبله ، فلما رآه ترجلَ له ، وقبّلَ يده ، وجعل يمشي  
وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد ،  
فقال : دعني يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد ؛ فإن ابن الزبير وابن الأشعث  
شغلاني عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد داره ، وتفضل  
في غلالة ، ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده ،  
فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارتِ الوليدَ ومضت ، ثم عادت فسارته  
ثم انصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدري ما قالت هذه يا أبا محمد ؟ قال :  
لا والله ، قال : بعثتها اليّ ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما  
مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة ؟ فأرسلت اليها  
إنه الحجاج ، فراعها ذلك ، وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل  
الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ؛ دَعُ عنك مفاكحة النساء بزخرف  
القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعن على سرّك ، ولا  
مكايدة عدوك ، ولا تطعنن في غير أنفسهن ، ولا تشغلن بأكثر من زينتهن ،  
وإياك ومشاورتهن في الأمور فإن رأين إلى أفنٍ ، وعزمهن إلى وهنٍ ،  
واكفف عليهن من أبصارهن بحُجُبِك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما  
يجاوز نفسها ، ولا تطعمها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تطل الجلوس معهن  
. الخلوّة بهن ، فإن ذلك أوفر لعملك وأبين لفضلك ، ثم نهض الحجاج فخرج .

بين الحجاج وأم البنين : ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : يا أمير المؤمنين أحبُّ أن تأمره غداً بالتسليم عليّ ، فقال : أفعل ، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ، سر إلى أم البنين فسلم عليها ، فقال : أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا بد من ذلك ، فمضى الحجاج إليها ، فعجبته طويلاً ، ثم أذنت له فأقرته قائماً ، ولم تأذن له في الجلوس ، ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتن<sup>(١)</sup> على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهونَ خلقه<sup>(٢)</sup> ما ابتلاك برمي الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين ، وأول مولود ولدني الإسلام ، وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم ، حتى لذتَ بأمر المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيقت من القرن ، فأظلتك رماحهم ، وأنجأك كفاحهم وطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبعنه في الأسواق في أرزاق البعوث اليك ، ولولا ذلك لكنت أذل من التثقيد ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فإن كنَّ ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقَّه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كنَّ ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مُصنِعٍ إلى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزاة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعمة فزعاء تفرع من صفير الصافر<sup>(٣)</sup>  
هلا برزتَ إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر  
ثم قالت لجواربها أخرجنه عني ، فدخل إلى الوليد من فوره ، فقال له :  
يا أبا محمد ما كنت فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان

(١) في نسخة : أنت المصير على أمير المؤمنين .

(٢) في « » : لولا أن الله علم أنك أهون خلقه .

(٣) كذا في نسخة ، والمحموظ في عجزه : فتخاه تنفر من صفير الصافر .



بطن الأرض أحب إلي من ظاهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجله ، ثم قال : يا أبا محمد ، إنها بنت عبد العزيز .

ولأم البنين هذه أخبار كثيرة في الجرد وغيره ، وقد أتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب .

موت علي بن الحسين السجاد : وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ملك الوليد ، ودفن بالمدينة في بقيع الفرقد مع عمه الحسن بن علي ، وهو ابن سبع وخمسين سنة ، ويقال : إنه قبض سنة أربع وتسعين ، وكل عقب<sup>(١)</sup> الحسين بن علي ابن الحسين هذا وهو السجاد علي ما ذكرنا ، وذو الثغفات وزين العابدين .

موت عبد الملك بن مروان : وذكر المدائني قال : دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته ، فجعل يبكي عليه وقال : كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبد الملك :

ومشتغل عنا يريد بنا الردى ومستعبهات والعيون سواجم<sup>(٢)</sup>  
أشار بالمصراع الأول إلى الوليد ، ثم حوّل وجهه عنه ، وأشار بالمصراع الثاني إلى نسائه ، وهن المستعبرات .

وذكر العتيبي وغيره من الأخباريين أن عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه أنشأ يقول :

كم عائد رجلا وليس يعودہ إلا لينظر هل يراه يموت  
وقيل : إن عبد الملك نظر إلى الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال :  
يا هذا ، احنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمروا تزراً ، والبس جلد نمر ، وضع  
سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ، ومن سكت

(١) في نسخة : وكان عقب الحسين .

(٢) « » : والعيون سواجم .

مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال : إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور ، ثم أقبل على جميع رلده فقال : أوصيكم بتقوى الله فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي احصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور ، والأخذ بحمى الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ، فيها هلك الملوك الماضون ، وذوو العزم المكين ، يا بني أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه ، ومجنكم الذي تستجنون به ، اصدروا عن رأيه ، واكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم هذا الأمر ، وكونوا أولادا ابراراً ، وفي الحروب احراراً ، وللمعروف مناراً ، وعليكم السلام .

وسأله بعض شيوخ بني أمية - وقد فرغ من وصية اولاده هذه - قال : كيف تجددك يا أمير المؤمنين : قال : كما قال الله عز وجل : ( ولقد جثمتونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم ) الى قوله ( وما كنتم تزعمون ) فكان هذا آخر كلام سمع منه .

فلما قضى سجنه الوليد ، ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : لم أر مثلها مصيبة ، ولا مثلها نعمة ، فقدت الخليفة ، وتقلدت الخلافة ، فإننا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله رب العالمين على النعمة ، ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ، ولم يختلف عليه أحد .

موت عبيد الله بن العباس : ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ؛ وذلك في سنة سبع وثمانين ، وكان جواداً كريماً ، وذكر أن سائلاً وقف عليه فقال له : تصدق مما رزقك الله ؛ فأبى نبث أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر اليه ، فقال : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال له : وأين أنت منه في الحسب أم في كثرة المال ؟ قال : فيهما

جيباً ، قال : إن الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله ، فإذا فطت ذلك كنت حسيباً ، فأعطاه ألفي درهم واعتذر اليه ، فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه ألفاً أيضاً ، فقال : لئن كنت عبيد الله إنك لأسمح أهل دهرك ، وما إخالك إلا من رهطٍ فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألك بالله أنت هو ؟ قال : نعم ، قال : والله ما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي ، وإلا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون إلا في نبي أو عترة نبي .

وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ، ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه أنه قسمها في سُمَّاره وإخوانه حصصاً بالسوية ، وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم ، فقال معاوية : إن ذلك ليسوءني ويسرني ، فأما الذي يسرني فإن عبد مناف والده ، وأما الذي يسوءني فقربته من أبي تراب دوني .

قال المسعودي : وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب ، وهما عبد الرحمن وقُتِّم ، وما رثتها به أمها أم حكيم جويرية بنت فارط<sup>(١)</sup> بن خالد الكنانية .

عبيد الله بن العباس وبسر بن أرطاة : وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوماً على معاوية وعنده قاتلها بئسر بن أرطاة العامري ، فقال له عبيد الله : أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين ؟ قال : نعم ، قال والله لو ددت : أن الأرض أنبتني عندك يومئذٍ ، فقال له بسر : فقد أنبتك الساعة ، فقال عبيد الله : ألا سيف ، فقال بسر : هاك سيفي ، فلما هوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله قبض معاوية ومن حضره على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف ، ثم أقبل

(١) في نسخة : « جويرية بنت قارط » .

معاوية على بسر فقال : أخزأك الله من شيخ ا قد كبرت وذهل عقلك ، تصد الى رجل موقور من بني هاشم فتدفع اليه سيفك ، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك ، قال عبيد الله : ذلك والله أردت .

وكان علي عليه السلام - حين أتاه خبر قتل بسر لابني عبيد الله 'قثم' وعبد الرحمن - دعا علي بسر ، فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فخرق الشيخ حتى ذهل عقله ، واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف من خشب ، وجعل بين يديه زق منقوخ يضربه ، وكلما تحرق أبدل ، فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف ، حتى مات ذاهل العقل يلعب بنحره (١) ، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول : انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله ؟ وكان ربما شدت يدها الى وراء منعا من ذلك ، فأنجى ذات يوم في مكانه ، ثم أهوى بفيه فتناول منه : فبادروا الى منعه ، فقال : أتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني ، ومات بسر في أيام الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين .

موت عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي : وفيها مات عبد الله بن عتبة ابن مسعود الهذلي ، وعتبة مهاجر ، وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، وكانت الرياسة في الجاهلية في صبح (٢) بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وكان عبيد الله ولد عبد الله بن عتبة من كبار أهل العلم ، وذكر ابن أبي خيثمة قال : سمعت ابن الأصبهاني يقول : قال سفيان : قال الزمهرري : كنت أظن أني نلت من العلم ، حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر .

(١) في نسخة « يلعب بنجره » .

(٢) « : صبيح .

مقتل سعيد بن جبير : وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير ، فذكر عون بن أبي راشد العبدي قال : لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له : ما اسمك ؟ قال : اسمي سعيد بن جبير ، قال : بل شقي بن كسير ، قال : أبي كان أعلم باسمي منك ، قال : لقد شقيت وشقي أبوك ، قال له : الغيب إنما يعلمه غيرك ، قال : لأبدلنك بالدنيا ثاراً نلظي ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك ، قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل ، قال : فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك ، قال : بل اختر يا شقي لنفسك ، فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها ، فأمر به الحجاج ، فأخرج ليقتل ، فلما ولي ضحك ، فأمر الحجاج برده ، وسأله عن ضحكه ، فقال : عجبت من جراتك على الله وحلم الله عنك ، فأمر به فذبح ، فلما كب لوجهه<sup>(١)</sup> قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غلب مؤمن بالله ثم قال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي ، فذبح واحتر رأسه .

ولم يمش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الأكلة فمات من ذلك ، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد : يا قوم ما لي ولسعيد ابن جبير ؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي .

بين الوليد وأخيه سليمان : واشتكى الوليد ، فبلغه عن أخيه سليمان تمنّ لوته<sup>(٢)</sup> لما له من العهد بعده ، فكتب إليه الوليد يعتب عليه الذي بلغه ، وكتب في آخر كتابه هذه الأبيات :

تمنى رجال أن أموت ، وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
لعل الذي يرجو فنائي ويدعي به قبل موتي أن يكون هو الردي

(١) في نسخة « فلما كب على وجهه » .

(٢) « : أنه تمنى لوته . »

فما موت مَنْ؟ قد مات قبلي بضائري  
 ولا عيش من قد عاش بعدي بِمُخْلِدي  
 فقل للذي يرجو خلاف الذي مضى  
 تَزَوُّدٌ لِأَخْرَى غيرهما فكانَ قَدِ  
 منيته تجري لوقت ، وَحَتْفُهُ سِلْحَهُ يوماً على غير موعدِ  
 فأجابه سليمان : فهمت ما قال أمير المؤمنين ، ووالله لئن كنت تمنيت  
 ذلك لما يخطر بالبال إني لأول لاحقٍ به ومنعي إلى أهله ، فعلام أتمنى زوال  
 مدة لا يلبث متمنياً إلا بقدر ما يحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه ؟ وقد  
 بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظي ، ولا يرى من لحظي ، ومتى سمع  
 أمير المؤمنين من أهل النسيمة ومن ليست له رواية<sup>(١)</sup> أو شك أن يسرع في  
 فساد النيات ، ويقطع بين ذوي الأرحام والقربات ، وكتب في أسفل الكتاب :  
 ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمُتُ وهو عاتب<sup>(٢)</sup>  
 ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يَحِيدُها ولم يسلم له الدهر صاحب<sup>(٣)</sup>  
 فكتب إليه الوليد : ما أحسن ما اعتذرت به ، وحذوت عليه ، وأنت  
 الصادق في المقال ، والكامل في الفعال ، وما شيء أشبه بك من اعتذارك ،  
 ولا أبعد مما قيل فيك ، والسلام .  
 وكان الوليد متحنناً على إخوته ، مراعيًا لسائر ما أوصاه به عبد الملك ،  
 وكان كثير الإنشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب إليه بوصيته منها :  
 انْفُؤا الضغائن عنكمْ وعليكم عند المغيب وفي حضور المشهدِ  
 فصلاح ذات البين طول بقائكم إن مُدَّ في عمري وإله لم يدد

(١) في نسخة « ومن ليست له رواية » .

(٢) » » : ومن لم يغمض .

(٣) » » : ولا يسلم له الدهر صاحب .

فلمثل ريب الدهر ألفَ بينكم بتواصل وتراحم وتودد  
حق تلين جلودكم وقلوبكم بمسودٍ منكم وغير مسود  
إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنقٍ وبطش باليد  
عزّت فلم تكسر، وإن هي بُدّدت فالوهن والتكسير للتبديد

وصية عبد الملك لأولاده : وكان عبد الملك مواظباً على حث أولاده على  
اصطناع المعروف ، وبعثهم على مكارم الاخلاق ، وقال لهم : يا بني عبد الملك  
أحسابكم أحسابكم ، صونوها ببذل أموالكم ، فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه  
من الهجو بعد قول الأعمش :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا  
وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير :

على مكثريهم حنقٌ من يعترهم وعند المقلين السباحة والبذل

حدث عبد الله بن إسحاق بن سلام ، عن محمد بن حبيب ، قال : سعد  
الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس ، فقال : ما هذا ؟ قيل : البيعة ، فأمر  
بهدمها ، وتولى بعض ذلك بيده ، فتتابع الناس يهدمون ، فكتب إليه الأخرم  
ملك الروم : إن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك ، فإن يكونوا أصابوا  
فقد أخطأت ، وإن تكن أصبت فقد أخطأوا ، فقال : من يجيبه ؟ فقال  
الفرزدق : أنا ، فكتب إليه ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت  
فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا  
حكماً وعلماً ) .

موت الحجاج : ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين ، وهو ابن أربع  
وخمسين سنة بواسطة العراق ، وكان تأمره على الناس عشرين سنة ، واحصي  
من قتله صبوا سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ،  
ومات وفي حنسه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، منهن ستة

عشر ألفاً مجردة ، وكان يجبس<sup>(١)</sup> النساء والرجال في موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء ، وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه في الكتاب الأوسط .

وذكر أنه ركب يوماً يريد الجمعة ، فسمع ضجعة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء ، فالتفت الى ناحيتهم وقال : ( اخسأوا فيها ولا تكلمون ) فيقال : إنه مات في تلك الجمعة ، ولم يركب بعد تلك الركبة .

قال المسعودي : ووجدت في كتاب عيون البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله : ما سلبت نعمة إلا بكفرها ، ولا نمت إلا بشكرها .

وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حين أملى عبد الله وافتقر ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » الخبر في ذلك ، وتهنئة بن القرية الحجاج بذلك .

موت عبد الله بن جعفر : وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من الجود بالموضع المعروف ، ولما قل ماله سمع يوم الجمعة<sup>(٢)</sup> في المسجد الجامع وهو يقول : اللهم إنك قد عودتني عادة فعودتها عبادك ، فإن قطعها عني فلا تبقيني ، فمات في تلك الجمعة ، وذلك في أيام عبد الملك بن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة ؛ وقيل : بالمدينة ، وهي السنة التي كان بها السيل الجفاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج .

وفي هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة ثمانين .

وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين ، وولد بالحبيشة حين هاجر جعفر الى هنالك ، وقيل : ان مولده كان في السنة التي قبض فيها النبي صلى

( ١ ) في نسخة « وقد كان محبس النساء والرجال »

( ٢ ) « : في يوم جمعة .



الله عليه وسلم ، وقيل غير ذلك .

وفذكر المبرد والمدائني والعتبي وغيرهم من الأخباريين أن عبداً لله عوتب على كثرة افضاله ، فقال : ان الله تعالى عودني أن يفضل علي ، وعودته أن أفضل على عباده ، فأكره أن اقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني .

ووفد عبداً لله على معاوية ، بدمشق ، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق<sup>(١)</sup> ، أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين الى دمشق ، فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بني هاشم وغيرهم : منهم عبداً لله بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال عمرو : قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني ، والطرقات بالتغني ، آخذ للسلف ، منقاد بالسرف<sup>(٢)</sup> ، فغضب عبداً لله بن الحارث ، وقال لعمرو : كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبداً لله كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولبلائه شكور ، وعن الحنا نفور ، ماجد مهذب كريم سيد حلیم ، ان ابتداء أصاب ، وان سئل أجاب ، غير حصر ولا هيباب ، ولا فحاش ولا سباب ، كالهزبر الضرغام ، الجريء المقدام ، والسيف الصمصام ، والحسيب القمقام ، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها ، فغلب عليه جزارها ، فأصبح الأمها حسباً ، وادناها منصباً ، يلوذ منها بذليل ، ويأوي الى قليل ، وليت شعري بأي حسب تتناول ؟ أو بأي قدم تتعرض ؟ غير انك تعلقو بغير اركانك ، وتتكلم بغير لسانك ، ولقد كان أبر في الحكم ، وابين في الفضل ، أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك باعراض قريش ، وان يكعمك كعام الضبع في وجارها ولست بأعراضها بوني ، ولا لأحسابها بكفي ، وقد اتبع لك ضيفم شرس ، للأقران مختلس ، وللارواح مفترس ، فهم عمرو ان يتكلم ، فمنعه معاوية من ذلك ، وقال عبداً لله بن الحارث : لا يبق المرء الا على نفسه ،

( ١ ) في نسخة « قبل دخوله بدمشق » .

( ٢ ) « : متقاربا بالشرف »

والله ان لساني لحديد ، وان جوايي لعتيد ، وان قولي لسديد ، وان انصاري لشهود ، فقام معاوية وتفرق القرم .

ولعبدالله بن جعفر بن ابي طالب اخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب ، وقد اتينا على مبسوط ذلك في كتابينا « اخبار الزمان » والاوسط ، وانما كان تزوج الحجاج اليه يبتذل بذلك<sup>(١)</sup> آل ابي طالب .

كتاب من عبدالمملك الى الحجاج لم يفهمه : وكتب الحجاج الى عبدالمملك يغلظ له امر الخوارج مع قطري ، فكتب اليه : أما بعد ، فإني احمد اليك السيف ، واوصيك بما أوصى به البكري زيدا ، فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك ، وقال : من جاء بتفسير ما اوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم ، فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله ، فقيل له : أتعلم ما اوصى به البكري زيدا : قال : نعم ، قالوا : فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم ، فأتاه فأحضره فقال : أوصاه بأن قال :

أقول لزيد لا تبرير فانهم يرون المنايا دون قتلك او قتلي<sup>(٢)</sup>  
فان وضعوا حرباً فضعها ، وان أبوا فشب وقود الحرب بالحطب الجزل  
وان عضت الحرب الضروس بنابها فعرضة حد السيف مثلك او مثلي

فقال الحجاج : صدق امير المؤمنين وصدق البكري .

كتاب من الحجاج الى المهلب : وكتب الى المهلب : ان امير المؤمنين أوصاني بما اوصى به البكري زيدا ، وانا اوصيك به وبما اوصى به الحارث بن كعب بنيه ، فأتى المهلب بوصيته فاذا فيها : يا بني ، كونوا جميعاً ولا تكونوا شتى فتفرقوا ، وبروا قبل ان تبروا فموت في قوة وعز ، خير من حياة في ذل وهجز ، فقال المهلب : صدق البكري والحارث بن كعب .

( ١ ) في نسخة « ليدل بذلك آل ابي طالب » .

( ٢ ) في بعض النسخ « لا تبر فانهم » .

وكتب عبد الملك الى الحجاج : جنبني دماء آل أبي طالب ؛ فإني رأيت الملك استوحش<sup>(١)</sup> من آل حرب حين سفكوا دماءهم ، فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك عنهم ، لا خوفاً من الخالق عز وجل .

ليلي الاخيلية والحجاج : ودخلت ليلي الاخيلية على الحجاج فقالت : أصلح الله الأمير ! أتيت لإخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكَلَبَ البرد ، وشدة الجهد ، قال : فأخبريني عن الأرض ، قالت : الأرض مقشعرة ، والفجاج مغبرة ، والمقتر<sup>(٢)</sup> مقل ، وذو العيال مختل ، والبائس معتل ، والناس مُسْتَتِرُونَ ، رحمة الله يرجون ، قال : أي النساء تختارين تنزلين عندها ؟ قالت : سمهن لي ، قال : عندي هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، فاخترتها فدخلت عليها ، فصبت حليها عليها حتى أثقلها ، لاختيارها إياها ودخولها عليها دون من سواها .

ابن عم للحجاج يطلب منه ان يوليه فيمتحنه فيوليه فينجح : حدثنا المنقري قال : حدثنا العتيبي ، عن أبيه ، قال : قدم على الحجاج ابن عم له أعرابي من البادية ؛ فنظر اليه يُولِّي الناس ، فقَالَ له : أيها الأمير ، لم لا توليني بعض هذا الحضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب ، فغضب الأعرابي وقال : بلى إني والله لأحسبُ منهم حسباً ، وأكتب منهم يداً ، فقال له الحجاج : فإن كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس ، فما زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ، ثلاثة بين أربعة ، أربعة ، لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء ، كم أيها الأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم أيها الأسير ، قد وقفت على الحساب ، لكل واحد منهم درهم ، وأنا اعطي الرابع منهم درهماً من عندي ، وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهماً ، وقال : ايكم الرابع فلاها الله ما رأيت

( ١ ) في نسخة « فإني رأيت الموت استوحش - الخ » .

( ٢ ) « : والمقتل مقل ، وذو الفنى مجل ، والبائس مقل .

كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين ، فضحك الحجاج ومن معه ،  
 وذهب بهم الضحك كل مذهب ، ثم قال الحجاج : إن أهل إصبهان كسروا  
 خراجهم ثلاث سنين ، كلما اتهم وال اعجزوه ، فلأرمنهم بدوية هذا  
 وعنجيته ، فأخلق به ان ينجب ، فكتب له عهده على إصبهان ، فلما خرج  
 استقبله أهل إصبهان واستبشروا به ، وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله ، وقد  
 استغمروه ، وقالوا : اعرابي بدوي ماذا يكون منه ، فلما كثروا عليه  
 قال : أعينوا على انفسكم وتقيلكم اطرافي واخروا عني هذه الهيئات ، اما  
 يشفلكم ما اخرجني له الأمير ؟ فلما استقر في داره باصبهان جمع اهله فقال  
 لهم : ما لكم تعصون ربكم وتغضبون اميركم وتنقصون خراجكم؟ فقال قائلهم :  
 جور من كان قبلك ، وظلم من ظلم ، قال : فما الأمر الذي فيه صلاحكم ؟  
 فقالوا : تؤخرنا بالخراج ثمانية اشهر ونجمعه لك ، قال : لكم عشرة وتأتوني  
 بعشرة ضمان يضمنون ، فأثوه بهم ، فلما توثق منهم امهلم ، فلما قرب  
 الوقت رآهم غير مكترئين لما يدنو من الأجل ، فقال لهم ، فلم ينتفع بقوله ،  
 فلما طال به ذلك جمع الضمان وقال لهم : المال ، فقالوا : اصابنا من الآفة  
 ما نقض ذلك ، فلما رأى ذلك منهم آلى ان لا يفطر - وكان في شهر  
 رمضان - حتى يجمع ماله او يضرب اعناقهم ، ثم قدم احداهم فضرب عنقه ،  
 وكتب عليه فلان بن فلان ادنى ما عليه ، وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ،  
 ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك ، فلما رأى القوم الرؤوس تبذر وتجعل في  
 الأكياس بدلاً من البدر قالوا : ايها الأمير ، توقف علينا حتى نحضر لك المال ،  
 ففعل ، فأحضره في أسرع وقت ، فبلغ ذلك الحجاج ، فقال : إنا معاشر  
 آل محمد - يعني جدّه - ولدنا نجيب ، فكيف رأيتم فراسق في الأعرابي ؟  
 ولم يزل عليها والياً حتى مات الحجاج .

ابراهيم التميمي في سجن الحجاج : وحبس الحجاج ابراهيم التميمي بواسطة ،  
 فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته : يا أهل بلاء

الله في عافيته ، ويا أهل عافية الله في بلائه ، اصبروا ، فنادوه جميعاً : لبيك ،  
لبيك ، ومات في حبس الحجاج ، وإنما كان الحجاج طلب إبراهيم النخعي  
فنجاً ، ووقع إبراهيم التيمي .

وحكي عن الأعمش قال : قلت لإبراهيم النخعي : أين كنت حين طلبك  
الحجاج ؟ فقال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى  
وصوت إنسان فكدت أطيّر

الحجاج يسأل ابن القرية عن النساء : حدثنا الدمشقي الامزي أحمد  
ابن سعيد وغيره ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن سلام الجمحي ، وحدثنا  
الفضل بن الحباب الجمحي ، عن محمد بن سلام قال : سألت الحجاج ابن القرية :  
أي النساء احمد ؟ قال : التي في بطنها غلام ، وفي حجرها غلام ، ويسمى لها  
مع الغلمان غلام ، قال : فأبي النساء شر ؟ قال : الشديدة الأذى ، الكثيرة  
الشكوى ، المخالفة لما تهوى ، فقال : أي النساء أعجب اليك ؟ قال : الشفاء  
العطبول ، المنعاج والكسول ، التي لم يشنّها قصر ولا طول ، قال : فأبي النساء  
أبغض اليك ؟ قال : الرعينة <sup>(١)</sup> القصيرة ، الباهق الشريرة ، قال : فأخبرني  
عن أفضل النساء مخبراً وأطيبهن أعطافاً ، قال : أفضل النساء ، الفضة  
البضة ، التي أعلاها قضيب ، وأسفلها كتيب ، اللعساء الورهاء <sup>(٢)</sup> التي لم  
تذهب طولاً في انحطاط ، ولم تلتصق قصرأ في إفراط ، الجمعدة الغدائر ،  
السبطة الضفائر ، الضخمة المآكم ، الطفلة البراجم ، إذا رأيت أناملها شبيها  
بالمداري ، وإذا قامت خلتها سارية من السواري ، فتلك تهيج المشتاق ، وتحيي  
العاشق بالعناق .

قال المسعودي : وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من

( ١ ) في نسخة « الرغيفة القصيرة ، البهلق الشريرة » . ( ٢ ) في نسخة « اللعساء الدرمام » .

الكوائن والحروب ، وكذلك الحجاج ، وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب ما لم نورد في ذينك الكتابين ، كما أن ما ذكرناه في الكتاب الاوسط ، هو ما لم نورد في كتاب « أخبار الزمان » والله أعلم .

## ذكر

### أيام سليمان بن عبد الملك

موجز : وبويع سليمان بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة الوليد ، وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة ، وتوفي سليمان بمرج دابق من أعمال جند قنسرين يوم الجمعة لعشر بفين من صفر سنة تسع وتسعين ؛ فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمسة ليال ، وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وعهد إلى عمر بن عبد العزيز ، وقيل : إن وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ، وإن ولايته سنتان<sup>(١)</sup> وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، على حسب ما وجدناه من تباين ما في كتب التواريخ والسير ، وسنذكر جمل أيامهم في باب نُفردَه فيما يرد من هذا الكتاب .

وقد تنوزع في مقدار سنِّ سليمان : فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين سنة ، ومنهم من زعم أنه كان ابن ثلاث وخمسين ، وقد قدمنا قول ابن قال : إنه قبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، ووجدتُ أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون إلى أنه كان ابن تسع وثلاثين ، والله أعلم .

(١) في نسخة « وان ولايته كانت سنتين - الخ » .

## ذکر

### لمع من أخباره ، وسيره

خطبته اول ما ولي الخلافة : ولما أفضى الأمر الى سليمان صدق المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، وما شاء أعطى ، وما شاء منع ، وما شاء رفع ، وما شاء وضع ، أيها الناس ، إن الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها ، تضحك باكيها ، وتبكي ضاحكها ، وتخيف آمنها ، وتؤمن خائفها ، وتثري فقيرها ، وتفقر مثرها مباله بأهلها عباد الله ، اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم هادياً ودليلاً ، فإنه ناسخ ما قبله ، ولا ينسخه ما بعده ، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه ، كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر ، وإدبار الليل إذا عسعس ، ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه ، وأقر عمال من كان قبله على أعمالهم ، وأقر خالد بن عبد الله القسري على مكة .

خالد القسري في مكة : وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثاً : منها أنه أدار الصفوف حول الكعبة ، وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في الصلاة بخلاف ذلك ، وبلغه قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللاتي تزاحمتنا عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : أما إنهن لا يزاحمنك بعدها أبداً ، ثم أمر بالتفريق بين

الرجال والنساء في الطواف .

كان سليمان الكولا : وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار ، وكان يلبس الثياب الرقاق و ثياب الوشي ، وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ، ولبس الناس جميعاً الوشي جيباً وأرديةً ومراويل وعمائم وقلانس ، وكان لا يدخل عليه رجل<sup>(١)</sup> من أهل بيته إلا في الوشي ، وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره ، وكانت لباسه في ركوبه وجلسه على المنبر ، وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه إلا في الوشي ، حتى الطباخ ؛ فإنه كان يدخل اليه في صدره وشي وعلى رأسه طويلة وشي ، وأمر أن يكفن في الوشي المثقلة وكان شبعه في كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي وكان ربما أتاه الطباخون بالسفايد التي فيها الدجاج المشوية وعليه جبة الوشي المثقلة فلنهمه وحرصه على الأكل يدخل يده في كفه حتى يقبض<sup>(٢)</sup> على الدجاجة وهي حارة فيفصلها .

وذكر الأصمعي قال : ذكرت للرشيدهم سليمان وتناوله الفراريج بكفه من السفايد ، فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، إنه عرضت عليّ جباب بني أمية ، فنظرتُ إلى جباب سليمان وإذا كل جبة منها في كفه أثر كأنه أثر دهن ، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث<sup>(٣)</sup> ، ثم قال : علي يجباب سليمان ، فأتي بها ، فنظرنا فإذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكشاني منها جبة فكان الأصمعي ربما يخرج أحيانا فيها فيقول : هذه جبة سليمان التي كسانها الرشيد .

وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشهد جوعه ، فاستعجل الطعام ، ولم يكن فرغ منه ، فأمر أن يقدم عليه ما لحق من الشواء ، فقدم إليه عشرون خروفاً ، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ، ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع نذائه كأنه لم يأكل شيئاً .

(١) في نسخة : أحد من أهل بيته .

(٢) في نسخة : بذلك الحديث .

(٣) : حتى يقضي على الدجاجة .



وحكي أنه كان يتخذ سلال الحلوى ، ويجعل ذلك حول مرقدہ ، فكان إذا قام من نومه يمدُّ يده فلا تقع إلا على سلة يأكل منها .

لبس سليمان فأعجبته نفسه : حدث المنقري ، عن العتيبي ، عن إسحاق بن إبراهيم بن الصباح بن مروان - وكان مولى لبني أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق ، وكان حافظاً لأخبار بني أمية - قال : لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته (١) لباساً شربيه ، وتعطر ، ودعا بتخت فيه عمام ، وبيده مرآة ، فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى حتى رضي منها بواحدة ، فأرخصى من سدُّوها ، وأخذ بيده مخرصة ، وعلا المنبر ناظراً في عطفه ، وجمع جمعه (٢) وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال : أنا الملك الشاب ، السيد المهاب (٣) ، الكريم الوهاب ، فتمثلت له جارية من بعض جواريه وكان يتحفظاًها ، فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه منى النفس وقرّة العين ، لولا ما قال الشاعر ، قال : وما قال الشاعر ؟ قالت : قال :

أنتَ نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان  
انت من لا يربينا منك شيء علم الله غير انك فاني (٤)  
ليس فيما بدا لنا منك عيب يا سليمان غير أنك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأمر المؤمنين ؟ قالت : والله ما رايت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه ، فأكبره ذلك ، ودعا ببقيمة جواريه فصدقته في قولها ، راع ذلك سليمان ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلا مديدة حتى توفي .

وكان سليمان يقول : قد اكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا الفار . ولم يبق لي لذة إلا صديق اطرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ .

(١) في نسخة : من ولايته لباساً شربيه .  
(٢) في نسخة : السيد الحجاب .  
(٣) » » : ليس أنا يربينا منك شيء .  
(٤) » » : رجع حشمه .

بين سليمان وكاتب الحجاج : وأدخل عليه يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج والمستولي عليه ، وهو مكبل بالحديد ، فلما رآه ازدراه ، فقال : ما رأيت كالاليوم قط ، لمن الله رجلاً أجرك رسنه ، وحكمك في امره ، فقال له يزيد : لا تفعل يا امير المؤمنين ، فانك رأيتني والأمر عني مدبر ، وعليك مقبل ، ولو رأيتني والأمر مقبل علي لاستعظمت مني ما استصغرت ، ولا استجملت مني ما استحققت ، قال : صدقت فاجلس لا ام لك ، فلما استقر به المجلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به اتراه يهوي بعد في جهنم أم قد استقر فيها ؟ قال : يا امير المؤمنين ، لا تقل هذا في الحجاج (١) فقد بذل لكم نصحه ، واحقن دونكم دمه ، وامن وليكم ، وأخاف عدوكم ، وانه يوم القيامة لمن يمين ابيك عبد الملك ، ويسار أخيك الوليد ، فاجعله حيث شئت ، فصاح سليمان : اخرج عني الى لعنة الله ، ثم التفت الى جلسائه فقال : قبحه الله ! ما كان أحسن ترتيبه (٢) لنفسه وصاحبه ، ولقد احسن المكافأة ، اطلقوا سبيله .

بين سليمان وابي حازم الاعرج : ودخل عليه ابو حازم الأعرج ، فقال : يا ابا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم واخربتم آخرتكم ، فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب ، قال : فاخبرني كيف القدوم على الله ؟ قال : اما المحسن فكالفائب يأتي اهله مسروراً ، واما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزوناً ، قال : فاي الأعمال افضل ؟ قال : اداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فاي القول اعدل ؟ قال : كلمة حق عند من تخاف وترجو ، قال : فاي الناس اعقل ؟ قال : من عمل بطاعة الله ، قال : فاي الناس اجهل ؟ قال : من باع آخرته بدنياه غيره ، قال : عظمي واوجز ،

(١) في نسخة : لا تقل هذا للحجاج . (٢) في نسخة : ما كان أحسن ترتيبه لنفسه .

قال : يا امير المؤمنين ، نزه ربك<sup>(١)</sup> وعظمه بحيث ان يراك تجتنب ما هناك عنه ولا يفقدك من حيث امرك به ، فبكى سليمان بكاء شديداً ، فقال له بعض جلسائه : اسرفت ويحك على أمير المؤمنين ، فقال له أبو حازم : اسكت فإن الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج ، فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال ، فردده ، وقال للرسول : قل له والله يا أمير المؤمنين ما ارضاه لك ، فكيف ارضاه لنفسي ؟ .

بين سليمان واعرابي : وذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : حدثني الأصمعي ، عن شيخ من المهالبة ، قال : دخل اعرابي على سليمان فقال له : يا أمير المؤمنين ، اني اريد ان أكلمك بكلام فافهمه ، فقال له سليمان : انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غشه ، وارجو ان تكون الناصح جيباً ، انا مؤمن غيباً ، فهات ، قال : يا امير المؤمنين ، اما اذ امنت بادرة غضبك فساطلق لساني بما خرست به الألسن من عظتك تأدية لحق الله وحق امامتك<sup>(٢)</sup> ، يا أمير المؤمنين ، انه قد تكنفك رجال اساءوا الاختيار<sup>(٣)</sup> لأنفسهم ، وابتاعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، حرب للاخرة وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه ، فإنهم لم يأتوا الا ما فيه تضييع وللأمة خسف وعسف ، وانت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان أعظم الناس غيباً بائع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما انت يا اعرابي فقد سللت علينا لسانك ، وهو اقطع من سيفك ، فقال : اجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك ، فقال سليمان : اما وأبيك يا اعرابي لا تزال العرب بسطاننا لأكناف العز متبوءة ، ولا تزال ايام دولتنا

(١) في نسخة : عظم ربك واياك أن يراك بحيث ناك عنه وبفقدك من حيث امرك .  
(٢) في نسخة : وحق امامتك .  
(٣) » » : واساموا الاحسان .

بكل خير مقبلة ، ولئن ساسكم ولاة غيرنا ليحمدن منا ما اصبحتم تدمون ، فقال الأعرابي : أما اذا رجع الأمر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه ووارث ما جعله الله له اهلا فلا ، فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيئاً ، وخرج الاعرابي فكان آخر العهد به ، هذا الخبر اخبرني به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة ابي جعفر المنصور ، وهو ابن دية المنصوري<sup>(١)</sup> ، عن ابيه ، عن علي بن جعفر النوفلي ، عن ابيه ، وذلك في سنة ثلثائة .

سليمان يصف معاوية : وذُكِرَ معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان ، فصلي على روحه وأرواح من سلف من آبائه ، وقال : كان والله هزله جيداً ، وجده علماً ، والله ما رُئي مثل معاوية ، كان والله غضبه حلماً ، وحلمه حكماً ، وقيل : إن هذا الكلام لعبد الملك .

خالد القسري في العراق : وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق<sup>(٢)</sup> في رجل استجار به من قريش ، وكان هرب من خالد ، أن لا يعرض له ، فأناه بالكتاب فلم يفضّه حتى ضربه مائة سوط ، ثم قرأه ، فقال : هذه نعمة أراد الله ان ينتقم بها منك انركي قراءة الكتاب ، ولو كنت قرأته لأنفذت ما فيه ، فخرج القرشي راجعاً الى سليمان ، فسأله الفرزدق وأُدس ممن كان بالباب عما صنع خالد ، فأخبرهم ، فقال الفرزدق في ذلك :

سَلُّوا خَالِدًا لَا قَدَسَ اللَّهُ خَالِدًا      مَتَى وَلَيْتَ قَسْرٌ قَرَيْشَاتِ دَرِينِهَا  
أَقْبَلْ رَسُولَ اللَّهِ أَمْ بَعْدَ عَهْدِهِ      فَأَضْحَتْ قُرَيْشٌ قَدَاغَتْ سَمِينِهَا  
رَجَوْنَا هُدَاهُ لَاهْدَى اللَّهُ سَعِيَهُ      وَمَا أُمُّهُ بِالْأَمِّ يُهْدَى جَنِينِهَا  
فلما بلغ سليمان ذلك وجهه الى خالد من ضربه مائة سوط ، فقال الفرزدق

(١) في نسخة : وهو ابن بريية . (٢) في نسخة : وهو على الحجاز .

في ذلك من أبيات :

لعمري لقد صُبْتُ على ظهر خالدٍ  
أُتْرِب في العصيان من ليس عاصياً  
فلولا يزيدُ بنُ المهلبِ حَلَقَتْ  
لعمري لقد سار ابن شيبه سيرةً  
فخذ بيدك الحزبي حقا ؛ فإنما  
بين سليمان وعمر بن عبد العزيز :  
وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوماً  
وقد اعجبه سلطانه : كيف ترى ما نحن فيه ؟ قال : سرور لولا انه غرور ،  
وحياة لولا انه موت ، وملك لولا انه هلك ، وحسن لولا انه حزن ، ونعم  
لولا انه عذاب أليم ، فبكى سليمان من كلامه

سليمان على الضد من الوليد : وكان سليمان بخلاف الوليد ، وعلى الضد منه  
في الفصاحة والبلاغة ، وقد كان الوليد افسد في ارض لعبد الله بن يزيد بن  
معاوية ، فشكا ذلك اخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك ، فقال له عبد الملك :  
( إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها ) . الآية ، فقال له خالد : ( وإذا اردنا  
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ) الآية ، فقال عبد الملك : افي  
عبد الله تتكلم وبالأمس دخل علي فغير في لسانه (١) ولحن في كلامه ؟ فقال :  
أفعلى الوليد تقول ؟ قال : إن كان الوليد يلحن فسليمان أخوه ، قال خالد :  
وإن كان عبد الله لجاناً فأخوه خالد ، فقال الوليد : أتتكلم ولست في العير  
ولا في النفير ، قال خالد : ألم تسمع ما يقول امير المؤمنين ، انا والله ابن  
العير والنفير ، ولو قلت حُبَيْلات وغُسَيْيات والطائف ورحم الله عثمان ، قلنا :  
صدقت ، اراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَى الحكم بن أبي  
العاص الى الطائف فصار راعياً حتى رَدَّه عثمان .

(١) في نسخة : بكفك فتخاء الى الفرخ بالوكر .

(٢) في نسخة : وبالأمس دخل الي يعثر في لسانه ويلحن في كلامه .

غضب سليمان على خالد القمي . غضب سليمان على خالد القسري ،  
 دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين القدرة تذهب الحفيظة ، وإنك تجل  
 عن العقوبة ، إن تعف فأهل ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ،  
 فعفا عنه .

وذكر رجس في مجلس سليمان الكلام . فقال سليمان : إنه من تكلم فأحسن  
 قدر على أن يصمت فيحسن ، وليس من سب فأحسن قدر على أن يتكلم  
 فيحسن

ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى ، فقال : اللهم إني أرجوك  
 له ، واخافك عليه ، فحقق رجائي ، وأمن خوفي .

بعض الكتاب ينعي سليمان : قال المسعودي : ولما دفن سليمان سمع بعض  
 كتابه وهو يقول أبياتاً منها :

وما سالم عما قليل بسالم وإن كثرت أحراسه وكتائبه  
 ومن يك ذا بأس شديد ومنعة فعما قليل يهجر الباب حاجبه (١)  
 ويصبح بعد الحجب للناس مقصياً رهينة بيت لم تستر جوانبه (٢)  
 فما كان إلا الدفن حتى تفرقت إلى غيره أحراسه ومواقبه  
 وأصبح مسروراً به كل كاشح وأسلمه احبابه واقاربه  
 فنفسك أكسبها السعادة جاهداً فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

قال المسعودي : وسليمان اخبار حسان لما كان في مدة ملكه من  
 الكوائن ، وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا « اخبار الزمان »  
 والاوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً طلباً للايجاز ، وميلاً إلى  
 الاختصار وبالله التوفيق .

(١) في نسخة : ومن يك ذا باب شديد ومنعة . (٢) في نسخة : رهينة باب لم تستر جوانبه .

## ذكر

### خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

هو جزر ؛ واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، وهو اليوم الذي مات فيه سليمان ، وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية ، معظم يفتشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية ، لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور<sup>(١)</sup> غيره من بني أمية .

وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ؛ وقيل : إنه قبض وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : إحدى وأربعين سنة . وقد تنوزع ايضاً في مقدار مدته في الخلافة ، وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب مقدار المدة من الزمان وما تملكته فيه<sup>(٢)</sup> بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب .

(٢) في نسخة : وما تملكته فيه بنو أمية .

(١) في نسخة : كما عرض لقبور غيره .

## ذِكْر

لمع من أخباره ، وسيره ، وزهده

رضي الله عنه

كيف ألت الخلافة لعمر : لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم (١) ، وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد ابن شهاب ، الزهري ومكحول وغيرهم من العلماء ممن كانت في عسكره غازياً ونافراً ، فكتب وصيته ، وأشهدم عليها ، وقال : إذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ، ثم اقرأوا هذا الكتاب على الناس ، فلما فرغ من دفنه نودي بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشترأبثوا للخلافة ، وتشوفوا نحوها ، فقام الزهري فقال : أيها الناس ، أرضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته ؟ فقالوا : نعم ، فقرأ الكتاب فإذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فقام مكحول فقال : أين عمر بن عبد العزيز ؟ وكان عمر في أواخر الناس ، فاسترجع حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثاً ؛ فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضدته ، فأقاموه ، وذهبوا به إلى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية ، وللمنبر خمس مراقبي ، فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك ، وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا ، وبايع الناس جميعاً ، ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين .

خلق عمر ودينه : وكان عمر في نهاية النسك والتواضع ، فصرف عمال من كان قبله من بني أمية ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فسلك عماله طريقته ،

(١) في نسخة : عن عهد تقدم .



وترك لعن علي عليه السلام على المنابر ، وجعل مكانه ( ربنا اغفر لنا  
ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا  
انك غفور رحيم ) وقيل : بل جعل مكان ذلك ( ان الله يأمر بالعدل  
والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ) الآية ،  
وقيل : بل جعلها جميعاً ، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية .

بين السدي وعمر : ولما استخلف عمر دخل عليه سالم السدي ، وكان من  
خاصته ، فقال له عمر : أسرك ما وليت أم ساءك ؟ فقال : سرني للناس  
وساءني لك ، قال : إني أخاف أن أكون قد أوبقت نفسي ، قال : ما  
أحسن حالك ، إن كنت تخاف ، إني أخاف عليك أن لا تخاف (١) ، قال :  
عظني ، قال : أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة .

من طاوس الى عمر : وكتب طاوس الى عمر : إن أردت أن يكون  
عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .  
اول خطبة لعمر : ولما أفضى اليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال :  
أيها الناس ، إنما نحن من اصول قد مضت وبقيت فروعها ، فما بقاء فرع بعد  
أصله ؟ وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نصب  
المصائب مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة إلا  
بفراق أخرى ، ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا يهدم آخر  
من أجله .

بين عمر وعامله على المدينة : وكتب الى عامله بالمدينة أن أقسم في ولد  
علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار ، فكتب إليه : إن علياً قد ولد له في  
عدة قبائل من قريش ففي أي ولده ؟ فكتب اليه : لو كتبت اليك في شاة  
تذبحها لكتبت إلي أسوداء أم بيضاء ، إذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي

(١) في نسخة : ما أحسن ذلك ان كنت تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف .

من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار ، فطالما تحطت بهم حقوقهم ، والسلام .

خطبة اخرى : وخطب في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه : أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإني لست بقاضٍ ، ولكني منفذ<sup>(١)</sup> ، ألا وإني لست بمتدع ، ولكني متبوع ، ان الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بعاصٍ ولكن الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

تقدير ملك الروم لعمر : وبعث عمر وفداً الى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوهم اليه ، فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه ، وهو جالس على سرير ملكه ، والتج على راسه ، والبطارقة عن يمينه وشماله ، والناس على مراتبهم بين يديه ، فأدى اليه ما قصدوا له ، فتلقاهم بجميل ، واجابهم باحسن الجواب ، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم ، فلما كان في غداة غد اتاهم رسوله ، فدخلوا عليه ، فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن راسه ، وقد تغيرت صفاته التي شاهدها عليها كأنه في مصيبة ، فقال : هل تدرون لماذا دعوتكم ؟ قالوا : لا ، قال : ان صاحب مسلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت ان ملك العرب الرجل الصالح قدم مات فما ملكوا انفسهم ان بكوا ، فقال : الكم تبكون ، او لدينكم ، او له ؟ قالوا : نبكي لانفسنا ولديننا وله ، قال : لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم ، فانه قد خرج الى خير مما خلف ، قد كان يخاف ان يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة ، لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان احد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ، ولقد كانت تأتيني اخباره باطناً وظاهراً فلا أجد أمره مع ربه إلا واحداً ، بل باطنه أشد

(١) في نسخة : ولكني مقتد .

حين خلوته بطاعة مولاه ، ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ، ولكنني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه<sup>(١)</sup> فزهدها فيها ، حتى صار مثل الراهب ، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلا .

وصية الاعرج : وكتب عمر إلى أبي حازم المدني الأعرج أن أوصني وأوجز ، فكتب إليه : كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تنزل والسلام . توقيع لعمر إلى عامل له ، ووقع إلى عامل من عماله : قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فإما عدلت ، وإما اعتزلت ، والسلام .

زهده بعد الخلافة : وذكر المدائني قال : كان يشتري لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار ، فإذا لبسها استخسناها ولم يستحسنها ، فلما أتته الخلافة كان يشتري له قميص بعشرة دراهم فإذا لبسه استلانه .

وخرج مع جماعة من اصحابه فر بالمقبرة ؛ فقال لهم : قفوا حتى آتي قبور الأحبة فأسلم عليهم ، فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف إلى أصحابه فقال : ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي ؟ فقالوا : وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قبل لك ؟ قال : مررتُ بقبور الأحبة فسلمت عليهم فلم يردوا ، ودعوت<sup>(٢)</sup> فلم يجيبوا ، فبينما أنا كذلك إذ نوديت : يا عمر ، أما تعرفني ؟ أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ، ومزقت الأكفان عن جلودهم ، وقطعت أيديهم ، وأبنتُ أكفهم عن سواعدهم ، ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ ، فوالله ما مضى بعد ذلك إلا أيام حتى لحق بهم .

من مطرف إلى عمر : وذكر المدائني قال : كتب مطرف إلى عمر : أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة ، لها يجمع من لا عقل له ، وبها يفتر من لا علم

(١) في نسخة : تحت قدميه .

(٢) » » : ودعوتهم فلم يجيبوا ، فبينما أنا كذلك إذ ناداني التراب .

له ، فكن بها كالمداوي جرحه ، واصبر على شدة الدواء ، لما تخاف من غاقبة الداء .

بين عمر وعبد له : وذكر بعض الأخباريين أن عمر في عنفوان حدائته جنى عليه عبد له أسود جنابة ، فبطحه وهم ليضربه ، فقال له العبد : يا مولاي ، لم تضربني ؟ قال : لأنك جنيت كذا وكذا ، قال فهل جنيت أنت جنابة قط غضب بها عليك مولاك ؟ قال عمر : نعم ، قال : فهل عجل عليك العقوبة ؟ قال : اللهم لا ، قال العبد : فلم تعجل علي ولم يعجل عليك ؟ فقال له : قم فأنت حر لوجه الله ، وكان ذلك سبب توبته .

بين عمر و غلام ورد عليه في وفد الحجاز : وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه فيقول : يا حليما لا يعجل على من عصاه .

وذكر جماعة من الأخباريين ان عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز ، فاختر الوغد غلاماً منهم ، فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام ، فلما ابتداء الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سناً قال عمر : مهلاً يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فهو اولي بالكلام ، فقال : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجاد له الحلية<sup>(١)</sup> ، يا امير المؤمنين ، ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو أسن منك ، قال : تكلم يا غلام ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، نحن وفود التهنة لا وفود المرزئة ، قدمنا اليك من بلدنا ؛ نحمد الله الذي من بك علينا ، لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة ، اما الرغبة فقد اتانا منك إلى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك ، فقال : عظنا يا غلام واوجز ، قال : نعم يا امير المؤمنين ، إن أناساً من الناس يغرهم حلم الله عنهم ، وطول املهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يفرنك حلم الله

(١) في نسخة : استجاد له الحلة .

عنك ، وطول املك ، وحسن ثناء الناس عليك ، فتزل قدمك ، فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة ، فانشأ عمر رحمه الله يقول :

تعلم فليس المرء يولدُ عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل  
وان كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

قصة جارية عند قاضي المدينة : وقد كان رجل من اهل العراق أتى المدينة في طلب جارية وصفت له قارئة قوالة ، فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة ، فأثاه وسأله ان يعرضها عليه ، فقال : يا عبدالله ، لقد أبعدت الشقة في طلب هذه الجارية ، فما رغبتك فيها ؟ لما رأى من شدة اعجابها بها ، قال : إنها تغني فتجيد ، فقال القاضي : ما علمت بهذا ، فألح عليه في عرضها ، فعرضت بحضرة مولاها القاضي ، فقال لها الفتى : هات ، فغنت :

إلى خالد حتى أنحن بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل  
ففرح القاضي بجاريته وسرَّ بغنائها ، وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدما على فخذه ، وقال : هات شيئاً بأبي أنت ، فغنت :

أروح إلى القصاص كل عشية أرجي ثواب الله في عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ، ولم يدر ما يصنع ، فأخذ نعله<sup>(١)</sup> فعلقها في أذنه ، وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ، وهو يقول : أهدوني إلى البيت الحرام ، فإني بدنة ! حتى أدمى أذنه ، فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال له : يا حبيبي ، انصرف ، قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول ، فنحن الآن فيها أرغب ، فانصرف الفتى ، وبلغ ذلك إلى عمر بن عبد العزيز فقال : قاتله الله ! لقد استرقه الطرب ،

(١) في نسخة : فأخذ نعليه فعلقها .

وأمر بصرفه من عمله ، فلما صرف قال : نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال  
اركبوني فاني مطية ، فبلغ ذلك عمر فأشخصه وأشخص الجارية ، فلما دخلا  
على عمر قال له : أعد ما قلت ، قال : نعم ، فأعاد ما قال ، فقال للجارية  
قولي ، ففنت :

كان لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا  
أنيسٌ ، ولم يسمر بمكة سامرٌ  
بلى ، نحن كنا أهلها ، فأبادنا  
صروف الليالي والحدود العوثر

لما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً ، وأقبل يستعيدها ،  
ثلاثاً ، وقد بلت دموعه لحينه ، ثم أقبل على القاضي فقال : قد قاربت في  
يمينك ، ارجع الى عملك راشداً .

بين فتى أموي وجارية لبعض قريش : حدثنا الطوسي والأموي الدمشقي  
وغيرهما ، عن الزبير بن بكار ، عن عبد الله بن احمد المديني ، قال : كان بالمدينة  
فتى من بني أمية من ولد عثمان ، وكان ظريفاً يختلف الى قينة لبعض قريش ،  
وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ، ويحبها ولا تعلم ، ولم تكن محبة القوم إذ ذاك  
لريبة ولا فاحشة ، فأراد يوماً أن يبلو ذلك ، فقال لبعض من عنده : امض  
بنا اليها ، فانطلقا ، ووافاهما وجوه أهل المدينة من قريش والأنصار  
وغيرهما ، وما كان فيهم فتى يجيدُ بها وجده ، ولا تجد بواحد منهم وجدها  
بالأموي ، فلما أن أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى : أتحنين أن  
تقولي :

أحبكمُ حباً بكل جوارحي فهل عندكم علم بما لكم عندي  
أتمجزون بالود المضاعف مثله فان كريماً من جزى الود بالود

قالت : نعم ، وأحسن منه ، وقالت :

للذي ودّنا المودةُ بالضمف وفضلُ البادي به لا يُجازي  
لو بدا ما بنا لكم ملاً الأَرْضِ وأقطارِ شامها والحجازا  
قال : فعجب الفتى من حدقها مع حسن جوابها وجوده حفظها فازداد  
كَلَفًا بها ، وقال :

أنت عذر الفتى إذا هتك الستر وإن كان يُوسفَ المعصوما  
فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فاشترأها بعشر حدائق ووهبها له بما  
يصلحها ؛ فأقامت عنده حَوْلًا ثم ماتت ، فرثاها ، وقضى في حاله تلك نخبه  
فدفنا معاً ، وكان من مَرثيته لها قوله :

قد تمنيت جنة الخلد فأدخلتها بلا استئصال (١)  
ثم أخرجت إذ تظمتُ بالنعمة منها والموت أحدُ حال  
وقال أشعب الطامع المدني : هذا سيد شهداء أهل الهوى انحروا على قبره  
سبعين بَدَنَةً ، وقال أبو حازم الأعرج المدني : أما يحب لله يبلغ هذا .

عمر والخوارج ، وقد كان خرج في أيام عمر شوب الخارجي ، وقوي  
أمره فيمن خرج معه من المحكمة من ربيعة وغيرها ، فحدث عباد بن عباد  
المهلبى ، عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : أرسلني عمر اليهم ، وأرسل معي  
عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان خسروهم بالجزيرة ، وكتب  
عمر معنا اليهم كتاباً ، فأتيناهم فأبلغناهم كتابه ورسالته ، فبعثوا معنا رجلين منهم  
أحدهما من بني شيبان والآخر ذيه حبشية ، وهو أحدُهما لساناً وعارضة ،  
فقدنا بهما على عمر بن عبد العزيز ، وهو بخنصرة ، فصعدنا إليه إلى غرفة  
هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم ، فذكرنا مكانهما ، فقال :  
فتشوا لئلا يكون معها حديد ، ففعلنا ، فلما دخلا قالوا : السلام عليك ،

(١) في نسخة : قد تمنيت أن أرى جنة الخلد فأدخلتها - اللخ .

ثم جلسا ، فقال لها عمر : اخبراني ما الذي اخرجكم مخرجكم هذا ؟ وما نعمتم علينا ؟ فتكلم الذي فيه حبشية فقال : والله ما نعمنا عليك في سيرتك ، وإنك لتجري بالعدل والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمر إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتناه فليست منا ولسنا منك ، فقال عمر : وما هو ؟ قال : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك ، وسميتها المظالم ، وسلكت غير سبيلهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق ، فتكلم عمر فقال : إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ، ولكن اردتم الآخرة وأخطأتم طريقها ، وإني سائلكم عن امور ، فبالله لتصدقني عنها ، أرايتما أبا بكر وعمر ، أليسا من أسلافكم ومن تتولونها وتشهدون لها بالنجاة ؟ قالا : بلى ، قال : فهل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء واخذ الأموال وسبى الذراري ؟ قالا : نعم ، قال : فهل علمتم أن عمر حين قام بعد ابي بكر رد تلك السبايا الى أصحابها ؟ قالا : نعم ، قال : فهل برىء عمر من ابي بكر ؟ قالا : لا ، قال : أفرايتم اهل النهروان ، أليسوا من اسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ، قال : فهل علمتم أن اهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دماً ولم يخيفوا آمناً ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : نعم ، قال : فهل علمتم أن اهل البصرة حين خرجوا اليهم مع الشيباني وعبدالله بن وهب الراسي واصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ، ولقوا عبدالله بن خبّاب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريتته ، ثم صبخوا حياً من أحياء العرب فاستعرضوم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الأقط وهي تفور ؟ قالا : قد كان ذلك ، قال : فهل تبرأ اهل البصرة من اهل الكوفة واهل الكوفة من اهل البصرة ؟ قالا : لا ، قال : فهل تبرءون انتم من إحدى الطائفتين ؟ قالا : لا ، قال : أرايتم الدين واحداً أم اثنين ؟



قالا : بل واحدا ، قال : فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني ؟ قالا : لا ، قال : فكيف وسعكم ان توليتم أبا بكر وعمر ، وتولى أحدهما صاحبه ، وتوليتم اهل البصرة وأهل الكوفة ، وتولى بعضهم بعضاً ، وقد اختلفوا في أعظم الأشياء في الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعني فيما زعمتم إلا لمن أهل<sup>(١)</sup> بيتي والتبرؤ منهم ؟ ارايتم لمن اهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها ، فإن كانت كذلك فأخبرني أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون ؟ قال : ما اذكر متى لعنته ، قال : ويحك ! لم لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق ويسعني فيما زعمت لمن اهل بيتي والتبرؤ منهم ؟ ويحكم ! إنكم قوم جهال اردتم أمراً فأخطأتموه ، فانتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ، قالوا : ما نحن كذلك ، قال عمر : بل سوف تقرون بذلك الآن ، هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث الى الناس وهم عبدة اوثان فدعاهم الى خلع الأوثان وشهادة أن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه ، واحرز ماله ، ووجبت حرمة ، وكانت له اسوة المسلمين ؟ قالوا : نعم ، قال : افلستم انتم تلقون من يخلع الأوثان ويشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله فتستحلوا دمه وماله ، وتلقون من ترك ذلك واباه من اليهود والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه ، قال الحبشي : ما سمعت كاليوم قط حجة ابين واقرب مأخذاً من حجتك ، اما انا فأشهد انك على الحق وانا بريء ممن برىء منك ، فقال عمر للشيباني : فأنت ما تقول ؟ قال : ما احسن ما قلت ، وابين ما وصفت ، ولكني لا افتات على المسلمين بأمر حتى اعرض قولك عليهم فانظر ما حجبتهم ، قال : فانت اعلم : فانصرف ، واقام الحبشي ، فامر له عمر بعطائه ، فمكث خمسة

(١) في نسخة : الا أن ألن اهل بيتي وأتبرأ منهم .

الجزء الثالث : ذكر خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ..... ١٩٢

عشر يوماً ثم مات ، ولحق الشيباني بأصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى .

ولعمر مع الخوارج اخبار غير ما ذكرنا ، ومراسلات ، ومناظرات ، وكذلك لمن سلف من بني أمية وغيرهم من ولاة الأمصار ، وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بأمر المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة ، والأباضية والحميرية والنجيدات والخلقية والصفيرية وغيرهم من أنواع الحرورية ، وذكرنا مواضعهم من الأرض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور وسجستان وإصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد مكرات وجبال عمان وهرارة من بلاد خراسان والجزيرة وناهرت السفلى وغيرها من بقاع الأرض في كتابينا « أخبار الزمان » ، والأوسط ، وما ذكرنا من الرد عليهم في التحكيم ، وغير ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « الانتصار » المفرد لفرق الخوارج ، وفي كتاب « الاستبصار » .

بعض شعراء الخوارج : وقد ذكرنا جماعة من شعرائهم ممن سلف من أئمتهم من ذلك قول مصقلة بن عتبان الشيباني ، وكان من غلبة الخوارج :

وأبلغ أمير المؤمنين رسالةً      وذو النصح إن لم يرع منك قريب  
فإنك إن لا ترض بكر بن وائل      يكن لك يومٌ بالعراق عصيب  
فإن يك منكم كان مروان وابنه      وعمرو ومنكم هاشم وحبيب  
فما سويد والبطين وقعب      ومنا أمير المؤمنين شبيب  
غزاة ذات النذر منا حميدة      لها في سهام المسلمين نصيب  
ولا صلح ما دامت منابر أرضنا      يقوم عليها من ثقيف خطيب

وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب ، وما كانت عليه من الاجتهاد في ديانة المحكمة وفيها يقول الشاعر :

أم شبيب ولدت شيبيا هل تلد الذئبة إلا ذيبا

بعض علماء الخوارج : وأخبار علمائهم كالبيان ، وله كتب مصنفة في مذاهبهم ، وعبد الله بن يزيد الأباضي ، وأبي مالك الحضرمي ، وقعناب ، وغير هؤلاء من علمائهم ، وقد كان البيان بن رباب من علية علماء الخوارج ، وأخوه علي بن رباب من علية علماء الرافضة ، هذا مقدم في أصحابه ، وهذا مقدم في أصحابه ، يجتمعان في كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفرقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه ، وكذلك كان جعفر بن المبرور من علماء المعتزلة وحنذاقها وزهادها ، وأخوه حنش بن المبرور من علماء أصحاب الحديث ورؤساء الحشوية بالضد من أخيه جعفر ، وطالت بينها المناظرة والمباغضة والتباين ، وآلى كل واحد منها ألا يخاطب الآخر إلى أن لحق بخالقه ، وجعفر بن المبرور وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة ، وكان عبد الله بن يزيد الأباضي بالكوفة يختلف إليه أصحابه يأخذون منه ، وكان خرازاً شريكاً لهشام بن الحكم ، وكان هشام مقدماً في القول بالجسم والقول بالإمامة على مذهب القطيعة يختلف إليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه ، وكلاهما في حانوت واحد ، على ما ذكرنا من التضاد في المذهب من التشري والرفض ولم يجر بينها مسابرة ، ولا خروج عما يوجب العلم وقضية العقل وموجب الشرع وأحكام النظر والسير .

وذكر أن عبد الله بن يزيد الأباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الأيام : تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة ، وقد أحببت أن تُنكحني ابنتك فاطمة ، فقال له هشام : إنها مؤمنة ، فأمسك عبد الله ، ولم يعاوده في شيء من ذلك ، إلى أن فرق الموت بينهما .

وكان من أمر هشام مع الرشيد وابن برمك ما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا .

رأي عمرو بن عبيد فيه : وذكر عن عمرو بن عبيد أنه يقول : أخذ عمر

الجزء الثالث : ذكر خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ..... ١٩٥

ابن عبد العزيز الخلافة بغير حلقها ، ولا باستحطاق لها ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها .

الفرزدق يرثي عمر : وفي وفاة عمر رضي الله تعالى عنه يقول الفرزدق من أبيات يرثيه بها :

أقول لما نعى الناعون لي عُمراً لَقَدْ نَعَيْتُمْ قِوَامَ الْحَقِّ وَالِدِينِ  
قَدْ غِيبَ الرَّامِسُونَ الْيَوْمَ إِذْ رَمَسُوا بَدِيرَ سَمْعَانَ قِسْطًا مِنَ الْمَوَازِينِ  
لَمْ يُلْهِبِ عَمْرَهُ عَيْنٌ يُفَجِّرُهَا وَلَا النَّخِيلُ وَلَا رَكْنُ الْبِرَازِينِ  
ولعمركم رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا  
الكتاب ، وفي الزهد وغيره ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا ،  
والحمد لله رب العالمين .

## ذكر

### أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان

موجز : ومَلِكَ يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز ، وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي يزيد بن عبد الملك بإربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته أربع سنين وشهراً ويومين .

## ذكر لمع من أخباره وسيره

وجمل من ما كان في أيامه

حبه سلامة القس : كان الغالبُ على يزيد بن عبد الملك حُبَّ جارية يقال لها سَلَّامة القس، وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار، فأعجب بها، وغلبت على أمره، وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقييات :

لَقَدْ فتن الدنيا وسَلَّامةُ القسا فلم يتركها للقس عقلاً ولا نَفْساً

فاحتالت أم سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حَبَّابة قد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديماً منها شيء، فغلبت عليه، ووهب سَلَّامة لأم سعيد<sup>(١)</sup>، فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عمى الناس من الظلم والجور، باحتجابه وإقباله على الشرب واللهو، وقال له : إنما مات عمر أمس، وقد كان من عدله ما قد علمت، فينبغي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو، فقد اقتدى بك عمالك في سائر أفعالك وسيرتك، فارتدع عما كان عليه، فأظهر الإقلاع والندم، وأقام على ذلك مدة مديدة، فغلظ ذلك على حَبَّابة. فبعثت إلى الأحوص الشاعر ومعبد المغني : انظرا ما أنتم صانعان؛ فقال الأحوص في أبيات له :

ألا لا تَلُمهُ اليوم أن يتبليداً فقد غلب المهزون أن يتجلدأ  
إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حَجراً من يابس الصلدر جلدأ

(١) في نسخة : ورفض سلامة ووهبها لأم سعيد .

الجزء الثالث : ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان ..... ١٩٧

فما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنانِ وفنئدا  
وغنائه معبد ، وأخذته حبابه ، فلما دخل عليها يزيد قالت : يا أمير  
المؤمنين اسمع مني صوتاً واحداً ثم افعل ما بدآ لك ، وغنته ، فلما فرغت  
منه جعل يردد قولها :

فما العيش إلا ما تلد وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنانِ وفنئدا  
وعاد بعد ذلك إلى لهوه وقصفه ، ورفض ما كان عليه .

يزيد وحبابة وشعر للفند الزماني : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي  
قال : حدثني ابن سلام ، قال : ذكر يزيد قول الشاعر :

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذَهْلٍ وَقَلْنَا : الْقَوْمَ إِخْوَانُ  
عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعُنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا  
فَلَمَّا صَرَاحَ الشَّرِّ فَامَسَى وَهَوَّ عُرْيَانَ  
مَشَيْنَا مِثْيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَاللَيْثُ غَضْبَانَ  
بَضْرَبٍ فِيهِ تَوْهِينٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانَ  
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ وَهَى وَالزَّقُّ مَلَأَن  
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

وهو شعر قديم يقال : إنه للفند الزماني في حرب البسوس ، فقال  
لحبابة : غنيني به بجيناتي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هذا شعر لا أعرف  
أحداً يغني به إلا الأحول المكي ، فقال : نعم ، قد كنت سمعت ابن عائشة  
يعمل فيه ويترك ، قالت : إنما أخذه عن فلان بن أبي هب ، وكان حسن  
الأداء ، فوجه يزيد إلى صاحب مكة : إذا أتاك كتابي هذا فادفع إلى فلان  
ابن أبي هب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ما شاء من دواب البريد ،

ف فعل ، فلما قدم عليه قال : غني بشعر الفند<sup>(١)</sup> ، فغناه فأجاد وأحسن ، وقال : أعده ، فأعاده فأجاد وأحسن وأطرب يزيد ، فقال له : عن أخذت هذا الغناء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذته عن أبي ، وأخذه أبي عن أبيه ، فقال : لو لم تَرِثْ إلا هذا الصوت لكان أبو هب قد ورثكم خيراً كثيراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا هب مات كافراً مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد أعلم ما تقول ، ولكني دخلتني له رقة إذ كان مجيداً للغناء ، ووصله وكساه وردّه إلى بلده مكرماً .

وكتب في عهد عمر إلى يزيد : إذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك ، وقيل : إن هذا الكلام كتب به عمر إلى بعض عماله ، وفيه زيادة - على ما ذكره الزبير بن بكار - وهي : إذا أمكنتك القدرة من ظم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتي إليهم ، واعلم أنك لا تأتي إليهم أمراً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك ، وأن الله يأخذ للمظلوم من الظالم ، ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى .

موت حبابة وجزع يزيد عليها : واعتلت حبابة فأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس ، ثم ماتت ، فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيفت ، فقيل : إن الناس يتحدثون بجزعك ، وإن الخلافة تجل عن ذلك ، فدفنها وأقام على قبرها فقال :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالياس تسلو النفس لا بالتجدد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ومات .

حدث أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسحاق الموصلي عن أبي الحويرث الثقفي قال : لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك

(١) في نسخة : غني شعر الفند .

حزناً شديداً<sup>(١)</sup> ، وضم إليه جويرية لها كانت تحدثها فكانت تخدمه ،  
فتمثلت الجارية يوماً :

كفى حزنًا للهائم الصب أن يرى منازل من هوى مُعَطَّلة قَفَرًا  
فبكى حتى كاد أن يموت ، ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حباية  
حتى مات .

وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حباية وسلامة فطرب طرباً  
شديداً ثم قال : أريد أن أطير ، فقالت له حباية : يا مولاي ، فعلى من  
تدع الأمة وتدعنا .

وكان أبو حمزة الخارجي إذا ذكر بني مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد  
الملك فقال : أقعد حباية عن يمينه وسلامة عن يساره ، ثم قال : أريد أن  
أطير ، فطار إلى لعنة الله وأليم عذابه .

يزيد بن المهلب يخرج على يزيد بن عبد الملك : قال المسعودي : وقد كان  
يزيد بن المهلب بن أبي صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز ، حين أثقل  
وذلك في سنة إحدى ومائة ، وصار إلى البصرة وعليها عدي بن أرطاة  
الغزاري ، فأخذه يزيد بن المهلب ، فأوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفاً على  
يزيد بن عبد الملك ، وحشدت له الأزدي وأحلافها ، وانحاز إليه أهله وخاصته  
وعظم أمره ، واشتدت شوكته ، فبعث إليه يزيد أخاه مسلمة بن عبد الملك  
وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، في جيش عظيم ، فلما شرفاه  
رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطراباً فقال : ما هذا الاضطراب ؟ قيل :  
جاء مسلمة والعباس ، قال : فوالله ما مسلمة إلا جرادة صفراء ، وما العباس  
إلا نسطوس بن نسطوس ، وما أهل الشام إلا طغام قد حشدوا ما بين فلاح  
وزراع ودباغ وسفلة ، فأعيروني أكفكم ساعة واحدة تصفون بها خراطيمهم ،

(١) في نسخة : جزع عليها يزيد جزعاً شديداً .



فما هي إلا غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين ، عليّ  
بفرسي ، فأتي بفرس أبلق ، فركب غير متسلح ، فالتقى الجيشان فاقتلوا  
قتالاً شديداً ، وولّى أصحاب يزيد عنه ، فقتل يزيد في المعركة ، وصبروا  
إخوته أنفسهم ، فقتلوا جميعاً ، ففي ذلك يقول الشاعر :

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه طائعين وساروا  
حتى إذا حضر الوغى وجعلتهم نصبَ الأسنه أسلوك وطاروا  
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر ، وأخذ الشعراء جميعاً  
يهجون آل المهلب ، إلا كثير فإنه امتنع من ذلك فقال له يزيد : حرّكتك  
الرحم يا أبا صخر ؛ لأنهم يمانيون ، ففي ذلك يقول جرير يمدح يزيد ، ويهجو  
آل المهلب :

يا رب قوم وقوم حاسدين لكم ما فيهم بدلٌ منكم ولا خلفُ  
آل المهلب جزئاً الله دابرم أمسوا رماداً فلا أصل ولا طرف  
ما نالت الأزد من دعوى مضلتهم إلا المعاصم ، والأعناق تختطف  
والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم فقتلتهم جنود الله ، وانتسبوا  
وهي طويلة ، وفي ذلك يقول جرير أيضاً ليزيد من كلمة .

لقد تركت فلا نعدمك إذ كفروا آل المهلب عظماً غير مجبور  
يا ابن المهلب ، إن الناس قد علموا أن الخليفة للشتم المفاوير  
صنيع يزيد في آل المهلب : وبعث يزيد هلال بن أحوز المازني في طلب  
آل المهلب ، وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه ، فأتبعهم  
حتى أتى قنديل من أرض السند وأتى هلال بنغلامين من آل المهلب ، فقال  
لأحدهما : أدركت ؟ قال : نعم ، ومد عنقه ، فكان الآخر أشفق عليه  
فعض شفته لئلا يظهر جزءاً ف ضرب عنقه ، وأثخن القتل في آل المهلب حتى

كاد أن يفنيهم ، فذكر أن آل المهلب مكثوا بعد إيقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد ، وفي مدح هلال بن أحوز وما فعل يقول جرير :

أقول لها من ليلة ليس طولها كطول الليالي: ليت صبحك نورا  
أخاف على نفسي ابن أحوز ، إنه جلا كل هم في النفوس فأسفرا  
جملت بقبر بالحسان ومالك وقبر عدي في المقابر أقبرا  
فلم يبق منهم راية تعرفونها ولم يبق من آل المهلب عكرا  
وهي أبيات .

بين ابن هبيرة والشعبي وابن سيرين والحسن البصري : وقد كان يزيد ابن عبد الملك - حين ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق ، وأضاف إليه خراسان واستقام أمره هنالك - بعث ابن هبيرة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشعبي ومحمد بن سيرين ، وذلك في سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده ، وأخذ ميثاقهم بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة . وقد ولاني ما ترون ، يكتب إلي بالأمر من أمره فأنفذه ، وأقلده ما تقلده من ذلك ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية ، فقال عمر : ما تقول يا حسن ؟ فقال الحسن : يا ابن هبيرة ، خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة ، إني أحذرك أن تعصي الله ؛ فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرًا لدين الله وعباده ، فلا تترك دين<sup>(٢)</sup> الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) في نسخة : لابن المهلب عظمًا غير مجبور .

(٢) في نسخة : فلا تركبه دين الله وعباده بسلطان الله .

وحكي في هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن ، فقال  
الشعبي : سفسفنا فسفسف لنا .

بين يزيد وأخيه هشام : وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه  
هشام بن عبد الملك ينتقصه ، ويتمنى موته ، ويعيب عليه لهوه بالقينات ،  
فكتب إليه يزيد : أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي ، واستبطاؤك موتي ،  
ولعمري إنك بعدي لواهي الجناح ، أجدم الكف ، وما استوجبت منك ما  
بلغني عنك ، فأجابه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين متى فرغ ممعه  
لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك ان يقدح ذلك في فساد ذات البين ،  
وتقطع الأرحام ، وأمير المؤمنين بفضله وما جعله الله أهلاً له أولى أن يتعمد  
ذنوب أهل الذنوب ، فأما انا فمعاذ الله ان استثقل حياتك ، او استبطيء  
وفاتك ، فكتب إليه يزيد : نحن مغفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا  
عنك ، فاحفظ وصية عبد الملك ايانا ، وقوله لنا في ترك التباعي والتخاذل ،  
وما أمر به وحضّ عليه من صلاح ذات البين واجتماع الأهواء ؛ فهو خير لك  
وأملك بك ، وإني لأكتب اليك وأنا اعلم انك كما قال الأول :

قديماً لذو صفح على ذاك بجمل	وإني على أشياء منك تربييني
يمينك ، فانظر أي كف تبدل	ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني
على طرف الهجران إن كان يعقل	وإن أنت لم تنصف أخاك وجدته

فلما أتى الكتاب هشاماً ارتحل إليه ، فلم يزل في جواره مخافة أهل البغي  
والسعاية<sup>(١)</sup> حتى مات يزيد .

وفاة عطاء بن يسار : ومن مات في أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار  
مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكنى أبا محمد ، وهو ابن  
أربع وثمانين سنة ، وذلك في سنة ثلاث ومائة .

(١) في نسخة : أهل البغي والفساد .

الجزء الثالث : ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان ٢٠٢

موت جماعة من العلماء : وفيها مات مجاهد بن جبر ، مولى قيس بن السائب الخزومي ، ويكنى أبا الحجاج ، وهو ابن أربع وثمانين سنة .  
وجابر بن زيد ، مولى الأزدي ، من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء .  
ويزيد بن الأصم ، من أهل الرقة ، وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ويحيى بن وثاب الأسدي ، مولى بني كنانة كان .  
وأبو بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري ، واسمه عامر ، كوفي .  
وفي سنة أربع ومائة مات وهب بن منبّه ، ويقال : مات سنة عشرة ومائة (١) .

وفي سنة أربع ومائة هذه أيضاً مات طاوس .  
وفي سنة خمس ومائة مات عبدالله بن جبير ، مولى العباس بن عبدالمطلب ويقال : انه مولى مولى العباس .

وقيل : ان طاوس بن كيسان - ويكنى أبا عبد الرحمن - مولى يجير الحميري مات بمكة سنة ست ومائة ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك .  
وفي سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار ، مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو اخو عطاء بن يسار ويكنى أبا أيوب ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، بالمدينة ، وقيل : انه مات في سنة ثمان ومائة .

وفي سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .  
محمد بن سيرين واخوته : ومات الحسن بن أبي الحسن البصري ، ويكنى أبا سعيد ، في سنة عشر ومائة ، واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الأنصار ، ومات وله تسع وثمانون سنة ، وقيل : تسعون سنة ، وكان اكبر من محمد بن سيرين ، ومات محمد بعده بمائة ليلة في هذه السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة ،

(١) في نسخة : ويقال : مات سنة ستة عشر ومائة .

وقيل : ابن ثمانين . وكان أولاد سيرين خمسة اخوة : محمد ، وسعيد ، ويحيى ،  
وخالد ، وأنس بن سيرين ، وسيرين مولى أنس بن مالك ، والخمسة قد رووا  
السنن ، ونقلت عنهم .

ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب  
ابن منبه ، ويكنى أبا عبد الله ، فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا  
في هذا الباب ، ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء ، وكان  
من الابناء وهو ابن تسعين سنة .

وفي سنة خمس عشرة ومائة ، مات الحكم بن عتبة الكندي ، وقيل :  
انه مات فيها عطاء بن أبي رباح .

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله  
ابن عبد الله بن شهاب الزهري ، وذكر الواقدي أنه مات سنة أربع  
وعشرين ومائة .

وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان ، ولم يـ كان في أيامه من الكوائن  
والاحداث ، وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا « أخبار الزمان » ،  
والأوسط ، وإنما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلنا الآثار وحملنا الاخبار  
ليكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب ، فتكون فوائده عامة ؛ إذ كان الناس  
في أغراضهم متباينين ، وفيما يتيمونه من مأخذ العلم مختلفين : فمنهم طالب  
خبر ومقلد لأثر ، ومنهم ذو بحث ونظر ، ومنهم صاحب حديث ، ومنقر  
عن علل ، ومراع لوفاة مثل من ذكرنا ، فجعلنا فيه لكل ذي رأي نصيباً  
وبالله التوفيق .

## ذكر

### أيام هشام بن عبد الملك بن مروان

موجز : وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه أخوه يزيد ابن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة ، وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وتوفي هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست خلوّن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة .

## ذكر

### لمع من أخباره ، وسيره

أوصافه وأخلاقه : وكان هشام أحوالاً خشناً فظاً غليظاً ، يجمع الأموال ، ويمر الأرض ، ويستجيد الخيل ، وأقام الحلبة فلجتم له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ، ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس ، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل ، واستجاد الكسبي<sup>(١)</sup> والفُرُش ، وعُدّدَ الحرب ولأمتها واصطنع الرجال ، وقوى الثغور ، واتخذ القنى والبرك بطريق مكة ، وغير ذلك من الآثار التي أتى عليها داود ابن علي في صدر الدولة العباسية .

وفي أيامه عمل الخبز والقطف الخبز ، فسلك الناس جميعاً في أيامه مذهبه ، ومنعوا ما في أيديهم ، فقلّ الإفضال ، وانقطع الرقْد ، ولم ير زمان أصعب من زمانه .

(١) في نسخة : واستجاد الكساء والفُرُش .

استشهاد زيد بن علي : وفي أيامه استشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل بل في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقد كان زيد بن علي شاوراً أخاه أبا جعفر بن علي ابن الحسين بن علي فأشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة ؛ إذ كانوا أهل غدر ومكر ، وقال له : بها قتل جدك علي ، وبها طعن عمك الحسن ، وبها قتل أبوك الحسين ، وفيها وفي أعمالها شتمنا أهل البيت ، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك ابن مروان ، وما يتعقبهم من الدولة العباسية ، فأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له : إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدا المصلوب بكُناسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر ، وأعلمه أنها لا يلتقيان .

وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة ، فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به مجلسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ليس أحد يكبر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله ، فقال هشام : اسكت لا أم لك ، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن لك جواباً إن أحببت أحببتك به ، وإن أحببت أسكت<sup>(١)</sup> عنه ، فقال : بل أجب ، قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليها وسلم ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً ، وجعله للعرب أباً ، فأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ، وقام وهو يقول :

شَرِّدَهُ الخوف وأزرى به كذاك من يكره حر الجلال  
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكته أطراف مَرَوٍ حدد  
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

(١) في نسخة : وان شئت ان اسكت سكت عنك .

إن يُحدث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد  
 فمضى عليها الى الكوفة وخرج عنها ، ومعه القراء والأشراف ، فعاربه  
 يوسف بن عمر الثقفي ، فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد ، وبقي في  
 جماعة يسيرة ، فقاتلهم أشد قتال ، وهو يقول متمثلاً :  
 أذلّ الحياة وعز الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً  
 فإن كان لا بد من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً  
 وحال المساء بين الفريقين ، فراح زيد مشغناً بالجراح<sup>(١)</sup> ، وقد أصابه سهم  
 في جبهته ، فطلبوا من ينزع النصل ، فأتى بحجام من بعض القرى ، فاستكتموه  
 امره ، فاستخرج النصل ، فمات من ساعته ، فدفنوه في ساقية ماء ، وجعلوا  
 على قبره التراب والحشيش ، وأجري الماء على ذلك ، وحضر الحجام مواراته  
 فعرف الموضع ، فلما أصبح مضى الى يوسف متنصعاً ، فدلّه على موضع قبره ،  
 فاستخرجه يوسف ، وبعث برأسه الى هشام ، فكتب اليه هشام : ان اصلبه  
 عرياناً ، فصلبه يوسف كذلك ، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب  
 آل أبي طالب وشيعتهم من ابيات :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب  
 وبنى تحت خشبته عموداً ، ثم كتب هشام الى يوسف يأمره بإحراقه  
 ودفنوه في الرياح .

صنيع العباسيين بقبور الامويين : قال المسعودي : وحكى الهيثم بن عدي  
 الطائي ، عن عمرو بن هانيء ، قال : خرجت مع عبدالله بن علي لنبس قبور  
 بني أمية في ايام ابي العباس السفاح ، فانتبهنا الى قبر هشام ، فاستخرجناه  
 صحيحاً ما فقدنا منه الا خورمة<sup>(٢)</sup> أنفه ، فضربه عبدالله بن علي ثمانين سوطاً ،  
 ثم احرقه ، واستخرجنا سليمان من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئاً الا صلبه  
 وأضلاعه ورأسه ، فاحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرها من بني أمية ، وكانت

(١) في نسخة: وانصرف زيد مشغناً بالجرح . (٢) في نسخة : حشمة انفه .



قبورهم بقنسرين ، ثم انتهينا الى دمشق ، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك ، فما وجدنا في قبره قليلاً ولا كثيراً ، واحتفرتنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ، ثم احتفرتنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه الا عظماً<sup>(١)</sup> واحداً ووجدنا مع لحده خطأ أسود كأنها خط بالرماد في الطول في لحده ، ثم اتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم .

وانما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع لقتل هشام زيد بن علي<sup>(٢)</sup> ، وما قال هشام من المثلة بما فعل بسلفه من الاحراق كفعله يزيد بن علي .

وقد ذكر ابو بكر بن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيدا مكث مصلوباً خمسين شهراً عريانا ، فلم ير له احد عورة ، ستر من الله له ، وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة : أن احرق زيدا بخشبته ، ففعل ذلك به ، وأذرى رماده في الرياح على شاطيء الفرات .

فرق الزيدية من الشيعة : وقد اتينا في كتابنا المقالات في اصول الديانات ، على السبب الذي من اجله سميت الزيدية بهذا الاسم ، وان ذلك بخروجهم مع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، هذا ، وقد قيل غير ذلك بما قد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا ، والخلاف بين الزيدية والإمامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم وقد ذكر جماعة من مصنفى كتب المقالات والآراء والديانات من آراء الشيعة وغيرهم كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره ، أن الزيدية كانت في عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية ، وهم اصحاب ابي الجارود زياد بن المنذر العبدي ، وذهبوا الى ان الامامة مقصورة في ولد الحسن والحسين دون غيرهما ، ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرثئية<sup>(٣)</sup> ، ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالأبرقية ، ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية ، وهم اصحاب يعقوب بن علي الكوفي ، ثم الفرقة الخامسة المعروفة بالعقبية ، ثم الفرقة السادسة المعروفة بالأبترية ، وهم اصحاب كثير الأبتري والحسن بن صالح بن يحيى ، ثم الفرقة السابعة المعروفة

(١) في نسخة : فما وجدنا منه الا عظماً واحداً . (٣) في نسخة : المعروفة بمرثدية .

(٢) في نسخة : لقتل هشام زيد بن علي .

بالجزيرية ، وهم اصحاب سليمان بن جرير ، ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليانية ،  
 وهم اصحاب محمد بن اليان الكوفي ، وقد زاد هؤلاء في المذهب ،  
 وفرعوا مذاهب على ما سلف من اصولهم وكذلك فرق اهل الامامة  
 فكانوا على ما ذكر من سلف من اصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين  
 فرقة ، وقد ذكرنا تنازع القطيعة بعد مضي الحسن بن علي بن محمد بن  
 علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب  
 رضي الله عنهم ، وما قالت الكيسانية ، وما تباينت فيه وغيرها من سائر  
 طوائف الشيعة ، وهم ثلاث وسبعون فرقة ، دون ما تباينوا فيه من التفريع ،  
 وتنازعوا فيه من التأويل ، والغلاة أيضا ثمان فرق : الحمدية منهم أربع ،  
 والمعتزلة أربع ، وهم العلوية ، ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من  
 مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث في وقتنا هذا ، وما قالوه  
 من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره ، وما ذهب إليه كل فريق منهم في  
 ذلك من اصحاب الدور والسرو<sup>(١)</sup> والتشريق ، وغيرهم من اهل الإمامة .

بين هشام ورجل من اهل حمص : وعرض هشام يوماً الجند بجمص ، فمر  
 به رجل من اهل حمص وهو على فرس نفور ، فقال له هشام : ما حملك على  
 أن تربط فرسا نفوراً ؟ فقال الحمصي : لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ، ما  
 هو بنفور ، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ، فقال له  
 هشام : تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله ، وكان غزوان البيطار نصرانيا  
 ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته .

هشام والابرش الكلبي وجارية من جوارى هشام : وبيننا هشام ذات يوم  
 جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبي إذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة ، فقال  
 للأبرش : مازحها ، فقال لها الأبرش : هبي لي حلتك ، فقالت له : لأنت  
 أطمع من أشعب ، فقال لها هشام : ومن أشعب ؟ فقالت : كان مضحكا

(١) في نسخة : والثررة .

بالمدينة ، وحدثته بعض احاديثه ، فضحك هشام ، وقال : اكتبوا الى  
 ابراهيم بن هشام ، وكان عامله على المدينة ، في حمله إلينا ، فلما ختم للكتاب  
 أطرق هشام طويلاً ، ثم قال : يا أبرش ، هشام يكتب الى بلد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه منه مضحك ، لا ها الله ، ثم تمثل :  
 اذا انت طاورعت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال  
 وأوقف<sup>(١)</sup> الكتاب .

أمثلة من بخل هشام : وذكر أن هشاماً أهدى له رجل طائرين ، فأعجب  
 بهما ، فقال له الرجل : جائزتي يا أمير المؤمنين ، قال ويحك وما جائزة  
 طائرين ؟ قال له : ما شئت ، قال : خذ احدهما ، فقصد الرجل لأحسنها  
 فأخذه ، فقال له هشام : وتختار أيضاً ؟ قال : نعم والله أختار ؛ فقال :  
 دعه ، وأمر له بدرهيات .

ودخل هشام بستاناً له ومعه ندماءؤه فطافوا به ، وبه من كل الثمار ،  
 فجعلوا يأكلون ويقولون : بارك الله لأمير المؤمنين ، فقال : وكيف يبارك لي  
 فيه وأنتم تأكلونه ؟! ثم قال : ادع قيمه ، فدعا به ، فقال : اقلع شجره  
 واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه احد شيئاً .

وكتب اليه ابنه سليمان : إن بغلي قد عجزت ، فإن رأى أمير المؤمنين  
 ان يأمر لي بدابة ، فكتب إليه هشام : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وما  
 ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلها وضباع  
 العلف ، فقم عليها بنفسك ، ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه في حملانك .

ونظر هشام الى رجل على برذون طخاري ، فقال : من أين لك هذا ؟  
 قال : حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن ، قال : وقد كثرت الطخارية حتى  
 ركبها العامة ؟ لقد مات عبد الملك وفي مربطه برذون واحد طخاري ،

(١) في نسخة : ومزق الكتاب .

فتنافس فيه ولده ، حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته ، قال الرجل :  
فحسدني إياه<sup>(١)</sup> .

وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل ان يلي الأمر ، فقال له : يا هشام ،  
أتؤمل الخلافة وانت جبان بخيل ! فقال : والله إني عليم حلیم .

السواس من بني أمية : وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرهما ان  
السواس من بني أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وختمت به  
أبواب السياسة وحسن السيرة ، وأن المنصور كان في أكثر اموره وتدبيره  
وسياسته متبعا لهشام بن عبد الملك في افعاله ، لكثرة ما كشفه عن اخبار  
هشام وسيره<sup>(٢)</sup> .

وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياسته ، وما حفظ من أشعاره  
وخطبه ، وما كان في أيامه في كتابينا وأخبار الزمان ، والأوسط ، وكذلك  
ذكرنا بدء الكلام الذي أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة في  
مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشاركها فيها غيرها ، وما أضيف إلى كل  
حي من أحياء العرب من قحطان وغيرهم من نزار ، وما جرى في مجلس هشام  
في أوقات مختلفة بين الأبرش الكلبي والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وخالد  
ابن مسلمة المخزومي والنضر بن مريم الحميري ، وما أورده الحميري من مناقب  
قومه من حمير وكهلان ، وما أورده المخزومي من مناقب قومهم من نزار بن معد  
ابن عدنان ، وما ذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومهم وبان عن عشيرته  
وراهطه ، وقد قيل : إن هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى  
آل تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، على لسان من ذكرنا ، وعزاه إلى بن  
وصفنا ، أو غيره من الشعوبية .

(٢) في نسخة: عن أخبار هشام وسيرته .

(١) في نسخة : تحسدني إياه .

## ذكر

### أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

موجز : وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذي توفي فيه هشام ، وهو يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، ثم قتل بالبغراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت ولايته سنة وشهرين واثنتين وعشرين يوماً ، وقتل وهو ابن أربعين سنة ، والموضع الذي قتل فيه دفن فيه ، وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبغراء ، على ما ذكرنا ، وقد أتينا على خبر مقتله في كتابنا الأوسط .

## ذكر

### لمع من اخباره ، وسيره

ظهور يحيى بن زيد ومقتله : ظهر في أيام الوليد بن يزيد : يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، بالجوزجان من بلاد خراسان ، منكرراً للظلم وما عم الناس من الجور ، فسير إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز المازني ، فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها ارعونة ، ودفن هنالك ، وقبره مشهور مزور إلى هذه الغاية ، وليحيى وقائع كثيرة ، وقتل في المعركة بسهم أصابه في صدغه ، فولى أصحابه عنه يومئذ ، واحتز رأسه<sup>(١)</sup> ، فحمل إلى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان ، فلم يزل مصلوباً

(١) في نسخة : واجتز رأسه .

إلى ان خرج ابو مسلم صاحب الدولة العباسية ، فقتل ابو مسلم بن أحوز ، وأنزل جثة يحيى فصلى عليها في جماعة أصحابه ودفنت هناك ، وأظهر اهل خراسان النسيحة على يحيى بن زيد سبعة أيام في سائر اعمالها في حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بني أمية ، ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود إلا وسمي بيحيى او يزيد ، لما داخل اهل خراسان من الجزع والحزن عليه .

وكان ظهور يحيى في آخر سنة خمس وعشرين ، وقيل : في أول سنة ست وعشرين ومائة ، وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه في الكتاب الأوسط وفي غيره مما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء :

نهينُ النفوس ، وهون النفوس من يوم الكريمة أوفى لها<sup>(١)</sup>

هو الوليد وخلاعته : وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب وهو وطرب وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه ، وجالس الملحين ، وأظهر الشرب والملاهي والعزف ، وفي أيامه كان ابن سريج المغني ، ومعبد ، والغريض ، وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحمان ، وغلبت عليه شهوة الغناء في أيامه ، وعلى الخاص والعام ، واتخذ القيان ، وكان متهاكاً ماجناً خليعاً ، وطرب الوليد الليلتين خلتما من ملكه وأرق فأنشأ يقول :

طال ليلى وبت أسقى السلافه وأتاني نعي من الرصافه  
وأتاني ببرد وقضيب وأتاني بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام ، وقد أتاه البشير بذلك ، وسلم عليه

بالخلاقة ، فقال :

إني سمعت ، خليلي ، نحو الرصافة رنه

أقبلت أسحب ذيلي أقول : ما حاله

(١) في بعض النسخ : نهين النفوس وهول النفوس .

إذا بنات هشام يندبن والدانه  
يدعون ويلا وعولا والويل حل بيته  
أنا المُنخثُ حقاً إن لم أنيكنهتُ

وقيل للوليد : ما بقي من لذاتك؟ قال : محادثة الإخوان في الليالي القمر،  
على الكتيبان العفر .

الوليد وشراعة بن زيد : وبلغ الوليد عن شراعة بن زيد ورود حسن  
عشرة وحلاوة مجالسة ، فبعث في إحضاره ، فلما أدخل اليه قال : إني ما  
بعثت اليك لأسألك عن كتاب ولا مئة ، قال : ولست من أهلها ، قال :  
إنما أسألك عن القهوة ، قال : سل عن أي ذلك شئت يا أمير المؤمنين ،  
قال : ما تقول في الشراب؟ قال : عن أيه تسأل؟ قال : ما تقول في  
الماء؟ قال : يشاركني فيه البغل والحمار ، قال : فنبذ الزبيب؟ قال : خار  
وأذى ، قال : فنبذ التمر؟ قال : ضراط كله ، قال : فالخمر؟ قال : شقيقة  
روحي ، وأليفة نفسي ، قال : فما تقول في السماع؟ قال : يبعث مع الثاني  
على ذكر الأشجان ، ويجدد اللهو<sup>(١)</sup> على مواقع الأحزان ، ويؤنس الخلي  
الوحيد ، ويسر العاشق الفريد ، ويبرد غليل القلوب ، ويثير من خواطر  
الضائر خطرة ليست من الملامي لغيره ، يسرع ترقبها في أجزاء الجسد ، فتبهج  
النفس ، وتقوي الحس ، قال : فأبي المجالس أحب اليك؟ قال : ما رأيت فيه  
السماء من غير أن ينالني فيه أذى ، قال : فما تقول في الطعام؟ قال : ليس  
لصاحب الطعام اختيار ما وجدته أكله ، فاتخذ الوليد نديماً .

من قواه في الشراب : ومن مליح قوله في الشراب من أبيات :  
وصفراء في الكأس كالزعفران سباها لنا التجر من عسقلان  
تريك القذاة وعرض الإناء ستر لها دون مس البنات

(١) في نسخة : ويجدد النهي عن مواقع الأحزان .

لها حَبَبٌ كَمَا صُفِّتْ تَرَاهَا كَلِمَةً بَرَقَ يَمَانِي  
ومن مجونه أيضاً على شرابه قوله لساقيه :

اسقني يا يزيد بالقرقاره قد طربنا وحنّت الزُّمَّارَه  
اسقني اسقني ؛ فلان ذنوبي قد احاطت فما لها كفتاره

سمير الوليد يتحدث عنه : وأخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي  
القاضي ، عن محمد بن سلام الجمحي ، قال : حدثني رجل من شيوخ اهل الشام  
عن أبيه ، قال : كنت سميراً للوليد بن يزيد<sup>(١)</sup> ، فرأيت ابن عائشة القرشي  
عنده وقد قال له : غني ، فغناه :

اني رأيت صبيحة النحر حوراً نفين عزيمة الصبر  
مثل الكواكب في مطالعها عند العشاء اطفن بالبدر  
وخرجت أبني الأجر محتسباً فرجعت موقوراً من الوزر

فقال له الوليد : أحسنت والله يا أميري ، أعد بحق عبد شمس ، فأعاد ،  
فقال : أحسنت والله ، بحق أمية أعد ، فأعاد ، فجعل يتخطى من أب إلى  
أب ويأمره بالإعادة ، حتى بلغ نفسه ، فقال : أعد بجياني ، فأعاد ، فقام  
إلى ابن عائشة فأكب عليه ولم يُبق عضواً من أعضائه الا قبله ، وأهوى إلى  
أيره يقبله ، فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه ، فقال الوليد : والله لا  
زلت حتى أقبله ، فأبرأه فقبل رأسه وقال : واطرباه واطرباه ، ونزع ثيابه  
فألقاها على ابن عائشة ، وبقي مجرداً الى ان اتوه بشياب غيرها<sup>(٢)</sup> ، ودعا له  
بألف دينار فدفعت إليه ، وحمله على بغلة له وقال : اركبها على بساطي  
وانصرف فقد تركتني على أحر من جمر الفصّ .

ورث الوليد الخلاعة عن يزيد أبيه ؛ قال المسعودي : وقد كان ابن  
عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فأطربه ، وقيل : إنه ألد

(١) في نسخة: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد . (٢) في نسخة: الى ان جامره بشياب غيرها .



وكفر في طربه ، وكان قبا قال لساقيه : اسقنا بالسقاء الرابعة ، فكان الوليد ابن يزيد قد ورث الطرب في هذا الشعر عن أبيه ، والشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن سريج ، وقيل : لمالك ، على حسب ما في كتب الأغاني من الخلاف في ذلك مما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتابه في الأغاني وإبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة في كتابه في الأغاني أيضاً ، وغيرهما ممن وصف في هذا المعنى ، والوليد يُدعى خليع بن مروان .

فعله بالمصحف وقد استفتح به : وقرأ ذات يوم ( واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد ) فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأب ، وأقبل يرميه وهو يقول :

أترعدُ كلَّ جبار عنيدٍ      فها أنا ذاك جبار عنيدُ  
إذا ما جئت ربك يوم حشر      فقل يا رب خرقني الوليد

شعر له أُلحد فيه : وذكر محمد بن يزيد المبرد النحوي أن الوليد أُلحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الوحي لم يأته عن ربه ، كذَّبَ أخزاه الله ! من ذلك الشعر :

تَلَعَّبَ بالخِلافة هاشمي      بلا وحيٍ أتاه ولا كِتاب  
فقل لله يَمْنَعِي طعامي ،      وقل لله يَمْنَعِي شرابي !  
فلم يُنْهَلْ بعد قوله هذا إلا أياماً حتى قتل .

نسب أمه : وأم الوليد بن يزيد : أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفية ، ويكنى أبا العباس .

من خواص اليشب : وقد كان حمل إليه جفنة من البلور - وقيل : من الحجر المعروف باليشب (١) - وقد ذهب جماعة من الفلاسفة إلى أن مَنْ

(١) في نسخة : المعروف بالجمت .

الجزء الثالث: ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ..... ٢١٧

شرب فيه الخمر لا يسكر ، وقد ذكرنا خاصة ذلك في كتاب  
« القضايا والتجارب » وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص  
خاتمه منه لم يرَ إلا رؤيا حسنة ، فأمر الوليد فملئت خمرأ وطلع القمر وهو  
يشرب وندماؤه معه ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فقال بعضهم : في البرج  
الفلاني ، فقال له آخر منهم : بل هو في الجفنة ، وقد كان القمر تبين في  
شعاع الجوهر وصورته في ذلك الشراب ، فقال له الوليد : والله ما تعديت<sup>(١)</sup>  
ما في نفسي ، وطرب طرباً شديداً ، وقال : لأصطبحن<sup>٢</sup> ، هفت هفته ،  
وهذا كلام فارسي تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع ، فدخل عليه بعض  
حجابه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بالباب جمعاً من وفود العرب وغيرهم من  
قريش ، والخلافة تجل<sup>٣</sup> عن هذه المنزلة ، وتبعد عن هذه الحال ، فقال :  
اسقوه ، فأبى ، فوضع في فمه قمع<sup>٤</sup> وجعلوا يسقونه حتى خر<sup>٥</sup> ما يعقل  
سكراً .

وقد كان أبوه أراد أن يعهد إليه ، فلاستصغاره لسنه عهد إلى أخيه  
هشام ، ثم إلى الوليد من بعده .

كان مغرى بالخيل : وكان الوليد مغرّياً بالخيل وحبها وجمعها ، وإقامة  
الحلبة ، وكان السندي فرسه جواد زمانه ، وكان يسابق به في أيام هشام ،  
وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد ، وربما ضامته ، وربما جاء مصلياً .  
مراتب خيل الحلبة : وهاك مراتب السوابق من الخيل إذا جرت ،  
فأولها السابق ، ثم المصلي ، وذلك أن رأسه عند صلا السابق ، ثم الثالث  
والرابع ، وكذلك إلى التاسع ، والعاشر السكّيت ، مشدد ، وما جاء  
بعد ذلك لم يمتد به ، والفيسكيل : الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل .  
واجرى الوليد الخيل بالرضافة ، وأقام الحلبة ، وهي يومئذ ألف قارح ،

(١) في نسخة : والله ما عدوت ما في نفسي .

ووقف بها ينتظر الزائد ، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان له فيها جواد يقال له المصباح (١) ، فلما طلعت الخيل قال الوليد :

خَيْلي وربّ الكعبة المهرمه      سبقن أفراس الرجال اللثومة  
كما سبقناهم وحزنا المكرمه

كذاك كنا في الدهور القدمة      أهل الملا والرتب المعظمه  
فأقبل فرس ابن الوليد -- ويقال له : الوضاح - أمام الخيل ، فلما دنا  
صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه ، وهو فيما يرى  
سعيد يعد سابقاً ، فقال سعيد ، والوليد يسمع :

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه      وصرفَ الله إلينا المكرمه  
كذاك كنا في الدهور القدمة      أهل الملا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه ، وخشي أن تسبق فرس سعيد ، فركض فرسه  
حتى ساوى الوضاح ، فقذف بنفسه عليه ، ودخل سابقاً ، فكان الوليد أول  
من فعل ذلك وسنه في الحلبة ، ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في أيام  
المنصور ، والهادي في أيام المهدي ، ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة  
الثانية ، فمر به فرس لسعيد ، فقال : لا تسابقك يا أبا عنبسة ، وأنت القائل :

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه

فقال سعيد : ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت :

نحن سبقنا اليوم خيلاً لومه

فضحك الوليد ، وضمه إلى نفسه ، وقال : لا عدمت قريش أخاً

مثلك .

وللوليد بن يزيد أخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة ، فإنه اجتمع  
له في الحلبة ألف قارض ، وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف

(١) في نسخة: جواد يسمى المصباح .

بالسندي وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانها ، وقد ذكر ذلك جماعة من الأخباريين وأصحاب التواريخ ، مثل ابن عفير والأصمعي وأبي عبيدة وجعفر بن سليمان ، وقد أتينا على الفرر من أخباره في أخبار الخيل ، وأخبار الحلبات ، وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندي وأشقر مروان ، وغير ذلك من أخبار من سلف من الأمويين ، ومن تأخر ، في كتابنا المترجم بالأوسط ، وإنما الغرض من هذا الكتاب إيراد جوامع تاريخهم ، ولمسح من أخبارهم وسيرهم ، وكذلك أتينا على ذكر ما يستعجب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيوبها <sup>(١)</sup> وخلقها ، والشاب منها والمهرم ، ووصف ألوانها ودوائرها ، وما يستحسن من ذلك ، ومقادير أعمارها ، ومنتها بقائها ، وتنازع الناس في أعداد هذه الدوائر ، والمحمودة منها والمذمومة ، ومن رأى أنها ثمان عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ، ووصف السوابق من الخيل ، وغير ذلك مما تكلم الناس به في شأنها وأعرافها ، فيما سلف من كتبنا .

وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين : وفي أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقد تنوزع في ذلك : فمن الناس من رأى أن وفاته كانت في أيام هشام ، وذلك سنة سبع عشرة ومائة ، ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد ابن عبد الملك ، وهو ابن سبع وخمسين سنة ، بالمدينة ، ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين ، وغيره من سلفه عليهم السلام ، مما سنورد ذكرهم فيما يلي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

(١) في بعض النسخ : وعيونها .

## ذكر

### أيام يزيد و ابراهيم ابني الوليد

ابن عبد الملك بن مروان

موجز : ولي يزيد بن الوليد بدمشق<sup>(١)</sup> ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد ، وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد إلى أن مات خمسة أشهر وليلتين ، وقد كان إبراهيم بن الوليد أخوه قام بالأمر من بعده ، فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر ، وقيل : شهرين ، ثم خلع ، وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة المهرج والاختلاط ، واختلاف الكلمة ، وسقوط الهيبة ، وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر :

نبايع إبراهيم في كل جمعة ألا إن أمراً أنت وآل به ضائع  
ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ويقال : ابن ست وأربعين سنة على الخلاف في ذلك .

( ١ ) في نسخة : وولب يزيد بن الوليد بدمشق .

## ذكر

### لمع مما كان في أيامها

وصف يزيد الناقص : كان يزيد بن الوليد أحولاً ، وكان يلقب بيزيد الناقص ، ولم يكن ناقصاً في جسمه ولا عقله ، وإنما نقص بعض الجنود من أرزاقهم ، فقالوا : يزيد الناقص ، وكان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة : من التوحيد ، والعدل ، والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قول المعتزلة في التوحيد : وتفسير قولهم فيما ذهبوا إليه من الباب الأول - وهو باب التوحيد - وهو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم ، وإن كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين ، من أن الله عز وجل لا كالأشياء ، وأنه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر ، بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر ، وأن شيئاً من الحواس لا يدركه في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وأنه لا يحصره المكان ، ولا تحويه الأقطار ، بل هو الذي لم يزل ولا له زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد ، وأنه الخالق للأشياء المبدع لها لا من شيء ، وأنه القديم ، وأن ما سواه محدث .

قولهم في العدل : وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثاني - فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا

عنه<sup>(١)</sup> بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ، ولم ينه إلا عما كره ، وأنه ولي كل حسنة أمر بها ، بريء من كل سيئة نهى عنها ، لم يكلفهم مالا يطيقونه ، ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه ، وأن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التي أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم ، يُفنيها إذا شاء ، ويبعثها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ، ومعهم اضطرارياً عن معصيته ولكن على ذلك قادراً ، غير أنه لا يفعل ؛ إذ كان في ذلك رفع للمحنة ، وإزالة البلوى .

قولهم في الوعيد : أما القول بالوعيد - وهو الأصل الثالث - فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة ، وإنه لصادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته .

قولهم في المنزلة بين المنزلتين : وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين - وهو الأصل الرابع - فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر ، بل يسمى فاسقاً ، على حسب ما ورد التوقيف بتسميته ، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه .

قال المسعودي : وبهذا الباب سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال ، وهو الموصوف بالأسماء والأحكام ، مع ما تقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار .

قولهم في الأمر بالمعروف : وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو الأصل الخامس - فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب ، على حسب استطاعتهم في ذلك ، بالسيف فما دونه ، وإن كانت كالجهاد ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق .  
فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول

(١) في نسخة : وتجنبوا ما نهوا عنه .

الخمسة كان معتزلياً ، فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال ، فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة ، وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم .

الاختلاف في الامامة : وقد أتينا على سائر قولهم في أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الأمة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في كتابنا «المقالات في أصول الديانات» وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب «الإبانة» اجتبيناها لأنفسنا ، وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الإمامة ، وما بان به كل فريق منهم عن الآخر ، إذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب إلى أن الإمامة اختيار من الأمة ، وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا اجتمع المسلمون عندهم على رجل بعينه ، وأن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة تختار رجلاً منها ينفذ فيها أحكامه ، سواء كان قرشياً أو غيره من أهل ملة الإسلام وأهل العدالة والإيمان ، ولم يراعوا في ذلك النسب ولا غيره ، وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك .

والذي ذهب إلى أن الإمامة قد تجوز في قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها ، وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن يحيى ، ومن قال بقوله ، على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار هشام .

ويوافق على هذا القول جميع الخوارج من الأباضية وغيرهم ، إلا النجدات من فرق الخوارج ، فزعموا أن الإمامة غير واجب نصبها ، ووافقهم على هذا القول أناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر ، إلا أنهم قالوا : إن عدلت الأمة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج إلى إمام .

وذهب من قال بهذا القول إلى دلائل ذكروها ؛ منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن سالماً حي ما داخلني فيه الظنون ، وذلك حين فوض



الأمر إلى أهل الشورى ، قالوا : وسالم مولى امرأة من الأنصار ، فلو لم يعلم  
عمر أن الإمامة جائزة في سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ، ولم يتأسف على  
موت سالم مولى أبي حذيفة .

قالوا : وقد صح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة ، منها  
قوله « اسمعوا واطيعوا ولو لعبد أجْدَع » ، وقد قال الله عز وجل :  
( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) .

وذهب أبو حنيفة ، وأكثر المرجئة ، وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها ،  
وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية ، إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في  
قريش فقط ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم « الإمامة في قريش » وقوله  
عليه السلام : « قدموا قريشاً ولا تقدموها » ، ولما احتج المهاجرون به على  
الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة من أن الإمامة في قريش لأنهم إذا ولوا عدلوا ،  
ولرجوع كثير من الأنصار إلى ذلك .

ولما انفرد به أهل الإمامة من أن الإمامة لا تكون إلا نصاً من الله  
ورسوله على عين الإمام واسمه واشتباره كذلك ، وفي سائر الأعصار لا تخلو  
الناس من حجة لله فيهم ظاهراً أو باطناً ، على حسب استعماله التقية والخوف  
على نفسه ، واستدلوا بالنص على الإمامة ، وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع  
من النصوص في وجوبها ، وفي النص عليهم ، وفي عصمتهم ، من ذلك قوله  
عز وجل مخبراً عن إبراهيم : ( إني جاعلك للناس إماماً ) ومسألة إبراهيم  
بقوله : ( ومن ذريتي ) وإجابة الله له بأنه ( لا ينال عهدي الظالمين ) .

قالوا : فقيم تلونا دلائل على أن الإمامة نص من الله ، ولو كان نصها إلى  
الناس ما كان لمسألة إبراهيم ربه وجه ، ولما كان الله قد أعلمه أنه اختاره ،  
وقوله ( لا ينال عهدي الظالمين ) دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم .

ووصف هؤلاء الإمام فقالوا : نعمت الإمام في نفسه أن يكون معصوماً

من الذنوب ، لأنه إن لم يكن معصوماً لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب ؛ فيحتاج أن يقام عليه الحد ، كما يقامه هو على غيره ، فيحتاج الإمام إلى إمام ، إلى غير نهاية ، ولم يؤمن عليه أيضاً أن يكون في الباطن فاسقاً فاجراً كافراً ؛ وأن يكون أعلم الخليفة ؛ لأنه إن لم يكن عالماً لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه ، فيقطع من يجب عليه الحد ، ويحد من يجب عليه القطع ، ويضع الأحكام في غير المواضع التي وضعها الله ، وأن يكون أشجع الخلق ؛ لأنهم يرجعون إليه في الحرب ، فإن جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله ، وأن يكون أسخى الخلق ؛ لأنه خازن المسلمين وأمينهم ، فإن لم يكن سخياً ناقت نفسه إلى أموالهم ، وشرهت إلى ما في أيديهم ، وفي ذلك الوعيد الشديد بالنار ، وذكروا خصلاً كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد ، وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم : من السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والقراءة ، والحكم بالعدل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقها لظواهرهم بقوله عز وجل ، ووصفه لهم فيما صنعوه من الإطعام للمسكين واليتيم والأسير ، وأن ذلك لوجه تعالى خالصاً ، لا أنهم أبدوه بالسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم في المنقلب ، وحسن الموثل في المحشر ، ثم إخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير ، وغير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه ، وأن علياً نص على ابنه الحسن ، ثم الحسين ، والحسين على علي بن الحسين ، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر ، على حسب ما ذكرنا وسمينا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب .

ولأهل الإمامة من فرق الشيعة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة - كلام كثير في الغيبة واستعمال التقية ، وما يذكرونه من أبواب الأئمة والأوصياء لا يسعنا إيرادها في هذا الكتاب ، إذ كان كتاب خبر ،

ولمّا تغفل بنا الكلام إلى إيراد لمع من هذه المذاهب والآراء .  
وكذلك ما عليه غير أهل الإمامة من أصحاب الدور والسيورة<sup>(١)</sup>، وما يراعونه من الظهور ، وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا ، وما وصفنا فيها من الأقاويل في الظاهر والباطن والسائر والداقر والوافر<sup>(٢)</sup> ، وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم .

قال المسعودي : وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعة<sup>(٣)</sup> من المعتزلة وغيرهم من أهل دَارِيَّاء والمِزَّة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد ، لما ظهر من فسقه ، وشمل الناس من جوره ، فكان من خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلاً ، وذكرناه في هذا الكتاب مجملًا .

أم يزيد أم ولد : وكان يزيد بن الوليد أول من ولي هذا الأمر وأمه أم ولد ، وكانت أمه سارية بنت فيروز بن كسرى ، وهو الذي يقول في ذلك :

أنا ابنُ كِسْرَى وأبي مَرْوان وقِصْرٌ جَدِّي وجدِّي خاقان  
وكان يكنى بأبي خالد ، وأم أخيه إبراهيم أم ولد تدعى بدبرة . والمعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز ، لما ذكرناه من الديانة .

ظهور مروان بن محمد ( المهاور ) : وفي سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد هارباً من دمشق ، ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه ، وقتل من ماله ووالاه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد بن خالد القسري ، وبدأ أمر بني أمية يؤول إلى ضعف .

(١) في نسخة : من أصحاب دين الهجرة والمشورة . (٢) في نسخة : مع سابقة .

(٢) » » : والواقف .

وذكر اليحصبي عن الخليل بن ابراهيم السبيعي ، قال : سمعت ابن  
الجمحي يقول : قال لي العلاء ابن بنت ذي الكلاع : إنه كان مؤانساً لسليمان  
ابن عبد الملك لا يكاد يفارقه ، وكان أمر المسوودة بخراسان والمشرق قد  
بان ، ودنا من الجبل ، وقرب من العراق ، واشتد إرجافُ الناس ، ونطق  
العدو بما أحب في بني أمية وأوليائهم ، قال العلاء : فإني لَمَعَ سليمان وهو  
يشرب حذاء رصافة أبيه ، وذلك في آخر أيام يزيد الناقص ، وعنده حكم  
الوادي ، وهو يغنيه بشعر المرَجِيّ :

إن الحبيبَ تروحتَ أحمالهُ أصلاً ؛ فدمعك دائم إسبالهُ  
إقنَ الحياءَ فقد بكيتَ بعولتهِ لو كان ينفع باكباً إعوالهُ  
يا حبذا تلك الممول ، وحبذا شخصٌ هناك ، وحبذا أمثالهُ  
فأجاد بما شاء ، فشرب سليمان بالرطل ، وشربنا معه ، حتى توسدنا  
أيدينا ، فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياي ، فقلت إليه مسرعاً ، فقلت له :  
ما شأن الأمير ؟ فقال لي : على رسلكِ ، رأيت كأني في مسجد دمشق ،  
وكان رجلاً في يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر ، وهو  
رافع صوته بهذه الأبيات :

أبني أمية قد دنا تشيتكم وذهابُ ملككم وأن لا يرجع  
وينالُ صفوتهُ عدوٌ ظالمٌ للحسنين إليه ثمة يفجعُ  
بعد المات بكل ذكر صالح يا ويئلهُ من قبح ما قد يصنعُ

فقلت : بل لا يكون ذلك ، وعجبت من حفظه ، ولم يكن من أصحاب  
ذلك ، فوجم ساعة ثم قال : يا حميري ، بعيد ما يأتي به الزمان قريب ،  
قال : فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك .

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان من أمر المسوودة ومروان بن  
محمد الجمدي ما كان .

سبب زوال ملك الامويين : وذكر المنقري قال : سئل بعض شيوخ بني أمية وعصليها عقيب زوال الملك عنهم إلى بني العباس : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : إنا سُغِلْنَا بِلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيقتنا ؛ فيسوا من انصافنا ، وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخَلَّوْا عَنَّا ، وخربت ضياعنا ، فخلت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا ، فأثروا مرافقهم على منافعنا ، وامضوا أمورنا دوننا أخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا ، فزال طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا<sup>(١)</sup> فتظافروا معهم على حربنا ، وطلبنا أعداؤنا فمجزنا عنهم لقله أنصارنا ، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا .

## ذكر

### السبب في العصبية بين النزارية واليانية

الكميت يعرض شعره على الفرزدق : ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : حدثني أبي ، قال : لما قال الكميت بن زيد الأسدي - من أسد مضر بن نزار - الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نفي على لساني ، وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت ، فان كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وان كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته علي ، فقال : يا ابن أخي ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما قلت راشداً ، فأنشده :

طربت وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مني ، وذو الشيب يلعب

قال : بلى فالعب ، فقال :

(١) في نسخة : استدعاهم عداتنا .

ولم يُلِهني دارٌ ولا رسمٌ منزلٌ ولم يتطربني بناتٌ مخضبٌ  
قال : فما يطربك إذا ؟ قال :

وما أنا بمن يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحُ عُرابٍ أو تعرض ثعلب  
قال : فما أنت ويحك ؟ وإلى من تسمو ؟ فقال :

وما السانحات البارحاتُ عشيةٌ أمرٌ سليمُ القرنِ أم مر أعضبُ  
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخيرِ بني حواء ، والخيرُ يُطلب  
وقال : ومن هم ويحك ؟ قال :

إلى النفرِ البيضِ الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقربُ  
قال : أرِحني ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رَهْطِ النبي ؛ فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

قال : لله درك يا بني ، أصبت فأحسنت ، إذ عدلت عن الزعانف  
والأوباش إذا لا يصرُد سهمك ، ولا يُكذب قولك ، ثم مرّ فيها ، فقال له :  
أظهر ثم أظهر وكِدِ الأعداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي .

الكديت يعرض شعره على أبي جعفر محمد بن علي : فحينئذ قدم المدينة ،  
فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فأذن له ليلاً  
فأنشده ، فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيلٍ بالطِّفِّ غودِرٍ منهم بين غوغاء أمة وطفام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميث ، لو كان عندنا مال لأعطيناك ،

ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لا زلت  
مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت ، فخرج من عنده .

ثم يعرضه على عبد الله بن الحسن : فأتى عبد الله بن الحسن بن علي ،

فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ، إن لي ضيعة قد أعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذلك شهوداً ، وناولته إياه ، فقال : بأبي أنت وأمي ، إني كنت أقول الشعر في غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ، ولا والله ما قلت فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذَ على شيء جعلته لله مالا ولا ثمناً ، فالح عبد الله عليه ، وأبى من اعفائه ، فأخذ الكميت الكتاب ومضى ، فكث أياماً ، ثم جاء الى عبد الله فقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، إن لي حاجة ، قال : وما هي ؟ وكل حاجة لك مقضية ؛ قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قال : هذا الكتاب تقبله وترجع الضيعة ، ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله .

عبد الله بن جعفر يشيب الكميت : ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ؛ فأخذ ثوباً جلدأ فدفعه الى أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بني هاشم ، ويقول : يا بني هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمّت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ، فيطرح الرجل في الثوب ما قدره عليه من دنانير ودرهم ، وأعلم النساء بذلك ، فكانت المرأة تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتخلع الحلي عن جسدها ، فاجتمع من الدنانير والدرهم ما قيمته مائة الف درهم ، فجاء بها الى الكميت ، فقال : يا أبا المستهل ، أتيناك يجهد المقل ، ونحن في دولة عدونا ، وقد جمعنا لك هذا المال وفيه حلي النساء كما ترى ، فاستمن به على دهرك ، فقال : بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأطيبتم ، وما أردت بمدحي إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أك لأخذ لذلك ثمناً من الدنيا ، فأردده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة ؛ فأبى ، فقال : إن أبيت (١) أن تقبل فلإني رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس ، لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحب ، فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي

(١) في نسخة : أما اذ أبيت أن تقبل .

يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وإياد وأنمار ابني نزار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنّب في وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان ؛ ففضب بها بين اليمانية والنزارية ، فيما ذكرناه ، وهي قصيدته التي أولها :

أَلَا حُيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ نَاسٌ تَقُولُ مَسْلِينَا  
إِلَى أَنْ أَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَصْرِيحًا وَتَعْرِيفًا بِالْيَمَنِ فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ  
وغيرهم فيها ، وهو قوله :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ	تَشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَ
وَجَدْتُ اللَّهَ إِذْ سَمَى نَزَارًا	وَأَسْكَنَهُمْ بِمَكَّةَ قَاطِنِينَ
لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ	وَلِلنَّاسِ الْقَفَا وَلَنَا الْجَبِينَا
وَمَا ضَرَبْتَ هَجَائِنَ مِنْ نَزَارٍ	فَوَالجِ مِنْ فُحُولِ الْأَعْجَمِينَا
وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عِتَاقٍ	مُطَهَّرَةً فَيَلْفُوا مَبْلَغِينَا
وَمَا وَجَدْتَ نِسَاءَ بَنِي نَزَارٍ	حَلَائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرِينَا

دعبل الخزاعي يرد على الكميت : وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها ، وصرح وعرض بغيرهم ، كما فعل الكميت ، وذلك في قصيدته التي أولها :

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا	كَفَاكِ اللَّوْمَ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا
أَلَمْ تَحْزُنْكَ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي	يُشَيِّنَ الذَّوَابِّ وَالْقُرُونَا
أَحْيَ الْغُرِّ مِنْ سُرُواتِ قَوْمِي	لَقَدْ حُيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا
فَإِنْ يَكُ آلُ إِسْرَائِيلَ مِنْكُمْ	وَكَنتُمْ بِالْأَعَاجِمِ فَآخِرِينَا
فَلَا تَنْسَ الْخَنَازِيرَ اللَّوَاتِي	مُسِيخْنَ مَعَ الْقُرُودِ الْخَاسِئِينَا
بِيَأْمَةَ وَالْخَلِيجِ لَهُمْ رُسُومٌ	وَأَثَارَ قَدُمُنْ وَمَا مُحِينَا



وما طلب الكميّ طلاب وترٍ ولكننا لنصرتنا هجينا  
لقد علمت نزارٌ أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

كانت العصبية من دواعي زوال ملك بني أمية : وهي طويلة ، ونمي قول الكميّ في النزارية واليانية ، وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من المناقب ، وتحزبت الناس ، وثارَت العصبية في البدو والحضر ؛ فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجمدي ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية ، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن ، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ؛ وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعه في القِدَمِ ، وفعل عقبة بن سالم بعُمان والبحرين ، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وُعمان كياداً لمن ، وتعصباً من عقبة بن سالم لقومه من قحطان ، وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان .

## ذكر

أيام مروان بن محمد بن مروان

ابن الحكم ، وهو الجمدي

موجز : وبويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : إنما دعا (١) إلى نفسه بمدينة حران من ديار مُضَر ، وبويع له بها ، وأمه أم ولد يقال لها رَيّا ، وقيل طرونة ، كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن

(١) في نسخة : انه دعا إلى نفسه .

مروان أبيه ، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك ، واجتمع أهل الشام على بيعته ، إلا سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بني أمية ، فكانت أيامه منذ بويج بمدينة دمشق من أرض الشام إلى مقتله خمس سنين وعشرة أيام ، وقيل : خمس سنين وثلاثة أشهر ، وكان مقتله في أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومنهم من رأى أن ذلك كان في المحرم ، ومنهم من رأى أنه كان في صفر ، وقيل غير ذلك بما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم في مقدار ملكه : فمنهم من ذهب إلى أن مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ، ومنهم من قال : خمساً وشهرين وعشرة أيام ، ومنهم من قال : خمساً وعشرة أيام ، وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر ، وقد تنوزع في مقدار سنة كتنازعهم في مقدار ملكه ، فمنهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة ، ومنهم من قال : ابن تسع وستين ، ومنهم من قال : اثنتين وستين ، ومنهم من قال : ثمان وخمسين ، وإنما نذكر هذا الخلاف من قولهم لثلا يظن ظاناً أننا قد أغفلنا ما ذكرناه أو تركنا شيئاً مما وصفوه ، مما إليه قصدنا في كتابنا هذا ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ما قيل في ذلك ، في كتابينا أخبار الزمان والأوسط .

وسنورده فيما يرد من هذا الكتاب 'جلا من كيفية مقتله وأخباره ، وجوامع من سيره وحروبه ، وما كان من أمر الدولتين في ذلك من الماضيه - وهي الأموية - والمستقبله في ذلك الزمان - وهي العباسية - مع أفرادنا باباً نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الأمويين ، وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان ، وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام ، ثم 'نعقب' ذلك بلمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبي مسلم ، وخلافة أبي العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بني العباس ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خلافة أبي إسحاق المتقي لله إبراهيم بن المقتدر بالله ، إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

## ذكر

### مقدار المدة من الزمان

وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام

المدة اجمالاً : كان جميع ملك بني أمية الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص ؛ لأنهم ملكوا تسعين سنة ، وأحد عشر شهراً ، وثلاثة عشر يوماً .

تفصيل المدة : قال المسعودي : والناس متباينون في تواريخ أيامهم ، والمعول على ما نوره<sup>(١)</sup> وهو الصحيح عند اهل البحث ومن عني بأخبار هذا العالم ، وهو أن معاوية بن أبي سفيان ملك عشرين سنة ، ويزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ، ومعاوية بن يزيد شهراً وأحد عشر يوماً ومروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام ، وعبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً ، والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين ، وسليمان بن عبد الملك سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوماً ، وهشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام ، واسقطننا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كإسقاطنا أيام إبراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين ، ومروان بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، إلى ان بويع السفاح ، فتكون الجملة تسعين

(١) في نسخة : والمعول عليه ما نوره .

سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ، يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العباس إلى أن قتل ، فيصير ملكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

يُوضع من ذلك أيام الحسن بن علي - وهي خمسة أشهر وعشرة أيام - وتوضع أيام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذي قتل فيه - وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام - فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر ، يكون ذلك ألف شهر سواء .

وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل : (ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر) ما ذكرناه من أيامهم .

وقد روي عن ابن عباس أنه قال : والله ليملكنّ بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية : باليوم يومين ، وبالشهر شهرين ، وبالسنة سنتين ، وبالحليفة خليفتين .

مدة ملك بني العباس : قال المسعودي : فملك بنو العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وانقضى ملك بني أمية ؛ فلبني العباس من وقت ملكهم<sup>(١)</sup> إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مائتا سنة ، وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة في ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا من تصنيفنا من هذا الكتاب إلى هذا الموضع في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة أبي اسحاق المتقي لله ، والله اعلم بما يكون من أمرهم فيما يأتي به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الأيام .

وقد اتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط على الفرر من أخبارهم ، والنوادر من اسمائهم ، والطرائف مما كانت في أيامهم وعهودهم ، ووصاياهم ، ومكاتباتهم ، وأخبار الحوادث والخوارج في أيامهم من

الأزارقة والأباضية وغيرهم، ومن ظهر من الطالبين طالباً بحق أو أمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر، فقتل في إمامهم، وكذلك من تلام من بني العباس إلى خلافة المتقي لله من سنتنا هذه - وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وما ذكرنا في هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا لدولة كل واحد منهم وأيامه، وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم، والمفصل<sup>(١)</sup> من مدتهم، والله اعلم، ومنه التوفيق.

## ذكر

### الدولة العباسية

ولم من أخبار مروان ومقتله  
وجوامع من حروبه وسيره

قول الراوندية في الخلافة : قد قدمنا في الكتاب الأوسط ما ذكرته الراوندية - وهم شيعة ولد العباس بن عبدالمطلب، من أهل خراسان وغيرهم - من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، وأن أحق الناس بالإمامة بعده العباس بن عبدالمطلب؛ لأن د عمه ووارثه وعصبته، لقول الله عز وجل : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وأن الناس اغتصبوه حقه، وظلموه أمره، إلى أن رده الله إليهم، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإجازته لها، وذلك لقوله : يا ابن أخي، هلم إلى أن أبيعك فلا يختلف عليك اثنان، ولقول داود بن عليّ على منبر الكوفة يوم بويح لأبي العباس : يا أهل الكوفة،

(١) في نسخة : والمحصل من مدتهم .

لم يَقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عليّ بن أبي طالب ، وهذا القائم فيكم - يعني أبا العباس السفاح - .

من حوار فاطمة الزهراء وأبي بكر الصديق : وقد صنف هؤلاء كتباً في هذا المعنى الذي ادعوه هي متداوله في أيدي أهلها ومنتحلها ، منها كتاب صنّفه عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو المترجم بكتاب « إمامة ولد العباس » ، يحتج فيه لهذا المذهب ، ويذكر فعل أبي بكر في فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضي الله عنها ، ومطالبتها بإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم ، واستشهادها ببعثها وابنيها وأم أيمن ، وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة ، وما كثر بينهم من المنازعة ، وما قالت ، وما قيل لها عن أبيها عليه السلام ، من انه قال : « نحن معاشر الأنبياء نرث ولا نورث » ، وما احتجت به من قوله عز وجل : ( وورث سليمان داود ) على ان النبوة لا تورث ، فلم يبق إلا التوارث وغير ذلك من الخطاب ، ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ، ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية ، وهم شيعة ولد العباس ، لأنه لم يكن مذهبه ، ولا كان يعتقدّه ، ولكن فعل ذلك تماجناً وتطريباً .

العثمانية للجاحظ : وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه ، وأيده بالبراهين وعَضده بالأدلة فيما تصوره من عقله ، وترجمه بكتاب العثمانية ، يحل فيه عند نفسه فضائل علي عليه السلام ومناقبه ، ويحتج فيه لغيره ، طلباً لإماتة الحق ، ومضادة لأهله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

كتب أخرى للجاحظ : ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حق أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامة المروانية وأقوال شيعتهم ، ورأيت مترجماً بكتاب إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، في الانتصار له من علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة، يذكر فيه رجال مروانية، ويؤيد فيه إمامة بني أمية وغيرهم.

ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية، يذكر فيه ما فات ذكره ونقضه عند نفسه، من فضائل أمير المؤمنين علي ومناقبه فيما ذكرنا. نقض الشيعة لكتب الجاحظ: وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه بكتاب العثمانية وغيره، وقد نقضها جماعة من متكلمي الشيعة: كأبي عيسى الوراق، والحسن بن موسى النخعي، وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك في كتبه في الإمامة مجتمعاً ومفترقاً.

والمعتزلة تنقض العثمانية: وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضاً رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم، وأهل الزهد والديانة منهم، ممن يذهب إلى تفضيل علي والقول بإمامة المفضول - وهو أبو جعفر محمد بن عبدالله الإسكافي - وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين، وفيها مات أحمد بن حنبل، وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب، ووفاته غيره من المعتزلة، وإن كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا.

وأي الجريانية في الإمامة: والذي ذهب إليه من تأخر من الراوندية وانتقل وتحبر عن جملة الكيسانية القائلة بإمامة محمد بن الحنفية - وهم الجريانية أصحاب أبي مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية، وكان يلقب بجريان - أن محمد بن الحنفية هو الإمام بعد علي بن أبي طالب، وأن محمداً أوصى إلى ابنه أبي هاشم، وأن أبا هاشم أوصى إلى علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، وأن علي بن عبد الله أوصى إلى ابنه محمد بن علي، وأن محمداً أوصى إلى ابنه إبراهيم الإمام المقتول بجران، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس بن عبدالله بن الحارثية المقتول.

أصل أبي مسلم الخراساني: وقد تنوزع في أمر أبي مسلم: فمن الناس

من رأى أنه كان من العرب، ومنهم من رأى أنه كان عبداً فأعتق، وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها خرطينة وإليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطينية ، وتلك من اعمال الكوفة وسوادها ؛ وكان قهرمانا لإدريس بن إبراهيم العجلي ، ثم آل أمره ونمت به الأقدار إلى أن اتصل بمحمد بن علي ، ثم بإبراهيم بن محمد الإمام ، فأنفذه إبراهيم إلى خراسان ، وأمر أهل الدعوة بإطاعته والانقياد إلى أمره ورأيه فقوي أمره وظهر سلطانه ، وأظهر السواد ، وصار زينة في اللباس والأعلام والبنود ، وكان أول من سوّد من أهل خراسان بنيسابور وأظهر ذلك فيهم أسيد بن عبدالله ، ثم نعى ذلك في الأكثر من المدن والكور بخراسان ، وقوي أمر أبي مسلم ، وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدي على بلاد خراسان ، وكانت له مع أبي مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد من تفرقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه ، وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى إلى أن قتل؛ أتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان ، والأوسط ، وذكرنا بدء أخبار الكرمانى جديع بن علي ، وما كان بينه وبين سلم بن أخوَزَ صاحب نصر بن سيار ، وما كان من أمر خالد بن برمك ، وقحطبة بن شبيب ، وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية : كسليمان ابن كثير ، وأبي داود خالد بن إبراهيم ، ونظرانهم ، وما كان من شعارهم عند إظهار الدعوة ، وندائهم حين الحروب : محمد يا منصور ، والسبب الذي له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون سائر الألوان .

بين نصر بن سيار ومروان بن محمد الجعدي : وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان ، وإعلامه بما هو فيه ، وإظهار أمر العباسية ، وتزايد في كل وقت ؛ فكان فيما كتب به إليه إعلامه بحال أبي مسلم وحال من معه ، وأنه كشف عن أمره وبجث عن حاله ، فوجده يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن



علي بن عبدالله بن العباس ، وضمن كتابه أبياتاً من الشعر ، وهي :

أرى بين الرماد وميض جمر      ويوشك أن يكون له ضرام<sup>(١)</sup>  
فإن النار بالعودين تذكى      وإن الحرب أولها الكلام  
فإن لم تطفئوها تجن حرباً      مشمرة يشيب لها الغلام  
أقول من التعجب : ليت شعري      أيقاظ أمية أم نيام؟  
فإن بك قومنا أضحوا نياماً      فقل : قوموا ؛ فقد حان القيام  
ففري عن رحالك ، ثم قولي :      على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلاً بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها ، وما كان من خبره في حروبه مع الضحاك بن قيس الحروري حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرقوتى ورأس العين ، وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ، ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحري الشيباني فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها ابا الذلفاء شيبان الشيباني ، وما كان من حروب مروان مع نعم بن ثابت الجذامي ، وكان خرج عليه ببلاد طبرية والأردن من بلاد الشام حتى قتله مروان ، وذلك في سنة ثمانية وعشرين ومائة ، فلم يدر مروان كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وإنجازها . هو فيه من الحروب والفتن ، فكتب اليه مروان مجيباً عن كتابه : ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم التؤلؤل قبلك<sup>(٢)</sup> ، فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه : أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده .

بعض خلال وأعمال مروان بن محمد الجعدي : وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى ان قتل ، وبرزت له جارية<sup>(٣)</sup> من جواريه ، فقال لها : والله لا دنوت منك ، ولا حلت لك عقدة ، وخراسان ترجف وتتضرم بنصر ابن سيار ، وأبو مجرم قد أخذ منه بالخنثى .

(١) في نسخة : أرى خلل الرماد وميض نار . (٢) في نسخة : وكرامت له جارية .

(٢) » » : فاجشم التولات تملك .

وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك ، وأخبارها في حروبها ، من الفرس ، وغيرها من ملوك الأمم .

وعذله بعض أوليائه بمن كان يأنس إليه في ترك النساء والطيب وغير ذلك من اللذات ، فقال له مروان : يمنعني منهن ما منع أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال له الرجل : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : حمل صاحب إفريقية إليه جارية ذات بهاء وكال ، تامة المحاسن ، شبيهة للمتأمل ، فلما وقفت بين يديه تأمل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو بدير الجماجم واقعاً لابن الأشعث فرمى بالكتاب عن يده ، وقال لها : أنت والله منية النفس ، فقالت الجارية : ما يمنعك يا أمير المؤمنين إذ كنت بهذا الوصف ؟ قال : يمنعني والله منك بيتٌ قاله الأخطل :

قومٌ إذا حاربوا شذبوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

أألتد بالعيش وابن الأشعث مصافٌ لأبي محمد وقد هلكت فيه زعماء العرب ؟ لاها الله إذا ، ثم أمر بصيانتها ، فلما قتل ابن الأشعث كانت أول جارية خلاها .

نصر يكتب لابن هبيرة يستنجده : ولما يش نصر بن سيار من إنجاد مروان كتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزازي عامل مروان على العراق يستمده ، ويسأله النصر على عدوه ، وضمن كتابه أبياتاً من الشعر وهي :

أبلغ يزيد ، وخير القول أصدقه وقد تبينت ان لا خير في الكذب  
بان أرض خراسان رأيت بها بيضاً لو افرخ قد حدثت بالعجب  
فراخ عامين إلا انها كجبرت لما يطرن وقد سربلن بالزغب  
فإن يطرن ولم يحتل لمن بها يلهن نيران حرب أيها هب

فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه ، وتشاغل بدفع فتن العراق .  
دعاة الى طالب الحق بالحجاز : ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم  
ابو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وبلخ بن عقبة الأزدي ، وهما فيمن معها  
يدعون الى عبدالله بن يحيى الكندي ، وكان قد سمى نفسه بطالب الحق ،  
وخطب بأمر المؤمنين ، وكان اباضي المذهب من رؤساء<sup>(١)</sup> الخوارج ، وذلك  
في سنة تسع وعشرين ومائة .

مروان يجهز لحرب الخوارج : وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد  
جيشاً مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي . فلقى الخوارج بوادي  
القرى ، فقتل بلخ ، وفر ابو حمزة في بقيتهم الى مكة ، فلحقه عبد الملك ،  
فكانت بينهم وقعة قتل فيها أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج ، وسار  
عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن ، وخرج عبدالله بن  
يحيى الكندي الخارجي من صنعاء ، فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش ،  
فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبدالله بن يحيى وأكثر من كان معه  
من الأباضية ، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت ، فأكثرها أباضية الى هذا  
الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - ولا فرق بينهم وبين من بعث  
من الخوارج في هذا المذهب ، وسار عبد الملك في جيش مروان فنزل صنعاء ،  
وذلك في سنة ثلاثين ومائة ، وقد كان سليمان بن هشام بن عبد الملك اتصل  
بالخوارج بالجزيرة خوفاً من مروان ، واحتوى عبد الله بن معاوية بن عبدالله  
ابن جعفر على بلاد إصطخر وغيرها من ارض فارس ، الى ان رفع عنها<sup>(٢)</sup>  
وصار الى خراسان ، فقبض عليه ابو مسلم ، وقد ذكرنا من يقول بإمامته ،  
وينقاد الى دعوته ، في كتابنا « المقالات » في اصول الديانات ، في باب تفرق  
الشيعة ومذاهبهم .

(٢) في نسخة : الى ان دفع عنها .

(١) في نسخة : من رأي الخوارج .

موت نصر بن سيار : وقوي امر ابي مسلم ، وغلب على اكثر خراسان ، وضعف امر نصر بن سيار من عدم النجدة ، فخرج عن خراسان حتى أتى الري ، وخرج عنها ، فنزل ساوة بين بلاد همدان والري ، فمات بها كمدأ .

وقد كان نصر بن سيار - لما صار بين الري وخراسان - كتب كتاباً الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان ، وأن هذا الأمر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد ، وضمن ذلك ابياتاً من الشعر ، وهي :

إنا وما نكتمُ من امرنا	كالثور إذ قرب للناخع
او كالتى يحسبها اهلهما	عذراء بكرأ وهي في التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت	واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذ أنهج فيه البلى	أعيا على ذي الحيلة الصانع

خديعة مروان للقبض على ابراهيم الامام : فلم يستم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بن يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان من ابي مسلم الى ابراهيم بن محمد الإمام يخبره فيه خبره ، وما آل اليه أمره ، فلما تأمل مروان كتاب ابي مسلم قال للرسول: لا ترع ، كم دفع لك صاحبك؟ قال : كذا وكذا ، قال : فهذه عشرة آلاف درهم لك ، وإنما دفع اليك شيئاً يسيراً ، وامنض بهذا الكتاب إلى ابراهيم ، ولا تعلمه بشيء مما جرى ، وخذ جوابه فائتني به ، ففعل الرسول ذلك ، فتأمل مروان جواب ابراهيم إلى ابي مسلم بخطه يأمره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من أمره ونهيه ، فاحتبس مروان الرسول وكتب الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب الى عامل البلقاء فيسير إلى القرية المعروفة بالكرار والحميمة ليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ، ويبعث به إليه في خيل كثيفة ، فوجه الوليد الى عامل البلقاء فأخذ ابراهيم وهو جالس في مسجد القرية فأخذ وهو ملفف ، وحمل إلى الوليد ، فحمله الى مروان

فحبسه في السجن شهرين<sup>(١)</sup> ، وقد كان جرى بين إبراهيم ومروان خطب طويل حين مثل بين يديه ، وأغلظ له إبراهيم ، وأنكر كل ما ذكره له مروان من أمر أبي مسلم ، فقال له مروان : يا منافق ، أليس هذا كتابك إلى أبي مسلم جواباً عن كتابه إليك ، وأخرج إليه الرسول ، وقال : أتعرف هذا ؟ فلما رأى ذلك إبراهيم أمسك ، وعلم أنه أتى من مأمنه .

مقتل إبراهيم وجماعة معه : واشتد أمر أبي مسلم ، وكان في الحبس مع إبراهيم جماعة من بني هاشم وبني أمية : فمن بني أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان مروان قد خافها على نفسه وخشي أن يخرجها عليه ، ومن بني هاشم : عيسى ابن علي ، وعبد الله بن علي ، وعيسى بن موسى ؛ فذكر أبو عبيدة الثعلبي - وكان معهم في الحبس - أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من المعجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه إبراهيم والعباس وعبد الله ، فأقاموا عندهم ساعة ، ثم خرجوا وأغلق باب البيت ، فلما أصبحنا دخلنا عليهم ، فوجدناهم قد أتى عليهم ، ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى ، فلما رأونا أنسوا بنا ، فسألناهم الخبر ، فقالا : أما العباس وعبد الله فجعل على وجوهها نخاد وقعد فوقها فاضطربا ثم بردا ، وأما إبراهيم فإنهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة ، فاضطرب ساعة ثم خمد . وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من إبراهيم إلى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل ، منها :

دونك أمراً قد بدت أشراطه إن السبيل واضح صراطه  
لم يبق إلا السيف واختراطه

وقد ذكر في كيفية قتل إبراهيم الإمام من الوجوه غير ما ذكرنا، وقد اتينا

(١) في نسخة : فحبسه بالسجن بحران .

على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الأوسط ، وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات ، وغرق قحطبة فيه ، ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة .

**موقعة الزاب بين عبدالله بن علي ومروان :** وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير ، وعقد عليه الجسر ، وأتاه عبدالله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم ، وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فالتقى مروان وعبدالله بن علي ، وقد كردس مروان خيله كراديس الفأ والفين ، فكانت على مروان ، فانهزم ، وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم ، فكان فيمن غرق في الزاب من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل ، دون من غرق من سائر الناس ، وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك المخلوع ، وهو أخو يزيد الناقص ، وقد قيل في رواية أخرى : إن مروان كان قد قتل إبراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه ، وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

**أهل حران ومروان :** ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل فنعاه أهلها من الدخول إليها ، وأظهروا السواد لما رأوه من تولية الأمر عنه ، وأتى حران - وكانت داره ، وكان مقامه بها - وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل لعن أبي تراب - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه - عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته ، وقالوا : لا صلاة إلا بلعن أبي تراب ، وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق وظهور المسوودة ما كان ، وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم ، وخرج مروان في أهله وسائر بني أمية عن حران ، وعبر الفرات ، ونزل عبدالله بن علي على باب حران ؛ فهدم قصر مروان ، وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم ، واحتوى على خزائن مروان وأمواله ، وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى إلى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين والأردن فنزل عليه ، وسار

عبد الله بن علي حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية ابن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل ، ف وقعت بينهم العصبية في فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية ، وقد قيل : إن أصحاب عبد الله بن علي قتلوه وأتى عبد الله بن علي يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملها إلى أبي العباس السفاح ، فقتلها وصلبها بالحيرة ، وقتل عبد الله بن علي بدمشق خلقاً كثيراً ولحق مروان بمصر ، ونزل عبد الله بن علي على نهر أبي فطرس ، فقتل من بني أمية هناك بضعاً وثمانين رجلاً ، وذلك في يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وقتل باللقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك وحمل رأسه إلى عبد الله بن علي ، ورحل صالح بن علي في طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعامر بن إسماعيل المذحجي ، فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير ، فبايتوه ، وهجموا على عسكره وضربوا بالطبول ، وكبروا ونادوا : يا لثارات ابراهيم ، فظن من في عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة ، فقتل مروان ، وقد اختلف في كيفية قتله في المعركة في تلك الليلة ، وكان قتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولما قتل عامر بن إسماعيل مروان وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن ، فأخذوا الخادم فسئل عن أمره ؛ فقال : أمرني مروان إذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني ؛ فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلوني ، هلموا فاتبعوني ، ففعلوا ، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل ، فقال : اكشفوا هنا ، فكشفوا ، فاذا البرد والقضيب ونحوه قد دفنها مروان لثلاث تصير إلى بني هاشم ، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي ،

فوجه بها عبد الله الى أبي العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس الى ايام المقتدر ، فيقال : ان البرد كان عليه في يوم مقتله ، ولست أدري أكل ذلك باقٍ مع المتقي لله الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك .

بنات مروان بين يدي صالح بن علي ، ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والأسارى الى صالح بن علي ، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى ، فقالت : يا عم أمير المؤمنين ، حفظ الله لك من أمرك ما يجب لك حفظه ، وأسعدك في الأمور كلها بخواص نعمه ، وعمك بالعافية في الدنيا والآخرة ، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك ، فليسعنا من عفوك ما وسعكم من جورنا ، قال : اذن لا نستبقي منكم أحداً رجلاً ولا امرأة ، ألم يقتل ابوك بالأمس ابن أخي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الإمام في محبسه بجران ؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين ابن علي وصلبه في كناسة الكوفة ، وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدي يوسف ابن عمر الثقفي ؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ؟ ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعي مسلم بن عقيل بن أبي طالب بالكوفة ؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي على يدي عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ؟ ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى ورد بهن على يزيد بن معاوية وقبل مقدمهن بعث اليه برأس الحسين بن علي قد ثقب<sup>(١)</sup> دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنهما حتى قدموا به على يزيد بدمشق كأنما بعث اليه برأس رجل من أهل الشرك ؟ ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبي يتصفحن جنود أهل الشام الجفأة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافاً بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل ، وكفراً لأنعمه ، فما الذي استبقيتم منا أهل البيت ؟ لو عدلتم فيه علينا ! قالت

(١) في نسخة . قد نصب دماغه .



يا عم أمير المؤمنين ليسنا عفوكم اذا ، قال : أما العفو فنعم قد وسعكم ، فإن أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن علي ، وزوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح ، فقالت : يا عم أمير المؤمنين ، وأي أوان عرس هذا ؟ بل تلحقنا بجران ، قال : فإذا أفعل ذلك بكن إن شاء الله ، فألحقهن بجران ، فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان ، وشقن جيوبهن ، وأغولن بالصياح والنحيب ، حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان .

فكان ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا ذكره في هذا الكتاب من التنازع في مدة أيامه ، ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل نبو صير ثمانية أشهر ، فكانت مدة أيامه إلى ان قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنة وغير ذلك من أخباره ، وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا .

عبد الحميد بن يحيى الكاتب : وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات ، وهو أول من أطال الرسائل ، واستعمل التعميدات في فصول الكتب ، واستعمل الناس ذلك بعده .

وذكر أن مروان قال لكاتبه عبد الحميد - حين أيقن بزوال ملكه - قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفني في حياتي ، وإلا لم تعجز عن حفظ حرّمي بعد وفاتي ، فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك ، وأقبحها بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك ، وقال :

أسيرٌ وفاء ثم أظهر غدره فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره ؟  
وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله ، وخبر بشر بن عبد الله الواحدي ومقتله في كتابنا الأوسط ، فأغنى ذلك عن ذكره .

مروان يعترق الفرار الى ارض الروم فيرده اسماعيل القشيري : وذكر  
 اسماعيل بن عبدالله القشيري قال : دعاني مروان وقد وافى على الهزيمة الى  
 حران ، فقال : يا ابا هاشم ، وما كان يكنيني قبلها ، قد ترى ما جاء من  
 الأمر وأنت الموثوق به ، ولا نخباً لعطير بعد عروس<sup>(١)</sup> ، فما الرأي ؟  
 فقلت : يا أمير المؤمنين علام أجمعت ؟ قال : على أن أرتحل بموالي ومن تبغني  
 من الناس حتى أقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فأنزلها ،  
 وأكتب صاحبها ، وأستوثق منه ، فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم ،  
 وليس هذا عارا بالملوك ، فلا يزال يأتيني من أصحابي الخائف والهارب  
 والطامع فيكثر من معي ، ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصري  
 على عدوي ، فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأي ، ورأيت آثاره في قومي  
 من قحطان وبلاءه عندهم ، فقلت : أعينك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي ،  
 تحمك أهل الشرك في بناتك وحرملك ، وهم الروم ، ولا وفاء لهم ، ولا تدري  
 ما تأتي به الأيام ، وأنت إن حدث عليك حادث بأرض النصرانية - ولا  
 يحدث عليك إلا خير - ضاع من بعدك ، ولكن اقطع الفرات ، ثم استنفر  
 أهل الشام جنداً جنداً فإنك في كنف وعزة ، ولك في كل جند صنائع ،  
 يسرون معك حتى تأتي مصر ، فانها أكثر أرض الله مالاً وخيلاً ورجالاً ، ثم  
 الشام أمامك وإفريقية خلفك ، فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام ،  
 وان كانت الأخرى مضيت الى إفريقية ؛ قال : صدقت ، واستخير الله ،  
 فقطع الفرات ، ووالله ما قطعه معه من قيس إلا رجلاً : ابن حمزة السلمي  
 وكان أخاه من الرضاة ، والكومر بن الأسود الغنوي ، ولم ينفع مروان  
 نعصبه مع النزارية شيئاً ، بل غدروا به وخذلوه ، فلما اجتاز ببلاد قنسرين  
 وخناصرة أوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ، ووثب به أهل حص ،  
 وسار الى دمشق ، فوثب به الحارث بن عبدالرحمن الحرشي ، ثم أتى الأردن

(١) في نسخة : ولا نخباً بعد بؤس .

فوثب به هاشم بن عمرو القيسي والمذحجيون جميعاً ، ثم مر بفلسطين فوثب  
الحكم بن صنعان بن روح بن زنباع ؛ لما رأوا من إديبار الأمر منه ، وعلم  
مروان أن اسماعيل بن عبدالله القشيري قد غشّه في الرأي ولم يحضه النصيحة ،  
وأنه فرط في مشورته إياه ؛ إذ شاور رجلاً من قحطان موقوراً متعصباً من  
قومه على أضدادهم من نزار ، وإن الرأي كان الذي همّ بفعله من قطع  
الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبته ملكها إلى أن يرثي في أمره .

وذكر المدائني والعتبي وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرّد من  
رجاله ، ومن اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم ، مائة  
ألف فارس على مائة ألف قارح ، فلما كان يوم الواقعة وأشرف عبد الله بن  
عليّ في المسودة ، وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البُخْتِ ،  
وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب ، قال مروان لمن قرّب  
منه : أما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا ؟ أما ترون إلى أعلامهم فوق  
هذه الإبل كأنها قطع من الغمام سود ؟ فبينما هو كذلك إذ طار من أفرجة  
هنالك قطعة من الغرابيب سود ، فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن عليّ ،  
واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ، ومروان ينظر ، فتطير من  
ذلك فقال : أما ترون السواد قد اتصل بالسواد ، وكأن الغرابيب كالسحب  
سواداً ، ثم نظر إلى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفرع والفشل  
فقال : إنها لعدة ، وما تنفع العدة إذا انقضت المدة ؟

ولمروان على الزاب أخبار غير هذه قد أتينا على ذكرها في كتابينا  
« أخبار الزمان ، والأوسط » فأغنى ذلك عن إعادة ذكرها ، والله ولي  
التوفيق .

## ذكر

### خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح

موجز : وبويع أبو العباس السفاح - وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل : انه بويع يوم الاربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل في النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية ، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة فخطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فضج الناس وقالوا : أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، ومات بالأنبار في مدينته التي بناها ، وذلك في يوم الأحد لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وقيل : ابن تسع وعشرين سنة ، وكانت أمه تحت عبد الملك بن مروان ، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك ، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح ، وعبيد الله ، وداود وميمونة .

## ذكر

### جمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه

وصية ابراهيم الامام له : ولما حبس ابراهيم الإمام بجران ، وعلم ان لا نجاة له من مروان ، أثبت وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد ، وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالمحيمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه إلى الكوفة فإن هذا الأمر صائر إليه لا محالة ، وأنه بذلك أتتهم الرواية ، وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ، ورسم له بذلك رسماً أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ، ودفع الوصية بجميع ذلك إلى سابق الخوارزمي مولاه ، وأمره إن حدث به حدث من مروان في ليل أو نهار أن يحد السير إلى المحيمة حتى يدفع وصيته إلى أخيه أبي العباس ، فلما قضى إبراهيم نجه أمرع سابق في السير حتى أتى المحيمة فدفع الوصية إلى أبي العباس ونعاه إليه ، فأمره أبو العباس بستر الوصية وأن ينعاه ، ثم أظهر أبو العباس أهل بيته على أمره ، ودعا إلى مؤازرته ومكاشفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد ، وعيسى بن موسى بن محمد بن أخيه ، وعبد الله بن علي عمه ، وتوجه أبو العباس إلى الكوفة مسرعاً ، وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته ، فلقبتهم أعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم إلى الكوفة ، وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم إلى الماء ، فقالت الأعرابية : تالله ما رأيت وجوهاً مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي ، فقال لها أبو جعفر المنصور : كيف قلت يا أمة الله ؟ قالت والله ليلينا هذا ، وأشارت إلى السفاح ، ولتخلفنه أنت ، وليخرجن عليك هذا ، وأشارت إلى عبد الله

ابن علي، فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود، وهما منصرفان من العراق الى الحيمة من أرض الشراة، فسأله داود عن مسيره، فأخبره بسببه، وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم، وأنه يريد الوثوب بالكوفة، فقال له داود: يا أبا العباس، تشب بالكوفة ومروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة 'مطيل' على أهل العراق، وابن هبيرة شيخ العرب في جلة العرب بالعراق؟ فقال، أم العباس: يا عمّاه، من أحب الحياة ذل، وتمثل بقول الأعشى:

فما مية إن متها غير عاجز يعار، إذا ما غالت النفس غولها  
فالتفت داود الى ابنه موسى، فقال: أي بني، صدق ابن عمك، ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما، فمطفأ ركابها معه، وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة.

وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان - حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام - أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب.  
مقدم السفاح الكوفة: وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته سرا، والمسودة مع أبي سلمة بالكوفة، فأنزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أودح من اليمن، وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج، وبراءتهم من علي والطاهرين من ذريته، ولم أر الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - فيما دُرّت من الأرض وتغربت من الممالك رجلا من أود إلا وجدته - اذا استبطنت ما عنده - ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم.

وأخفى أبو سلمة امر أبي العباس ومن معه، ووكل بهم وكيلا، وكان قدوم أبي العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس، وقد كان أبو سلمة لما قتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه، فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم

وكان أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ! يدعو كل واحد منهما إلى الشخصوص إليه ليصرف الدعوة إليه ، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له ، وقال للرسول : العَجَلُ العَجَلُ ، فلا نكون كوافد عاد ، فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة علي أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقبه ليلاً ، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه ، فقال له أبو عبد الله : وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري ، قال : باني رسول ، فتقرأ كتابه رجيبه بما رأيت ، فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال للرسول : عرف صاحبك بما رأيت ، ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميث بن زيد :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها      ويا حاطباً في غير حملك تحطب

كيف آلت الامامة للمفاح : فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج به ، فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حماراً حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه ، وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله ، فقال له : يا أبا محمد أمر ما أتى بك ، قال : نعم وهو أجل من أن يوصف ، فقال : وما هو يا أبا محمد ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له أبو عبد الله : يا أبا محمد ، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان ؟ وأنت أمرته بلبس السواد ؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو رجعت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام ، إلى أن قال : إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة ، فقال أبو عبد الله جعفر : والله ما هو مهدي هذه الأمة ، ولئن شمر سيفه ليقتلن ، فنازعه عبد الله القول ،

حتى قال له : والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد ، فقال أبو عبد الله : والله ما هذا إلا نصح مني لك ، ولقد كتب اليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك ، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه ، فانصرف عبد الله من عند جعفر مفضباً ، ولم ينصرف رسول أبي سلمة اليه الى أن بويع السفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم مني العسكر الى الكوفة فلقي سابقاً الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له : سابق؟ قال : سابق ، فسأله عن ابراهيم الإمام ، فقال : قتله مروان في الحبس ، وكان مروان يومئذ بجران ، فقال أبو حميد : فإلى من الوصية ؟ قال : الى أخيه أبي العباس ، قال : وأين هو ؟ قال : معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومتهم وأهل بيته ، قال : منذ متى هم هنا ؟ قال : من شهرين ، قال : فتعني بنا اليهم ، قال : غداً بيني وبينك الموعد في هذا الموضع وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس في ذلك ، فانصرف الى أبي العباس فأخبره ، فلامه إذ لم يأت به معه اليهم ، ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك ، منهم أبو الجهم<sup>(١)</sup> وموسى بن كعب ، وكان زعيمهم ، وغداً سابق الى الموضع ، فلقي أبا حميد ، ففضيا حتى دخلا على أبي العباس ومن معه فقال : أيكم الإمام ؟ فأشار داود بن علي الى أبي العباس ، وقال : هذا خليفتم ، فأكب على أطرافه يقبلها ، وسلم عليه بالخلافة ، وأبو سلمة لا يعلم بذلك ، وأتاه وجوه القواد فبايعوه ، وعلم أبو سلمة بذلك فبايعه ، ودخلوا الى الكوفة في أحسن زيار ، وضربوا له مصافحاً ، وقدمت الخيول ، فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الإمارة ، وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة نزلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس في أي شهر بويع له من هذه السنة .

(١) في نسخة : منهم الجهم وموسى بن كعب .



ثم دخل المسجد الجامع من دار الإمارة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر  
تعظيم الرب ومننه ، وفضل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقاد الولاية والوراثة  
حتى انتهت إليه ، ووعد الناس خيراً ، ثم سكت ، فتكلم عنه داود بن علي  
وهو على المنبر دون أبي العباس ، فقال : إنه والله ما كان بينكم وبين رسول  
الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علي عليه السلام وأمير المؤمنين هذا الذي  
خلفني ، ثم تلا .

ثم خرج أبو العباس الى عسكر أبي سلمة فنزل في حجرته ، واستخلف على  
الكوفة وأرضها عمه داود بن علي ، وبعث بعنه عبدالله بن علي الى ابي عون  
عبد الملك بن يزيد ، فسارا معاً إلى مروان ، فكان من أمرهم ما قدمه ما ذكره  
من التقائهم على الزاب ، وهزيمة مروان بن محمد .

عامر بن اسماعيل قاتل مروان ، واتصل بأبي العباس السفاح ما كان من  
عامر بن اسماعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل : إن ابن عم لعامر يقال له نافع  
ابن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه ، وإن عامراً لما  
احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل إلى الكنيسة التي كانت فيها  
مروان ، فقعده على فرشه وأكل من طعامه ، فخرجت إليه ابنة مروان  
الكبرى ، وتعرف بأمر مروان ، وكانت أسنهن ، فقالت : يا عامر إن دهرأ  
أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها فأكلت من طعامه واحتويت على  
أمره ، وحكمت في مملكته ؛ لقادر أن يغير ما بك من نعمة .

بين السفاح وعامر بن اسماعيل : وبلغ السفاح فعله وكلامها ، فاغتاظ  
من ذلك ، وكتب إليه : ويلك ! أما كان لك في أدب الله عز وجل ما  
يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان ، وتقعده على مهاده ، وتتمكن من  
وساده ؟ أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك  
لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وألم أدبه ما يكون لك زاجراً ، ولغيرك  
واعظاً ، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله تعالى بصدقة تطفىء

بها غضبه ، وصلاة تظهر بها الاستكانة ، وصُمّ ثلاثة أيام ، ومُرّ جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك .

رأس مروان بين يدي السفاح : ولما أتى أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رَهْطِكَ ، والحمد لله الذي أظفرتني بك وأظهرني عليك ، ثم قال : يا أبالي متى طرقتي الموت ، قد قتلتُ بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين ، وأحرقت شلو هشام ببن عمي زيد بن علي ، وقتلت مروان بأخي إبراهيم ، وتمثل :

لو يشربون دمي لم يُرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني  
ثم حوّل وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفر وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له :

أبى قومنا أن ينصفونا ، فأنصفت قواطعُ في أيماننا تقطر الدما  
تورثن من أشياخ صدق تقربوا بيني إلى يوم الوغى فتقدموا  
إذا خالطت هام الرجال تركنها كبيض نعام في الوغى متحطها  
وقالت الشعراء في أمر مروان فأكثرته .

وذكر أبو الخطاب عن أبي جمعة بن هبيرة المخزومي - وكان أحد وزراء مروان وسمّاه ، وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف إلى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم - أنه كان في ذلك اليوم حاضراً لمجلس أبي العباس ورأس مروان بين يديه ، وهو يومئذ بالحجيمة ، وأن أبا العباس التفت إلى أصحابه فقال : أيكم يعرف هذا ؟ قال أبو جمعة : فقلت أنا أعرفه ، هذا رأس أبي عبد الملك مروان بن محمد خليفتنا بالأمس رضي الله عنه ، قال : فحدقتُ إليّ الشيعة فأخذتني بأبصارها ، فقال لي

أبو العباس : في أي سنة كان مولده ؟ قلت : سنة ست وسبعين ، فقام وقد تغير لونه غيظاً علي<sup>(١)</sup> ، وتفرق الناس من المجلس ، وانصرفتُ وأنا تادم على ما كان مني ، وتكلم الناس في ذلك وتحدثوا به ، فقلت هذه زلة والله لا تستقال ولا ينساها القوم أبداً ، فأتيت منزلي ، فلم أزل باقي يومي أعهد وأوصي ، فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة ، وكان أبو العباس إذا همّ بأمر بعث فيه ليلاً ، فلم أزل ساهراً حتى أصبحت ، فلما أصبحت ركبت بغلتي واستعرضت بقلبي إلى من أقصد في أمري ، فلم أجد أحداً أولى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة ، وكانت له من أبي العباس منزلة عظيمة ، وكان من شيعة القوم ، فأتيته ، فقلت : أذكرني أمير المؤمنين البارحة ؟ فقال : نعم ، جرى ذكرك فقال : هو ابن اختنا ، وفسى لصاحبه ، ونحن إن أوليناه خيراً كان لنا أشكر ، فشكرت ذلك له وجزيته خيراً ، ودعوت له ، وانصرفت ، فلم أزل آتي أبا العباس على ما كنت عليه لا أرى إلا خيراً ونمي الكلام الذي كان في مجلس أبي العباس - حين أتى برأس مروان - فبلغ أبا جعفر وعبد الله بن علي ، فكتب عبد الله بن علي إلى أبي العباس يُعلمه بما بلغه من كلامي ، وأنه ليس هذا يحتمل ، وكتب أبو جعفر يخبر بما بلغه من ذلك ، ويقول : هو ابن اختنا ، ونحن أولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده ، وبلغني ما كان منها فأمسكت ، وضرب الدهر ضربانه ، فبينما أنا ذات يوم عند أبي العباس بعد حين وقد تزايدت حاله عنده وأحظاني ، فنهض الناس ونهضتُ ، فقال لي أبو العباس : على رسلك يا ابن هبيرة ، اجلس فجلست ، ونهض ليدخل فقامت لقيامه ، فقال : اجلس ، فرفع الستر ودخل ، وثبت في مجلسي ، فأقام ملياً ثم رفع الستر فخرج في ثوبي وشي رداء وجبة ، فما رأيت أحسن منه ولا بما عليه قط ، فلما رفع الستر نهضت ، فقال : اجلس ، فجلست ، فقال : يا ابن هبيرة ، إني ذاكر

(١) في نسخة : غضبا علي .

لك أمراً فلا يخرجن من رأسك إلى أحد من الناس ، ثم قال : قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر وولاية العهد لمن قتل مروان ، وعبد الله بن علي عمي هو الذي قتله ؛ لأن ذلك كان يجيشه وأصحابه ، وأخي أبو جعفر - مع فضله وعلمه ومنه وإيثاره لأمر الله - كيف يسوغ إخراجه عنه ؟ قال : فأطال في مديح أبي جعفر ، فقلت : أصلح الله أمير المؤمنين !! لا أشير عليك ، ولكني أحدثك حديثاً تعتبره ، فقال : هاته ، فقلت : كنا مع مسئلة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز بنعي سليمان ومصير الأمر إليه ، فبعث إلي ، فدخلت عليه ، فرمى بالكتاب إلي فقرأته ، ثم اندفع يبكي ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لا تبكي على أخيك ، ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك إلى ولد عمك ، فبكى حتى اخضلت لحيته ، قال : فلما فرغت من حديثي قال لي أبو العباس : حسبك قد فهمت عنك ، ثم قال : إذا شئت فانهض ، فما مضيت غير بعيد حتى قال لي : يا ابن هبيرة ، فالتفت راجعاً ، فقال لي : امض ، أما إنك قد كافأت هذا ، وأدركت بئارك من هذا ، قال : فما ادري من أي الأمرين أعجب ؟ أمن فطنته أم من ذكره لما كان ؟

وأبو جمدة بن هبيرة هذا هو من ولد جمدة بن هبيرة الخزومي من فاختة أم هانيء بنت أبي طالب ، وعلي وجعفر وعقيل أخواله ، وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب .

بين عبد الله بن علي وأخيه داود في ولاية عهد السفاح : قال المسعودي : ووجدت في أخبار المدائني ، عن محمد بن الأسود ، قال : بينا عبد الله بن علي يسائر أخاه داود بن علي ومعها عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فقال داود لعبد الله : لم لا تأمر ابنك بالظهور ؟ فقال عبد الله : هيات لم يشن لها بعد فالتفت إليه عبد الله بن علي فقال : كأنك تحسب أن ابنك هما قاتلا مروان ، فقال : ان ذلك كذلك ، فقال عبد الله : هيات ، وتمثل :

## سيكفيك المقالة مستميت خفيف اللحم من أولاد حام

أنا والله قاتله .

وقيل لعبدالله بن علي : ان عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز يذكر أنه قرأ في بعض الكتب أنه يقتل مروانَ عينُ ابنُ عينٍ، وقد أمّل أن يكون هو، فقال عبدالله بن علي : أنا والله ذلك ، ولي عليه فضل ثلاثة أعين ، أنا عبدالله ابن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهو عمرو بن عبد مناف . فلما صاف مروان عبدالله بن علي أقبل مروان على رجل الى جنبه فقال : من الرجل الذي كان يخاصم عندك عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الأقرنى الحديد البصر الحسن الوجه ؟ فقلت : يرزق الله البيان من يشاء ، قال : إنه هو ، قلت : نعم ، قال : من ولد العباس بن عبدالمطلب هو ؟ قلت : أجل ، فقال مروان ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، ويحك ! إني ظننت أن الذي يحاربني من ولد أبي طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبدالله أتدري لم صيرت الأمر بعدي لابني عبيدالله بعد عبدالله ومحمد أكبر من عبدالله؟ قلت : لم ؟ قال : لأنا خُبرنا أن الأمر صائر بعدي الى عبدالله وعبيدالله ، فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد ، فوليته دونه .

قال : وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن علي في خفية : إن الأمر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله في الحرم ، قال : فبعث اليه عبد الله : ان الحق لنا في دمك ، والحق علينا في حرمك .

زواج السفاح بأم سلمة بنت يعقوب : وذكر مصعب الزبيري عن أبيه قال : كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها ، فبينما هي ذات يوم جالسة إذ مر بها أبو العباس السفاح ، وكان جميلاً وسيماً ، فسألت عنه ، فنسب لها ، فأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها ، وقالت لها : قولي له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك ،

وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم ، فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك ، فقال : أنا مملق لا مال عندي ، فدفعت اليه المال ، فأنعم لها ، وأقبل إلى أخيها فسأله التزويج فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، واهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وإذا هي على منصّة ، فصعد عليها ، فاذا كل عضو منها مكمل بالجواهر فلم يصل إليها ، فدعت بعض جوارها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثياباً مصبغة ، فرشت له فراشاً على الأرض دون ذلك (١) فلم يقدر يصل إليها ، فقالت : لا يضرك هذا ، كذلك الرجال كان يصيبهم مثل ما أصابك ، فلم تزل به حتى وصل إليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرّي ، فولدت منه محمداً ورَيْطَةَ ، وغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمراً إلا بمشورتها وبتأمرها حتى أفضت الخلافة اليه ، فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة ، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها ، فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد ابن صفوان فقال : يا أمير المؤمنين ، إني فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة واقتصرت عليها فإن مرضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وحرمت نفسك التلذذ باستظراف الجوّاري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة القيداء ، وإن منهن البضة البيضاء ، والعتيقة الأدماء ، والدقيقة السمراء ، والبربرية العجّزاء ، من مولدات المدينة ، تفتن بمحادثتها ، وتلذ بخلوها ، وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن ؟ ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجّزاء ، والمولدات من البصريّات والكوفيات ، ذات الألسن العذبة ، والقُدود المهففة ، والأوساط المخصرة ، والأصداغ المزرفنة ، والعيون المكحلة ، والثدي المحققة ، وحسن زهين وزينتهن وشكلهن ، لرأيت شيئاً حسناً ، وجعل خالد يجيد في

(١) في نسخة : دون الذي كانت عليه .

الوصف ، ويكثر في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه ، فلما فرغ كلامه قال له ابو العباس : ويحك يا خالد ! ما صك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك ، فأعِدْ علي كلامك فقد وقع مني موقعاً ، فأعاد عليه كلامه خالد أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف ، وبقي ابو العباس مفكراً فيما سمع منه ، فدخلت عليه أم سلمة امرأته ، فلما رأته مفكراً مغموماً قالت : إني لأنكرك يا أمير المؤمنين ، فهل حدث أمر تكرهه ، او اتاك خبر فارتعت له ؟ قال لم يكن من ذلك شيء ، قالت : فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ، فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له ، فقالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟ قال لها : سبحان الله ينصحنى وتشتمينه ؟ فخرجت من عنده مفضبة ، وأرسلت الى خالد جماعة من النجارية ومعهم الكامركوبات<sup>(١)</sup> ، وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضواً صحيحاً ، قال خالد : فانصرفت الى منزلي ، وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين ، وإعجابه بما ألقىته اليه ، ولم أشك أن صلته ستأتيني ، فلم ألبث حتى صار اليّ اولئك النجارية وانا قاعد على باب داري ، فلما رأيتهم قد اقبلوا نحوي ايقنت بالجائزة والصلوة ، حتى وقفوا عليّ ، فسألوا عني ، فقلت : ها انا ذا خالد ، فسبق الي احدم بهراوة كانت معه فلما اهوى بها الي وثبت فدخلت منزلي ، واغلقت الباب عليّ ، واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ، ووقع في خلدي أنني أوتيت من قبل أم سلمة ، وطلبني أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا عليّ ، وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت فركبت وليس عليّ لحم ولا دم<sup>(٢)</sup> ، فلم أصل إلى الدار حتى استقبلني عدة رسل ، فدخلت عليه فألقىته خالياً ، فسكنت بعض السكون ، فسلمت فاوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ، فقال لي : يا خالد ، لم أراك منذ ثلاث ، قلت : كنت عليلاً يا

(٢) في نسخة : وليس لي لحم ولا دم .

(١) في نسخة : الكوريات .

أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! إنك كنت وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه ، فأعده علي ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهنم ، فقال : ويحك ! لم يكن هذا في الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتكم أن الثلاث من النساء كأثافي القدر يغلي عليهن ، قال أبو العباس : برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك في حديثك ، قال : وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شر مجموع لصاحبهن يشيبه ويهرمه ويسقمه ، قال : ويلك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت ، قال خالد : بلى والله ، قال : ويلك ! وتكذبنني؟ قال : وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين ؟ قال : مرّ في حديثك ، قال : وأخبرتكم أن أبكار الجواري رجال ، ولكن لا خصي لهن ، قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر ، قلت : نعم وأخبرتكم أيضاً أن بني مخزوم ربحانة قريش ، وأن عندك ربحانة من الرياحين ، وأنت تطمح بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء ، قال خالد : فقبل من وراء الستار : صدقت والله يا عماء وبررت ، بهذا حدثت أمير المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك ، فقال لي أبو العباس : ما لك قاتلك الله وأخزأك وفعل بك وفعل !؟ قال : فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة ، قال خالد : فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد صاروا إليّ ومعهم عشرة آلاف درهم وتحت وبرذون وغلّام .

كان السفاح يحب مسامرة الرجال : ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح ، وكان كثيراً ما يقول : إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً ، ويختار أن يزداد جهلاً ، فقال له أبو بكر الهذلي : ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : يترك مجالسة مثلك



وأمثال أصحابك ، ويدخل إلى امرأة أو جارية ، فلا يزال يسمع سخفاً ،  
ويروي نقصاً ، فقال له الهذلي : لذلك فضلكم الله على العالمين ، وجعل منكم  
خاتم النبيين .

السفاح وأبو نخيلة : ودخل عليه أبو نخيلة الشاعر ، فسلم عليه ، وانتسب  
به ، وقال : عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك ، أفتأذن لي في إنشادك ؟ فقال  
له : لعنك الله ! أأنت القائل في مسلة بن عبد الملك بن مروان :  
أمسّلم ، إني يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض  
شكرتك ، إن الشكر جبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي  
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض  
قال : فأنا يا أمير المؤمنين الذي أقول :

لما رأينا استمسكت يداك      كنا أناساً نرهبُ الملائكا  
ونركب الأعجاز والأوراكا      من كل شيء ما خلا الإشراكا  
فكلما قد قلت في سواكا      زورٌ ، وقد كفر هذا ذاكا  
إنا انتظرنا قبلها أبابا      ثم انتظرنا بعدها أخابا  
ثم انتظرناك لها إيابا      فكنت أنت للرجاء ذاكا

قال : فرضي عنه ووصله وأجازه .

كان أبسط وجهاً إذا حضر طعامه : وكان أبو العباس إذا حضر طعامه  
أبسط ما يكون وجهاً ، فكان إبراهيم بن مخرمة الكندي إذا أراد أن يسأله  
حاجة آخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله ، فقال له يوماً : يا إبراهيم ، ما دعاك  
إلى أن تشغلني عن طعامي بحولتك ؟ قال : يدعوني إلى ذلك التماس النجح  
لما أسأل ، قال أبو العباس : إنك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة .

بعض عادات وسياسات السفاح : وكان إذا تعادى رجلان من أصحابه  
وبطانته لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله ، وإن كان القائل عدلاً

في شهادته ، وإذا اصطاح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منها لصاحبه ولا عليه ، ويقول : إن الضعينة القديمة تولد العداوة الممّضة (١) ، وتحمل على إظهار المسألة ، وتحتها الأفعى التي إذا تمكنت لم 'تبقى' .

وكان في أول أيامه يظهر لندمائه ، ثم احتجب عنهم ، وذلك لسنة خلت من ملكه ، لأمر قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا ، وكان قعوده من واره الستارة ، على حسب ما ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب في سيرة أردشير ابن بابك وأيامه .

وكان يطرب من وراء الستار ، على حسب ما ذكرنا ، ويعسج بالمطرب له من المغنين : أحسنت والله ، أعد هذا الصوت .

وكان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا من مطربيه إلا بصلة من مال أو كسوة ، ويقول : لا يكون سرورنا ممجلاً ، ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلاً ، وقد سبقه إلى هذا الفعل ملك من الملوك التي للفرس ، وهو بهرام جور .

وحضره أبو بكر الهذلي ذات يوم ، والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث لأنوشروان في بعض حروبه بالشرق مع بعض ملوك الأمم ، فعصفت الريح فأذرت تراباً وقطعاً من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك ، وارتاع له ، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما تغير غيره ، فقال له أبو العباس : الله أنت يا أبا بكر ، لم أر كاليوم ، أما راعك ما راعنا ولا أحسست بما ورد علينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وإنما جعل للرجل قلب واحد ، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال ، والله عز وجل إذا أفرد بكرامته أحداً وأحب أن يبقي له ذكرها جعل تلك الكرامة على

(١) في نسخة : تولد العداوة المحضة .

لسان نبي او خليفة ، وهذه كرامة 'خصصت' بها فمال اليها ذهني ، وشغل بها فكري ، فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ، ولا وجدت لها ، الا بما يلزمني من نفسي لأمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، فقال له السفاح : لئن بقيت لك لأرفعن<sup>١</sup> منك وضيقاً لا تطيف به السباع ، ولا ينحط عليه العقاب .

من النصائح في مخالطة الملوك : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعي في فضل الإنصات للملوك .

وقد حكى عن عبد الله بن عياش المنتوف أنه قال : لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع . وقد حكى عن روح بن زنباع الجذامي انه كان يقول : اذا أردت ان يمكنك الملك من اذنه فأمكن اذنك من الإصغاء الى حديثه ، ولا يتعجب الرجل عندي اذا كان يصني الى حديثه ، ولا يقدر ما قيل فيه في قلبي لما تقدم له من حسن الاستماع عندي .

وقد حكى عن معاوية أنه كان يقول: يُغلبُ الملكُ حتى يُركبَ لشيتين: بالحلم عند سورتِه ، والإصغاء الى حديثه .

ووجدت في سير الملوك من الأعاجم أن شيرويه بن أبرويز بينا هو في بعض متنزهاته بأرض العراق ، وكان لا يسايره أحد من الناس مبتدئاً ، وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم ، فإن التفت يمينا دنا منر صاحب الجيش ، وإن التفت شمالاً دنا منه الموبدان ، فأمر من دنا منها بإحضار من أراد مسامرتَه ، فالتفت في مسيره هذا يمينا ، فدنا منه صاحب الجيش ، فقال : أين شداد بن جرثمة ؟ فأحضره ، فسايره فقال له شيرويه: أفكرتُ في حديث جدنا أردشيدر بن بابك حين واقع ملك الخزر ، فحدثني به ان كنت تحفظه ، وكتبتان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان ، وعرف المكيدة ، وكيف كان اردشير اوقعها بملك الخزر ، فاستعجم عليه شداد ، وأوممه أنه

لا يعرفه ، فحدثه شيرويه بالحديث ، فأصغى اليه الرجل سيجوارحه كلها ، وكان مسيرهم على شاطئ نهر ، فترك الرجل لإقباله على شيرويه النظر إلى موطىء حافر دابته ، فزلت إحدى قوائم الدابة ، فمالت بالرجل إلى اليمين ، فوقع في الماء ، ونفرت الدابة ، فابتدرها حاشية الملك وغلماه فأمالوها عن الرجل ، وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم الملك لذلك ، ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدئ في موضعه ، ودعا بشباب من خاص كسوته فألقيت على شداد وأكل معه ، وقال له : غفلت عن النظر إلى موضع حافر دابتك ، فقال : أيها الملك ، إن الله إذا أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة ، وعارضها ببلية ، وعلى قدر النعم تكون المحن ، وإن الله أنعم عليّ بنعمتين عظيمتين هما إقبال الملك عليّ بوجهه من بين هذا السواد الأعظم وهذه الفائدة وهي تدبير الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى إنني لو دخلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت راجماً ، فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتها هذه المحنة<sup>(١)</sup> ، ولولا أساورة الملك وبين جده لكنت بعرض هلكة ، وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الأرض لكان قد أبقى لي الملك ذكرًا مخلدًا ما بقي الضياء والظلام والجنوب والصبأ فسر الملك بذلك ، وقال : ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه ، فحشا فاه جوهرًا ودرًا رائقًا ثمينًا ، واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره .

وإنما ذكرنا هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم أن أبا بكر الهذلي لم يبتدىء بحال لم يسبقه إليها غيره ، ويتقدمه بها سواه .

أحسن المواقع من الملوك : واحسن المواقع من الملوك الاستماع منها ، والأخذ عذبا ، وقد كانت حكماء اليونانيين تقول : إن الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذو رياسة بحديث أن يصرف قلبه كله إلى ذلك ، وإن كان يعرف الحديث الذي يسمعه من الملك ، كأنه لم يسمعه قط ، ويظهر السرور بالفائدة

(١) في نسخة: هذه النعمة.

من الملك والاستبشار بحديثه ، وإن في ذلك أمرين : أحدهما ما يظهر من حسن أدبه ، فإنه يعطي<sup>(١)</sup> الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له منه كأنه لم يسمعه ، وإظهار السرور والاستفادة منه ، فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى واقرب منها الى فوائد السوق وما اشبهها .

معاوية وابن شجرة الرهاوي : وقد ذكر جماعة من الأخباريين كابن دأب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن شجرة الرهاوي ، وهو ان ابن شجرة كان يسير ذات يوم معاوية وكان آنساً به ، والى حديثه قائماً ، ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن جزعان يوم كان لبني مخزوم ، غيرهم من قريش ، كان فيه حرب عظيمة فني فيه خلق من الناس ، وذلك قبل الإسلام ، وقيل : إن ذلك كان قبل الهجرة ، وكانت لأبي سفيان فيه مكرمة سابقة في الرياسة ، وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء صعد على نشز من الأرض ثم صاح بالفريقين ، وأشار بكفه ، فانصرف الفريقان جميعاً انقياداً الى أمره ، وكان معاوية معجباً بهذا الحديث ، فبينما هو يحدثه به ويزيد بن شجرة مقبل عليه ، وقد استخفتها لذة المحدث والمستمع اذ صك جبين يزيد بن شجرة حجر عائر فأدماه ، فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه ، وغير ذلك ، ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع ، فقال له معاوية : الله انت يا ابن شجرة ، اما ترى ما نزل بك ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا دم يسيل على ثوبك ، قال : أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمير المؤمنين الهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي ، فما شعرت بشيء ، مما حدث ، حتى نبهني عليه أمير المؤمنين ، فقال معاوية : لقد ظلمك من جعلك في الف من العطاء ، وأخرجك عن عضا أبناء المهاجرين والجاهلير بمن حضر معنا بصفين ، ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم ، وزاده في عطائه الفاً من الدراهم ، وجعله بين جلده وثوبه .

(١) في نسخة : يوفي الملك حقه

**تعليق :** وقد قال بعض اهل المعرفة والأدب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره مما حكيناه عن معاوية وابن شجرة : لئن كان ابن شجرة خدع معاوية في هذا ومعاوية بمن لا يخادع فما مثله إلا كما قال الأول :

من يَنِيكَ العير يَنِيكَ نياكا

وإن كان قد بلغ من بلادة ابن شجرة ، وقلة حسه ، ما وصف به نفسه فما كان جديراً بخمسمائة ألف درهم صلّة ، وزيادة ألف في عطائه ، وما أظن ذلك خفي عن معاوية

**حسن الاستماع :** قال المسعودي : وقد قالت الحكماء في هذا وأكثر ، وأمرت بحسن الاستماع والصمت وأطنبت ، فقالوا : لا تحسن المحادثة إلا بحسن الفهم ، وقالوا : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، وحسن الاستماع هو إمهال المحدث<sup>(١)</sup> حتى ينقضي حديثه .

من أدب الحديث ، ومن أدب الحديث وواجباته : أن لا يقتضب اقتضاباً ، ولا يهجم عليه ، وأن يتوصل الى إجرائه بما يشاكلة ، وأن يستنسب له ما يحسن أن يجري في عرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقاً ببعض ، على حسب ما قالوا في المثل : إن الحديث ذو شجون ، يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعاني كثيرة ؛ اذ كان العيش كله في المجلس المتع ، وقال رجل : والله ما أمل الحديث ، فقال السامع : إنما يمل المعتيق لا الحديث .

وقد أكثر الشعراء من الإغراق في هذا المعنى ، ومن ذلك قول علي بن العباس الرومي :

وسئمت كل ما ربي فكان أطيبها غثيثُ  
إلا الحديث فإنه مثل اسمه ابدأ حديث

(١) في نسخة : وحسن الاستماع هو أشهى الى المحدث .

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول إبراهيم بن العباس :

إن الزمان وما ترينَ بغيري صرَفَ الغواية فانصرفت كريما  
وضجرت إلا من لقاء محدث حسن الحديث يزيدني تعليبا

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الأدب أن من الأدب عدم إطالة الحديث من النديم ، وأن أحلى الحديث وأحسنه موقعا ان تجتنب منه الأحاديث الطوال ذات المعاني المغلفة والألفاظ الحشوية التي ينقضي باقتصاصها زمان المجلس ، وتتعلق بها النفوس ، وتحتسى على أواخرها الكؤوس ، فإن ذلك بمجالس القصص ، أشبه منه بمجالس الخواص .

وقد ذكر هذا المعنى فأجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ، ووصف ذلك من اصحاب الشراب على المعاقرة ، فقال :

بين أقدم أحهم حديثٌ قصيرٌ هو سحرٌ ، وما عداه كلام  
وكان السقاة بين الندامى ألفت بين السطور قيام

وهذه طريقة من ذهب في هذا المعنى الى استماع الملح .

أول وزير في الدولة العباسية : وكان اول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني ، مولى لسبيع ، وكان في نفس ابي العباس منه شيء ؛ لأنه كان حاول في رد الأمر عنهم الى غيرهم ، فكتب ابو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ؛ ويقول له : قد أحل الله لك دمه ؛ لأنه قد نكحهم وغير وبدل ، فقال السفاح : ما كنت لأفتح دولتي بقتل رجل من شعبي ، لا سيما مثل ابي سلمة ، وهو صاحب هذه الدعوة ، وقد عرض نفسه ، وبذل مهجته ، وانفق ماله ، وناصح إمامه ، وجاهد عدوه ، وكله ابو جعفر اخوه وداود بن علي عمه في ذلك ، وقد كان ابو مسلم كتب اليها يسألها ان يشير على السفاح بقتله . فقال ابو العباس : ما كنت لأفسد كثير إحسانه ، وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه ،

وهي خطيرة من خطرات الشيطان ، وغفلة من غفلات الإنسان ، فقال له :  
 فينبغي يا امير المؤمنين ان تحترس منه ، فإننا لا نأمنه عليك ، فقال : كلا إني  
 لآمنه في ليلى ونهاري وسري وجهري ووحدتي وجماعتي ، فلما اتصل هذا  
 القول من ابي العباس بأبي مسلم أكبره وأعظمه ، وخاف من ناحية ابي سلمة  
 أن يقصده بمكروه ، فوجه جماعة من ثقات اصحابه في أعمال الحيلة في قتل  
 ابي سلمة ، وقد كان ابو العباس يأنس بأبي سلمة ويسمر عنده ، وكان ابو سلمة  
 فكها ممتعا أدبياً عالماً بالسياسة والتدبير ، فيقال : إن ابا سلمة انصرف ليلة  
 من عند السفاح من مدينته بالأنبار ، وليس معه احد ، فوثب عليه اصحاب  
 ابي مسلم فقتلوه ، فلما اتصل خبره بالسفاح انشأ يقول :

الى النار فليذهب ، ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف  
 وكان ابو مسلم يقال له : أمين آل محمد ، وابو سلمة حفص بن سليمان  
 يدعى وزير آل محمد ، فلما قتل غيلة على ما ذكرنا قال في ذلك الشاعر  
 من ابيات :

إن المساءة قد تسره ، وربما كان السرور بما كرهت جديرا  
 إن الوزير وزير آل محمد أودى ؛ فمن يشناك كان وزيرا  
 وقد اتينا على خبر مقتله وكيفية امره في الكتاب الأوسط .

مسامرات السفاح : وكان السفاح يعجبه المحادثة ، ومفاخرات العرب من  
 نزار واليمن ، والمذاكرة بذلك ، ولخالد بن صفوان ولغيره من قحطان اخبار  
 حسان ، ومفاخرات ومذاكرات ومنادات ومسامرات مع ابي العباس السفاح  
 قد اتينا على مبسوطها وما اخترناه من غورها في كتابينا « اخبار الزمان »  
 والأوسط ، فاغنى ذلك عن ذكرها .

وبما ذكر من اخباره واستفاض من اسماره ، ما ذكره البهلول بن العباس  
 عن الهيثم بن عدي الطائي ، عن يزيد الرقاشي ، قال : كان السفاح يعجبه



مسامرة الرجال ، وإني سمعت عنده ذات ليلة ، فقال : يا يزيد ، أخبرني بأظرف<sup>(١)</sup> ما سمعته من الأحاديث ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وإن كان في بني هاشم ؟ قال : ذلك أعجب الي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، نزل رجل من تنوخ بجي من بني عامر بن صعصعة ، فجعل لا يحط شيئاً من متاعه إلا تمثل بهذا البيت :

لعمرك ما تبلى سرائر عامرٍ من اللؤم ما دامت عليها جلودها  
فخرجت إليه جارية من الحي ، فعادته وآنسته ، وسألته حتى انس  
بها ، ثم قالت : بمن انت متعت بك ؟! قال : رجل من بني تميم ، فقالت :  
اتعرف الذي يقول :

تميم بَطْرُق اللؤم اهْدَى من القطا ولو سلكت سُبُلَ المكارم ضلت  
ولو ان برغوثاً على ظهر قملة بكر على جمعي تميم لولت  
ذبجنا فسمينا فتم ذبيحنا وما ذبحت يوماً تميم فسمت  
أرى الليل يجلوه النهار ، ولا أرى عظام الخزازي عن تميم تجلت  
فقال : لا والله ما أنا منهم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من  
عجل ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أرى الناس يُعْطُونَ الجزيل ، وإنما عطاء بني عجل ثلاث وأربع  
إذا مات عجلي بأرض فإنما يشق له منها ذراع وإصبع  
قال : لا والله ما أنا من عجل ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من  
بني يشكر ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا يشكري مس ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حق تطهراً  
قال : لا والله ما أنا من يشكر ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من

(١) في نسخة : بأظرف حديث سمعته .

بني عبد القيس ، قالت : أتعرف الذي يقول :

رأيت عبد القيس لاقت ذلاً إذا أصابوا بصلاً وخلاً  
ومالاً مصنفاً قد طلاً باتوا يسلون النساء ملاً  
سَلَّ النَبِيْطُ القَصَبَ المَبْتَلَاً

قال : لا والله ما أنا من عبد القيس ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل  
من باهلة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا ازدحم الكرام على المعالي تنحى الباهلي عن الزحام  
فلو كان الخليفة باهلياً لقصر عن مناواة الكرام  
وعرض الباهلي وان تَوَقَّى عليه مثل منديل الطعام

قال : لا والله ما أنا من باهلة ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
بني فزارة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار  
لا تأمنن فزارياً على حمر بعد الذي امتل أير العير في النار  
قوم إذا نزل الأضياف ساحتهم قالوا لأهمهم : بُولي على النار

قال : لا والله ما أنا من فزارة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل  
من ثقيف ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أضل الناسون أبا ثقيف فما لهم أبٌ إلا الضلال  
لإن نسبت أو انتسبت ثقيف إلى أحد فذاك هو الحال  
خنازير الحشوش فقتلوهما فإن دمائها لكم حلال

قال : لا والله ما أنا من ثقيف ؛ قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
بني عبس ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا عَبَسِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلاماً فبَشَرها بِلؤمِ مَسْتَفادٍ

قال : لا والله ما انا من عبس ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من ثعلبة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وثعلبة بن قيس شرُّ قومٍ وألأمهم وأغدرهم يجار

قال : لا والله ما انا من ثعلبة ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من غنى ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا غَنَوِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلاماً فبَشَرها بِجَيَّاطٍ مَجِيدٍ

قال : لا والله ما انا من غنى ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من بني مرة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا مُرِّيَّةٌ خَضِبَتْ يَدَها فزَوجها ولا تَأمن زَناها

قال : لا والله ما انا من بني مرة ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من بني ضبة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

لقد زَرِقْتَ عَيناكَ يا ابنَ مَكعَبِرٍ كما كلَّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللؤمِ أَزرقِ

قال : لا والله ما انا من بني ضبة ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من بجيلة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

سألنا عن بجيلة حين حلت لنخبر ابن قريها القرار ؟  
فما تدري بجيلة حين تدعى أقحطان ابوها ام نزار  
فقد وقعت بجيلة بين بين وقد خلعت كما خلع العذار

قال : لا والله ما انا من بجيلة ، قالت : فمن انت ويحك ؟ قال : رجل من بني الأزدي ، قالت أتعرف الذي يقول :

إذا أَزديَّةٌ وَلَدَتْ غَلاماً فبَشَرها بِمِلاحٍ مَجِيدٍ

قال : لا والله ما انا من الأزدي ، قالت : فمن انت وويلك ؟ ! أما تستحي ؟ ! قل الحق ، قال : أنا رجل من 'خزاعة' ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمر  
وباعت كعبة الرحمن جهراً بزقاً ، بش مفتخر الفخور

قال : لا والله ما انا من 'خزاعة' ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من سليم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فما لسلم شئت الله امرها تنيك بأيديها وتعبها أبورها

قال : لا والله ما انا من سليم ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من لقيط ، قالت : اتعرف الذي يقول :

لعمرك ما البحار ولا الفيافي بأوسع من فجاج بني لقيط  
لقيط شر من ركب المطايا وأنذل من يدب على البسيط  
ألا لعن الإله بني لقيط بقايا سبية من قوم لوط

قال : لا والله ما انا من لقيط ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من كندة ، قالت : اتعرف الذي يقول :

إذا ما افتخر الكندي ذو البهجة والطريرة  
فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالخفرة  
فدع كندة للنسج فأعلى فخرها عره

قال : لا والله ما انا من كندة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من خشم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وخشم لو صفرت بها صغيراً لطارت في البلاد مع الجراد

قال : لا والله ما أنا من خثعم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من طيء ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وما طيء إلا نبيطٌ تجمعت  
ولو أن حرقوصاً يمدُّ جناحه  
فقلت طياناً كلمة فاستمرت  
على جبليّ طيءٍ إذا لاستظلت

قال : لا والله ما أنا من طيء ، قالت : فمن أنت ؟ قال رجل من مزينة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وهل مزينة إلا من قبيلة  
لا يُرتجى كرم فيها ولا دين

قال : لا والله ما أنا من مزينة ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من النخع ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذ النخع اللثام يندوا جميعاً  
وما تسمو إلى مجد كريم  
تأذى الناس من وفر الزحام  
وما هم في الصميم من الكرام

قال : لا والله ما أنا من النخع ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من أوْدٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا نزلت بأوْدٍ في ديارهم  
لا تركنّ إلى كهل ولا حدّث  
فاعلم بأنك منهم لست بالناجي  
فليس في القوم إلا كل عفاج

قال : لا والله ما أنا من أوْدٍ ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من لخم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم  
تباعدَ فخر القوم من لحم أجماع<sup>(١)</sup>

قال : لا والله ما أنا من لحم ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من جذام ، قالت : أتعرف الذي يقول :

(١) في نسخة : تباعد فخر الجود عن لحم أجماع .

إذا كأسُ المدام أديرَ يوماً      لمكرمة تنحى عن جذامٍ

قال : لا والله ما أنا من جذام ، قالت : فمن أنت ويلك ؟! أما تستحي ؟ أكثرت من الكذب ! قال أنا رجل من تنوخ ، وهو الحق ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا تنوخٌ قطعتَ منها      في طلب الغارات والشار  
أبت بخزي من إلهِ العلى      وشهرة في الأهل والجار

قال : لا والله ما أنا من تنوخ ، قالت : فمن أنت تكليتك أمك ؟! قال : أنا رجل من حنير ، قالت : أتعرف الذي يقول :

نبئتُ حنير تهجوني ، فقلت لهم :      ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا  
لأن حنير قوم لا نصاب لهم      كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق  
لا يكثرون وإن طالت حياتهم      ولو يبول عليهم ثعلبٌ غرقوا

قال : لا والله ما أنا من حنير ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من 'مخابر' ، قالت : أتعرف الذي يقول :

ولو صرَّ صرَّار بأرض 'مخابر'      لماقوا وأضحوا في التراب رمياً

قال : لا والله ما أنا من 'مخابر' ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من 'قشير' ، قالت : أتعرف الذي يقول :

بني قشير قتلتُ سيدكم      فاليوم لا فنديةٌ ولا قودٌ

قال : لا والله ما أنا من قشير ، قالت : فمن أنت ؟ قال : رجل من بني أمية ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وهي من أمية بنيانها      فها على الله فقدانها  
وكانت أمية فسيما مضى      جريء على الله سلطانها  
فلا آلٌ حارب اطاعوا لرسول      ولم يتقوا الله مروانها

قال : لا والله ما انا من بني امية ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من بني هاشم ، قالت : لتعرف الذي يقول :

بني هاشم عودوا الى نخلاتكم      فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم  
فان قلتهم رهط النبي محمد      فان النصرى رهط عيسى بن مريم

قال : لا والله ما انا من بني هاشم ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من همدان ، قالت : اتعرف الذي يقول :

اذا همدان دارت يوم حرب      رحاها فوق هامات الرجال  
رأيتهم يحثون المطايا      سراعا هاربين من القتال

قال : لا والله ما انا من همدان ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من قضاة ، قالت : اتعرف الذي يقول :

لا يفخرن قضاعي بأسرته      فليس من يمن محضاً ولا مضراً  
مذبذبين فلا قحطان والدم      ولا نزار ، فخلوهم الى سقر

قال : لا والله ما انا من قضاة ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من شيبان ، قالت : اتعرف الذي يقول :

شيبان قوم لهم عديد      فكلهم مقرف لثيم  
ما فيهم ماجد حسيب      ولا نجيب ولا كريم

قال : لا والله ما انا من شيبان ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من بني نمر ، قالت : اتعرف الذي يقول :

ففض الطرف إنك من نمر      فلا كعباً بلغت ولا كلابا  
فلو وضعت فقاح بني نمر      على خبث الحديد إذا لذابا

قال : لا والله ما انا من نمر ، قالت : فمن انت ؟ قال : انا رجل من تغلب ، قالت : اتعرف الذي يقول :

لا تطلبن خؤولة في تغلب      فالزنج اكرم منهم أخوالا  
والتغلي اذا تنحى للقرى      حك استه وتمثل الامثالا

قال : لا والله ما انا من تغلب ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
مُجاشع ، قالت : اتعرف الذي يقول :

تبكي المغيبة من بنات مجاشع      ولها اذا سمعت نهبق حمار

قال : لا والله ما انا من مجاشع ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
كلب ، قالت : اتعرف الذي يقول :

فلا تقربا كلبا ولا باب دارها      فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال : لا والله ما انا من كلب ، قالت : فمن انت ؟ قال : انا رجل من  
تميم ، قالت : اتعرف الذي يقول :

تيمية مثل انف الفيل مقبلها      تهدي الرحا ببنان غير مخدوم

قال : لا والله ما انا من تميم ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
جرم ، قالت : اتعرف الذي يقول :

تمنيني سويق الكرم جرم      وما جرم وما ذاك السويق ؟

فما شربوه لما كان حلا      ولا غالوا به في يوم سوق

فلما انزل التحريم فيها      اذا الجرمي منها لا يفيق

قال : لا والله ما انا من جرم ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
سليم ، قالت : اتعرف الذي يقول :

اذا ما سليم جنتها لغدائها      رجعت كما قد جنت غرثان جانما

قال : لا والله ما انا من سليم ، قالت : فمن انت ؟ قال : رجل من  
الموالي ، قالت : اتعرف الذي يقول :



ألا من اراد الفحش واللؤم والحنا فعند الموالي الجيد والطرفان  
قال : أخطأتُ نسي ورب الكعبة ، انا رجل من الخوز ، قالت : اتعرف  
الذي يقول :

لا بارك الله ربي فيكم ابدأ يا معشر الخوز؛ ان الخوز في النار  
قال : لا والله ما انا من الخوز ، قالت : فممن انت ؟ قال : انا رجل  
من اولاد حام ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فلا تنكحن اولاد حام ؛ فإنهم مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع  
قال : لا والله ما انا من ولد حام ، لكنني من ولد الشيطان الرجيم ،  
قالت : قلعتك الله ولعن اباك الشيطان معك ، أتعرف الذي يقول :  
ألا يا عباد الله هذا عدوكم وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا<sup>(١)</sup>

فقال لها : هذا مقام العائذ بك ، قالت : قم فارحل خاسئاً مذموماً ،  
وإذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعراً حتى تعرف من هم ، ولا تتعرض  
للمباحث عن مساويء الناس ، فلكل قوم اساءة وإحسان ، الا رسول رب  
العالمين ، وامن اختاره الله على عباده ، وعصمه من عدوه ، وأنت كما قال  
جرير للفرزدق :

وكنت اذا حللتَ بدار قوم رخت بجزيةٍ وتركت عارا  
فقال لها : والله لا انشدت بيت شعر ابدا ، فقال السفاح : لئن كنت  
عملتَ هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد احسنت ، وأنت  
سيد الكاذبين ، وإن كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محققاً فإن هذه الجارية  
العامة لمن احضر الناس جواباً ، وأبصرهم بمثالب الناس .

قال المسعودي : وللسفاح اخبار غير هذه وأسما حسان قد اتينا على  
مبسوطها في كتابينا اخبار الزمان والأوسط .

(١) في نسخة : عدو في الله ابليس ينهق .

## ذكر

### خلافة ابي جعفر المنصور

موجز : وبويح ابو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة ، اخذ له البيعة عمه عيسى بن علي ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ، يوم الاحد لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، والمنصور يومئذ ابن احدى واربعين سنة ، وكان مولده في ذي الحجة سنة خمس وتسعين ، وكانت امه ام ولد يقال لها سلامة بربرية ، وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فكانت ولايته اثننتين وعشرين سنة الا تسعة ايام ، وهو حاج عند وصوله الى مكة في الموضع المعروف ببستان بني عامر من جادة العراق ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن بمكة مكشوف الوجه لأنه كان محرماً ، وقيل : انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ، ودفن بالحجون ، وهو ابن خمس وستين سنة ، والله اعلم .

## ذكر

جمل من أخباره ، وسيره  
ولم مما كان في أيامه

رويا أم المنصور ، ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت :  
رأيت لما حملت بأبي جعفر المنصور كأن أسداً خرج من قبلي  
فأقمى وزأر وضرب بذنبه ، فأقبلت إليه الأسد من كل ناحية ، فكلما انتهى  
إليه أسدٌ منها سجد له .

المنصور ورفيق سفر ضير شاعر : وحدث علي بن محمد المدائني أن  
المنصور قال : صحبت رجلاً ضيراً إلى الشام وكان يريد مروان بن محمد  
بشعر قاله فيه ، قال : فسألته أن ينشدني فأنشدني :

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن إخال بالحيف إنسي  
حين غابت بنو أمية عنه والبهليل من بني عبد شمس  
خطباء على المنابر فرسان عليها ، وقالة غير خرس  
لا يمايون قائلين ، وإن قاولوا أصابوا ، ولم يقولوا بلبس  
وحلوم إذا الحلوم استخفت ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور : فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت ان العمى قد أدركني ،  
وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة .

قال : وحججت سنة احدى وأربعين ومائة ، فنزلت على الحمار في  
جبلي زرود في الرمل أمشي لنذر كان عليّ ، فإذا انا بالضرير ، فأومأت إلى  
من كان معي أن يتأخروا ، فتأخروا ، ودنوت منه ، فأخذت بيده فسلمت  
عليه ، فقال : من انت جعلني الله فداك فما اثبتك معرفة ، قلت : رفيقك إلى

الشام في أيام بني أمية وأنت متوجه الى مروان ، فسلمت عليّ وتنفس وأنشأ يقول :

آمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة ايتام  
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود نيام  
خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له : كم كان مروان اعطاك ؟ فقال : أغناني فلا أسأل احداً بعده ،  
فقلت : كم ؟ فقال : اربعة آلاف دينار وخلع وحملان ، قلت : وأين ذلك ؟  
قال : بالبصرة ، قلت : اثبتتني معرفة ؟ فقال : اما معرفة الصحبة فقد  
لعمري ، وأما معرفة النسب فلا ، فقلت : انا ابو جعفر المنصور امير المؤمنين ،  
فوقع عليه الإفكل ، وقال : يا أمير المؤمنين اعذر ، فإن ابن عمك محمداً  
صلى الله عليه وسلم قال : « جبلت النفوس على حب من احسن اليها ، وبغض  
من اساء اليها » ، قال أبو جعفر : فهمت والله به ، ثم تذكرت الحرمة  
والصحبة ، فقلت للسائب : اطلقه فأطلق ثم بدا لي في مسامرتة رأيي ؛  
فأمرت بطلبه فكان البيداء ابادته .

المنصور وأهله يتحدثون عن سير بني أمية : وحدث الربيع قال : اجتمع  
عند المنصور عيسى بن علي ، وعيسى بن موسى ، ومحمد بن علي ، وصالح بن  
علي ، وقثم بن العباس ، ومحمد بن جعفر ، ومحمد بن ابراهيم ، فذكروا خلفاء بني  
أمية ، وسيرهم وتدبيرهم ، والسبب الذي به سلبوا عزمهم ، فقال المنصور :  
أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي (أما صنع ، وأما سليمان فكانت همته بطنه  
وفرجه ، وأما عمر بن عبد العزيز فكان اعور بين عميان ، وكان رجل القوم  
هشام ، ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ،  
ويصونون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالي الأمور ورفضهم أدانيها ،  
حتى افضى الأمر الى أبنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات ، وركوب  
اللذات ، من معاصي الله عز وجل ؛ جهلاً منهم باستدراجهم ، وأمناً منهم

لمكره ، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الله تعالى وحق  
الرياسة ، وضعفهم عن السياسة ، فسلبهم الله العز ، وألبسهم الذل ، ونفى  
عنهم النعمة ، فقال صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ، ان عبد الله بن مروان  
لما دخل ارض النوبة هارباً فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيتهم  
وما نزل بهم ، وكيف كانت سيرتهم ، فأخبره بجميع ذلك ، فركب الى  
عبدالله ليسأله عن شيء من امورهم ، والسبب الذي به زالت النعمة عنهم ،  
وكلمه بكلام سقط عني حفظه ، ثم اشخصه عن بلده ، فإن رأى أمير  
المؤمنين ان يدعوه به ليحدثه عن أمره فعل ، فأمر المنصور بإحضاره في  
مجلسه ، فلما مثل بين يديه قال له : يا عبدالله قص علي قصتك وقصة ملك  
النوبة ، قال يا أمير المؤمنين ، قدمت إلى النوبة ، فأقمت بها ثلاثاً ، فأتاني  
ملكها ، فقعد على الارض وقد أعددت له فراشاً له قيمة فقلت له : ما منعك  
من القعود على فراشنا ؟ فقال : لأني ملك ، وحق لكل ملك أن يتواضع  
لعظمة الله عز وجل إذ رفعه الله ، ثم قال : لم تشربون الخمر وهي محرمة  
عليكم في كتابكم ؟ فقلت : اجترأ على ذلك عبئنا وأتباعنا ، قال : فلم  
تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ فقلت : فعل  
ذلك عبئنا وأتباعنا لجهلهم ، قال : فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو  
محرم عليكم في كتابكم ودينكم ؟ فقلت : ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم  
من المعجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا ، فأطرق إلى الارض  
يقلب يده مرة وينكت في الأرض أخرى ، ويقول : عبئنا واتباعنا  
وأعاجم دخلوا علينا في ديننا ، ثم رفع رأسه فقال : ليس كما ذكرت بل انتم  
قوم استحلتم ما حرم الله ، وركبتم ما عنه نهيتكم ، وظلمتم فيما ملكتم ؛  
فسلبكم الله العز ، والبسكم الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها  
فيكم ، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببليدي فينالني معكم ، وإنما  
حق الضيافة ثلاث ؛ فتزود ما احتجت إليه وارحل عن أرضي ففعلت ،

فتمجّب المنصور وأطرق ملياً فرقاً له وهم بإطلاقه ، فأعلمه عيسى بن علي أن في عنقه بيعة له ، فأعادته إلى الحبس .

وفاة محمد بن جعفر الطالبي : قال المسعودي : ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، وله خمس وستون سنة ، وقيل : انه سم ، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم !

وزراء المنصور : واستوزر أبو جعفر المنصور ابن عطية الباهلي ، ثم استوزر أبا أيوب المورياني الخوزي وكان له بأبي جعفر (١) أسباب : منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب ، وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسط في أيام الأمويين ، وأراد هتكه ، فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده ، فكان ذلك سبب الاتصال به ، فلما استوزره ائتمهم بأشياء منها احتيجان الأموال وسوء النية فكان ، على الإيقاع به ، وتطاول ذلك ، فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ، ثم يخرج سالماً ، فقيل : إنه كان معه دهن قد عمل فيه شيئاً من السحر يطليه على حاجبيه إذا أراد الدخول على المنصور ، فسار في العامة دهن أبي أيوب لما ذكرنا ، ثم أوقع به ، واستكتب أبان بن صدقة إلى أن مات .

المنصور يسأل عن تدبيرات هشام بن عبد الملك : وذكر لأبي جعفر تدبير هشام في حرب كانت له فبعث إلى رجل كان ينزل برصافة هشام يسأله

(١) في نسخة : وكان له بأبي أيوب أسباب .

عن تلك الحرب ، فقدم عليه الرجل ، فقال له : أنت صاحب هشام ؟ فقال :  
نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا  
وكذا ، قال فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا ، وفعل رحمه الله كذا وكذا  
فأغاظ ذلك المنصور ، فقال له : قم عليك غضب الله ، تطأ بساطي وتترحم  
على عدوي ؟ فقام الشيخ وهو يقول : إن لعدوك قلادة في عنقي ، ومنة في  
رقبتي لا ينزعها إلا غاسلي ، فأمر المنصور برده ، وقال : كيف قلت ؟ قال :  
إنه كفاني الطلب ، وصان وجهي عن السؤال ، فلم أقف على باب عربي  
ولا عجمي منذ رأيت ، أفلا يجب لي أن أذكره إلا بخير وأتبعه بشنائي ؟  
فقال : بلى ، لله أم نهضت عنك ! أشهد أنك نهض حرة وخراس كرم  
ثم استمع منه ، وأمر له بمجازة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أخذها لحاجة ،  
وما هو إلا أن أتبعج بجبائك وأشرف بصلتك ، فأخذ الصلة ، فقال له  
المنصور : مت إذا شئت ، لله أنت ! لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد  
أبقيت لهم مجداً ، وقال لجلسائه بعد خروجه عنه : في مثل هذا تحمن  
الصنيعة ، ويوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، وأنسى في عسكرنا مثله ؟  
المنصور ومعن بن زائدة : ودخل معن بن زائدة على المنصور ، فلما  
نظر إليه قال : هيه يا معن ، تعطي مروان بن أبي حفصة مائة الف درهم  
على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيان

فقال : كلا يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته ، وكنت وقفه من وقع كل مهنت وسنان

فقال : احسنت يا معن ، وكان معن من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة  
وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية - وقد كان سعتاً<sup>(١)</sup> فيه عدة من

(١) في لسغة : وقد كان شغب فيه .

اهل خراسان - فإنه حضر وهو مُعتم مُتلم ، فلما نظر إلى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم : ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه ، فلما افرجوا وتفرقوا عنه قال : من انت ؟ فحسر عن وجهه وقال : انا طلبتُك يا امير المؤمنين معن بن زائدة ، فلما انصرف المنصور آمنه وحباه واكرمه وكساه ورتبه . ودخل معن بن زائدة يوماً على المنصور ، فقال له : ما اسرع الناس الى حسد قومك ! فقال : يا امير المؤمنين

إن الفرانيقَ تلقاها محسدةً ولن ترى للناس حساداً

المنصور يقع بين يديه سهم كتب عليه شعر وظلامه : وذكر ابن عياش المتوفى ان المنصور كان جالساً في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها و اضافها الى اسمه ، وسماها مدينة المنصور ، مشرفاً على دجلة ؛ وكان قد بني على كل باب من ابواب المدينة في الأعلى من طاقه المعقود مجلساً يُشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت اربعة ابواب شوارع محدقة وطاقات معقودة ، وهي باقية الى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، فأول ابوابها باب خراسان ، وآن يسمى باب الدولة لإقبال الدولة العباسية من خراسان ، ثم باب الشام ، وهو تلقاء الشام ، ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ، ثم باب البصرة ، وهو تلقاء البصرة ، وقد اتينا على كيفية خبر بناء تلك المدينة ، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودجيل والصرارة ، وهذه انهار تأخذ من الفرات ، واخبار بغداد وعله تسميتها بهذا الاسم ، وما قاله الناس في ذلك ، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر ، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق ، وبقاؤها الى ذلك الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تال له ، فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من اعالي باب خراسان اذ جاء سهم عائر حتى سقط بين يديه ، فذعر منه المنصور ذعراً شديداً ثم اخذه فجعل يقلبه فإذا هو مكتوب عليه بين الريشتين :



اتطمع في الحياة الى التئاد      وتحسب ان مالك من معاد  
ستسال عن ذنوبك والخطايا      وتسال بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الأخرى :

احسنت ظنك بالأيام إذ حسنت      ولم تخف سوء ما يأتي به القدر  
وسألتك الليالي فاغتررت بها      وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الأخرى :

هي المقادير تجري في اعنتها      فاصبر فليس لها صبر على حال  
يوماً تُريك خسيس القوم ترفعه      إلى السماء ، ويوماً تخفض لعالي

وإذا على جانب السهم مكتوب : هذان منها رجل مظلوم في حبسك ،  
فبعث من فوره بعدة من خاصته ، ففتشوا الحبوس والمطابق ، فوجدوا  
شيخاً في بنية من الحبس فيه سراج يسرج وعلى بابه بارية مسبلة ، وإذا  
الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية ( وسيعلم الذين ظنوا  
اي منقلب ينقلبون ) فسألوه عن بلده ، فقال : هذان ، فحمل ، ووضع  
بين يدي المنصور ، فسأله عن حاله فأخبره انه رجل من ابناء مدينة هذان ،  
وارباب نعمها ، وان واليك علينا دخل بلدنا ، ولي ضيعة في بلدنا تساوي  
ألف ألف درهم ، فأراد أخذها مني ، فامتنعت فكبلني بالحديد ، وحملني  
وكتب اليك أني عاصي ، فطرحت في هذا المكان ، فقال : منذ كم لك في  
الحبس ؟ قال : منذ أربعة أعوام ، فأمر بفك الحديد عنه ، والإحسان اليه ،  
والإطلاق له ، وأنزله أحسن منزل ، ورده اليه ، فقال له : يا شيخ قد رددنا  
عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا ، وأما مدينتك هذان فقد وليناك  
عليها ، وأما الوالي فقد حكمناك فيه ، وجعلنا أمره اليك ، فجزاه خيراً ،  
ودعاه بالبقاء ، وقال : يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها ، وأما الولاية  
فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عفوت عنه ، فأمر له المنصور بمال جزيل ،

وبر واسع ، واستحله وحمله الى بلده مكرماً ، بعد أن صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق ، وسأل الشيخ مكاتبته في مهاته وأخبار بلده ، وإعلامه بما يكون من ولاته على الحرب والخراج ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه يوماً ، وللدهر إحلاء وإمرار  
لكل شيء وإن دامت سلامته إذا انتهى فله لا بد من إقصار

المنصور يستشير في أمر أبي مسلم : وقال المنصور يوماً لسالم بن قتيبة :  
ما ترى في أمر أبي مسلم ؟ قال : لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ، فقال :  
حسبك يا ابن قتيبة ، لقد أودعتها أذنًا واعية .

وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن علي قال : ما زال المنصور يشاورنا  
في جميع أموره حتى امتدحه إبراهيم بن هرمة فقال في قصيدة له :

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره ف ناجى ضميراً غير مختلف العقل  
ولم يشرك الأذنين في سر أمره إذا انتقضت بالأصبعين قوى الجبل

ولما أراد المنصور قتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه ،  
فأرقه ذلك ، فقال :

تقسمني أمرات لم أمتحنها بحزم ، ولم تعرك قواي الكراكر  
وما ساور الأحشاء مثل دفينه من أهم ردتها عليك المصادر  
وقد علمت أبناء عدنان أنني على مثلها مقدامة متجاسر

خروج عبد الله بن علي : وقد كان عبد الله بن علي خالف على المنصور ،  
ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام وغيرهم ، فبايعوه وزعم أن  
السفاح يجعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان ، فلما بلغ المنصور ذلك  
من فعل عبد الله كتب إليه :

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها وللدهر أيام لمن عواقب  
 ثم بعث إليه بأبي مسلم ، فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين في  
 الموضع المعروف بدير الأعور ، وصبر الفريقان جميعاً شهوراً على حربها ،  
 واحتفروا الخنادق ، ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه ، وسار في نفر  
 من خواصه الى البصرة ، وعليها أخوه سليمان بن علي عم المنصور ، فظفر أبو  
 مسلم بما كان في عسكر عبد الله ، فبعث إليه المنصور بيقطين بن موسى  
 لقبض الخزائن ، فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال : السلام عليك أيها  
 الأمير ، قال لا سلم الله عليك يا ابن اللخناء ! أوتمن على الدماء ولا أوتمن على  
 الأموال ؟ فقال : له ما أبدى هذا منك أيها الأمير ؟ قال : أرسلك صاحبك  
 لقبض ما في يدي من الخزائن ، فقال له : امرأته طالق ثلاثا إن كان أمير  
 المؤمنين وجهني اليك لغير تهنتك بالظفر ، فاعتنقه أبو مسلم ، وأجلسه إلى  
 جانبه ، فلما انصرف قال لأصحابه : والله إني لأعلم أنه قد طلق زوجته  
 ثلاثاً ، ولكنه وفتى لصاحبه .

خلاف أبي مسلم للمنصور وقتله : وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع  
 على خلاف المنصور ، واجتاز على طريق خراسان متنكباً للعراق يريد  
 خراسان ، وسار المنصور من الأنبار يريد المدائن ، فنزل برومية المدائن التي  
 بناها كسرى ، وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وكتب الى  
 أبي مسلم : إني قد أردت مذاكرتك بأشياء لم يحتملها الكتاب ، فأقبل فإن  
 مقامك عندنا قليل ، فقرأ الكتاب ومضى على حاله ، فشرح إليه المنصور  
 جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي ، وكان واحد أهل زمانه ،  
 وداهية عصره ، وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان ، فاتاه  
 فقال : أيها الأمير ، ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت ، ثم تنصرف  
 على هذه الحالة ؟ ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن هنا ، وأن يقال :  
 طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم ، فيخالفك من تأمن مخالفته إياك ، وان

الأمر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ، ولا أرى أن تنصرف على هذه الحال ، فأراد أن يجيب إلى الرجوع ، فقال له مالك بن الهيثم : لا تفعل ، فقال لمالك : ويلك ! لقد بليت بإبليس وما بليت بمثل هذا قط ، يعني الجريري ، فلم يزل به حتى أقبل به على المنصور ، وكان أبو مسلم يجد خبره في الكتب السالفة ونعمته وأنه يقتل بالروم ، وكان يكثر من قول ذلك ، وأنه يقتل بالروم على حسب ما وجد في الملاحم وأنه يميت دولة ويحيي أخرى ، فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رَحَبَ به وعانقه وقال له : كدت أن تمضي قبل أن أقضي عليك بما أريد ، قال : فقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك ، فأمره بالانصراف إلى منزله ، وانتظر فيه الفرص والغوائل ، فركب أبو مسلم إلى المنصور مراراً وهو لا يظهر له شيئاً ، ثم ركب وقد أظهر له التجنّي ، فسار أبو مسلم إلى عيسى بن موسى ، وكان له فيه رأي جميل ، فسأله الركوب معه إلى المنصور ليعذله بحضرتة ، فأمره أن يتقدمه إلى المنصور فإنه بالأثر ، فتقدم أبو مسلم إلى مَضْرَب المنصور ، وهو على دجة برومية المدائن ، فدخل وجلس تحت الشراع ، وقيل الرواق ، فأخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة ، وكان المنصور قد تقدم إلى صاحب حرسه عثمان بن نهيك ، في عدة فيهم شبيب بن رواح المروروذي وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذي كان وراء أبي مسلم وأمرهم أنه إذا عاتبه وظهر صوته لا يظهروا ، فإذا صفق بيد على يد فليظهروا ، وليضربوا عنقه وما أدركوا منه بسيوفهم ، وجلس المنصور ، فقام أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه ، فردّ عليه ، وأذن له بالجلوس ، وحادثه ساعة ، ثم أقبل يعاتبه ويقول : فعلت وفعلت ، فقال أبو مسلم : ليس يقال هذا لي بعد بلاني وما كان مني ، فقال له : يا ابن الخبيثة وإنما فعلت ذلك يحدثنا وحظوظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ، ألسن الكاتب إليّ تبدأ بنفسك والكاتب إليّ تخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله

ابن العباس ؟ لقد ارتقيتَ لا أمَّ لكُ مرتقى صعباً ، فأخذ أبو مسلم بيده  
يعركها ويقبلها ويعتذر إليه ، فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به : قتلني الله  
إن لم أقتلك ، وذكر له قتله لسليمان بن كثير ، ثم صفق بإحدى يديه على  
الأخرى ، فخرج إليه القوم ، فبدره عثمان بن نبيك فضربه ضربة خفيفة  
بالسيف قطعت نجاد سيف أبي مسلم ، وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله ،  
واعتورته السيوف ، فخلطت أجزاءه ، وأتوا عليه ، والمنصور يصيح :  
اضربوا قطع الله أيديكم ، وقد كان أبو مسلم عند أول ضربة قال : استبقني  
يا أمير المؤمنين لعدوك ، قال : لا أبقاني الله أبداً إن أبقيتك ! وأي عدو  
أعدى لي منك ؟

وكان قتله في شعبان من سنة ست وثلاثين ومائة ، وفيها كانت بيعة  
المنصور ، وهزيمة عبدالله بن علي وادرج أبو مسلم في بساط .  
ودخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبو مسلم ؟ فقال :  
قد كان مهنا آنفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت طاعته ونصيحته ،  
ورأى إبراهيم الإمام فيه ، فقال له المنصور : يا أنوك خلق الله ، ما أعلم في  
الأرض عدواً أعدى لك منه ، وما هو ذاك في البساط ، فقال عيسى : إنا  
لله وإنا إليه راجعون .

ودخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور : ما تقول في أمر أبي مسلم ؟  
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم  
اقتل ، فقال المنصور : وفقك الله ! ما هو في البساط ، فلما نظر إليه قتيلاً  
قال : يا أمير المؤمنين ، عُدَّ هذا اليوم أول خلافتك ، وقد كان السفاح م  
بقتله برأي المنصور ثم رجع عن قتله ، وأقبل المنصور على من حضره وأبو  
مسلم بين يديه طريحاً فقال :

زعمت ان الدين لا ينقضي فاستوف بالكيل أبا مجرم  
اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الخلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك ، وكان على شرطة أبي مسلم ، فقال :  
استشارك أبو مسلم بالمسير إلي فنهيته ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال :  
سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه قال : لا يزال المرء يزداد في  
عقله إذا ما محضَ النصيحة لمن شاوره ، فكنت له كذلك ، وأنا الآن  
لك كذلك .

واضطرب أصحاب أبي مسلم ففرقت فيهم الأموال ، وعلّموا بقتله ،  
فأمسكوا رغبةً ورهبةً .

خطبة المنصور بعد قتل أبي مسلم : وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا  
مسلم فقال : أيها الناس ، لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ،  
ولا تسيرُوا غش الأئمة ، فإن من أسرَّ غشَّ إمامه أظهر الله سريره في  
فلتات لسانه ، وسقطت أفعاله ، وأبداها الله لإمامه الذي بادر بإعزاز دينه  
به ، وإعلاء حقه بفلجه ، إنا لم نبخسكم حقوقكم ، ولم نبخس الدين حقه  
عليكم ، إن من نازعنا عروة هذا القميص أو طأناه ما في هذا الغمد ، وإن أبا  
مسلم بايعنا وبايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه ، ثم نكث  
بيعتة هو ، فحكمتنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق  
له من إقامة الحق عليه .

الخرمية الفرقة التي تتولى أبا مسلم : ولما نفي قتل أبي مسلم إلى خراسان  
وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية ، وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية  
القائلون بأبي مسلم وإمامته ، وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته : فمنهم من  
رأى أنه لم يموت ولن يموت حتى يظهر فيملاً الأرض عدلاً ، وفرقة قطعت بموته  
وقالت بإمامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون الفاطمية ، وأكثر الخرمية في  
هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - الكوردكية واللودشاهية<sup>(١)</sup>

(١) في نسخة : الكوردكية والنور سامية .

وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ، ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم بالبدين من أرض الران وأذربيجان ، وسنأتي على خبره وخبر مقتله في أخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله ، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وإصبهان وأذربيجان وكرج أبي دلف والبرج الموضع المعروف بالرد والورسنجان ثم ببلاد الصيوان والصيمرة وأريوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الأمصار ، وأكثر هؤلاء في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان ، ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية ، وقد أتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا « المقالات » ، في أصول الديانات ، وإن كان قد سبقنا إلى ذلك مؤلفو الكتب في « المقالات » .

**بين الخرمية وجيش المنصور :** فاجتمعت الخرمية - حين علمت بقتل أبي مسلم - بخراسان ، فخرج فيهم رجل يقال له بسنفاد من نيسابور يطلب بدم أبي مسلم فسار في عسكر عظيم من بلاد خراسان إلى الري ، فغلب عليها وعلى قومس وما يليها ، وقبض على ما كان بالري من خزائن أبي مسلم ، فكثرت جمع بسنفاد بمن حوله من أهل الجبال وطبرستان ، ولما اتصل خبر مسيرهم بالمنصور سرح إليه جهور بن مراد العجلي في عشرة آلاف رجل ، وتلاه بالعساكر ، فالتقوا بين هذان والري على طرف المفازة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً ، فقتل بسنفاد ، وولى أصحابه فقتل منهم ستون ألفاً وسبب منهم سبايا وذراري كثيرة ، وكان بين خروجه إلى مقتله سبعون ليلة ، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبي مسلم بأشهر .

**ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن ( النفس الزكية ) :** وفي سنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة ، وكان قد بويع له في كثير من الأمصار ،

وكان يُدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه ، وكان مستخفياً من المنصور ، ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ، ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور إسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان شيخاً ذا رأي وتجربة ، فقال له : أثيرٌ عليّ في خارجي خرج عليّ ، قال : صف لي الرجل ، قال : رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم وزهد وورع ، قال : فمن تبعه ! قال : ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن العوام وسائر قريش وأولاد الأنصار ، قال له : صف لي البلد الذي قام به ، قال : بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ، ففكر ساعة ثم قال : اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال ، فقال المنصور في نفسه : قد خرف الرجل ، أسأله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال ، فقال له : انصرف يا شيخ ، ثم لم يكن إلا يسير حتى ورد الخبر أن إبراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال المنصور : عليّ بالعقيلي ، فلما دخل عليه أدناه ثم قال له : إني كنت قد شاورتك في أمر خارجي خرج بالمدينة فأشرت عليّ أن أشحن البصرة بالرجال أو كان عندك من البصرة علم ! قال : لا ، ولكن ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش ، فقلت : إنه رجل سيطلب غير موضعه ، ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة ، والشام والكوفة كذلك ، وفكرت في البصرة فخفت عليها منه لخلوها ، فأشرت بشحنها ، فقال له المنصور : أحسنت ، وقد خرج بها أخوه ، فما الرأي في صاحب المدينة ! قال : ترميه بمثله ، إذا قال أنا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هذا : وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المنصور لعيسى بن موسى : إما أن تخرج إليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش ، وإما أن تكفيني ما أخلف ورائي وأخرج أنا إليه ، فقال عيسى : بل أقبك بنفسي يا أمير المؤمنين ،



وأكون الذي يخرج إليه ، فأخرجه إليه من الكوفة في أربعة آلاف فارس وألفي راجل ، وأتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف ، فقاتلوا محمداً بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ، ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة سعد المنبر فنعاه وتمثل :

أبا منازل يا خير الفوارس من يُفجَعُ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعاً  
الله يعلم أني لو خشيتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا  
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

تفرق إخوة محمد بن عبد الله في البلاد : وقد كان تفرق إخوة محمد وولده في البلدان يدعون إلى إمامته ؛ فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد إلى مصر ، فقتل بها ، وسار ابنه عبد الله إلى خراسان فهرب لما طلب إلى السند . فقتل هناك . وسار ابنه الحسن إلى اليمن ؛ فحبس فمات في الحبس ، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة ، ومضى أخوه يحيى إلى الري ثم إلى طبرستان ، فكان من خبره في أيام الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ، ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس ، وبعث المنصور من اغتاله بالسلم فيما احتوى عليه من مدن المغرب ، وقام ولده إدريس بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه ، فعُرِفَ البلد بهم ، فقيل : بلد إدريس بن إدريس ، وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبيد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية ، وخبر أبي القاسم ابنه بعده ، وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص إلى المغرب ، في الكتاب الأوسط ، ومضى إبراهيم أخوه إلى البصرة وظهر بها ، فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرها من الأمصار وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ، ومعه عيسى بن زيد بن علي بن الحسن ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فسير إليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن سلم في العساكر ، فعارب حتى قتل في الموضع

المعروف بباخري وذلك على ستة عشر فرسخاً من الكوفة من أرض الطف ، وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء بمن رثى إبراهيم ، فمن ذكر ذلك دِعْبِيلُ ابن علي الخزاعي ، فقال في قصيدة له أولها :

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍ مُقْتَفِرِ العرصاتِ  
ومنها قوله فيهم :

قبور بكوفان ، وأخرى بطيبة وأخرى بفتح ، يا لها صلوات  
وأخرى بأرض الجوزجان محلها وقبر بباخري لدى الفَرَباتِ

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمئة رجل ، وقيل : خمسمئة رجل .

وروى بعض الأخباريين عن حماد التركي قال : كان المنصور نازلاً في دَيْرٍ

على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى اليوم الخلد ، ومدينة السلام ، إذ

أتى الربيع في وقت الهجرة ، والمنصور نائم في البيت الذي هو فيه ، وحماد

قاعد على الباب والخريطة بيد الربيع ، بخروج محمد بن عبد الله فقال : يا حماد

افتح الباب ، فقلت : الساعة هجع أمير المؤمنين ، فقال : افتح نكَلَتِكَ

أمك ، قال : فسمع المنصور كلامه ، فنهض يفتح الباب بيده وتناول منه

الخريطة ، فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية ( وألقينا بينهم العداوة

والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ويسعون

في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين ) ثم أمر بإحضار الناس والقواد

والموالي وأهل بيته وأصحابه ، وأمر حماد التركي بإسراج الخيل ، وأمر

سليمان بن مجالد بالتقدم ، والمسيب بن زهير فأخرج الأقوات ثم خرج فصعد

الذبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،

ثم قال :

ما لي أكفِّفُ عن سعد ويشتمني وإن شتمت بني سعد لقد سكنوا ؟

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبست الخصلتان الجهلُ والجبنُ

أما والله لقد عجزوا عن أمرٍ قمنا له ، فما شكروا القائم ولا حمدوا الكافي ، ولقد مهدوا فاستوعروا ، وغبطوا فغمطوا ، فماذا تحاول مني ؟ أسقى رنقاً على كدر ؟ كلا والله ، لأن أموت معزراً أحب إلي من أن أحيأ مستذلاً ، ولئن لم يرض العفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي ، والسعيد من وعظ بغيره ، ثم نزل ، فقال : يا غلام ، قدم ، فركب من فوره إلى معسكره ، وقال : اللهم لا تكِلنا إلى خلقك فنضيع ، ولا إلى أنفسنا فنعجز فلا تكِلنا إلا إليك .

وذكر أن المنصور هبث له عجة من مخ وسكر فاستطابها . فقال : أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأشبابه .

وذكر أن المنصور قال يوماً لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم : يا الله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان ، فقام المسيب بن زهير الضبي فقال : يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه ، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد امرتنا بقتل أولاده فأطعناك . وفعلنا ذلك فهل نصحنك أم لا ؟ فقال له المنصور : اجلس لا جلست .

وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه ومحمد وإبراهيم ابني عبد الله وعلي كثير من أهل بيته ، وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه من الحج ، فحملوا من المدينة إلى الرَبَذَةِ من جادة العراق ، وكان ممن حمّله مع عبد الله بن الحسن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن ، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن ، وعلي الخير ، وأخوه العباس ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لأمه فاطمة ابنة الحسين بن علي ، وجدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجرد المنصور بالرَبَذَةِ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضربه ألف

سرط ، وسأله عن ابني أخيه محمد وإبراهيم ، فأنكر أن يعرف مكانها ، فسألت جدته العثماني في ذلك الوقت ، وارتحل المنصور عن الربذة وهو في قبة ، وأوهن القوم بالجهد<sup>(١)</sup> ، فحملوا على الهامل المكشوفة ، فمر بهم المنصور في قبته على الجميزة فصاح به عبد الله بن الحسن : يا أبا جعفر ما ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر ، ، فصيرهم إلى الكوفة ، وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل ، واخلت منهم سليمان وعبد الله ابني داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله بن الحسن والحسن بن جعفر ، وحبس الآخرين ممن ذكرناهم حتى ماتوا ، وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ، ومواضعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان قد هدم عليهم الموضع ، وكانوا يتوضئون في مواضعهم ، فاشتدت عليهم الرائحة ، فاحتال بعض مواليتهم حتى أدخل اليهم شيئاً من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة ، وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه . وذكر من وجه آخر أنهم لما حبسوا في هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزأوا القرآن خمسة أجزاء ، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم بن حزبه ، وكان عدد من بقي منهم خمسة ، فمات اسماعيل بن الحسن ، فترك عندهم حتى جيف ، فصعق داود بن الحسن فمات ، وأتى برأس إبراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع إليهم ، فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي فقال له إدريس أخوه : أسرع في صلاتك يا أبا محمد ، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره وقال له : أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم ، والله لقد كنت - ما علمتُك - من الذين قال الله عز وجل فيهم : ( الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل - إلى آخر الآية ) فقال له الربيع : كيف أبو القاسم في نفسه ؟

(١) فية : رأ نسخوتق القوم في الحديد .

قال : كما قال الشاعر :

فتىً كان يحميه من الذل سيفه ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها  
ثم التفت الى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ،  
ومن نعيمك أيام ، والملقى يوم القيامة ، قال الربيع : فما رأيت المنصور قط  
أشد انكساراً منه في الوقت الذي بلغت فيه هذه الرسالة. فأخذ هذا المعنى  
العباس بن الأحنف فقال :

فإن تلحظي حالي وحالكِ مرةً بنظرة عين عن هوى النفس تحجب  
ترَي كل يوم مرّة من بؤس عيشتي تمر بيوم من نعيمك يُحسب

قال المسعودي : ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وإخوته والنفر  
الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر بالهاشمية ، فحمد الله وأثنى عليه ،  
وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أهل خراسان ، انتم شيعتنا  
وأنصارنا ، وأهل دعوتنا ، ولو بايعتم غيرنا ، لم تبايعوا خيراً منا ، إن ولد  
ابن أبي طالب تركنام والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل  
ولا بكثير ، فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح ، وحكم  
الحكمين ؛ فاختلفت عليه الأمة ، وافتقرت الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته  
وأنصاره وثقاته فقتلوه ، ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فوالله ما  
كان برجل ، عرضت عليه الأموال فقبلها ، ودس إليه معاوية إني أجعلك  
وليّ عهدي ، فخلعه وانسلخ له مما كان فيه ، وسد إليه ، وأقبل على النساء  
يتزوج اليوم واحدة ويطلق غداً أخرى ، فقتلته حتى مات علي  
فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علي رضي الله عنه ، فدمدعه أهل العراق  
وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغرائة ، فقتلوه أهل هذه المدرة  
السوء ، وأشار الى الكوفة ، فوالله ما هي لي بحرب فأحاربها ، ولا هي لي بسلم  
فأسألها ، فرق الله بيني وبينها ! فخذلوه وأبرؤوا أنفسهم منه ، فأسلموه حتى

قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه ، فلما  
 اظهروه واخرجوه أسلموه ، وقد كان أبي محمد بن علي ناشده الله في  
 الخروج ، وقال له : لا تقبل اقاريل أهل الكوفة فإننا نجد في علمنا أن بعض  
 أهل بيتنا يصلب بالكُناسة ، وأخشى ان تكون ذلك المصلوب ، وناشده  
 الله بذلك عمي داود وحذره رحمه الله غدر أهل الكوفة ، فلم يقبل ، وتم  
 على خروجه ، فقتل وصلب بالكُناسة ، ثم وثب بنو أمية علينا فابتزونا  
 شرفنا ، واذهبوا عزنا ، والله ما كان لهم عندنا ترّةٌ يطلبونها ، وما كان  
 ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم ، فنفتونا عن البلاد ، فصرنا مرة بالطائف ،  
 ومرة بالشام ، ومرة بالسراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً ، فأحيا الله  
 شرفنا وعزنا بكم ، يا أهل خراسان ، ودفع بحقكم أهل الباطل وأظهر لنا  
 حقنا ، واصار إلينا أمرنا وميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقرت الحق  
 في قراره ، وأظهر الله مناره ، وأعز أنصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا  
 واثمد الله رب العالمين ، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله  
 وحكمه العدل وثبوا علينا ، حسداً منهم لنا وبغياً علينا ، بما فضلنا الله  
 به عليهم ، وأكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه ، وجبناً من بني أمية ،  
 وجراءة علينا ، إني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر من جهالة  
 ولا عن ظنة ولقد كنت يبلغني عنهم بعض السقم ، ولقد كنت سميت لهم  
 رجالاً فقلت : قم انت يا فلان ، فخذ معك من المال كذا وكذا ، وقم انت  
 يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا ، وحذوت لهم مثلاً يعملون عليه ،  
 فخرجوا حتى أتوا المدينة فلقوم فدسوا ذلك المال ، فوالله ما بقي منهم  
 شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم لي ، فاستحللت به دماءهم ،  
 وحللت عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتاسمهم الخروج عليّ ، ثم  
 قرأ في درج المنبر ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشياعهم من  
 قبل ، إنهم كانوا في شك مريب ) .

بين المنصور والربيع : قال المسعودي : وقال المنصور للربيع يوماً : اذكر حاجتك ، قال : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تحبّ الفضل ابني ، فقال له : ويحك ! إن المحبة إنما تقع بأسباب ، قال : يا أمير المؤمنين ، قد أمكنتك الله من إيقاع السبب ، قال : وما ذاك ؟ قال : تفضّل عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك أحببك ، وإذا أحببك أحببته ، قال : والله قد أحببته قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال : لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته اليك كحاجة الشفيح العريان .

وقال المنصور يوماً للربيع : ويحك يا ربيع ! ما أطيب الدنيا لولا الموت ، قال له : ما طابت إلا بالموت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال : صدقت .

بين المنصور وعمرو بن عبيد : وذكر إسحاق بن الفضل قال : بينا أنا على باب المنصور إذ أتى عمرو بن عبّيد فنزل عن حمارة ، وجلس ، فنخرج إليه الربيع ، فقال له : قم أبا عثمان ، بأبي أنت وأمي ! فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له لبود بقربه ، وأجلسه إليه بعد ما سلم . ثم قال : يا أبا عثمان ، عظني بموعظة ، فوعظه بمواعظ ، فلما أراد النهوض قال : أمرنا لك بعشرة آلاف ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال أبو جعفر : والله لتأخذنها قال : لا والله لا آخذها ، وكان المهدي حاضراً ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو إلى أبي جعفر فقال : من هذا الفتى ؟ قال : هذا محمد ابني ، وهو المهدي ، وهو ولي عهدي ، قال : أما والله لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، ولقد سميت به باسم ما استحقّه عملاً ، ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ، ثم أقبل عمرو على المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك أحسنه عمك ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك ، فقال له المنصور : هل لك من حاجة يا أبا عثمان ؟ قال :

نعم ، قال : ما هي ؟ قال : أن لا تبعث إلي حتى آتيك ، قال : إذا لا نلتقي ، قال : هي حاجتي ، فمضى وأتبعه المنصور بطرفه ، ثم قال :

كَلِمٌ يَمْشِي رُوَيْدٌ كَلِمٌ يَطْلُبُ صَيْدٌ

غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعدما بايع للمهدي ، فقال له : يا أبا عثمان هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطئدت له الأمور ، وهي تصير إليه ، وأنت عنه مسئول ، فاستعبر المنصور وقال له : عظني يا عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، وإن هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد غيرك لم يصل إليك ، فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده ، وأنشد :

يا أيها ذا الذي قد غرّه الأمل ودون ما يأمل التنقيص والأجل  
ألا ترى إنما الدنيا وزينتها كمنزل الراكب حلثوا ثمّت ارتحلوا  
حتوفها برصد ، وعيشها نكد وصفوها كدر ، وملكها دوال  
تظل تفرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له لين ولا جدل  
كأنه للنايا والردي غرض تظل فيه بنات الدهر تنتضل  
والنفس هاربة ، والموت يرصدّها وكل عثرة رجل عندها زلل  
والمرء يسمى لما يبقى لو ارثه والقبر وارث ما يسمى له الرجل

موت عمرو بن عبيد : ومات عمرو بن عبيد في أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل : سنة خمس وأربعين ومائة ، ويكنى أبا عثمان ، وهو عمرو بن عبيد بن باب ، مولى بني تميم ، وكان جده باب من سبني كابل من رجال السند ، وكان شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها ، وله خطب ورسائل وكلام كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك . وقد أقينا على أخباره والفرر من كلامه ومناظراته في كتابنا في المقالات في أصول الديانات .



وفي سنة إحدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف .

موت هشام بن عروة : وفي سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة ابن الزبير وهو ابن خمس وثمانين ، وكان اذا أسمعه رجل كلاماً قال : أنا أرفع نفسي عنك ، ثم نازع علي بن الحسن ، فأسرع اليه هشام ، فقال له علي : إني أدعوك الى ما كنت تدعو اليه .

موت أبي حنيفة النعمان وجماعة : وفي سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تميم اللات من بكر بن وائل في أيام المنصور ببغداد ، توفي وهو مساجد في صلاته ، وهو ابن تسعين سنة<sup>(١)</sup> وفيها مات عبد الملك ابن عبد العزيز بن جُرَيْج المكي ، مولى خالد بن أسيد ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن سبعين سنة ، وفيها مات محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخزومة من بني المطلب ، ويكنى أبا عبد الله ، ويقال : مات سنة إحدى ، ويقال : سنة اثنتين وخمسين ومائة .

وفي سنة سبع وخمسين مات الأوزاعي ، ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام ، وإنما كان منزله فيهم - أعني الأوزاع - ولم يكن منهم ، وذلك بدمشق فأضيف إليهم ، وكان من سبي أهل اليمن في آخر أيام المنصور ، وله تسعون سنة<sup>(١)</sup> .

وفي أيام المنصور مات ليث بن أبي سليم الكوفي ، مولى عنبة بن أبي سفيان ، سنة ثمان وخمسين ومائة وفي سنت ست وخمسين ومائة مات سوار ابن عبد الله القاضي ، وفي سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء في أيام المنصور .

مقتل عبد الله بن علي ، عم المنصور : وطال جيس عبد الله بن علي

(١) في نسخة : وهو ابن سبعين سنة .

بأمر المنصور ، وأقام في محبسه تسع سنين ، وقيل غير ذلك فلما أراد المنصور الحج في سنة تسع وأربعين ومائة حوَّله من عنده إلى عيسى بن موسى ، وأمره بقتله ، وأن لا يعلم بذلك أحداً ، فبعث عيسى بن موسى إلى ابن أبي ليلى وابن شبرمة ، فشاورهما في ذلك ، فقال ابن أبي ليلى : امض بما أمرك به أمير المؤمنين ، وقال ابن شبرمة : لا تفعل ، فأبى أن يقتله ، وأظهر لأبي جعفر أنه قتله ، وشاع ذلك ؛ فكلم بنو علي المنصور في أخيه عبد الله فقال لهم : هو عند عيسى بن موسى ، فلما قدموا مكة أتوا عيسى بن موسى فسألوه عنه ؛ فقال : قد قتلته ، فرجعوا إلى أبي جعفر ، فقالوا : زعم عيسى أنه قد قتله ، فأظهر أبو جعفر الغضب على عيسى ، وقال : يقتل عمي والله لأقتلنه ، وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منها جميعاً ، قال : فدعا به ، فقال : لم قتلتي عمي ؟ قال : أنت أمرتني بقتله ، قال لم أمرك بذلك ، فقال : هذا كتابك إليّ فيه ، قال : لم أكتبه ، فلما رأى الجد من المنصور ، وتخوف على نفسه قال هو عندي لم أقتله ، قال : ادفعه إلى أبي الأزهر المهلب بن أبي عيسى ، فدفعه إليه ، فلم يزل عنده محبوساً ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مدّه على الفراش ، ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليها ، ثم أحضروا القاضي ابن علاثة وغيره فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنين على تلك الحال ، ثم أمر به فدفن في مقبرة أبي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي .

قال المسعودي : وذكر عبد الله بن عياش المتوفى قال : قال المنصور يوماً ونحن

عنده : أتعرفون جباراً أول اسمه عين ، قتل جباراً أول اسمه عين ، وجباراً أول اسمه عين ، وجباراً أول اسمه عين ؟ قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقال المنصور : أتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين ، وجباراً أول اسمه عين ، وجباراً أول اسمه عين ؟ قلت : نعم أنت يا أمير المؤمنين ، قتلت عبد الرحمن بن مسلم ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وعمك عبد الله بن علي سقط عليه البيت ، قال فما ذنبي ان كان سقط عليه البيت ؟ قلت : لا ذنب لك ، فتبسم ثم قال : هل تحفظ الأبيات التي قالتها زوجة الوليد بن عبد الملك أخت عمرو ابن سعيد حين قتل عبد الملك أخاها ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين ، خَرَجَتْ في اليوم الذي قتل فيه أخوها عمرو وهي حاسرة تنشد :

أيا عين جودي بالدموع على عمرو  
عشيةً يُبتزُّ الخلافةَ بالقهر  
غدرتم بعمرؤ يا بني خيط باطل  
وكلكم بيني البيوت على غدر  
وما كان عمرو عاجزاً ، غير أنه  
أته المنايا بفتة وهو لا يدري  
كان بني مروان إذ يقتلونه  
خشاشٌ من الطير اجتمعن على صقر  
لحى الله دنيا تعقب النار أهلها  
وتهتك ما بين القرابة من ستر  
ألا يا لقومي للوفاء وللغدر  
وللمغلقين الباب قسراً على عمرو  
فرحنا وراح الشامتون عشية  
كان على أعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش : فقال المنصور : فما الأبيات التي بعث بها عمرو بن سعيد إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال : قلت نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه :

يريدُ ابنُ مروانُ أموراً أظنها  
ستحمله مني على مركب صعب  
لينقض عهداً كان مروان شده  
وأدرك فيه بالقطيعة والكذب  
فقدمته قبلي ، وقد كنت قبله  
ولولا انقيادي كان كرب من الكرب

وكان الذي أعطيت مروان هفوةً غلبت بهارياً، وخطباً من الخطب  
فإن 'تنفذوا الأمر الذي كان بيننا قفلنا جميعاً بالسهولة والرحب  
وإن 'يعطها عبد العزيز ظلاماً' فأولى بها منّا ومنه بنو حرب

وفاة المنصور : وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن  
يوسف ، وهي سنة خمس وتسعين ، وكان يقول : ولدت في ذي الحجة ،  
وأعدت في ذي الحجة ، ووليت الخلافة في ذي الحجة ، وأحسب المنية  
تكون في ذي الحجة ، فكان كما ذكر .

وحدث الفضل بن الربيع قال : كنت مع المنصور في السفر الذي مات  
فيه فنزل منزلاً من المنازل ، فبعث إليّ وهو في قبة ووجهه إلى الحائط ،  
فقال لي : ألم أنك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبوا فيها ما  
لا خير فيه ؟ قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ! قال : أما ترى على  
الحائط مكتوباً :

أبا جعفر جانت وفاتك ، وانقضت سنوك ، وأمر الله لا بدّ نازل  
أبا جعفر ، هل كاهنٌ أو منجمٌ يردّ قضاء الله ، أم أنت جاهل !

قال : قلت والله ما أرى على الحائط شيئاً ، وإنه لنقي أبيض ، قال :  
الله ؟ قلت : الله ، قال : إنها والله إذاً نفسي نعتت إلى الرحيل ، بادر بي إلى  
حرم ربي وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي ، فرحلنا وقد ثقل ،  
حتى إذا بلغنا بئر ميمون ، قلت له : هذه بئر ميمون ، وقد دخلت الحرم ،  
قال : الحمد لله ، فتوفي بها .

صفات المنصور : وكان المنصور من الحزم وصواب الرأي وحسن السياسة  
على ما تجاوز كل وصف ، وكان يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه  
حزماً ، ويمنع الحقيير اليسير ما كان إعطاؤه تضييعاً ، وكان كما قال زياد : لو  
أن عندي ألف بعير وعندي بعير أجرب لقت عليه قيام من لا يملك غيره ،

وخلف أبو جعفر ستائة الف الف درهم وأربعة عشر الف الف دينار ، وكان مع هذا يضمن بماله ، وينظر فيما لا ينظر فيه العوام ، ووافق صاحب مطبخه على ان له الرؤوس والأكارع والجلود ، وعليه الحطب والتوابل ، ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة آلاف درهم ، وأسماءهم : عبد الله بن علي ، وعبد الصمد بن علي ، واسماعيل بن علي ، وعيسى بن علي ، وداود بن علي ، وصالح بن علي ، وسليمان بن علي ، وإسحاق بن علي ، ومحمد بن علي ، ويحيى بن علي ، وكان يعمل في بناء مدينة بغداد التي بناها وعرفت به في كل يوم خمسون الف رجل .

اولاده : وكان له من الولد : المهدي وجعفر ، وأمهها أم موسى الحميرية ، وتوفي جعفر في حياة أبيه المنصور ، وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الأصغر ، من كردية ، وصالح الملقب بالمسكين ، وبنت تسمى عالية .

قال المسعودي : وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو بن عبيد وغيرهم ، وله خطب ومواعظ وسير وسياسات في الملك ، قد أتينا على أكثرها في كتابينا أخبار الزمان والأوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لما تدلُّك على ما سبق في كتبنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

## ذكر

### خلافة المهدي محمد بن عبدالله بن محمد بن علي

ابن عبد الله بن العباس

**موجز :** ويكنى أبا عبد الله ، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله ابن ذي سهم بن أبي سرح ، من ولد ذي رعين من ملوك حمير . أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وأتاه بنعي أبيه وبيعته منارة مولاه ، فأقام يومين بعد ذلك ، ثم خطب الناس فنعى أباه ودعا إلى بيعته وبويع البيعة العامة ، وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة ، وخرج من مدينة السلام في سنة تسع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور ، وقد وصف له طيب ماسبذان من بلاد السيروان وجرجان ، فعدل إلى الموضع المعروف بأرزن والران ، فمات بقرية يقال لها ردين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة ، فكانت خلافته عشر سنين وشهراً وخمسة عشر يوماً ، وقبض وله ثلاث وأربعون سنة ، وصلى عليه هرون الرشيد ، وكان موسى الهادي غائباً يجرجان ، وقيل : إنه مات مسموماً في قطائف أكلها ، ولبست حسنة جاريته وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه ، فقال في ذلك أبو العتاهية :

رُحِنَ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحْنَ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوحُ  
كُلَّ نَطَّاحٍ وَإِنْ عَا شَ ، لَهُ يَوْمًا نَطُوحُ  
لَسَمْتَ بِالْبُشَاقِي وَلَوْ عَمَّرْتَ مَا عُمِّرَ نُوْحُ  
فَعَلَى نَفْسِكَ نَعْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ تَنُوحُ

## ذکر

جمل من أخباره وسيره ، ولمع بما كان في أيامه

المهدي وشريك القاضي : ذكر الفضل بن الربيع قال : دخل شريك القاضي على المهدي يوماً ، فقال له : لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال ، قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : إما أنت تلي القضاء ، أو تحدثَ ولدي وتعلمهم ، أو تأكل عندي أكلة ، ففكر ثم قال : الأكلة أخفهن على نفسي ، فاحتبس وقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل ، فلما فرغ من غدائه قال له القيم على المطبخ : يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً ، قال الفضل بن الربيع : فحدثهم والله شريك بعد ذلك ، وعلم أولادهم ، وولي القضاء لهم ، ولقد كتب بأرزاقه إلى الجهيد فضايقه في النقص ، فقال له الجهيد : إنك لم تبع بزاً ، قال له شريك : بلى والله لقد بعته أكبر من البر ، لقد بعته ديني .

المهدي وعمرو بن الربيع يجوعان في طريقهما للصيد : وقال الفضل بن الربيع : خرج المهدي متنزهاً ومعه عمرو بن ربيع مولاه ، وكان شاعراً ، فانقطع عن المسكر ، والناس في الصيد ، وأصاب المهدي جوع شديد ، فقال لعمرو : ويحك ! ارتد لي إنساناً نجد عنده ما نأكل ، فما زال عمرو يطوف إلى أن وجد صاحب مَبْقَلَة وإلى جانبها كوخ له ، فصعد إليه فقال له : هل عندك شيء يؤكل ؟ قال : نعم ، رفاق من خبز شعير ورثيثة ، وهذا البقل والكراث ، فقال له المهدي : إن كان عندك زيت فقد أكلت ، قال : نعم عندي فضلة منه ، فقدم إليها ذلك ، فأكلا أكلاً كثيراً ، وأمعن المهدي حتى لم يبق فيه فضل ، فقال لعمرو : قل شعراً تصف به ما نحن فيه ، فقال عمرو :

إن من 'يطنم' الرثيثة بالزيت وخبز الشعير بالكراث  
لحقيق بصفعة أو بثنتين لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي : بشس والله ما قلت ؛ ولكن أحسن من ذلك :

لحقيق ببدره أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى المسكر ، ولحقته الخزائن والخدم والموكب ، فأمر لصاحب

المبقة بثلاث بدر دراهم ..

ومرة أخرى يجوع المهدي في طريقه للصيد ، قال : وعاراً<sup>(١)</sup> به فرسه  
مرة أخرى ، وقد خرج للصيد ، فدفع إلى خباء أعرابي وهو جائع ، فقال :  
يا أعرابي هل عندك قرى فإني ضيفك ؟ قال : أراك طريراً جسيماً عمياً ،  
فان احتملت الموجود قربنا لك ما يحضرنا ، قال : هات ما عندك فأخرج له  
خبز ملة ، فأكلها ، وقال : طيبة ، هات ما عندك فأخرج إليه لبناً في  
كرش فسقاه ؛ فشرب ، وقال : طيب ، هات ما عندك فأخرج له فضلة  
نبيذ في ركوة ، فشرب الأعرابي واحداً وسقاه ، فلما شرب قال المهدي :  
أتدري من أنا ؟ قال : لا والله ، قال : أنا من خدم الخاصة ، قال : بارك الله  
في موضعك وحبائك من كنت ، ثم شرب الأعرابي قدحاً وسقاه ، فلما شرب  
قال له : يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال : نعم ذكرت أنك من خدم الخاصة ،  
قال : لست كذلك ، قال : فمن أنت ؟ قال : أنا أحد قواد المهدي ، قال :  
رحبت دارك ، وطاب مزارك ، ثم شرب الأعرابي قدحاً وسقاه ، فلما شرب  
الثالث قال : يا أعرابي ، أتدري من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك أحد قواد  
المهدي ، قال : فلست كذلك قال : فمن أنت ؟ قال : أمير المؤمنين بنفسه ،  
فأخذ الأعرابي ركوته فوكاها ، فقال له المهدي : استقنا ، قال : لا والله لا  
تشرب منها جرعة فما فوقها ، قال : ولم ؟ قال : سقيتك قدحاً<sup>(٢)</sup> فزعمت أنك

(١) في نسخة : وغار به .  
(٢) في نسخة : سقيتك واحداً .



من خدم الخاصة ، فاحتملناها لك ، ثم سقيناك آخر فزعمت أنك احد قواد المهدي فاحتملناها لك ، ثم سقيناك الثالث فزعمت انك امير المؤمنين ، لا والله ما آمن أن اسقيك الرابع فتقول : إنك رسول الله ، فضحك المهدي ، وأحاطت به الخيل ، فنزل إليه أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابي ، فلم يكن هم إلا النجاة بنفسه ، وجعل يشتد في عدوه ، فقال له المهدي : لا بأس عليك ، وأمر له بصلة جزيلة من مال وكسوة وبزة وآلة ، فقال : أشهد أنك صادق ، ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها ، فضحك المهدي منه حتى كاد ان يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة ، وجعل له رزقاً ، وألحقه بخواصه .

وزراء المهدي : وكان وزيره ابو عبيدالله معاوية بن عبدالله الأشعري ، وهو جد محمد بن عبد الوهاب السكاتب وكان كاتبه قبل الخلافة ، فقتل المهدي ابناً لأبي عبيدالله على الزندقة ، فاستوحش كل واحد منها من صاحبه فعزله وعاش أبو عبيدالله الى سنة سبعين ومائة ، ثم اختص المهدي يعقوب بن داود السلمي ، وخرج كتابه على الدواوين : إن أمير المؤمنين قد آخاه ، وكان يصل اليه في كل وقت دون الناس كلهم ، ثم اتهمه بشيء من أمر الطالبين ، فهم بقتله ، ثم حبسه فبقوا في حبسه الى أيام الرشيد ، فأطلقه الرشيد ، وقد قيل في أمره انه كان يرى الإمامة في الأكبر من ولد العباس ، وان غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه .

خصال المهدي واعماله : وكان المهدي محبباً الى الخاص والعام ، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم<sup>(١)</sup> ، والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وإنصاف المظلوم ، وبسط يده في الإعطاء فأذهب جميع ما خلفه المنصور ، وهو ستائة ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار ، سوى ما جباه في أيامه ،

(١) في نسخة : برد المظالم .

فلما فرغت بيوت الأموال أتى أبو حارثة النهري خازن بيوت أمواله ، فرمى بالمفاتيح بين يديه ، وقال : ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ؟ ففرق للمهدي عشرين خادماً في جباية الأموال<sup>(١)</sup> ، فوردت الأموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة النهري بقبضها وتصحيحها عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال: ما أخرك؟ فقال: الشغل بتصحيح الأموال ، فقال: أنت اعرابي أحق كنت تظن ان الأموال لا تأتينا اذا احتجنا اليها، قال أبو حارثة : ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظر حتى توجه في استخراج الأموال وحملها ، وقيل : انه فرق في عشرة ايام من صلب ماله عشرة آلاف ألف درهم ، فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيباً فقال : وللمهدي أشباه ، فمنها القمر الزاهر ، والربيع الباكر ، والأسد الحادر ، والبحر الزاخر ، فأما القمر الزاهر فأشبهه منه حسنه وبهائه ، وأما الربيع الباكر فأشبهه منه طيبه وهواه ، وأما الأسد الحادر فأشبهه منه غرته ومضاه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وسخاه.

الخيزران وامرأة مروان بن محمد: وكانت الخيزران ام الهادي والرشيد في دارها المعروفة اليوم بأشناس ، وعندها أمهات اولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ، وهي على بساط أرمني ، وهنّ على نمارق ارمنية ، وزينب بنت سليمان بن علي اعلاهن مرتبة ، فيينا هن كذلك اذ دخل خادم لها فقال : بالباب امرأة ذات حسن وجمال في أطهار رثة تأبى ان تخبر باسمها وشأنها غيركن ، وتروم الدخول عليكن ، وقد كان المهدي تقدم الى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان بن علي ، وقال لها : اقتبسي من آدابها ، وخذي من اخلاقها ، فانها عجوز لنا قد ادركت اوائلنا ، فقالت الخيزران للخادم: ائذن لها ، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في اطهار رثة ، فتكلمت فأوضعت عن بيان على لسان فقالوا لها : من انت ؟ قالت : انا مزنة امرأة مروان بن محمد ، وقد أصارني الدهر الى ما ترى<sup>(٢)</sup> ، ووالله ما الأطهار الرثة التي علي إلا

(١) في نسخة : في استعثاك الأموال . (٢) في نسخة : وقد صيرني الدهر .

عارية ، وانكم لما غلبتمونا على هذا الأمر وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة الينا تزيل موضع الشرف ، فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حالة كانت ، حتى تأتي دعوة من له الدعوة ، فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت سليمان بن علي ، فقالت لها : لا خفف الله عنك يا مزنة ، اذكرين وقد دخلت عليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه ، ونساء قرابتكم على هذه النارق ، فكلمتك في جثة إبراهيم الإمام ، فانتهرتني وأمرت باخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ؟ فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك ؛ لقد دخلت اليه فحلف أنه ما قتله ، وهو كاذب ، وخيرني بين أن يدفنه أو يدفع إلي جثته ، فاخترت جثته ؛ وعرض علي ما لا فلم اقبله ؛ فقالت مزنة : والله ما نظن هذه الحالة أدنتني الى ما ترينه إلا بالفعال التي كانت مني ؛ وبأنك استحسنته فعرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب ان تحضيا على فعل الخير وترك المقابلة بالشر ؛ لتحرز بذلك نعيمه ، وتصون بها دينها ؛ ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فأحببت التأمي بنا ؛ ثم ولت باكية وكرهت الخيزران ان تخالف زينب فيها فغمزت الخيزران بعض جواربها ، فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها ، فلما دخل المهدي عليها - وقد أنصرفت زينب وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمة في كل عشية - قصت عليه الخيزران قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي ردتها ؛ فقال لها : لما رددتها الى المقصورة ما الذي سمعتها تقول ؟ قالت : لحقتها في المر الفلاني وهي تبكي في خروجها مؤتسية وهي تقرأ ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) ؛ ثم قال للخيزران : والله والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كلمتك ابدأ ، وبكى بكاء كثيراً ، وقال : اللهم اني اعوذ بك من زوال

النعمة ؛ وأنكرَ فعل زينب ، وقال : لولا انها اكبر نساتنا لحلفت ألا اكلها ؛ ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقربي عليها السلام مني وقولي لها يا بنت عم ان اخواتك قد اجتمعن عندي ؛ ولولا اني أغمك لجئناك ؛ فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ؛ وقد حضرت زينب بنت سليمان ؛ فجاءت مزنة تسحب أذيالها ؛ فأمرها بالجلوس ؛ ورحب بها واستدناها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن علي ، ثم تفاوضوا اخبار اسلافهم ، وأيام الناس ، والدول وتنقلها ، فما تركت لأحد في المجلس كلاماً ؛ فقال لها المهدي : يا بنت عم ، والله لولا اني لا احب أن أجعل لقوم انت منهم من امرنا شيئاً لتزوجتك ، ولكن لا شيء أصون لك من حجاي ، وكونك مع اخواتك في قصري : لك ما هن وعليك ما عليهن ، الى ان يأتيك امر من له الامر فيما حكم به على الخلق ، ثم اقطعها مثل ما هن من الاقطاع وأخدمها وأجازها ، فأقامت في قصره الى أن قبض<sup>(١)</sup> المهدي وأيام الهادي وصدرأ من أيام الرشيد ، وماتت في خلافته ، لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم وخواص حرائرهم وجواربهم فلما قضت جزع الرشيد والحرم<sup>(٢)</sup> جزعا شديداً .

عبدالله بن عمرو بن عتبة يعزى المهدي وحننه : وحدثنا الرياشي عن الأصمعي : دخل عبدالله بن عمرو بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور ، فقال : آجر الله امير المؤمنين على امير المؤمنين قبله ، وبارك الله له فيما خلفه فيه ، ولا مصيبة اعظم من فقد إمام والد ، ولا عقبى أجل من خلافة الله على اولياء الله ، فاقبل يا امير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عند الله أفضل الرزية .

عتبة الجارية وأبو العتاهية : ولما كثر تشييب ابي العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها ما يلحقها من الشناعة ، ودخل المهدي وهي

(١) في نسخة : الى ان قضى المهدي . (٢) في نسخة : والخدم .

تبكي بين يدي الخيزران ، فسألها عن خبرها ، فأخبرته ، فأمر باحضار أبي  
العتاهية ، فأدخل اليه ، فلما وقف بين يديه قال : انت القائل في عتبة :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والملامات

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما قلت  
ذلك بل انا الذي أقول :

يا ناق حثي بنا ولا تهني نفسك فيما ترين راحت

حتى تجيئي بنا الى ملك توجّه الله بالمهاجات

يقول للريح كلما عصفت : هل لك يا ريح في مباراتي

عليه تاجان فوق مفرقه تاج جمال وتاج إخبات

قال : فنكس المهدي رأسه ، ونكت بالقضيب الذي كان في يده ثم رفع  
رأسه فقال : أنت القائل :

ألا ما لسيدتي ما لها أدلت فأحمل إدلالها؟

وجارية من جوارى الملو كقد اسكن الحسن سربالها

قال : وما علمك بما حواه سربالها ؟ فأجابه معارضاً له فيه :

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ثم سأله عن أشياء ، فأفخم أبو العتاهية في الجواب ، فأمر المهدي بجلده  
نحواً من حد ، وأخرج مجلوداً ، فلقيته عتبة وهو على تلك الحال ، فقال :  
بخ بخ يا عتب من أجلكم قد قتل المهدي فيكم قتيلاً

فتفرغرت عينها ، وفاض دمعها ، وصادفت المهدي عند الخيزران ،  
فقال : ما لعتبة تبكي ؟ قالوا له : رأت ابا العتاهية مجلوداً ، وقال لها كيت  
وكيت ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، ففرقها ابو العتاهية على من كان  
بالباب ، فكتب صاحب الخبر بذلك ، فوجه اليه : ما حملك على ان أكرمتك

بكرامة فقسمتها ؟ قال : ما كنت لأكل ثمن من أحببت ، فوجه اليربجمسين  
ألفاً أخرى ، وحلف عليه أن لا يفرقها ، فأخذها وانصرف .  
من أبي العتاهية الى المهدي : قال المبرد : أهدى أبو العتاهية الى المهدي  
في يوم نوروز أو مهرجان برنية صينية فيها ثوبٌ ممسك فيه سطران مكتوبان  
عليه بالغالية :

نفسى بشيء من الدنيا معلقة      الله والقائم المهدي يكفيها  
إني لأياس منها ثم يُطمِني      فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع اليه عتبه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، مع حرمتي وحقني  
وخدمتي تدفني الى بائع جرار يكتسب بالشعر ؟ فبعث اليه : أما عتبه فلا  
سبيل لك اليها ، وقد أمرنا لك بـ... البرنية مالا ، فخرجت عتبه وهو  
يُنظر الكتاب ، ويقول : إنما أمر لي بدنانير ، وهم يقولون : بدراهم ، فقالت :  
أما لو كنت عاشقاً لعتبه لشغلت عن العَيْن والورق .

من طرف أبي العتاهية : وكان أبو العتاهية وهو إسماعيل بن القاسم بائع  
جرار ، وكان من أسهل الناس لفظاً وأقدرهم على وزن الكلام ، وكان خلواً  
الألفاظ ، حتى إنه يتكلم بالشعر في جميع حالاته ، ويخاطب به جميع أصناف  
الناس ، قد جعله شعراً وفتاراً .

واجتمع أبو نواس وجماعة ، فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال :

عَذِبَ الماء وطاباً

ثم قال أجزوا فترددوا فلم يحضر أحد ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه  
حتى جاء أبو العتاهية فقال : فيم أنتم ؟ فأعلموه وأنشدوه القسم ، فقال :  
حبذا الماء شراباً

ومن مختار شعره في عتبه :

بالله يا حلوة العينين زوريني      قبل المات ، وإلا فاستزيريني

هذان أمران ، فاختاري أحبها  
 إن شئت موتاً فانت الدهر مالكة  
 يا عتَبَ ما أنت إلا بدعة خلقت  
 إني لأعجب من حب يقربني  
 لو كان ينصفي مما كلفت به  
 يا أهل ودي إني قد لطفت بكم  
 الحمد لله قد كنا نظنكم  
 أما الكثير فلا أرجوه منك، ولو

ومن مختار شعره فيها قوله :

ألا يا عتب يا قمر الرصافه  
 رزقت مودتي، ورزقت عطفني،  
 وصرت من الهوى ديقاً سقيماً  
 أظل إذا رأيتك مستكيناً  
 ويا ذات الملاحه والنظافه  
 ولم أرزق فديتك منك رافه  
 صريعاً كالصريع من السلافه  
 كأنك قد بعثت علي آفه

ومما اخترناه من شعره واستحسنه ذوو الحجا قوله :

ما أغفل الناس عن بلائي  
 يلومني الناس في حبيب  
 يا لهف نفسي على خليل  
 صيرني حُبّه غريباً  
 وعن عنائي وعن شقائي  
 والناس لا يعرفون دائي  
 أصبح في كفه شقائي  
 في غير أرض، ولا سماء  
 فما اضطباري؟ وما عزائي؟  
 وأنت تدرين ما دوائي  
 فاضت دموعي على ردائي  
 يا أهل ودي الى جفائي؟  
 وأنتم الهم في مسائي  
 قد بلغ الجد بي مداه  
 أنت بلائي، وأنت دائي  
 والله ما تذكّرين إلا  
 تبارك الله، ما دعائم  
 فأنتم الهم في صباحي

إني على ما لقيت منكم لمعجباً منكم بدائي  
شأن ما بينكم وبينني في نصح حي ، وفي وفائي  
منحتكم صبوتي وودي فكان ذا منكم جزائي

وحدث المبرد محمد بن يزيد أن ربيعة ابنة أبي العباس السفاح وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق للعتق ، وأمرت جاريتها عتبة - وكانت لها ثم صارت إلى الخيزران بعدها - أن تحضر ذلك ، فانها جلالة إذ جاء أبو العتاهية في زي متنسك فقال : جعلني الله فداك ! أنا شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة ، فان رأيت أعزك الله ان تأمرني بشرائي وعتقي هملت مأجورة ، فأقبلت على عبدالله ، فقالت : إني لأرى هيئة جميلة وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ورجلاً بليغاً ، فاشتره وأعتقه ، فقال : نعم فقال أبو العتاهية : أتأذنن لي أصلحك الله في تقبيل يدك شكراً لك على جميل فعلك وما أوليتني فأذنت له ، فقبلَ يدها وانصرف ، فضحك عبدالله ابن مالك ، وقال : أتدرين من هذا ؟ قالت : لا ، قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك فسترت وجهها خجلاً ، وقالت : سوءة لك يا أبا العباس ، أمثلك يعبت ؟ إنما اغتررنا بكلامك ، وقامت فلم تعد إليه .

ولأبي العتاهية أشعار حسان سنذكرها في أخبار من يرد من الخلفاء ، وسنذكر لمعاً من أخباره وما استحسناه من أشعاره وذكر وفاته ولو لم يكن لأبي العتاهية سوى هذه الأبيات التي أبان فيها عن صدق الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزاً على غيره ، ممن كان في عصره وهي :

ان أخاك الصّدق من كان معك ومن يضرّ نفسه لينفعك  
ومن اذا ريب الزمان صدعك شئت شمل نفسه كي يجمعك<sup>(١)</sup>

(١) في نسخة : شئت فيك شمله ليجمعك .



وهذه الصفة في عسرة معدومة ، ومستحيل وجودها ، ومتعذر كونها ،  
ومتعسر رؤيتها .

محمد المهدي والشرقي بن القطامي ، وروى ابن عياش وابن دأب أن  
المنصور كان قد ضمّ الشرقي بن القطامي الى المهدي ، حين خلفه بالري ،  
وامره أن يأخذه بحفظ ايام العرب ، ومكارم الأخلاق ، ودراسة الأخبار ،  
وقراءة الأشعار ، فقال له المهدي ذات ليلة : يا شرقي أرح قلبي بشيء يلبيه  
قال : نعم أصلح الله الأمير ، ذكروا انه كان في ملوك الحيرة ملك له  
نديمان قد نزل من قلبه منزلة مكينة<sup>(١)</sup> ، وكان لا يفارقانه في لوه  
وأنسه ومنامه ويقظته ، ومقامه وطمعه ، وكان لا يقطع أمراً دونها ، ولا  
يصدر إلا عن رأيها ، فغبر بذلك دهرأ طويلاً ، فبينما هو ذات ليلة في شربه  
ولهوه إذ غلب عليه الشراب فأزال عقله ، فدعا بسيفه وانتضاه ، وشدّ  
عليها فقتلها ، وغلبته عيناه فنام ، فلما أصبح سأل عنها فأخبر بما كان منه ،  
فأكبّ على الأرض عاضاً لها تأسفاً عليها وجزعاً لفراقها ، وامتنع من  
الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب شراباً يزعج قلبه ما عاش ، وواراها  
وبنى على قبريها قبة ، وسماها الغريتين ، وسن أن لا يمر بها أحد من الملك  
فمن دونه إلا سجد لها ، وكان إذا سن الملك منهم سنة توارثوها ، وأحيوا  
ذكرها ولم يمتوها ، وجعلوها عليهم حكماً واجباً ، وفرضاً لازماً ، وأوصى  
بها الآباء أعقابهم ، فغبر الناس بذلك دهرأ طويلاً ، لا يمر بقبريها أحد من  
صغير ولا كبير إلا سجد لهما ، فصار ذلك سنة لازمة وأمرأ كالشريعة  
والفريضة ، وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين  
يجاب إليهما كائنا ما كانتا ، قال : فمر يوماً قصار مع كارة ثياب وفيها  
مدقته ، فقال الموكلون بالغريتين للقصار : اسجد ، فأبى أن يفعل ، فقالوا

( ١ ) في نسخة « منزلة نفسه » .

له : اذك مقتول ان لم تفعل ، فأبى ، فرفعوه الى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك ان تسجد ؟ قال : سجدت ولكن كذبوا علي ، قال : الباطل قلت ، فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليها ، واني قاتلك بعد ، قال : لا بد من قتلي بقول هؤلاء علي ؟ قال : لا بد من ذلك ، قال : احتكم ان أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ، قال له الملك : يا جاهل ، لو حكمت علي أن اجري على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان اصلح لهم ، قال : ما احكم الا بضربة لرقبة الملك ، فقال الملك لوزرائه : ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل قال : نرى أن هذه سنة انت سننتها وأنت اعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الإثم ، وايضاً انك متى نقضت سنة نتضت اخرى ، ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن ، قال : فارغبوا الى القصار ان يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ، فإني اجيبه الى ما شاء الله ولو بلغ حكمه شطر ملكي ، فرغبوا اليه ، فقال : ما أحكم الا بضربة في عنق الملك ، قال : فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعداً عاماً وأحضر القصار ، فأبدي مدقته وضرب بها عنق الملك فأوهنه وخر مغشياً عليه ، فأقام وقيداً ستة أشهر<sup>(١)</sup> ، وبلغت به العلة الى أن كان يسقى الماء بالقطر ، فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل<sup>٢</sup> سأل عن القصار ، فقيل : إنه محبوس ، فأمر بإحضاره ، فحضر ، فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها ، فإني قاتلك لا محالة إقامة للسنة ، قال القصار : فإذا كان لا بد من قتلي فاني أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى ، فلما سمع ذلك خر على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت نفسي والله إذا ، ثم قال للقصار : ويلك !! دَعْ عنك ما لا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنفذه لك كائناً ما كان ، قال : ما أرى حقي إلا في ضربة أخرى ، فقال الملك

(١) في نسخة : فأقام لما به سنة .

لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : تموت على السنة اصلح لك ، قال : ويلكم !! إن ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد ابداً لأنني أعلم ما قد نالني ، قالوا : فما عندنا حيلة ، فلما رأى ما قد أشرف عليه ، قال للقصار : أخبرني ، ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريرتين انك قد سجدت وأنهم كذبوا عليك ، قال : قد كنت قلت ذلك فلم أصدق ، قال : فكنت سجدت؟ قال : نعم ، فوثب الملك من مجلسه وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق وأنهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت اليك بأسهم وأمرهم في تأديبهم ؛ فضحك المهدي حتى فحص برجليه ، وقال : أحسنت ، ووصله .

المهدي ومروان بن أبي حفصة : قال الهيثم بن عدي : كنت في مجلس المهدي ، فأناه الحاجب فقال : ابن أبي حفصة بالباب ، فقال : لا تأذن له فإنه منافق كذاب . فكله الحسن بن قحطبة فيه ، فأدخله ، فقال له المهدي :  
يا فاسق<sup>(١)</sup> ألسنت القائل في معنى :

جبلٌ تلوذ به تزار كلها صعبٌ الدرى متمنع الأركان

قال : بل أنا الذي أقول فيك يا أمير المؤمنين :

يا ابنَ الذي ورث النبيَّ محمداً دون الأقارب من ذوي الأرحام

وأنشده الأبيات كلها ، فرضي عنه وأجازه .

بين المهدي وسفيان الثوري : وقال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وأتى سفيان الثوري فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ، ولم يسلم تسليم الخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه يرقب أمره ، فأقبل المهدي بوجهه طلق وقال له : يا سفيان ، تفر منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال

(١) في نسخة : يا منافع .

له الربيع : يا أمير المؤمنين ، لهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ ائذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له : اسكت ويلك ، ما يريد هذا وأمثاله إلا أن يقتلهم فنشقي بسعادتهم ، اكتبوا بعهدته على قضاء الكوفة ، على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ورمى به في الدجلة وهرب ، فطلب في كل بلد ، فلم يوجد .

روفا المهدي قبيل وفاته : وقال علي بن يقطين : كنا مع المهدي بماسبدان ، فقال لي يوماً : أصبحت جائعاً فأتني بأرغفةٍ ولحم بارد ، ففعلت ، فأكل ثم دخل البهو ونام ، وكنا نحن في الرواق ، فانتبهنا لبكائه ، فبادرنا إليه مسرعين ، فقال : أما رأيتم ما رأيتم ؟ قلنا : ما رأينا شيئاً ، قال : وقف عليّ رجل لو كان في ألف رجل ما خفي عليّ صوته ولا صورته فقال :

كأنّي بهذا القصر قد باد أهله      وأوحشَ منه ربهُ ومنازلهُ  
وصار عميد القوم من بعد بهجة      ومُلِّكْ إلى قبر عليه جنادله  
فلم يبق إلا ذكره وحديثه      تنادي عليه مَعْرولاتٍ حلاله

قال علي : فما أتت علي المهدي بعد رؤياه إلا عشرة أيام حتى توفي

وفاة زفر بن الهذيل وجماعة من العلماء : قال المسعودي : وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبي حنيفة النعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة ، وفيها كانت بيعة المهدي كما قدمناه .

ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة ، وكان من تميم ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ويكنى أبا عبدالله ، في أيام المهدي ، وذلك في سنة إحدى وستين ومائة .

ومات ابن أبي ذئب ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، ويكنى أبا الحارث ، بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة ، وذلك في أيام المهدي .

وفي سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ، ويكنى أبا بسطام ، وهو

مولى لبني شقرة من الأزدي ، وفيها توفي عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، وفي سنة ست وستين ومائة مات حماد بن سلمة في أيام المهدي .  
قال المسعودي : وللمهدي أخبار حسان ، ولما كان في أيامه من الكوائن والحروب وغيرها ، قد أتينا على مبسوطه في الكتاب الأوسط ، وكذلك من مات في سلطانته من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم ، وبالله التوفيق .

## ذكر

### خلافة موسى الهادي

موجز : وبويع موسى بن محمد الهادي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم ، وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، صبيحة الليلة التي كانت فيها وفاة والده المهدي ، وذلك في سنة تسع وستين ومائة ، وتوفي بعيساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة ، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وكان يكنى أبا جعفر ، وأمه الخيزران بنت عطاء ، أم ولد حرشية ، وهي أم الرشيد ، وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان في حرب كانت هناك ، فركب البريد وقد أخذ له أخوه هارون البيعة وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لما أتت خير بني هاشم      خلافة الله يجرجان  
شمر للحرب سراييله      برأي لا غمير ولا وان

## ذكر

جمل من اخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه

اوصاف الهادي : كان موسى قاسي القلب ، شرس الأخلاق ، صعب المرام ، كثير الأدب ، محباً له ، وكان شديداً شجاعاً ، بطلاً ، جواداً ، سخياً .

مثل من شجاعته : حدث يوسف بن ابراهيم الكاتب ، وكان صاحب ابراهيم ابن المهدي ، عن ابراهيم ، أنه كان واقفاً بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف به ببغداد إذ قيل له : قد ظفر برجل من الخوارج ، فأمر بإدخاله ، فلما قرب منه الخارجي اخذ سيفاً من بعض الحرس ، فأقبل يريد موسى ، فتنحيت وكلٌّ مَنْ مَعِيَ عنه ، وانه لواقف على حماره ما يتحلحل ، فلما ان قرب منه الخارجي صاح موسى : اضربا عنقه ، وليس وراءه أحد ، فأوممه ، فالتفت الخارجي لينظر ، وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه<sup>(١)</sup> فصرعه ، فأخذ السيف من يده ، فضرب عنقه ، قال : فكان خوفنا منه أكثر من الخارجي ، فوالله ما أنكر علينا تنحيننا ولا عدلنا على ذلك ، ولم يركب حماراً بعد ذلك اليوم ، ولا فارقه سيفه .

بين الهادي وعيسى بن داب : وكان عيسى بن داب يجالس ، وكان من أهل الحجاز وكان أكثر أهل عصره أدباً وعلماً ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم ، وكان الهادي يدعو له متكاً ، ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك ، وكان يقول له : يا عيسى ما استطلت بك<sup>(٢)</sup> يوماً ولا ليلة ، ولا غبت عني إلا ظننت أني لا أرى غيرك .

جريمة غلام سندي : وذكر عيسى بن داب أنه رفع الى الهادي أن رجلاً

(١) في نسخة : ثم ظفر عليه .

(٢) في نسخة : ما استطلت .

من بلاد المنصورة - من بلاد السند من أشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبي صفرة - ربي غلاماً سندياً أو هندياً ، وأن الغلام هوي مولاته ، فراودها عن نفسها ، فأجابته ، فدخل مولاه فوجدتها معه ، فجب ذكر الغلام وخصاه ، ثم عاجله الى ان برىء فأقام مدة ، وكان لمولاه ابنان ، احدهما طفل والآخر يافع ، فغاب الرجل عن منزله وقد اخذ السندي الصبيين فصعد بها الى أعالي سور الدار الى ان دخل مولاه فرفع رأسه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال : يا فلان ، عرضت ابني للهلاك ؛ فقال : دع ذا عنك ، والله لو لم تجب نفسك بحضرتي لأرمين بها ، فقال له : الله الله في وفي ابني ، قال : دع عنك هذا ، فوالله ما هي الا نفسي ، وإني لأسمع بها من شربة ماء ، وأهوى ليرمي بها ، فأسرع مولاه فأخذ مدية فجب نفسه ، فلما رأى الغلام أنه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا ، وقال : ذاك الذي فعلت لفعلك بي ، وقتل هذين زيادة ، فأمر الهادي بالكتاب الى صاحب السند بقتل الغلام وتعذيبه بأفظع ما يمكن من العذاب ، وأمر بإخراج كل سندي في مملكته ، فرخص السند في أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير . وزراء المهدي : وكان الهادي قد استوزر الربيع ، وضم إليه ما كان لعمر ابن بزيع من الزمام ثم إنه ولي عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل ، وأفرد الربيع بالزمام ، فمات الربيع في هذه السنة ، وقيل : إن الهادي سقاه شربة لأجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع ، وقيل غير ذلك . ظهور الحسين بن علي بن الحسن : وظهر في أيامه الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهو المقتول بفخ ، وذلك على ستة أميال من مكة ، يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم : منهم سليمان بن أبي جعفر ، ومحمد بن سليمان بن علي ، وموسى ابن عيسى ، والعباس بن محمد بن علي ، في أربعة آلاف فارس ؛ فقتل الحسين

(٢) في نسخة : بأفظع ما يكون من العذاب .

وأكثر من كان معه ، وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطيور ، وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فأمر في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبراً ، وقتل معه عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأسر الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وضرب عنقه صبراً<sup>(١)</sup> ، واخذ لعبدالله بن الحسن بن علي وللحسين بن علي الأمان ، فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وقتلا بعد ذلك ، فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى ، وقبض اموال موسى ، وظهر الذين اتوا بالرأس الاستبشار ، فبكى الهادي وزجرهم ، وقال : اتيتوني مستبشرين كأنكم اتيتوني برأس رجل من الترك او الديلم ، انه رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا ان أقل جزائكم عندي الا اثيبكم شيئاً .

من مراثي الحسين بن علي صاحب فخ : وفي الحسين بن علي صاحب فخ ، يقول بعض شعراء ذلك العصر من ابيات :

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكة الذي أثووه ليس له كفن

تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن

كانوا كراما قتلوا لا طائشين ولا جبن

غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرر

هدى العباد يخدم فلهم على الناس المن

طاعة الهادي لأم الخيزران : وكان الهادي كثير الطاعة لأم الخيزران ،

مجيباً لها فيما تسأل من الحوائج للناس ، فكانت المواكب لا تخلو من بابها ، ففي

ذلك يقول ابو المعافي :

يا خيزران هناك ثم هناك ان العباد يسوسهم ابنك

(١) في نسخة : فضربت رقبته صبرا .



فكلمته ذات يوم في أمر ، فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا ، فاعتل عليها بعة ، فقالت : لا بد من اجابتي ، قال : لا افعل ، قالت : فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبدالله بن مالك ، فغضب الهادي ، وقال : ويل لابن الفاعلة ، قد علمت أنه صاحبها ، والله لا قضيتها لك ، قالت : اذا والله لا اسألك حاجة أبداً ، قال : اذ والله لا ابالي وحمي وقامت وهي مغضبة ، فقال : مكانك ، فاستوعبي كلامي ، والله ، والا نفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن بلغني انه وقف ببابك احد من قوادي ، او من خاصتي ، او من خدمي ، لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك ، ما هذه المراكب التي تغدو الى بابك كل يوم ؟ اما لك منزل يشغلك ، او مصحف يذكرك ، او بيت يصونك ؟ اياك ثم اياك ان تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمتي ، فانصرفت وما تعقل ما تطأ ؛ فلم تنطق عنده بجلو ولا مر بعدها .

اخذ العباسيون ثار بني هاشم من بني مروان : وذكر ابن دأب ، قال : دعاني الهادي في وقت من الليل لم تجر العادة أنه يدعوني في مثله ، فدخلت اليه ، فاذا هو جالس في بيت صغير شتوي ، وقدامه جزء صغير<sup>(١)</sup> ينظر فيه ، فقال لي : يا عيسى ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : اني أرقمت في هذه الليلة ، وتداعت الي الخواطر واشتملت علي الهموم ، وهاج لي ما جرت اليه بنو امية من بني حرب وبني مروان في سفك دماننا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا عبدالله بن علي قد قتل منهم على نهر ابي فطرس فلاناً وفلاناً حتى أتيت على تسمية أكثر من قتل منهم ، وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبدالله بن علي ، وهو القائل بعد سفك دماءهم :

ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها أخذي بثأري من بني مروان  
ومن آل حرب، ليت شيخي شاهد سفكي دماء بني ابي سفيان

(١) في نسخة : وقدامه دفتر ينظر فيه .

قال ابن دأب : فسر والله الهادي ، وظهرت منه اريحية ، فقال : يا عيسى داود بن علي هو القاتل ذلك والقاتل لمن ذكرت بالحجاز ، ولقد اذكرتنيها ، حتى كآني ما سمعتها ، قلت : يا أمير المؤمنين ، وقد قيل : إنها لعبد الله بن علي ، قالهما على نهر أبي فطرس ، قال : قد قيل ذلك .

بعض فضائل مصر وبعض أخبارها وبعض عيوبها : قال ابن دأب : ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها ، فقال لي الهادي : فضائلها أكثر ، قلت : يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أو ردوه ، والبينة على الدعوى ، وأهل العراق يأتون هذه الدعوى ، ويذكرون ان عيوبها أكثر من فضائلها ، قال : مثل ماذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين من عيوبها أنها لا تمطر ، وإذا أمطرت كرهوا ذلك ، وابتهلوا إلى الله بالدعاء وقد قال الله عز وجل ( وهو الذي يُرسلُ الرياحُ بُشراً بين يدي رحمة ) فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون ، وهي لهم ضارة غير موافقة لا يزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها أرضهم ، ومن عيوبها الريح الجنوبية التي يسمونها المريسيّة ، وذلك أن أهل مصر يسمون أعالي الصعيد إلى بلاد النوبة مريس ، فإذا هبت الريح المريسية - وهي الجنوبية - ثلاثة عشر يوماً تباعاً اشتري أهل مصر الأكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القاتل ، والبلاء الشامل (١) ، ثم من عيوبها اختلاف هوائها لأنهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مراراً كثيرة ، فيلبسون القميص مرة ، والمبطنات أخرى ؛ والحشو مرة ، وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ، ولتباين مهابّ الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار ، وهي تمير ولا تمتار ، فإذا أجذبوا هلكوا . وأما نيلها فكفكاف الذي هو عليه من الخلاف لجميع الأنهار ، من الصغار والكبار ، وليس بالقرات ولا الدجلة ولا

نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شيء من التاميح ، وهي في نيل مصر ضارة  
بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة ؛ وفي ذلك يقول الشاعر :

أظَهَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً إِذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ  
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثْبِهَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي النَّوَاقِلِ

قال : ويحك ! ما النواقل التي ترى النيل فيها ؟ قلت : القلال  
والكيزان يسمونها بهذا الاسم ، قال : وما مراد الشاعر فيما وصف ؟ قال :  
لأنه لا يتمتع بالماء إلا في الآنية ؛ لخوف مباشرة الماء في النيل من التمساح ؛  
لأنه يختطف الناس وسائر الحيوان ؛ قال : إن هذا النهر قد منع هذا النوع  
من الحيوان مصالح الناس منه ، وقد كنت متشوقاً إلى النظر إليها ، فلقد  
زهدتني عنها بوصفك لها .

مدينة دنقلة ؛ قال ابن دأب : ثم سألني الهادي عن مدينة دنقلة ، وهي  
دار مملكة النوبة ، كم المسافة بينها وبين أسوان ؟ قلت : قد قيل أربعون  
يوماً على شاطئ النيل عمائر متصلة .

بين البصرة والكوفة : قال ابن دأب : ثم عمال لي الهادي : إيه يا ابن  
دأب ، دع عنك ذكر المغرب وأخباره ، وهلم بنا إلى ذكر فضائل البصرة  
والكوفة وما زادت به كل واحدة منها على الأخرى ، قال : قلت : ذكر عن  
عبد الملك بن عمير ، أنه قال : قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن  
الزبير ، فما رأيت (١) شيخاً قبيحاً إلا ورأيت في وجه الأحنف منه شياً ؛  
كان صعل الرأس ، أجحى العين ، أعصف الأذن ، بإخق العين ، ناتيء  
الوجه ، مائل الشدق ، متراكب الأسنان ، خفيف العارضين ، أحنف  
الرجل ، ولكنه كان إذا تكلم جلّس عن نفسه ، فجعل يفاخرنا ذات يوم  
بالبصرة ونفاخره بالكوفة ، فقلنا : الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب ،

(١) في نسخة : فما رأيت شيئاً .

فقال له رجل : والله ما أشبه الكوفة إلا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها ؛ فإذا ذكرت ذكرت حاجتها ، فكف عنها طالبها ، وما أشبه البصرة إلا بمعجوز ذات عوارض موسرة ، فإذا ذكرت ذكر يسارها ، وذكرت عوارضها ، فكف عنها طالبها ، فقال الأحنف : أما البصرة فإن أسفلها قصب ، وأوسطها خشب ، وأعلىها رطب ، ونحن أكثر ساجاً وعاجاً وديباجاً ، ونحن أكثر قنداً ونقداً ؛ والله ما آتى البصرة إلا طائماً ، ولا أخرج منها إلا بكارها ؛ قال : فقام إليه شاب من بكر بن وائل فقال : يا أبا بحر ؛ ريم بلغت في الناس ما بلغت ؟ فوالله ما أنت بأجلهم ، ولا بأشرفهم<sup>(١)</sup> ولا بأسجهم ؛ قال : يا ابن أخي ؛ بخلاف ما أنت فيه ، قال : وما ذاك ؟ قال : بتركي ما لا يعنيني كما عنك من أمري ما لا ينبغي أن يعنك .

قال المسعودي : ولابن دأب مع الهادي أخبار حسان يطول ذكرها ، ويتسع علينا شرحها ، ولا يتأتى لنا إيراد ذلك في هذا الكتاب ؛ لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الأسانيد وترك إعادة الألفاظ .

وأهل البصرة وأهل الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة في مياههم ومنافعها ومضارها . منها ما عاب به أهل الكوفة أهل البصرة ، فقالوا : ماؤكم كدِر زَهِيك زَفِر ؛ فقال لهم أهل البصرة : من أين يأتي ماءنا الكدِرُ وماء البحر صافٍ وماء البطيخة صافٍ ؛ وهما يمتزجان وسط بلادنا؟! قال الكوفيون : من طباع الماء العذب الصافي إذا خالط ماء البحر صار جميعاً إلى الكدورة ؛ وقد يُروى أن الإنسان ماء أربعين ليلة ، فإن جعل منه شيئاً في قارورة أزبدَ وتكدّر .

وقد افتخر أهل الكوفة بمائهم - الذي هو الفرات - على ماء دجلة ، وهو ماء البصرة ! فقالوا : ماؤنا أعذب المياه وأغذاها ، وهو أصح للأجسام من ماء دجلة ، والفرات خير من النيل ؛ فأما دجلة فإن ماءها يقطع شهوة

(١) في نسخة : ولا بأكرمهم .

الرجال ، ويذهب بصهيل الخيل ، ولا يذهب بصهيلها إلا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها ، وإن لم يتدمم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم<sup>(١)</sup> ويبيس في جلودهم ، وسائر من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيلهم منها ويسقونها من الآبار والركاء ، لاختلاط مياهها واختلاف أنواعها إذ ليست بماء واحد لمصب الأنهار إليها كالزابين وغيرهما ، وسبيل المشروب غير المأكول ؛ لأن اختلاف المآكل غير ضار ؛ واختلاف الأشربة كالتمر والنبيد<sup>(٢)</sup> وغيره من الانبذة إذا شربه الإنسان كان ضاراً ، وإذا كان فضيلة مائنا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة وهو يختلط بماء البحر ، ومن الماء المستنقع في أصول القصب الهروي ، وقد قال الله تعالى : ( هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ) . والفرات أعذب المياه عذوبة ، وإنما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة .

وقد طعن أيضاً أهل الكوفة على أهل البصرة ، فقالوا : البصرة أسرع الأرض خراباً ، وأخبثها تراباً ، وأبعدها من السماء ، وأسرعها غرقاً . وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما عاَلوا عنه وعابوهم به ، وكذلك من شرب من دجلة ، وعابوا أهل الكوفة ، وذكروا عيوبها ، وما يؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والفدر وقلة الوفاء .

وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وكذلك أتينا على خواص الأرض والمياه ، وفصول السنة ، وانقسام الاقاليم ، وما لحق بهذه المعاني ، فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح ، وذكرنا في هذا الكتاب من جميع ذلك لمأ

فلنرجع الآن إلى أخبار الهادي ونعدل عن هذا السانح .

رغبة الهادي في خلع الرشيد من ولاية العهد : وقد كان الهادي أراد أن

(١) في نسخة : أصابهم نحول في أجسامهم . (٢) في نسخة : كالتمر ونبيد التمر .

يخلع أخاه الرشيد من ولاية العهد ، ويجعلها لابنه جعفر بن موسى ، وحبس يحيى بن خالد البرمكي ، وأراد قتله ، فقال له يحيى وكان القيم بأمر الرشيد : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان ما أسأل الله أن يعيدنا منه ، وأن لا يبلغناه ، وينسأ في أجل أمير المؤمنين ، أيعظن أن الناس يُسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الأمر ولم يبلغ الحنث<sup>(١)</sup> ، ويرضون به لصلاتهم وحببتهم وغزوم ؟ قال : ما أظن ذلك ؛ قال : فتأمن أن يسمو إليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك إلى غيرهم ؟ فتكون قد حملت الناس على النكث ، وموتت عليهم أيمانهم ، ولو تركت بيعة أخيك على حالها وبُويع لجعفر بده كان أكد ، إذا بلغ مبلغ الرجال سألت أخاك أن يقدمه على نفسه ، قال : نبيتهني والله على أمر لم أكن قد انتبعت له ، ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضي أم كره ، وأمر بالتضييق عليه في الأكثر من أموره فأشار عليه يحيى أن يستأذنه في الخروج إلى الصيد ، وأن يطيل التشاغل بذلك ، فان مدة مرمى قصيرة على ما أوجبه قضية المولد ، واستأذنه الرشيد ، فأذن له ، فسار إلى شاطيء الفرات من بلاد الأنبار وهيت ، وتوسط البر مما يلي السامرة ، وكتب الهادي إليه يأمره بالقدوم فأكثر الرشيد التعلل ، وبسط الهادي لسانه في شتمه ، وسمح للهادي الخروج نحو بلاد الحديثة ، ففرض هناك ، وانصرف وقد ثقل في العلة فلم يجسر أحد من الناس على الدخول عليه إلا صغار الخدم ، ثم أشار اليهم أن يحضروا الخيزران أمه ، فصارت عند رأسه ، فقال لها : أنا مالك في هذه الليلة ، وفيها يلي أخي هرون ، وأنت تعلمين ما قضى به أصل مولدي بالري ، وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن أخرى ، مما أوجبه سياسة الملاك ، لا موجبات الشرع من برك ، ولم أكن بك عاقا ، بل كنت لك صائنا وبراً واصلاً ، ثم قضى قابضاً على يدها ، واضعاً لها على صدره .

وكان مولده بالري ، وكذلك مولد هرون الرشيد ، فكانت تلك الليلة

(١) في نسخة : ولم يبلغ الحلم .

فيها وفاة الهادي ، وولاية الرشيد ، ومولد المأمون .  
 الهادي ورجل ذو ذنوب ، ويقال : إن الهادي أوقف بين يديه رجلا من  
 أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة ، فجعل الهادي يذكره ذنوبه ، فقال له الرجل  
 يا أمير المؤمنين ، اعتذاري مما تفرعني به ردّ عليك ؛ وإقبراري بما ذكرت  
 يوجب ذنبا عليّ ولكني أقول :

فإن كنتَ تَرَجُّوْ في العقوبةِ رَاحَةً  
 فلا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ المَعَاْفَةِ في الأجرِ

فأطلقه ووصله .

بين الهادي والرشيد : وحدث عدة من الأخباريين من ذوي المعرفة بأخبار  
 الدولة ، أن موسى قال لهارون أخيه : كآني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا ،  
 وتؤمل ما أنت عنه بعيد ، ومن دون ذلك خرط القتاد ، فقال له هارون  
 يا أمير المؤمنين من تكبر وضع ، ومن تواضع رفع ، ومن ظلم خذل ، وإن وصل  
 الأمر<sup>(١)</sup> إليّ وصلت من قطعت ، وبررت من محرمت ، وصيرت أولادك أعلى  
 من أولادي ، وزوجتهم بناتي ، وقضيت بذلك حق الامام المهدي ؛ فانجلى  
 عن موسى الغضب ؛ وبان السرور في وجهه ، وقال : ذلك الظن بك يا أبا  
 جعفر ؛ ادن مني ، فقام هارون فقبل يده ، ثم ذهب ليعود إلى مجلسه ،  
 فقال موسى : والشيخ الجليل ، والملك النبيل ، لا جلست إلا معي في صدر  
 المجلس ؛ ثم قال : يا خزّاني ! احمل إلى أخي الساعة ألف ألف دينار ،  
 فإذا فتح الخراج فاحمل إليه نصفه ؛ فلما أراد هارون الانصراف قدّمت  
 دابته إلى البساط .

رؤيا المهدي لولديه الهادي والرشيد : قال عمرو الرومي : فسألت الرشيد  
 عن الرؤيا ، فقال : قال المهدي : رأيت في منامي كآني دفعت إلى موسى

(١) في نسخة : وان أفضى الأمر الي .

قضيياً ، والى هارون قضيياً ، فأما قضييب موسى فأورقَ أعلاه قليلاً ،  
وأما قضييب هارون فأورق من أوله الى آخره ، فقص الرؤيا على الحكيم ابن  
إسحاق الصيمري ، وكان يعبرها ، فقال له : يملكان جميعاً ؛ فأما موسى  
فتقل أيامه ، وأما هارون فيبلغ آخر ما عاش خليفة ، وتكون أيامه أحسن  
الأيام ، ودهره أحسن الدهور .

قال عمرو الرومي : فلما أفضت الخلافة الى هارون زوج حمدونة ابنته  
من جعفر بن موسى ، وفاطمة من اسماعيل بن موسى ، ووفى له ما وعده .  
حاز الهادي سيف عمرو بن معديكرب ( الصمصامة ) : وحدث عبد الله  
ابن الضحاك ، عن الهيثم بن عدي ، قال : وهب المهدي موسى الهادي سيف  
عمرو بن معديكرب الصمصامة ، فدعاه موسى بعد ما ولي الخلافة ،  
فوضعه بين يديه ، وملء مکتل دنائير (١) ، وقال لحاجبه : ائذن  
للشعراء ، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا في السيف ، فبدأهم ابن يامين البصري  
فقال :

حَازَ صَمَصَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ عَمْرُو  
مِنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ  
سَيْفُ عَمْرُو ، وَكَانَ فِيهَا سَمْعُنَا  
خَيْرَ مَا أُغْمِدَتْ عَلَيْهِ الْجَفُونَ  
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَاراً  
ثُمَّ شَابَتْ فِيهِ الذُّعَافَ الْمَنُونُ  
وَإِذَا مَا شَهَرْتَهُ تَبَهَّرَ الشَّمْسَ ضِيَاءً فَلَمْ تَكُدْ تَسْتَبِينُ  
وَكَأَنَّ الْفِرْنِدَ وَالْجَوْهَرَ الْجَا رِيَّ فِي صَفْحَتِهِ مَاءٌ مَعِينُ  
مَا يَبَالِي إِذَا الضَّرِيْبَةُ حَانَتْ أَشْمَالُ سَطَّتْ بِهِ أُمَّ يَمِينُ ؟



وهي أبيات كثيرة ، فقال له الهادي : لك السيف والمكتل ، فخذهما ،  
ففرق المكتل على الشعراء ، وقال : دخلتم معي وحرمتم من أجلي ، وفي  
السيف عوض ، ثم بعث اليه الهادي فاشتري منه السيف بخمسين ألفاً .  
وللهادي أخبار حسان وإن كانت أيامه قصرت ، وقد أتينا على ذكرها  
في كتابينا ، أخبار الزمان ، والأوسط ، وبالله التأييد .

## ذكر

### خلافة هارون الرشيد

موجز : وبويع هارون الرشيد بن المهدي يوم الجمعة صبيحة الليلة التي  
مات فيها الهادي ، بمدينة السلام ، وذلك لاثنتي عشر ليلة بقيت من ربيع  
الأول سنة سبعين ومائة ، ومات بطوس بقرية يقال لها سناباد<sup>(١)</sup> ، يوم السبت  
لأربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فكانت  
ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقيل : ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين  
وثمانية عشر يوماً ، وولي الخلافة وهو ابن إحدى وعشرين سنة وشهرين ،  
ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر .

(١) في نسخة : يقال لها ساباد .

## ذكر

جمل من اخباره ، وسيره

ولم مما كان في أيامه

الرشيد يستوزر يحيى بن خالد البرمكي : ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا يحيى بن خالد فقال له : يا أبت ، أنت أجلسني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك الأمر ، ودفع خاتمه إليه ، ففي ذلك يقول الموصلي :

ألم تر ان الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون اشرق نورها  
بيمن امين الله هارون ذو الندى فهرون واليها ، ويحيى وزيرها

وماتت ربيعة بنت أبي العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد، وقيل: في آخر أيام الهادي ، وماتت الخيزران ام الهادي والرشيد في سنة ثلاث وسبعين ومائة ، ومشى الرشيد امام جنازتها ، وكانت غلة الخيزران مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم ، وفيها مات محمد بن سليمان ، وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها ، فكان مبلغها نيفا وخمسين الف الف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات ، وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم .

محمد بن سليمان وسوار القاضي يعترضها مجنون : وحكي ان محمد بن سليمان ركب يوماً بالبصرة وسوار القاضي يسيره في جنازة ابنة عم له ، فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة ، فقال له : يا محمد ، أمين

العدل أن تكون محلتك<sup>(١)</sup> في كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه؟ ثم التفت إلى سوار فقال: إن كان هذا عدلاً فأنا أكفر به، فأسرع إليه غلمان محمد، فكفهم عنه، وأمر له بمائة درهم، فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال له: لقد كرم الله منصبك، وشرف أبوتك، وحسن وجهك، وعظم قدرك، وأرجو أن يكون ذلك خيراً يريدك الله بك، ولأن يجمع الله لك الدارين، فدنا منه سوار، فقال: يا خبيث، ما كان هذا قولك في البداية، فقال له: سألتك بحق الله وبحق الأمير إلا ما أخبرني في أي سورة هذه الآية (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال: في براءة، قال: صدقت، فبرئ الله ورسوله منك، فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته.

ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الأنهار دخل إليه عبد الصمد بن شبيب بن شبة، فقال له محمد: كيف ترى بنائي؟ قال: بنيت أجلاً بناءً، باطيب فناءً، وأوسع فضاءً، وأرق هواءً، على أحسن ماء، بين صراري وحسان وظباء، فقال محمد: بناء كلامك أحسن من بنائنا، وقيل: إن صاحب الكلام والبناني للقصر هو عيسى بن جعفر، على ما حدث به محمد بن زكرياء الفلابي، عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة، وفي هذا القصر يقول ابن أبي عيينة:

زُرْ وادي القصر، نعم القصر والوادي لا بدّ من زوارة من غير ميعاد  
زره فليس له شبه يُقاربه من منزل حاضرٍ إن شئت أو باد  
ترقى قراقيره والعيس واقفة والضب والنوت والملاح والحادي  
موت الليث بن سعد: وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد،

(١) في نسخة: أن تكون علتك.

المصري ، الفهمي (١) ، ويكنى أبا الحارث ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع .

موت شريك النخعي القاضي : وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك ابن عبد الله بن سنان النخعي القاضي ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وكان مولده ببخارى ؛ وليس بشريك بن عبد الله بن أبي أئمر الليثي ، لأن ابن أبي أئمر مات في سنة أربعين ومائة ، وإنما ذكرنا ذلك لأنها يتشابهان في الآباء والامهات ، وبينهما تسع وثلاثون سنة ، وكان شريك بن عبد الله النخعي يتولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ، ثم عزله موسى الهادي ، وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكياً فطناً ، وكان قد جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب : أنت تنتقص أبا بكر وعمر ، فقال : والله ما انتقص جدك وهو دونهما .

وذُكر معاوية عند شريك بالحلم ، فقال : ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب .

وشم من شريك رائحة النبيذ ، فقال له أصحاب الحديث : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ، فقال : لأنكم أهل الريبة .

موت مالك بن انس الامام : ومات في أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن انس بن أبي عامر ، الأصبحي ، وهو ابن تسعين سنة ، وحمل به ثلاث سنين ، وذلك في ربيع الاول ، وقيل : إنه صلى عليه ابن أبي ذئب ، على ما ذكر من التنازع في وفاة ابن أبي ذئب ، وذكر الواقدي أن مالكا كان يأتي المسجد ، ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضي الحقوق ، ثم ترك ذلك كله ، ثم قيل له فيه ، فقال : ليس كل إنسان يقدر أن يتكلم بعذره .

(١) في نسخة : اليمني .

وسمي به الى جعفر بن سليمان ، وقيل له : إنه لا يرى أيمان بيعتكم شيئاً ، فضربه بالسياط ، ومُدَّ لذلك حتى انخلع <sup>(١)</sup> كتفاه .

حماد بن زين ، وفي السنة التي مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد ، وهي سنة تسع وسبعين ومائة .

ابن المبارك ، وفي سنة إحدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك ، المروزي ، الفقيه ، بهيت بعد منصرفه من طرسوس .

القاضي أبو يوسف : وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم القاضي ، وهو ابن تسع وستين سنة ، وهو رجل من الأنصار ، وولي القضاء سنة ست وستين ومائة في أيام خروج المهادي الى جرجان ، وأقام على القضاء الى أن مات خمس عشرة سنة .

قال المسعودي : وقد كانت أم جعفر كتبت مسألة إلى أبي يوسف تستفتيه فيها ، فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأداه اجتهاده إليه ، فبعثت إليه بحق فضة فيه حقان من فضة في كل حق لون من الطيب ، وجام ذهب فيه دراهم ، وجام فضة فيه دنانير ، وغلان وتخوت من ثياب ، وجمار وبغل ، فقال له بعض من حضره : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ، فقال أبو يوسف : تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من إفضائه ، ذلك إذ كان هدايا الناس التمر واللبن ، لا في هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين والورق وغيره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

بين عبدالله بن مصعب الزبيري وموسى بن عبد الله بن الحسن الطالبيني بخضرة الرشيد : وذكر الفضل بن الربيع قال : صار إليّ عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، فقال : إن موسى بن عبدالله بن الحسن

(١) في نسخة : انخلمت كتفاه .

ابن الحسن بن علي قد أرادني على البيعة له فجمع الرشيد بينهما ، فقال الزبيري لموسى : سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا ، فالتفت إليه موسى فقال : وَمَنْ أَنْتُمْ ؟ فغلب على الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه (١) ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا الذي ترى المشنع عليّ خرج والله مع أخي محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي على جدك المنصور ، وهو القائل من أبيات :

قوموا ببيعتمك ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن  
في شعر طويل ، وليس سعايته يا أمير المؤمنين حياً لك ، ولا مراعاة  
لدولتك ، ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت ، ولو وجد من ينتصر به علينا  
جميعاً لكان معه ، وقد قال باطلاً ، وأنا مستحلفه ، فان حلف أني قلت ذلك  
فدمي لأمر المؤمنين حلال ، فقال الرشيد : احلف له يا عبدالله ، فلما أراد  
موسى على اليمين تلكاً وامتنع ، فقال له الفضل : لم تمتنع وقد زعمت آناً  
أنه قال لك ما ذكرته ؟ قال عبد الله : فأنا أحلف له ، قال موسى : قل  
تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ان لم يكن ما  
حكيتني عني حقاً ، فحلف له ، فقال موسى : الله أكبر ، حدثني أبي عن  
جدي عن أبيه عن جده عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال  
« ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث ،  
والله ما كذبت ولا كذبت ، وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي  
قبضتك ، فتقدم بالتوكيل عليّ ، فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث علي عبدالله  
ابن مصعب حادث فدمي لأمر المؤمنين حلال ، فقال الرشيد للفضل ، خذ  
بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ  
من دار عبد الله بن مصعب ، فامرت من يتعرف خبره ، فعرفت أنه قد

(١) في نسخة : لئلا يظهر منه .

أصابه الجذام ، وأزه قد تورم واسود ، فصرت إليه ، فوالله ما كدت أعرفه لأنه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم ، فصرت الى الرشيد فعرفته خبره ، فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته ، فبادرت بالخروج ، وأمرت بتمجيل أمره والفراغ منه <sup>(١)</sup> ، وتوليت الصلاة عليه . فلما دلّوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن ، فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق فقلت : عليّ بذلك الشوك ، فاتيت به ، فطرح في تلك الوهدة ، فما استقر حتى انخسفت ثانية ، فقلت : عليّ بالواح ساج ، فطرحت على موضع قبره ، ثم طرح التراب عليها ، وانصرفت إلى الرشيد فعرفته الخبر وما عاينت من الأمر فاكثرت التعجب من ذلك ، وأمرني بتخليفة موسى بن عبد الله رضي الله عنه ، وأن أعطيه ألف دينار . وأحضر الرشيد موسى فقال له : لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس ؟ قال : لأنا روينا عن جدنا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : من حلف بيمين مجتد الله فيها استجيا الله من تعجيل عقوبته . وما من احد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث .

وقيل : ان صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي اخو موسى بن عبد الله ، رضوان الله عليهم . وكان يحيى قد سار الى الديلم مستجيراً ؛ فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة الف درهم فقتل ، رحمه الله ! وقد روي من وجه آخر - على حسب تباین النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانساب والتواريخ - ان يحيى ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت ، فأمسكت عن اكله ، ولادت بناحية ، وهابت الدنو اليه <sup>(٢)</sup> ، فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي .

(١) في نسخة : والفراغ من شأنه . (٢) في نسخة : وهابت الدنو منه .

ظهور محمد بن جعفر ثم هربه الى المغرب ، وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر ، فطلب ، فدخل المغرب ، واتصل ببلاد تاهرت السفلى ، واجتمع إليه خلق من الناس ، فظهر فيهم بعدل وحسن استقامة فمات هنالك مسموماً ، وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره في كتاب « حدائق الأذهان » ، في أخبار أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان .

الرشيد يحج آخر حجة : وفي سنة ثمانية وثمانين ومائة حج الرشيد ، وهي آخر حجة حجها ، فذكر عن أبي بكر بن عياش - وكان من عليّة اهل العلم - أنه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة في حال منصرفه من هذه الحجة : لا يعود الى هذه الطريق ، ولا خليفة من بني العباس بعده أبداً ، فقيل له : أضرب من الغيب ؟ قال : نعم ، قيل : بوحى ؟ قال : نعم ، قيل : اليك ؟ قال : لا ، الى محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك أخبر عنه علي عليه السلام المقتول في هذا الموضع ، وأشار الى الموضع الذي قتل فيه علي بالكوفة ، رضي الله عنه !

موت الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني : وفي سنة تسع وثمانين ومائة - وذلك في أيام الرشيد - مات علي بن حمزة الكسائي صاحب القراءات ، ويكنى أبا الحسن ، وكان قد شخص مع الرشيد الى الري فمات بها ، وكذلك مات محمد بن الحسن الشيباني القاضي ، ويكنى ابا عبد الله ، ودفن بالري وهو مع الرشيد ، وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا كان رآها في نومه .

يحيى بن خالد : وفي هذه السنة كانت وفاة يحيى بن خالد بن برمك .

سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح : وفي سنة ثمان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فحدث يموت بن المزرع عن الرياشي قال : سمعت الأصمعي يقول : كنت عند الرشيد ، وأتى بعبد الملك بن صالح يوفل في قيوده ، فلما



نظر اليه قال : هيه يا عبد الملك ، كاني والله أنظر اليك وشؤبوبها قد مع ،  
وإلى عارضها قد لمع ، وكاني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤس  
بلا غلاصم ، مهلا مهلا بني هاشم ، والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم  
الكدر ، وألقت إليكم الأمور أزمتهما ، فخذوا حذرکم<sup>(١)</sup> مني قبل حلول  
داهية خبوط باليد والرجل ، فقال له عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأمأ ؟  
فقال : توأمأ ، قال : فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، وراقبه في رعاياك  
التي استرعاك ، قد سهلت لك والله الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك  
الصدور ، وكنت كما قال أخو جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرجته بلسان أو بيان أو جدل  
لو يقوم الفيل أو فياله زل عن مثل مقامي أو رحل

قال : فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقام<sup>(١)</sup> عبد الملك عند  
الرشيد فقال له : يا عبد الملك ، بلغني أنك حقود ، فقال : أصلح الله  
الوزير ! إن يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي إنها لباقيان في قلبي ،  
فالتفت الرشيد إلى الأصمعي ، فقال : يا أصمعي حررها فوالله ما احتج  
أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ، ثم أمر به فرداً إلى محبسه ، ثم  
التفت إلى الأصمعي فقال : والله والله يا أصمعي لقد نظرت إلى موضع السيف  
من عنقه مراراً ، يمني من ذلك إبقائي على قومي في مثله .

أهديت للرشيد سمكة فمنعها عنه ابن ينجيشوع الطيب : حدث يوسف  
ابن إبراهيم بن المهدي ، قال : حدثني سليمان الخادم الخراساني مولى الرشيد ،  
أنه كان واقفاً على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى إذ دخل عليه عون  
المبادي ، وكان صاحب الحيرة ، وفي يده صحيفة فيها سمكة منقوشة بالسمن  
فوضعها بين يديه ومعه محبس قد اتخذ لها ، فحاول الرشيد أكل شيء منها

(٢) في نسخة : أن يضع من مقدار .

(١) في نسخة : فخذوا حذاركم .

فمنعه جبريل بن ينجيشوع ، وأشار جبريل الى صاحب المائدة أن يشيلها عن المائدة ويمزها له ، ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرني الرشيد باتباعه وأن أكبسه في منزله وهو يأكل فأرجع اليه بخبره ، ففعلت ما أمرني به وأحسب أن أمرني لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه ، فإنه صار الى موضع من دار عون ، ودعا بالطعام فأحضر له ، وفيه السمكة ، فدعا بأقداح ثلاثة ، فجعل في واحد منها قطعة من السمك وصب عليها خمرأ من خمر طبرناباد - وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم وأشجار ونخل ورياض تحرقها الأنهار من كل البقاع (١) من الفرات ، شرايها ، يصوف بالجودة كوصف القطربلي - فصبه على السمكة وقال : هذا أكل جبريل ، وجعل في قدح آخر قطعة منها ، وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة ، وقال : هذا اكل أمير المؤمنين أعزه الله إن لم يخلط السمك بغيره ، وجعل في القدح الثالث قطعة من السمكة ، وجعل قطعاً من اللحم من ألوان مختلفة ، من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ، ومن سائر ما قدم اليه من الألوان ، من كل واحد منها جزءاً يسيراً مثل اللقمة واللقتين ، وصب عليها ماء بثلج ، وقال : هذا أكل أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره ، من الطعام ودفع الثلاثة الأقداح الى صاحب المائدة وقال : احتفظ بها الى أن ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ، ثم اقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضيع ، وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ، ثم نام (٢) ، فلما انتبه الرشيد من نومه سألتني عما عندي من خبر جبريل ، وهل أكل من السمكة شيئاً أم لم يأكل ! فأخبرته بالخبر ، فأمر بإحضار الأقداح الثلاثة فوجد ما في القدح الاول - وهو الذي ذكر جبريل أنه أكله وصب عليه الخمر الصرف - قد تفتت وانماع واختلط ، ووجد ما في القدح الثاني - الذي قال جبريل إنه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء بالثلج - قد ربا وصار على

(١) في نسخة : من كل العقاب . (٢) في نسخة : ثم قام .

النصف مما كان ، ونظر الى القدر الثالث . الذي قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره - قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة شديدة كاد الرشيد أن يتقيأ حين قرب منه ، فأمرني بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال : من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني بهذا التدبير ، فأرسلت اليه المال .

رويا للرشيد يؤمر بالتخلية عن موسى بن جعفر : وذكر عبد الله بن مالك الحزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته - قال : أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط ، فانتزعتني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك منه فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم ، فعرف الرشيد خبري ، فأذن لي في الدخول عليه ، فدخلت ، فوجدته قاعداً على فراشه ؛ فسلمت فسكت ساعة ، فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ ثم قال لي : يا عبد الله ، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : إني رأيت الساعة في منامي كأن جيشاً قد أتاني ومعه حربة فقال لي : إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحررتك بهذه الحربة ، فاذهب فخلّ عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثاً ، قال : نعم ، أمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له . إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضي<sup>(١)</sup> إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك ، قال : فضيت إلى الحبس لأخرجه ، فلما رأني موسى وثب إلي قائماً وظن أني قد أمرت فيه بمكروه ؛ فقلت : لا تخف ، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك ، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم ، وهو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب ، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك . وأعطيته الثلاثين ألف درهم ، وخليت سبيله ، وقلت : لقد رأيت من أمرك عجباً ، قال : فإني أخبرك : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال .

(١) في نسخة : وان أحببت الانصراف - الخ .

يا موسى ، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبیت هذه الليلة في الحبس ، فقلت : بأبي وأمي ما أقول؟ فقال : قل يا سامع كل صوت (١) ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنی وباسمك الاعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حلماً ذا أناة لا يقوى على أناته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصى عدداً ، فرج عني ، فكان ما ترى .

ابراهيم بن المهدي يعني لاسود : وذكر حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : قال ابراهيم بن المهدي : حججت مع الرشيد فبينما نحن في الطريق وقد انفردت أسيرٌ وحدي وأنا على دابتي ، إذ غلبتني (٢) عيناى فسلكت بي الدابة غير الطريق ، فانتبهت وأنا على غير الجادة ، فاشتد بي الحر ، فمطشت عطشاً شديداً ، فارتفع لي خباء ، فقصدته ، فإذا بقبة ويجنبها بشر ماء بقرب مزرعة ، وذلك بين مكة والمدينة ، ولم أر بها إنسياً ؛ فأطلعت في القبة فإذا أنا بأسود نائم فأحس بي ففتح عينيه كأنها إجانة دم ، فاستوى جالساً ، وإذا هو عظيم الصورة ، فقلت : يا أسود ، اسقني من هذا الماء ، فقال : يا أسود اسقني من هذا الماء ، محاكياً لي ، وقال : إن كنت عطشاً فأنزل واشرب ، وكان تحتي برذون خبيث نفور ، فخشيت أن أنزل عنه فينفر ، فضربت رأس البرذون ، وما نفعت الغناء قط إلا في ذلك اليوم ، وذلك أني رفعت عقيرتي وأنا أغني :

كفتوني إن مت في درع أروى واستقوا لي من بشر عروة ماء  
فلها مربع يجنب أجاج ومصيف بالقصر قصر قباء  
سخنة في الشتاء ، باردة في الصيف بدر في الليلة الظلماء  
فرفع الأسود رأسه الي وقال : أيما أحب إليك : أن أسقيك ماء وحده ،  
أو ماء أو سويقاً ؟ قلت : الماء والسويق ، فأخرج قعباً له فصب السويق

(١) في نسخة : يا سامع الصوت . (٢) في نسخة : إذ حملتني عيناى .

في القدر فسقاني ، وأقبل يضرب بيده على رأسه وصدرة ، ويقول : وأحرّ صدره ، وانارات اللهب في فؤادي . يا مولاي زدني وأنا أزيدك ، وشربت السويق ، ثم قال لي : يا مولاي ، إن بينك وبين الطريق أميالا ، ولست أشك أنك تعطش ، لكن املأ قربتي هذه واحملها قدامك ، فقلت : افعل ، قال : فملا قربته وسار قدامي وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الإيقاع فإذا أمسكت لأستريح أقبل علي فقال : يا مولاي ، أما عطشت ، فأغنيه النصب ، إلى أن أوقفني على الجادة ، ثم قال لي : سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم ، بكلام عجمي معناه هذا الدعاء ، فلحقت بالقافلة والرشيد كان قد فقدني ، وقد بث البُختَ والحيل في البر يطلبونني ، فسرّ بي حين رأيته ، فأتيته ، فقصصت عليه الأمر ، فقال : علي بالأسود ، فما كان إلا هنيهة حتى مثل بين يديه ، فقال له : ويلك ! ما حر صدرك ؟ فقال : يا مولاي ميمونة ، قال : ومن ميمونة ؟ قال : بنت حبشية ، قال : ومن حبشية ؟ قال : بنت بلال يا مولاي ، فأمر من يستفهمه ، فإذا الأسود عبد لبني جعفر الطيار ، وإذا السوداء التي يهواها لقوم من ولد الحسن بن علي ، فأمر الرشيد بابتياعها له ، فأبى موالها أن يقبلوا لها ثمناً ، ووهبها للرشيد ، فاشترى الأسود وأعتقه ، وزوجه منها ، ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار .

ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً وبين يديه حمامة تلتقط حبا ، فقال له : صفها وأوجز ، فقال كأنما تنظر من ياقوتتين ، وتلتقط بدرتين ، وتطأ على عقيقتين ، وأنشدونا لبعضهم :

هتفت هاتفة آ ذنها إلفٌ ببي  
ذات طوق مثل عطف ال نون ألقى الطرفين  
وتراها ناظرة نحـ وك من ياقوتتين  
ترجع الأنفاس من ثقبين كاللؤلؤتين  
وترى مثل البساتين لها قادمتين

ولها لحيان كالصد غين من عرعرتين  
 ولها ساقان حمرا وان مثل الوردتين<sup>(١)</sup>  
 نسجت فوق جناحيها لها برنوستين  
 وهي طاووسية اللون بنان المنكبين  
 تحت ظل من ظلال الأيك صافي الكتفين  
 فقدت إلفاً فناحت من تباريح وبين  
 فهي تبكيه بلا دمع جمود المقتلين  
 وهي لاتصبغ عيناها كما تصبغ عين

بين الرشيد ومعن بن زائدة : ودخل معن بن زائدة على الرشيد وقد  
 كان وجد عليه ، فمشى فقارب الخطو<sup>(٢)</sup> ، فقال له هرون : كبرت والله  
 يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك على ذلك لبقية ،  
 قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك يا  
 أمير المؤمنين ، فرضي عنه وولاه .

قال : وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد . أهل البصرة فقال :  
 ويح هذا ! ما ترك لربه شيئاً .

وقال الرشيد يوماً لمعن بن زائدة : إني قد أعددتك لأمر كبير ، فقال :  
 يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً  
 مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوداً على عدوك ، فان شئت فقل ، وقيل :  
 إن هذا الجواب من كلام يزيد بن مزيد .

بين الرشيد والكسائي : وقال الكسائي : دخلت على الرشيد ، فلما قضيت  
 حق التسليم والدعاء وثبت للقيام ، فقال : اقعد ، فلم أزل عنده حتى خف  
 عامة من كان في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصته ، فقال لي : يا علي ، ألا تحب

(١) في نسخة : حمراوان كلرجاتين . (٢) في نسخة : فمشى يتقارب الخطو .

ان ترى محمداً وعبدالله؟ قلت: ما اشوقني اليها يا أمير المؤمنين، وأمرني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيها، فأمر باحضارهما، فلم ألبث أن اقبلا ككوبي أفق يزيناها هدوء ووقار، وقد غضا أبصارهما، وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس، فلما على أبيهما بالخلافة، ودعوا له بأحسن الدعاء، فأمرهما بالدنومنه فدنوا فصير محمداً عن يمينه وعبدالله عن يساره، ثم أمرني ان استقرأهما واسألها؛ ففعلت، فما سألتها عن شيء إلا احسنا الجواب فيه والخروج منه، فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه، ثم قال لي: يا علي، كيف ترى مذهبها وجوابها؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ما كما قال الشاعر:

أرى قمري مجد وفرعي خلافة يزيناها عرق كريم ومحمد

يا أمير المؤمنين ما فرع زكا أصله، وطاب مفرسه، وتمكنت في الثرى عروقه، وعذبت مشاربه، أبوها أغر، نافذ<sup>(١)</sup> الأمر، واسع العلم، عظيم الحلم، يحكمان بحكمه، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، ويتقنان في سعاده، فامتع الله أمير المؤمنين بهما، وأانس جميع الأمة ببقائه وبقائهما ثم قلت لهما: هل ترويان من الشعر شيئاً؟ فقالا: نعم، ثم أنشدني محمد:

وإني لعف الفقر مشترك الفنى وتارك شكل لا يوافقه شكلي

واجعل مالي دون عرضي جنة لنفسي، ومفضال بما كان من فضل

ثم أنشد عبدالله:

بكرت تلومك مطلع الفجر ولقد تلوم بغير ما تدري

ملك الأمور علي مقتدر يُعطي إذا ما شاء من يسر

ولرب مغتبط بمرزبة ومفجع بنوائب الدهر

وترى قناتي حين يغمدها عض الثقاف بطينة الكسر

(١) في نسخة: أبوها أغر نافذ الأمر.

فما رأيت أحداً من أولاد الخلفاء واغصان هذه الشجرة المباركة أذرب  
 ألسنا ولا أحسن الفاظاً ولا أشد اقتداراً على تأدية ما حفظا منهما ، ودعوت  
 لهما دعاء كثيراً ، وأمن الرشيد على دعائي ، ثم ضمهما إليه ، وجمع يده  
 عليهما ، فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ، ثم أمرهما  
 بالخروج ، فلما خرجا أقبل علي فقال : كأنك بهما وقد حمّ القضاء ، ونزلت  
 مقادير السماء ، وبلغ الكتاب أجله ، قد تشتت كلمتهما ، واختلف أمرهما ،  
 وظهر تعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى ،  
 وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الأحياء انهم في عداد الموتى ، قلت :  
 أياكون ذلك يا أمير المؤمنين لأمر رؤي في أصل مولدهما او لأثر وقع لأمر  
 المؤمنين في مولدهما ؟ فقال : لا والله إلا بأثر واجب حملته العلماء عن الأوصياء  
 عن الأنبياء .

وصية الرشيد لمؤدب الامين الاحمر النحوي : قال الأحمر النحوي : بعث  
 الي الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت قال : يا احمر ، ان أمير  
 المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ،  
 وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ،  
 وعرفه الآثار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ،  
 وامنع الضحك الا في اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا  
 اليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت  
 مفتن فيها فائدة تفيده اياها ، من غير ان تحرق به فتميت ذهنه ، ولا تمن  
 في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ،  
 فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

العماني عند الرشيد يحرضه على تجديد العهد للامين : ويقال : ان العماني  
 الشاعر قام بحضرة الرشيد خطيباً فلم يزل يقرظ محمداً ويحرضه على تجديد العهد  
 له ، فلما فرغ من كلامه قال له : أبشر يا عماني بولاية العهد له ، فقال : اي



والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث ، والمرأة النزور بالولد ، والمريض المدنف بالبرء<sup>(١)</sup> ، لأنه نسيج وحده ، وحامي مجده ، وشبيه جده ، قال :  
فما تقول في عبدالله ؟ قال : مرعى ولا كالسعدان ، فتبسم الرشيد وقال :  
قاتله الله ! من اعرابي ما اعرفه بمواضع الرغبة ، أما والله اني لأتعرف في  
عبدالله حزم المنصور ؛ ونسك المهدي ، وعز نفس الهادي ، والله لو شاء الله  
ان انسبه الى الرابعة لنسبته اليها .

حرص الرشيد على ولاية عهده : قال الأصمعي : بينا انا أسامر الرشيد  
ذات ليلة اذ رأيتنه قد قلق قلقاً شديداً فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكي  
أخرى ثم أنشأ يقول :

قد امور عباد الله ذا ثقة مؤحّد الرأي لا نكس ولا برم  
واترك مقالة اقوام ذوي خطل لا يفهمون اذا ما معشر فهموا  
فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد امراً عظيماً. ثم قال لسرور الخادم :  
علي بيحيى ، فما لبث ان اتاه ، فقال : يا ابا الفضل ، ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مات في غير وصية والإسلام جذع ، والايان جديد ، وكلمة العرب مجتمعة ،  
قد آمنها الله تعالى بعد الحروف ؛ وأعزها بعد الذل ، فما لبث أن ارتدّ عامة  
العرب على أبي بكر ، وكان من خبره ما قد علمت ، وإن أبا بكر صير الأمر  
الى عمر ، فسلمت الأمة له ، ورضيت بخلافته ، ثم صيرها عمر شورى ،  
فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها ، وقد عنيت  
بتصحيح هذا العهد وتصويره الى من أرضى سيرته ، وأحمد طريقته ، وأثق  
بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ورهنه ، وهو عبد الله ، وبنو هاشم مائلون الى  
محمد بأهوائهم ، وفيه مساقفة من الانقياد لهواه ، والتصرف مع طوبته ،  
والتبذير لما حوته يده ، ومشاركة النساء والإماء في رأيه ؛ وعبد الله المرضي

الطريقة ، الأصيل الرأي ، الموثوق به في الأمر العظيم ؛ فإن ملئتُ الى عبد الله أسخطت بني هاشم ، وإن أفردت محمداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية . فأمر علي في هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها ، فإنك بحمد الله مبارك الرأي لطيف النظر ، فقال : يا أمير المؤمنين إن كل زلة مستقالة وكل رأي يتلافى<sup>(١)</sup> خلا هذا العهد ، فإن الخطأ فيه غير مأمون ، والزلة فيه لا تستدرك ، وللنظر فيه مجلس غير هذا ؛ فعمل الرشيد أنه يريد الخلوة فأمرني بالتنحي ، فقامت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامها ، فما زال في مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل ، وافترقا على أن عقد الأمر لعبد الله بعد محمد . ودخلت أم جعفر على الرشيد فقالت : ما انصفت ابنك محمداً حيث وليته العراق وأعزيتته عن العدد والقواد ، وصيرت ذلك الى عبد الله دونه ، فقال لها : وما أنت وتميز الأعمال واختبار الرجال ؟ إني وليت ابنك السلم ، وعبد الله الحرب ، وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسالم ومع هذا فإننا نتخوف ابنك على عبد الله ، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويح .

وفي سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجاً ومعه ولياً عهده : الأمين والمأمون ، وكتب الشرطين بينها وعلقها في الكعبة .

الرشيد يعلق كتاب العهد في الكعبة : وحكي عن إبراهيم الحنبل أن الكتاب لما رُفِع ليلق بالكعبة وقع ، فقلت في نفسي : وقع قبل أن يرتفع ، إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه .

وحكي عن سعيد بن عامر البصري قال : حججت في هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والأيمان في الكعبة ، فرأيت رجلاً من هذيل يقود بعيره وهو يقول :

(١) في نسخة : وكل أمر يتلافى .

وببيعة قد نكثت أيمانها وفتنة قد سُعرت نيرانها  
فقلت له : ويحك ما تقول ؟ قال : أقول إن السيوف سَكُسل، والفتنة  
ستقع ، والتنازع في الملك سيظهر ؛ قلت : وكيف ترى ذلك ؟ قال : أما  
ترى البعير واقفاً والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا<sup>(١)</sup> على الدّم والتطخا  
به ، والله لا يكون آخِرُ هذا الأمر إلا محاربة وشرأ .

ويروى أن الأمين لما حلف للرشيد بما حلف له به ، وأراد الخروج من  
الكعبة ردّ جعفر بن يحيى ، وقال له : فإن غدرت بأخيك خذلك الله ،  
حتى فعل ذلك ثلاثاً في كلها يحلف له ، وبهذا السبب اضطفت أم جعفر على  
جعفر بن يحيى ، فكانت أحد من حرّهن الرشيد على أمره ، وبعثه على  
ما نزل به .

قال المسعودي : وفي سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم  
بولاية العهد بعد المأمون ، فإذا أفضت الخلافة إلى المأمون كان أمره إليه ،  
إن شاء أن يقرّه أقرّه ، وإن شاء أن يخلعه خلعه .

وفاة الفضيل بن عياض : وفي هذه السنة - وهي سنة سبع وثمانين  
ومائة . توفي الفضيل بن عياض ويكنى أبا علي ، وكان مولده بخراسان ،  
وقدم الكوفة ، وسمع من المنصور بن المعتز وغيره ، ثم تعبد وانتقل إلى  
مكة فأقام بها إلى أن مات .

حدث سفيان بن عيينة قال : دعانا الرشيد ، فدخلنا عليه ودخل الفضيل  
آخرنا مقنماً رأسه بردائه ، فقال لي : يا سفيان ، أياهم أمير المؤمنين ؟ فقلت :  
هذا ، وأومات إلى الرشيد ، فقال له أنت يا حسن الوجه ، الذي أمر هذه  
الامة في يدك وعنقك ؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتى  
كل رجل منا ببدره ، فكل قبلها إلا الفضيل ، فقال له الرشيد : يا أبا علي ،

(١) في نسخة : قد وقفا على الدم .

إن لم تستحلها فأعطاها ذا دين ، وأشبع بها جائعاً ، واكس بها عرياناً ، فاستغفاه منها ، فلما خرجنا قلت له : يا أبا علي أخطأت ، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ؛ أنت فقير البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط ؟ لو طبابت لأولئك لطابت لي .

موت موسى بن جعفر الطالببي : وقبض موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ببغداد مسموماً ، لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد ، سنة ست وثمانين ومائة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وقد ذكرنا في رسالة بيان أسماء الأئمة القطعية من الشيعة : أسماءهم ، وأسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ، ومقادير أعمارهم ، وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ، ومن أدرك من أجداده عليهم السلام ..

من شعر العتابي في الرشيد : ولكثوم العتابي في الرشيد من أبيات :

إمامٌ له كَفٌّ يَضُمُّ بَنَانُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ البرِّ عودها  
وعَيْنٌ مَحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا سِوَاهُ عَلَيْهَا قَرِيبُهَا وَبَعِيدُهَا  
وَأَسْمَعُ يَقْظَانَا بَيْتَ مُنَاجِيَا لَهُ فِي الحِشَا مُسْتَوْدَعَاتٍ يَكِيدُهَا  
سَمِيعٌ إِذَا نَادَاهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبَةٍ مُنَادٍ كَفَّتَهُ دَعْوَةٌ لَا يُعِيدُهَا

العتابي ينال من أبي نواس : حدث يموت بن المزرع قال : حدثني خالد عن عمرو بن بحر الجاحظ قال :

كان لكثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس ، فقال له راوية أبي نواس يوماً : كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول :

إِذَا نَحْنُ أَثْنِينَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ الَّذِي نَثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نَثْنِي  
وَإِنْ جَرَّتِ الأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

قال العتابي : هذا سرقة ، قال : ممن ؟ قال : من أبي الهذيل الجمحي

قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول :

وإذا يقال لبعضهم نعمَ الفتى      فابنُ المُخَيَّرَةِ ذلكَ النعم  
عَقَمَ النساءُ فلا يَجِيئُنَ بِمِثْلِهِ      إنَّ النساءَ بِمِثْلِهِ عَقَمُ

قال : فقد أحسن في قوله :

فَتَمَشَّتْ فِي مفاصلهم      كَتَمَشِّي البرء في السَقَمِ

قال : سرقه أيضاً؛ قال له : ومن ؟ قال : من شَوَسَةَ الفَقْعَسِي ، قال :

حيث يقول ماذا ؟ قال حيث يقول :

إذا ما سَقِيمٌ حَلَّ عنها وكاءها      تصَعَّدَ فيه بُرُؤُها وتصَوَّبَا  
وإنْ خالَطَتْ منه الحشاخِلَتُ أنه      على سالفِ الأيامِ لم يَبْتَقِ موصبا

قال : فقد أحسن في قوله :

وما خُلِقَتْ إلا لِبَدَلِ أَكْفِهِمْ      وأقْدَامُهُمْ إلا لأعوادِ مِنبَرِ

قال : قد سرقه أيضاً ، قال : ممن ؟ قال : من مروان بن أبي حفصة

قال : حيث يقول ماذا ؟ قال حيث يقول :

وما خُلِقَتْ إلا لِبَدَلِ أَكْفِهِمْ      وألسُنُهُمْ إلا لِتَحْبِيرِ مَنْطِقِ  
فيوما يُبارُونَ الرِّياحَ سَمَاحَةً      ويوما لِبَدَلِ الخاطِبِ المَشْدِقِ

قال : فسكت الرواية ، ولو أتى بشعره كله لقال سرقه .

أبو العتاهية وعتبة : وحدث أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : كان  
أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في عتبة ، فوعده بتزويجها وأنه يسألها  
في ذلك : فإن أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيماً ، ثم إن الرشيد سَنَحَ له  
شغل استمر به ، فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه ، فدفع إلى مسرور  
الخادم الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة  
فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تَنَسَّمْتُ الرِّياحَ لِحاجَتِي      فإذا لها مِن رَاحَتِيهِ شَمِيمُ

فقال : أحسن الخبيث ، وإذا على الثانية :

أَعْلَقْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَمْ عَنَّقُ يَحْثُ إِلَيْكَ بِي وَرَسِيمِ

فقال : قد أجاد ، وإذا على الثالثة :

ولربما استيأستُ ثم أقول لا إن الذي ضمنَ النجاحَ كريم

فقال : قاتله الله !! ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال : ضمننت لك

يا أبا العتاهية وفي غيد نقضي حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى عتبة إن لي

إليك حاجة فانتظريني الليلة في منزلك ، فأكبرت ذلك وأعظمته ، وصارت

إليه تستغفیه ، فحلف أن لا يذكر لها حاجته إلا في منزلها ، فلما كان في

الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمته ، فقال لها : لست أذكر

حاجتي أو تضمنين قضاءها ، قالت : أنا أمتك وأمرك نافذ في ما خلا أمر

أبي العتاهية فإني حلفت لأبيك رضي الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر

وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عني حجة وجبت علي

أخرى لا أقصر منها على الكفارة وكلما أفدت شيئاً تصدقت به إلا ما

أصلي فيه ، وبكت بين يديه ، ففرق لها ورحمها وانصرف عنها ، وغدا

عليه أبو العتاهية وهو لا يشك في الظفر بها ؛ فقال له الرشيد : والله ما

قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك ،

وشرح له الخبر<sup>(١)</sup> ، قال أبو العتاهية : فلما أخبرني بذلك مكثت ملياً لا

أدري أين أنا ، ثم قلت : الآن ينست منها إذ ردتلك ، وعلمت أنها لا

تجيب أحداً بعدك ، فلبس أبو العتاهية الصوف ، وقال في ذلك من أبيات :

قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي

وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي

فَفَنَيْتُ عَنْ حِلِّي وَعَنْ تَرَحُّالِي

(١) في نسخة : وشرح له الأمر .

وذكر أنه لما اتصل بالرشيد قول أبي العتاهية في عتبة :  
 ألا إن ظبياً للخليفة صادني وما لي على ظبي الخليفة من عدوي  
 غضب الرشيد وقال : أسخر منا فعبث ، وأمر بحبسه ، فدفعه إلى  
 تنجاب صاحب عقوبته ، وكان فظاً غليظاً ، فقال أبو العتاهية :  
 تنجاب لا تعجل علي فليس ذا من رائي  
 ما خلت هذا في مخا بل ضوء برق سمائه  
 وكان من أشعاره في الحبس بعد ما طال مكثه .

إنما أنت رحمة وسلامة زادك الله غبطة وكرامة  
 قيل لي قد رضيت عني ، فمن لي أن أرى لي على رضاك علامة  
 فقال الرشيد : لله أبوه ! لو رأيت ما حبسته ، وإنما سمحت نفسي بحبسه  
 لأنه كان غائباً عني ، وأمر بإطلاقه .

وأبو العتاهية الذي يقول :

'نراع' لذكر الموت ساعة ذكره ونفتر بالدنيا فلهو ونلعب  
 ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها وما كنت فيه فهو شيء محبب  
 وهو الذي يقول أيضاً :

حتوفها رصد ، وعيشها رنق وكدها نكد ، وملكها دوال  
 وهو الذي يقول :

المرء في تأخير مدته كالثوب يبلى بعد جدته  
 عجباً لمنتبه يضيع ما يحتاج فيه ليوم رقدته

وقال :

لا تأمن الدنيا على غدرها كم غدرت قبل بأمثالها  
 قد أجمع الناس على ذمها وما أرى منهم لها تاركا

وقال :

إنما أنت مستعير لما سو ف تردن ، والمعار يراد  
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا م عليه الأنفاس فيها تعد !!

وقال :

حياتك أنفاس تعد ، فكلمنا مضى نفس منها نقصت به جزءا  
'ميتك' ما يحييك في كل ساعة ويحدوك حاد ما يريد بك الهزءا

وقال :

ألا يا موت لم أر منك بدا أتيت بما يخيف ولا تحابي  
كانك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

وقال :

نسيت الموت فيما قد نسيت كاني لم أجد أحدا يموت  
أليس الموت غاية كل حي فما لي لا أبادر ما يفوت

وقال :

وعظمتك أجدات صنت وبكتك ساكنة خفت  
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور سبت  
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت

وقال :

ومشيد داراً ليسكن ظلها سكن القبور ، ودأره لم يسكن

اسحاق الموصلي يفني للرشيد : حدث اسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :  
بينما أنا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه إذ طرب لغنائي ، وقال : لا تبرح ، ولم  
أزل أغنيه حتى نام ، فأمسكت ، ووضعت العود في حجري ، وجلست  
مكاني ، فإذا بشاب صبيح الوجه ، حسن القد عليه مقطعات خز وهيئة جميلة ،



فدخل وسلم وجلس ، فجعلت أعجب من دخوله في ذلك الوقت الى ذلك  
الموضع بغير استئذان ، ثم قلت في نفسي : عسى بعض ولد الرشيد ممن لا  
نعرفه ولم نره ، فضرب بيده الى العود ، فأخذه ووضع في حجره وجسه ،  
فرأيت أنه جس أحسن خلق الله ، ثم أصلحه إصلاحاً ما أدري ما هو ، ثم  
ضرب ضرباً ، فما سمعت أذني صوتاً أجود منه ، ثم اندفع يغني :

ألا عتلاني قبل أن نتفرقا

وهات اسقني صرفاً شراباً مروقاً

فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجى

وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم وضع العود من حجره ، وقال : يا عاض بظر أمه ، إذا غنيت فغن  
هكذا ثم خرج ، فقامت على أثره ، فقلت للحاجب : من الفتى الذي خرج  
الساعة ؟ فقال : ما دخل هنا أحد ولا خرج ، قلت : نعم الساعة مر بين  
يدي فتى صفته كيت وكيت ، قال : لا والله ما دخل أحد ولا خرج ،  
فبقيت متعجباً ، ورجعت الى مجلسي ، وانتهى الرشيد فقال : ما شأنك ؟  
فحدثته القصة ، فبقي متعجباً ، وقال : لقد صادفت شيطاناً ، ثم قال : أعد  
علي الصوت ، فأعدته عليه ، فطرب طرباً شديداً ، وأمر لي بجائزة ،  
وانصرفت .

جماعة المغنين عند الرشيد : وحدث إبراهيم الموصلي قال : جمع الرشيد  
ذات يوم المغنين ، فلم يبق أحد من الرؤساء إلا حضر ، وكنت فيهم ، وحضر  
معنا مسكين المدني ، ويعرف بأبي صدقة ، وكان يوقع بالقضيب ، مطبوعاً  
حاذقاً ، طيب العشرة ، مليح البادرة ، فاقترح الرشيد - وقد عمل فيه النبيذ -  
صوتاً ، فأمر صاحب الستارة ابن جامع أن يغنيه ؛ ففعل ، فلم يطرب عليه .  
ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر ، فلم يحرك منه أحد ، فقال صاحب الستارة  
لمسكين المدني : يا مارك أمير المؤمنين إن كنت تحسن هذا الصوت فغنه ،

قال إبراهيم : فاندفع فغناه ، فأمسكنا جميعاً متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا في صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة ، قال إبراهيم : فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول وقد رفع صوته يا مسكين أعده . فأعاده بقوة ونشاط واجتماع قلب ، فأحسن فيه كل الإحسان ؛ فقال الرشيد: أحسنت والله يا مسكين وأجملت ، ورفعت الستارة بيننا وبينه . قال مسكين : يا أمير المؤمنين إن لهذا الصوت خيراً عجبياً ؛ قال : وما هو ؟ قال : كنت عبداً خياطاً لبعض آل الزبير ، وكان لمولاي عليّ ضريبة أَدْفَعُ إليه كل يوم درهمين فإذا دفعت ضريبتني تصرفت في حوائجي ، وكنت مولعاً بالغناء محباً له فخصت يوماً قميصاً لبعض الطالبين ، فدفعت إليّ درهمين وتفديت عنده وسقاني أقداحاً ، فخرجت وأنا جذلان ، فلقيتني سوداء على رقبتها جرة وهي تغني هذا الصوت ، فأذهلني عن كل مهم ، وأنساني كل حاجة ، فقلت: بصاحب هذا القبر والمنبر إلا ألقيت علي هذا الصوت ، فقالت: وحق صاحب هذا القبر والمنبر لا ألقيته عليك إلا بدرهمين ، فأخرجت والله يا أمير المؤمنين الدرهمين فدفعتهما إليها ، فأنزلت الجرة عن عاتقها واندفعت ، فما زالت تردده حتى كأنه مكتوب في صدري ، ثم انصرفت إلى مولاي ، فقال لي : هلم خراجك ، فقلت : كان وكان ، فقال : يا ابن اللخناء ، ألم أتقدم إليك أني لا أقبل لك عذراً في حبة تكسرهما ؟ وبَطَّحَنِي وضربني خمسين جريدة بأشد ضرب يكون وحلق لحيتي ورأسي ، فبت يا أمير المؤمنين من أسوأ خلق الله حالاً ، وأنسيت الصوت بما نالني ، فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذي لقيتها فيه ، وبقيت متحيراً لا أعرف اسمها ولا منزلها ، إذ نظرت بها مقبلة ، فأنسيت كل ما نالني وملت إليها ، فقالت : أنسيت الصوت ورب الكعبة ، فقلت : الأمر كما ذكرت ، وعرفت ما مر بي من حلق الرأس واللحية ، فقالت : وحق القبر ومن فيه لا فعلت إلا بدرهمين ، فأخرجت جلي ورهنه علي درهمين ، فدفعتهما إليها ، فأنزلت الجرة عن

رأسها واندفعت ، فمرت فيه ثم قالت : كأي بك وقد أخذت مكان الأربعة  
 دراهم أربعة آلاف دينار ، من الخليفة ، ثم اندفعت تغنيها وتوقع على جرتها ،  
 فلم تزل تردده حتى رسخ في صدري ، ثم مضت ، وانصرفت الى مولاي  
 وجلا ، فقال : هلم خراجك ، فلويت لساني ، فقال : يا ابن اللخناء ، ألم  
 يكفك ما مر عليك بالأمس ، فقلت : إني أعرفك أني اشتريت بخراجي أمس  
 واليوم هذا الصوت ، واندفعت أغنيه ، فقال لي : ويحك !! معك مثل هذا  
 الصوت منذ يومين ولم تعلمني ، امرأته طالق لو كنت قلته أمس لأعتقتك فأما  
 حلق الرأس واللحية فلا حيلة لي فيها ، وأما خراجك فقد وهبه الله لك إلى  
 أن ينبت شعرك ، قال : فضحك الرشيد وقال : ويلك !! ما أدري أيما  
 أحسن : حديثك ، أم غناؤك ؟ وقد أمرت لك بما ذكرته السوداء ، فقبضه  
 وانصرف ، والشعر :

قف بالمنازل ساعة فتأمل      هل بالديار لرائد من منزل ؟  
 ما بالديار من البلى فلقد أرى      فلسوف أحمل للبلى في حمل

الرشيد يجري خلبة الخيل : وأجرى الرشيد الخيل يوماً بالرقه ، فلما  
 أرسلت ، سار الى مجلسه في صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل ، فوقف  
 على فرسه وكان في أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان في عنان واحد لا  
 يتقدم أحدهما صاحبه ، فتأملها فقال : فرسي والله ، ثم تأمل الآخر فقال :  
 فرس ابني المأمون ، قال : فجاءا بمنكان أمام الخيل وكان فرسه السابق  
 وفرس المأمون الثانية ، فسر بذلك ، ثم جاء الخيل بعد ذلك ، فلما انقضى  
 المجلس وهم بالانصراف قال الأصمعي - وكان حاضراً وقد تبين سرور  
 الرشيد - للفضل بن الربيع : يا أبا العباس ، هذا يوم من الأيام فأحب ان  
 توصلني الى أمير المؤمنين ، وقام تفضل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا الأصمعي  
 يذكر شيئاً من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سروراً ، قال : هاته ،  
 فلما دنا قال : ما عندك يا أصمعي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، كنت وابنك  
 اليوم في فرسيكما كما قالت الخنساء :

تجارتى أباه فأقبلا وهما      يتنازعان ملاءة الحضر  
 وهما كأنها وقد برزا      صقران قد حطا على وكر  
 برزت صفيحة وجه والده      ومضى على غلوائه بحري  
 أولى فأولى أنت يقاربه      لولا جلال السن والظبر

طبق سمك يتكلف ألف درهم : حدث إبراهيم بن المهدي قال : استزرت الرشيد بالثقة ، فزازني ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأيت فيما قرب إليه منها جام قريص مثل قريص السمك ، فاستصغر القطع ، وقال : لم صغر طبخك تقطيع السمك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه ألسنة السمك ، قال : فيشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان ، فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده وحلف أن لا يطعم شيئاً دون أن يحضره ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به . وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : اخرج من دار أخي ، ثم انظر أول سائل تراه فادفعه إليه ، قال إبراهيم : وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين ديناراً ، ففمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه ، ففطن الرشيد فقال له : يا غلام إذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبينه بأقل من مائتي دينار فإنه خير منها ، ففعل الخادم ذلك ، فوالله ما أمكن خادمي أن يخلصه من السائل إلا بمائتي دينار .

أحسن الاسماء وأسمجها : وقال إبراهيم بن المهدي ، كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون ، والشيطرنج بين أيدينا ، فلما فرغنا قال لي الرشيد : يا إبراهيم ما أحسن الأسماء عندك ؟ قلت : اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما الثاني بعده ؟ قلت : اسم

هرون اسم أمير المؤمنين ، قال : فما أسمىها؟ قلت : إبراهيم ؛ فزأرنى<sup>(١)</sup> وقال :  
 وبلك !! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن جل وعز ، قلت : بشؤم هذا  
 الاسم لقي ما لقي من تمرود ، قال : وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، قلت : لا جرمَ لما سمي بهذا الاسم لم يعيش ، قال : فأبراهيم الإمام ،  
 قلت : بحرفة اسمه قتله مروان الجمدي في جراب النورة ، وأزيدك يا أمير  
 المؤمنين إبراهيم بن الوليد خلع ، وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتل ، ولم  
 أجد أحداً سمي بهذا الاسم إلا رأيت مقتولاً أو مضروباً أو مطروداً ، فما  
 انقضى كلامي حتى سمعت ملاحاً على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته : يا  
 إبراهيم يا عاض كذا وكذا من أمه مد ، فالتفت إليّ الرشيد فقلت : يا أمير  
 المؤمنين ، أصدقت قولي إن أشأم الأسماء إبراهيم فضحك حتى فحص برجله .  
 أدب مخاطبة الامراء : قال : وكنت يوماً عنده فاذا رسول عبدالله قد  
 أتى ، ومعه أطباق خيزران عليها مناديل ، ومعه كتاب ، فجعل الرشيد  
 يقرأ الكتاب ويقول : بَرَّه الله ووصله فقلت : يا أمير المؤمنين من هذا الذي  
 أطنبت في شكره حتى نشر كك في جميل شكره ؟ قال : هذا عبدالله بن  
 صالح ، ثم كشف المنديل ، فإذا أطباق بعضها فوق بعض : في أحدها  
 فستق ، وفي الآخر بندق ، الى غير ذلك من الفاكهة ، فقلت : يا أمير  
 المؤمنين ما في هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء ، إلا أن يكون في الكتاب  
 شيء قد خفي عليّ ، فنبذه إليّ ، فاذا فيه : دخلت يا أمير المؤمنين بستاناً  
 لي في داري عمرته بنعمتك ، وقد أينعت فواكهه ، فأخذت من كل شيء ،  
 وصيرته في أطباق قُضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل إليّ من بركة  
 دعائه مثل ما وصل إليّ من نوافل برة ؛ قلت : ولا والله . ما في هذا أيضاً  
 ما يستحق به هذا ، فقال : يا غبي أما ترى كيف كنى بالقضبان عن

الخيزران إعظاماً لأمنا رحماً الله تعالى .

رجل يتعرض للرشيد بقصة فيثيبه بأربعة آلاف دينار : و يروي أنه وقف رجل من بني أمية للرشيد على الطريق وبيده كتاب كالكفة ، فاذا فيه أربعة أبيات ، وهي :

يا أمين الله ، إني قائلٌ      قولَ ذي لب وصدق وحسب  
لكم الفضل علينا ، ولنا      بكم الفضل على كل العرب  
عبد شمس كان يتلو هاشماً      وهما بعد لأم ولأب  
فصل الأرحام منا ، إنما      عبدُ شمس عمُّ عبد المطلب

فامتحن ذلك الرشيد فأمر له لكل بيت بألف دينار، وقال: لو زدتنا لزدناك .

السكر اطييب او المشان : وكان الرشيد ذات يوم وأبو يوسف القاضي وعبد الوهاب الكوفي في مجلسه ، فتذاكروا الرطب ، فقال ابو يوسف : السكر اطييب من المشان ، وقال عبد الوهاب : المشان اطييب ، فقال الرشيد : ليحضر الطعام ، ودعا بعدة من بني هاشم كانوا هناك ، فأقبلوا جميعاً على السكر وتركوا المشان ، فقال الرشيد قسواً عليك يا أبا عبد الرحمن وهم لا يعلمون ؛ فقال أبو عبد الرحمن : إني لم أر مشان قط أردأ من هذا ، فقيل له أبو يوسف : هكذا هما إذا اجتمعا .

تعزية وتهنئة : ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد ، فقال له الحاجب إن أمير المؤمنين قد أصيب في هذه الليلة بولدي وولده ولد ، فعزوهن ، فلما مثل قال : يا أمير المؤمنين ، سر الله فيما ساءك ، وجعل هذه لهذه ثواباً للصابر وجزاء للشاكر .

علق الرشيد : ولما اشتدت علة الرشيد وصار إلى طومس سنة ثلاث وتسعين ومائة هون عليه الأطباء علة ، فأرسل إلى متطبيب فارسي كان هناك ، فأراه

ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى إلى قارورته قال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك فليوص ؛ فإنه لا براء له من هذه العلة ، فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين :

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور القضا  
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرىء مثله فيما مضى ؟

واشدد ضعفه ، وأرجف الناس بموته فدعا بجمار ليركبه ، فلما صار عليه سقطت فخذهاء فلم يثبت على السرج ، فقال : أنزلوني صدق المرجفون ، ثم دعا بأكفان فاختر منها ما أراد ، وأمر بحفر قبر ، فلما اطلع فيه قال : ( ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه ) ثم دعا بأخي رافع ، فقال : أزعجتوني حتى تجشمت هذه الأسفار مع علي وضعفي ، وكان أخو رافع ابن الليث ممن خرج عليه ، قال : لأقتلك قتلة ما قتل مثلها أحد قبلك ، ثم ثم أمر ففصل عضواً عضواً ، واستأمن رافع بعد ذلك على المأمون ؛ وقد ذكرنا خبره في غير هذا الكتاب ؛ ثم دعا من كان بعسكره من بني هاشم فقال : إن كل مخلوق ميت ، وكل جديد بال ، وقد نزل بي ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث : الحفظ لأمانتكم ، والنصيحة لأئمتكم ، واجتماع كلمتكم ؛ وانظروا محمداً وعبد الله فمن بنى منها على صاحبه فردؤه عن بنيه وقبحوا له بنيه<sup>(١)</sup> ونكته ، وأقطع في ذلك اليوم أموالاً كثيرة وضياعاً ورباعاً .

شعر لأبي العتاهية يبكي الرشيد : قال الرياشي : قال الأصمعي : دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه تنحدر على خديه ؛ فظلمت قائماً حتى سكن وحن منه التفاتة فقال : اجلس يا أصمعي ، أرأيت ما كان ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ، ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لأبي العتاهية بنحط جليل ؛ وهو :

( ١ ) في نسخة « وقبحوا له غدرة »

هل أنت 'معتبر' بمن خليتُ منه غداة مضى دساكره  
وبمن أذل الموت مصرعه فتبرأت منه عشائره  
وبمن خلتُ منه أسرتهُ 'وبمن خلت منه منابره  
أين الملوك وأين غيرهم ؟ صاروا مصيراً أنت صائره  
يا مؤثر الدنيا بلذته والمستعد لمن يفاخره  
نلّ ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد : كاني والله أخاطب بذلك دون الناس ، فلم يلبث بعد  
ذلك إلا يسيراً حتى مات

قال المسعودي : قد ذكرنا جملاً وجوامع من أخبار الرشيد فيما سلف من  
كتبنا ، وفي هذا الكتاب ، ولم نذكر فيما سلف من أخبار الرشيد في هذا  
الكتاب شيئاً من أخبار البرامكة ، فلنذكر الآن جملاً من أخبارهم في باب  
نفرده له ، نذكر فيه السعود من أيامهم والنحوس ، وإن كنا قد اتينا على  
سائر أخبارهم والزهر من أيامهم فيما سلف من كتبنا ، والله ولي التوفيق .



## ذكر

### جمل من أخبار البرامكة

وما كان منهم في أيامهم

اسماهم خالد بن برمك : لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله ، لا يحيى في رأيه ووفور عقله ولا الفضل في جوده وبراعته ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحته ، ولا محمد بن يحيى في سروره وبعد همته ، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه ، وفيمن ذكرنا يقول أبو الغول الشاعر :

أولاد يحيى بن خالد وهم أربعة سيد ومتبوع  
الخير فيهم اذا سألت بهم مفرق فيهم ومجموع

سبب نكبتهم : ولما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة ، فاحتازوا<sup>(١)</sup> الأموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه ، وكان إيقاعه بهم في سنة سبع وثمانين ومائة ، واختلف في سبب ذلك ، فقيل : احتياز الأموال ، وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبي طالب كان في أيديهم ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم . -

الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد فيزجره أبوه بأمر الرشيد : ويحكى أنه ورد على الرشيد يوماً كتاب صاحب البريد بخراسان ، ويحيى بن خالد بين يديه ، يذكر فيه أن الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى ، وقال له : يا أبت

(١) في نسخة : فاحتجنوا .

إقرأ هذا الكتاب ، واكتب اليه كتاباً يردعه عن مثل هذا ، فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد : حفظك الله يا بني ، وأمتع بك ، قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكروه ، فعاود ما هو أزينُ بك ، فإنه من عاد الى ما يزينه ويشينه لم يعرفه أهل دهره الا به ، والسلام ، وكتب في أسفله هذه الأبيات :

إنصَبْ نهاراً في طلاب العلا واصبر على فقد لقاء الحبيب  
حتى إذا الليل بدا مقبلاً واستترت فيه وجوه الميوب  
فبادر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأريب  
كم من فتى تحسبه ناسكاً يستقبل الليل بنامر عجيب  
ألقي عليه الليل أستاره فبات في هو وعيش خصيب  
ولذة الأحق مكشوفة<sup>١</sup> يسمي بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب يحيى فلما فرغ قال له : أبلغت يا أبت ، فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً الى أن انصرف عن عمله . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : كنت عند الرشيد يوماً ، وأحضر البرامكة الشراب ، وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت :

أرقت حتى كاني أعشق الأرقا وذبت حتى كأن السقم لي خلقا  
وقاض دمعي على قلبي فأغرقه يا من رأى غرقا في الماء محترقا

فقال الرشيد : لمن هذا ؟ فقيل : لخالد بن يزيد الكاتب ، قال : علي به ، قال خالد : فاحضرت ، فقال للجارية : أعيدي ، فاعادت ، فقال لي : لمن هذا ؟ فقلت : لي يا أمير المؤمنين ، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية :

مرورك أهلك عن مواعي فصيرت تفاحتي تذكره

فاخذ الرشيد تفاحة اخرى وكتب عليها :  
تفاضيت وعدي ولم أنسه فتفاحي هذه معذره  
ثم قال له يا خالد ، قل في هذا شيئاً فقال :  
تفاحة خرجت بالدر من فيها أشهى إلي من الدنيا وما فيها  
بيضاء في حمرة غلت بغالية كأنما قطفت من خد مهديها

جعفر البرمكي عند الأصمعي : حدث الجاحظ عن أخبره عن أنس بن  
أبي شيخ ، قال : ركب جعفر بن يحيى ذات يوم ، وأمر خادماً له أن يحمل  
معه ألف دينار ، وقال له : سأجعل طريقني على الأصمعي ، فإذا حدثني  
فرأيتني ضحكت فاجعلها بين يديه ، ونزل جعفر عند الأصمعي ، فجعل  
الأصمعي يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك ، فلم يضحك ، وخرج  
من عنده ؛ فقال له أنس بن أبي شيخ : رأيت منك عجباً ، أمرت بألف  
دينار للأصمعي وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك أن ترد إلى  
بيت مالك ما قد خرج عنه ، فقال له : ويحك ! إنه قد وصل إليه من أموالنا  
مائة ألف درهم قبل هذه المرة ، فرأيت في داره عجباً مكسوراً وعليه ذراعة  
خَلَقَ ، ومقعداً وسخاً ، وكل شيء رأيت عنده رثاً ، وأنا أرى أن لسان  
النعمة أنطق من لسانه ، وأن ظهور الصنيفة أمدح وأمجى من مدحه وهجائه ،  
فعل أي وجه أعطيه إذا كانت الصنيفة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة  
بالشكر عنه ؟

وفي الرشيد وجعفر بن يحيى يقول الشاعر :

ليهن الرشيد خلافاته وأمر الذي قد وهى عقده  
أضاف إلى بيعة بيعة فقام بها جعفر وحده  
بنو برمك أسسوا ملكه وشدوا لوارثه عهداً

مجلس عند يحيى بن خالد : وقد كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث  
ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل

الآراء والنحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور ، والقدم والحدوث ، والإثبات والنفي ، والحركة والسكون ، والماسة والمباينة ، والوجود والعدم ، والجر والطفرة ، والأجسام والأعراض ، والتعديل والتجريح ونفي الصفات وإثباتها ، والاستطاعة والأفعال ، والكمية والكيفية ، والمضاف ، والإمامة أنص هي أم اختيار ، وسائر ما تورطوا به من الكلام في الأصول والفروع ، فقولوا الآن في العشق على غير منازعة ، وليورد كل واحد منكم ما سنع له فيه وخطر إرادته بباله .

حديث لهم عن العشق : فقال علي بن هيثم وكان إمامي المذهب من المشهورين من متكلمي الشيعة : أيها الوزير ، العشق ثمرة المشاكلة ، وهو دليل تمازج الروحين ، وهو من بحر اللطافة ، ورقة الصلابة ، وصفاء الجوهر وليس يحد لسعته ، والزيادة فيه نقصان من الجسد .

وقال أبو مالك الحضرمي ، وهو خارجي المذهب وهم الشراة : أيها الوزير ، العشق نفث السحر ، وهو أخفى وأحر من الجمر ، ولا يكون إلا بازدواج الطبعين ، وامتزاج الشككين ، وله نفوذ في القلب كنفوذ صيب المزن في خلل الرميل ، وهو ملك على الخصال تنقاد له العقول ، وتستكين له الآراء .

وقال الثالث : هو محمد بن الهذيل العلاف ، وكان معتزلي المذهب وشيخ البصريين : أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطلع على الأفئدة ، مرتقى في الأجساد ، ومسرعة في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متغير الأوهام ، لا يدفو له موجود ، ولا يسلم له موعود ، تسرع إليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، وبقية<sup>(١)</sup> من حياض الشكل ، غير أنه من أريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشائل ، وصاحبه جواد لا يُصنفي إلى

داعية المنع ، ولا يسبح به نازعُ العدل .

وقال الرابع - وهو هشام بن الحكم الكوفي شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره - : أيها الوزير ، العشق حِبَالَةٌ نصبها الدهر فلا يصيد بها إلا أهل التخالص في النوائب ، فاذا عَلِقَ المحب في شبكتها ونشب في أثنائها فأبعد به أن يقوم سليماً أو يتخلص وشيكاً ، ولا يكون إلا من اعتدال الصورة ، وتكافؤ في الطريقة ، وملاءمة في الهمة ، له مقتل في صميم الكبد ومهجة القلب ، يعقد اللسان الفصيح ويترك المالك مملوكاً والسيد خَوْلاً حتى يخضع لعبد عبده .

وقال النظام إبراهيم بن يسار المعتزلي وكان من نظار البصريين في عصره : أيها الوزير العشق أرق من السراب وأدبٌ من الشراب ، وهو من طينة عَطِرَةِ عَجْنَتِ في إناء الجلالة ، حلو المجتنى ما اقتصد ، فاذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً ، وفساداً معضلاً ، لا يطمع في إصلاحه ، له سحابة غزيرة تهمي على القلوب ، فتعشِبُ شعفاً ، وتثمر كلفاً ، وصريعه دائم اللوعة ، ضيق المتنفس ، 'مشارف الزمن ، طويل الفكر ، إذا أجنحه الليل أرق ، وإذا أوضعه النهار قلق ، صومه البلوى ، وإفطاره الشكوى .

ثم قال السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم ، حتى طال الكلام في العشق بألفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب ، وفيها مر دليل عليه .  
العشق وعلّة وقوعه : قال المسعودي ، تنازع الناس من تقدم وتأخر في ابتداء وقوع الهوى وكيفيته ، وهل ذلك من نظر وسماع ، واختيار واضطرار ، وما علّة وقوعه بعد أن لم يكن ، وزواله بعد كونه ؟ وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه ؟

فقال بقراط : هو امتزاج النفسين ، كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيايل ، والنفس ألطف من الماء ، وأرقُّ مسلِكاً ، فمن أجل ذلك لا تزيده الليالي ، ولا تخلقه الدهور ولا يدفعه دافع دق عن الأوهام

مسلكه ، وخفي عن الأبصار موضعه وحارت العقول عن كيفية تمكنه غير ان ابتداء حركته من القلب ، ثم تسير الى سائر الأعضاء ، فتظهر الرعدة في الأطراف ، والصفرة في الألوان ، واللجلجة في الكلام ، والضعف في الرأي والويل والمثار حتى ينسب صاحبه إلى النقص .

وذهب بعض الأطباء إلى أن العشق طمع يتولد في القلب وينمى وتجتمع إليه مواد من الحزص فإذا قوي زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والتادي في التفكير والأمانى والهيام والأحزان وضيق الصدر وكثرة الفكر وقلة الطعم وفساد العقل ويبس الدماغ ، وذلك أن التادي في الطمع للدّم محرق ، فإذا احترق استحال إلى السوداء ، فإذا قويت جلبت الفكر فتستعلي الحرارة ، وتلتهب الصفراء ، ثم تستحيل الصفراء إلى الفساد فتلحق حينئذ بالسوداء ، وتصير مادة لها ، فتقوى ، ومن طبائع السوداء الفكر ، فإذا فسد الفكر اختلطت الكيموسات بالفساد ، ومع الاختلاط تكون الفسامة ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون ولا يتم فحينئذ يشتد ما به ، فيموت أو يقتل نفسه ، وربما شهق فتخفى روحه أربعاً وعشرين ساعة فيظن أنه مات فيقبرونه حياً ، وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه في تامور قلبه ، وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت ، وربما ارتاح وتشوق بالنظر ويرى من يحب فجأة ، وأنت ترى العاشق إذا سمع ذكر من يحب كيف يهرب دمه ويحول لونه .

وقال بعضهم : إن الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة ، وجزأها أنصافاً ، وجعل في كل جسد نصفاً ، فكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه كان بينهما عشق ضرورة للمناسبة القديمة ، وتفاوت أحوال الناس في ذلك من القوة والضعف على قدر طبائعهم .

ولأهل هذه المقالة خطب طويل فيما ذكرنا ، وإن النفوس نورية جوهر بسيط نزل من علو إلى هذه الأجساد فسكنها ، وأن النفوس تلي بعضاً على حسب مجاورتها في عالم النفس في القرب والبعد ، وذهب إلى هذا المذهب

جماعة ممن يظهر الإسلام ، واعتلثوا بدلائل من القرآن والسنن ودلائل القياس عند أنفسهم . من ذلك قوله عز وجل : ( يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ) قالوا : فالرجوع إلى الحال لا يكون إلا بعد كون متقدماً ، ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه سعيد بن أبي مريم قال : أخبرنا يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأرواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وذهب إلى هذا القول جماعة من الأعراب ، ففي ذلك يقول جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العذري في بثينة :

تعلقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا      وَمِنْ قَبْلِ مَا كُنَّا نَطَافَا ، وَفِي الْمَهْدِي  
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا ، فَاصْبَحَ نَامِيَا      وَلَيْسَ وَإِنْ مُشْنَا بِمَنْتَقِضِ الْعَهْدِ  
وَلَكِنِ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ      وَزَاثِرْنَا فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ  
وقال جالينوس : المحبة تقع بين العاقلين لتساكلهما في العقل ، ولا تقع بين الأحمقين وإن كانا شكلين في الحق ، لأن العقل يجري على ترتيب فيجوز أن يتفق فيه اثنان على طريق واحدة ، والحق لا يجري على ترتيب : ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان .

وَقَسَّمَ بَعْضَ الْعَرَبِ الْهُوَى فَقَالَ :

ثَلَاثَةٌ أَحْبَابٌ فَحُبُّ عِلَاقَةٍ      وَحُبُّ تِمْلَاقٍ ، وَحُبُّ هُوَ الْقَتْلِ

وقال الصوفية من البغداديين : إن الله عز وجل إنما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهونه ، ليشق عليهم سخطه ، ويسرهم رضاه ، فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله ؛ إذ كان لا مثل له ، ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج إليهم ، ورازقهم مبتدئاً بالمن عليهم فإذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه .

وللباطنية المتصوفة في هذا كلام كثير وخطب طويل .

وقال أفلاطون : ما أدري ما الهوى ، غير أنه جنون إلهي ، والهوى لا محمود ولا مذموم .

وكتب بعض ظرفاء الكتّاب إلى أخ له : إني صادفت منك جوهر نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد إليك بغير زمام ؛ لأن النفس يتبع بعضها بعضا .

وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والإسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » ، ومن أبادد الحدّثان ، من الأمم الماضية والأجيال الحالية ، والممالك الدائرة ، وإنما خرجنا مما كنا فيه آنفا من أخبار البرامكة عند ذكرنا العشق ، فتغلغل بنا الكلام إلى إيراد لمع مما قيل في ذلك .

فترجع الآن إلى ما كنا فيه من أخبارهم ، واتساق أيامهم ، وانتظامها لهم بالسعود ، ثم انعكاسها إلى النحوس .

الرشيد يزوج أخته العباسة لجعفر البرمكي ؛ ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك ، وتناهوا إليه من الرياسة ، واستقامت لهم الأمور حتى قيل : ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول ، قال الرشيد لجعفر بن يحيى : ويحك يا جعفر !! إنه ليس في الأرض طلعة أنا بها آنس ، ولا إليها أميل ، وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا مني برويتك ، وإن للعباسة أختي مني موقعا ليس بدون ذلك ، وقد نظرت في أمري معكما ، فوجدتني لا أصبر عنك ولا عنها ، ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك <sup>(١)</sup> يوم أكون معها ، وكذلك حكمتي منك في يوم كوني معك دونها ، وقد رأيت شيئا يجتمع لي به السرور ، وتتكاثر لي به النذرة

(١) في نسخة : ضائع الحظ ناقص السرور - الخ .



والأنس، فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين او عزم لك على الرشيد في أمورك كلها ! قال الرشيد قد زوجتكها تزويجا تمكك به مجالستها والنظر إليها والاجتماع بها في مجلس أنا معكما فيه لا سوى ذلك ، فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر إليه في ذلك ، وأشهد له مَنْ حضره من خدمه وخاصة مواليه ، وأخذ الرشيد عليه عهد الله وموآثيقه وغلظ أيمانه أنه لا يخلو بها ، ولا يجلس معها ، ولا يظله وإياها سَقْفُ بيتٍ إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثها ؟ فحلف له جعفر على ذلك ، ورضي به وألزمه نفسه ، وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها وجعفر في ذلك صارف بصره عنها ، مزور بوجهه هيبة لأمير المؤمنين ، ووفاء بعهده وأيمانه وموآثيقه على ما وافقه الرشيد عليه وَعَلِقَتْهُ العباسية ، وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت إليه رقعة ، فردت رسولها وشتمته وتهدأته ، وعادت فعاد بمثل ذلك ، فلما استحکم اليأس عليها<sup>(١)</sup> قصدت لأمه ، ولم تكن بالحازمة ، فاستألتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطف ، وما أشبه ذلك من كثرة المال والطف الملوك ، حتى إذا ظنت أنها لها في الطاعة كالأمة ، وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة ، أَلَقَتْ إليها طرفا من الأمر الذي تريده ، وأعلمتها ما لها في ذلك من حميد العاقبة ، وما لابنها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين ، وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته ، فاستجابت لها أم جعفر ، ووعدتها بإعمال الحيلة في ذلك ، وانها تلتطف لها حتى تجمع بينها ؛ فأقبلت على جعفر يوماً فقالت له : يا بني ، قد وُصِفَتْ لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت من الأدب والمعرفة والظرف والحلاوة مع الجمال الرائع والقَدِّ البارِعِ والخصال الحمودة ما لم ير مثله ، وقد عزمتم على اشترائها لك ، وقد قرب الأمر بيني وبين مالِكها ، فاستقبل جعفر كلامها بالقبول ، وَعَلِقَتْ بِذَلِكَ قلبه ، وتطلعت

(١) في نسخة : فلما استحکم ياسها منه .

إليها نفسه ، وجعلت تمطيله ، حتى اشتد شوقه ، وقويت شهوته ، وهو في ذلك يلح عليها بالتحريك والأقتضاء ، فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له : أنا مُهديتُها اليك ليلة كذا وكذا ، وبعثتُ الي العباسة فأعلمتها بذلك ، فتأهيت بمثل ما تتأهب به مثلها وسارت إليها في تلك الليلة ، وانصرف جعفر في تلك الليلة من عند الرشيد ، وقد بقي في نفسه من الشراب فضلة لما قد عزم عليه ، فدخل منزله ، وسأل عن الجارية فخبِر بمكانها ، فأدخلت علي فتبي سكران لم يكن بصورتها عالماً ، ولا على خلقها واقفاً ، فقام إليها فواقعا فلما قضى حاجته منها قالت له : كيف رأيت - ميل بنات الملوك ؟ قال : وأي بنات الملوك تعنين ؟ وهو يرى أنها من بعض بنات الروم ، فقالت له : أنا مولاتك العباسة بنت المهدي ، فوثب فزعاً قد زال عنه سكره ورجع إليه <sup>(١)</sup> عقله ، فأقبل علي أمه وقال : لقد يعتني بالثمن الرخيص ، وحملتني على المركب الوعر ، فانظري ما يؤول إليه حالي ، وانصرفت العباسة مشتملة منه على حمل ، ثم ولدت غلاماً ، فوكلت به خادماً من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة ، فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة ، وأمرتها بتربيته ، وطالت مدة جعفر ، وغلب هو وأبوه وإخوته على أمر المملكة ، وكانت زبيدة أم جعفر زوج الرشيد من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها ، وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعن من خدمة الخدم ، فشكت زبيدة الى الرشيد ، فقال ليحيى بن خالد : يا أبت ، ما بال أم جعفر تشكوك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أمتهم أنا في حرمك وتدبير قصرك عندك ؟ فقال : لا والله ، فقال : لا تقبل قولها ، قال الرشيد : فلست أعاودك ، فازداد يحيى لها منعاً ، وعليها في ذلك غلظة ، وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل ، ويمضي بالفياتح الى منزله ، فبلغ ذلك من أم

(١) في نسخة : وفارقه عقله .

جعفر كل مبلغ ، فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما يحمل يحيى على ما لا يزال يفعله من منعه إياي من خدمي ووضعه إياي في غير موضعي ؟ فقال لها الرشيد : يحيى عندي غير متهم في حرمي ، فقالت : ان كان كذلك لحفظ ابنه مما أرتكبه ، فقال : وما ذلك ؟ فخبرته بالخبر وقرئت عليه قصة العباسة مع جعفر ، فسقط في يده ، وقال لها : هل لك على ذلك من دليل أو شاهد ؟ قالت : وأي دليل أدل من الولد ؟ قال : وأين الولد ؟ قالت : قد كان هنا ، فلما خافت ظهور أمره وجأته الى مكة فقال لها : أفيعلم هذا أحد غيرك ؟ قالت : ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به ، فأمسك عن ذلك ، وطوى عليه كشفاً ، وأظهر أنه يريد الحج ، فخرج هو وجعفر بن يحيى ، وكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة أن يخرجها بالصبي الى اليمن ، فلما صار الرشيد الى مكة وكئل من يثق به بالفحص والبحث عن أمر الصبي والداية والخادم ، فوجد الأمر صحيحاً ، فلما قضى حجه ورجع أضمر في البرامكة على إزالة نعمهم ، فأقام ببغداد مديدة ، ثم خرج الى الأنبار ، فلما كانت في اليوم الذي عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندي بن شامك ، فأمره بالمضي الى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتائبهم وأبنائهم وقراباتهم وأن يجعل ذلك سراً من حيث لا يكلم به أحداً حتى يصل الى بغداد ثم يفضي بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه ، فامتثل السندي ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده في موضع يعرف في الأنبار بالعمر<sup>(١)</sup> ، فأقاما يومها بأحسن هيئة وأطيب عيش ، فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشياً له ثم رجع الرشيد فجلس على كرسي ، وأمر بما كان بين يديه فرفع فمضى جعفر الى منزله وفيه فضلة من الشراب ، ودعا بأبي زكار المغني الطنبوري وابن أبي شيخ كاتبه ، ومدت ستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين ، وأبو زكار يغنيه :

(١) في نسخة : بالقمر .

ما تريدُ الناسِ مِنَّا ما تنامُ الناسُ عنا  
إنما همَّتْهم أن يُظهروا ما قد دَفَنَّا

وأمر الرشيد من ساعته ياسراً خادماً المعروف برحلة فقال له : إني أندبك لأمر ما أرى محمداً ولا القاسم له اهلاً ولا موضعاً ، ورأيتك به مستقلاً ناهضاً ، فحقق ظني ، واحذر أن تخالف أمري فيكون ذلك سبباً لسقوط منزلتك عندي وفساد حالك لدي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أمرتني أن أدخل السيف في بطني وأخرجه من ظهري بين يديك لفعلت ، فمررتني بأمرك فإني والله مسرع ، فقال : ألسنت تعرف جعفر بن يحيى البرمكي ؟ قال : يا أمير المؤمنين وهل أعرف سواه ؟ أو يُنكر مثل جعفر ؟ قال : ألم تر تشييعي إياه عند خروجه ؟ قال : بلى ، قال : فامض الساعة إليه فأتني برأسه على أي حالة تجده عليها ، فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رِعْدَةً ووقف لا يجير جواباً ، فقال : يا ياسر ، ألم أتقدم اليك بترك الخلاف عليّ ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن الخطب أجلُّ من ذلك ، والأمر الذي ندبني إليه أمير المؤمنين وددت لو أني كنت مت قبل أن يجري على يدي منه شيء ؛ فقال : دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك ؛ فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت وكيت ، فقال جعفر : إن أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فأحسب أن هذا جنس منه ، فقال : والله ما رأيته إلا جاداً ، قال : فإن يكن الأمر كما قلت فهو إذا سكران ، قال : لا والله ما افتقدت من عقله شيئاً ، ولا ظننته شرب نبيذاً في يومه مع ما رأيت من عبادته ، قال له : فإن لي عليك حقوقاً ثم مجد لها مكافأة في وقت من الأوقات إلا هذا الوقت ، قال : تجدني إلى ذلك سريعاً إلا فيما خالف أمير المؤمنين ، قال : فارجع إليه فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به فإن أصبح نادماً كانت حياتي على يديك جارية ، وكانت لك عندي نعمة مجددة وإن أصبح على مثل هذا الرأي نفذت ما أمرت به في

غد ، قال : ليس الى ذلك سبيل ، قال : فأصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعتك إياك<sup>(١)</sup> ، فإذا أبديت عذراً ولم يقنع إلا بمصيرك اليه برأسي خرجت فأخذت رأسي من قرب ، قال له : أما هذا فنعم ، فمضيا جميعاً الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال : قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين ، وما هو ذا بالحضرة ، فقال له : اتتني به وإلا والله قتلتك قبله<sup>(٢)</sup> ، فخرج فقال له : أسمعت الكلام ؟ قال : فشأنك وما أمرت به ، فأخرج جعفر من كفه مندبلاً صغيراً فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها ياسر وأدخل رأسه الى الرشيد ، فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه ، وجعل يذكره بذنوبه ، ثم قال : يا ياسر اتتني بفلان وفلان فلم أتى بهم قال لهم : اضربوا عنق ياسر ، فاني لا أقدر أن أنظر الى قاتل جعفر .

وقال الأصمعي : وجه الى الرشيد في تلك الليلة ، فلما أدخلت اليه قال : يا اصمعي ، قد قلت شعراً فاسمعه ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأنشد :  
لو ان جعفر هاب أسباب الردى لنجا بمهجتك طمر ملجم  
ولكان من حذر المنون بحيث لا يسمو اليه به العقاب القشقم  
لكنه لما تقارب وقتك لم يدفع الحدان عنه منجم  
قال الأصمعي : ورجعت الى منزلي فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر ، وأصيب على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل :

إن المساكين بنو برمك - صبت عليهم غير الدهر  
إن لنا في أمرهم عبرة فليعتبر ساكن ذا القصر

مدة سلطان البرامكة ورثاء الشراء لهم : قال المسعودي : وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف<sup>(٣)</sup> هارون الرشيد

(١) في نسخة : ومراجعتك إياه ، فإذا أبليت وبيئت عذرا ولم يقنع - الخ .

(٢) في نسخة : عجلتلك قبله . (٣) في نسخة : منذ استخلف هارون .

إلى ان قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقد رثتهم الشعراء بمراث كثيرة ، وذكرت أيامهم فمن ذلك قول علي بن أبي معاذ :

يا أيها المغترُّ بالدهر      والدهر ذو صرف وذو غدر  
لا تأمن الدهرَ وصوراته      وكن من الدهر على حذر  
إن كنت ذا جهل بتصريفه      فانظر الى المصلوب بالجسر  
فإن فيه عبرة ؛ فاعتبر      يا ذا الحِجَا والعقل والفكر  
ونخذ من الدنيا صفى عيشها      واجري مع الدهر كما يجري  
كان وزير القائم المرتضى      وذا الحِجَا والفضل والذكر  
وكانت الدنيا بأقطارها      إليه في البرِّ وفي البحر  
يشيدُ الملكَ بأرائه      وكان فيه نافذة الأمر  
فبينما جعفرُ في ملكه      عشية الجمعة بالعمُر  
يطيرُ في الدنيا بأجناحه      يأمل طولَ الخلد والعُمُر  
إذ عثرَ الدهرُ به عثرة ،      يا ويلنا من عثرة الدهر  
وزلت النعلُ به زلة      كانت له قاصمة الظهر  
فغودرَ البائسُ في ليلة .      السبت قتيلًا مطلع الفجر  
واصبح الفضل بن يحيى وقد      أحيطَ بالشيخ وما يدري  
وجيء بالشيخ وأولاده      يحيى معاً في الغلِّ والأسر  
والبرمكيين وأتباعهم      من كان في الآفاق والمضر  
كأنبا كانوا على موعده      كموعده الناس إلى الحشر  
وأصبحوا للناس أهدوثة      سبحان ذي السلطان والأمر

ومن رثاهم فاستحسن قوله اشجعُ السلمي ، فقال من قصيدة :

الآن أرحنا واستراحت ركابنا

وأمسك من يحندي ومن كان يحندي

فَقُلْ لِلْمَطَايَا قَدْ أَمِنْتَ مِنَ السَّرَى

وطي الفيافي فدُفداً بعد فدُفد

وقل العطايا بعد فضل : تعطلي وقل للرزايا : كل يوم تجدي

ودونك سيفاً برمكياً مُهنّداً أصيبَ بسيفِ هاشميّ مُهنّد

وقال فيهم سلم الخاسر :

خوت أنجمُ الجدوى وشلت يدُ الندى

وغاضت بحارُ الجودِ بعد البرامكِ

تهوت أنجمُ كانت لأبناء برمكٍ

بها يعرف الهادي قويم المسالكِ

وقال فيهم صالح الأعرابي :

لقد خان هذا الدهر أبناء برمكٍ وأيُّ ملوكٍ لم تخنّها دهورُها

ألم يكُ يحيى والي الأرض كلها فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزره الأعرابي ، وقيل أبو نواس :

ما رمى الدهر آل برمكٍ لمّا أن رمى ملكهمُ بأمرٍ بدبيع

إن دهرأ لم يرعَ حقاً ليحيى غير راعٍ حقاً لآل الربيع

وقال فيهم بعض الشعراء فأحسن :

ولأيامكم المقتبلة

يا بني برمك واهأ لكم

وهي اليوم شكولُ أرملة

كانت الدنيا عروساً بكم

وقال أشجع فيهم :

ولتى عن الدنيا بنو برمك فلو توالى الناس ما زادا

كانت لأهل الأرض أعيادا كأنما أيامهم كلها

ولاخر فيهم من أبيات :

كان أمانه من حسن بختها مواسم الحج والأعياد والحمه

وقال منصور النمري :

أندُبُ بني برمكٍ لدنيا      تبكي عليهم بكلِّ وادٍ  
كانت بهم برهة عروساً      فأضحت اليوم في حدادٍ

وقال دعبل الخزاعي :

ألم ترَ صرَفَ الدهر في آل برمكٍ      وفي ابن نهيك والقرون التي تخلو  
لقد غرس القوم النخيل تمكناً      فما حصدا إلا كما حصد البقل  
وقال أشجع فيهم أيضاً :

قد سار دهر بني برمك      ولم يدع فيهم لنا بقيا  
كانوا أولي الخير وهم أهله      فارتفع الخير عن الدنيا  
ولما نزل جعفر وقبض على يحيى والفضل ، وضيق عليها المحابس ، واشتد

بها الجهد ، وترادف عليها البلاء قال الفضل بن يحيى يذكر ما هما فيه :

إلى الله فيما تابنا نرفع الشكوى      ففي يده كشف المصرة والبكوى  
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها      فلا نحن في الاموات فيها ولا الأحياء  
إذا جاءنا الشجان يوماً لحاجة      عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيراً ما ينشد بعد نكبة البرامكة :

إن استهانتها إذا وقعت      لبيقدر ما تعلق بها رتبته  
وإذا بدت للنمل أجنحة      حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي : دخلت على والدتي يوم نحر ،

فوجدتها وعندها امرأة برزة متكلمة في أثواب رثة فقالت لي : أتعرف هذه؟

قلت : لا ، قالت : هذه عبادة أم جعفر بن يحيى ، فأقبلت عليها بوجهي

أحدثها وأعظمها ثم قلت لها : يا أماه ما أعجب ما رأيت ؟ قالت : يا بني

لقد أتى علي عيدٌ مثل هذا وأنا على رأسي أربعمئة وصيفة ، وإني لأعدُّ ابني

عاقاً لي ولقد أتى علي هذا العيد وما أتمنى سوى جلد شاتين أفرش أحدهما

والتحف الآخر ، قال : فدفعت إليها خمسمئة درهم ، فكادت تموت فرحاً



بها ، ولم تزل تختلف اليها حتى فرّق الموت بيننا .

وحكي عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى بن خالد عند تغيير الرشيد له قبل الإيقاع بهم ، فقال له : ان أمير المؤمنين قد أحب جمع الأموال ، وقد كثر ولده فهو يريد أن يعقد لهم الضياع ، وقد كثر عليك وعلى أصحابك عنده ، فلو نظرت الى ضياعهم وأموالهم فجعلتها لولد أمير المؤمنين ، وتقربت اليه بها رجوت أن يكون لك السلامة ، وأن يرجع لك أمير المؤمنين ، فقال له يحيى : والله لأن تزول النعمة عني أحب اليّ من ان أزيلها عن قوم كنت سببها إليهم .

ورذكر الخليل بن الهيثم الشعبي - وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل في الحبس -- قال : أتاني مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ، ومع خادم منهم مندبل ملفوف ، فسبق إلى نفسي أن الرشيد قد تعطف عليهم ، فوجه إليهم بلطف ، فقال لي مسرور : أخرج الفضل بن يحيى ، فلما مثل بين يديه قال له : إن أمير المؤمنين يقول لك : إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم فزعمت أنك قد فعلت ، وقد صح عندي أنك أبقيت لك أموالاً ، وقد أمرت مسروراً إن لم تطلعه عليها أن يضربك مائتي سوط ، فقال له الفضل : قتلته والله يا أبا هاشم ، فقال له مسرور : يا أبا العباس أرى لك أنك لا تؤثر مالك على مهجتك <sup>(١)</sup> ، فإني لا آمن ان أنفذ ما أمرت به قبك أن آتي على نفسك ، فرفع الفضل رأسه إلى السماء وقال له : يا أبا هاشم ، ما كذبت بأمر المؤمنين ، ولو كانت الدنيا لي وخيرت بين الخروج منها وبين أن اقرع مقرعة لاخترت الخروج منها ، وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا ، وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بأنفسنا ؟ فإن كنت أمرت بشيء فامض له ، فأمر بالمندبل فنفض ،

(١) في نسخة : لا تؤثر مالك على نفسك .

فسقط منه أسواط بأثارها ، فضرب مائتي سوط ، وقولي ضربه اولئك الخدم ، فضربوه أشد الضرب الذي يكون بغير<sup>(١)</sup> معرفة ، فكلدوا يأتون على نفسه ، فخنقنا عليه الموت ، فقال الخليل بن الهيثم لو كيله المعروف بأبي يحيى : إن هنا رجلا قد كان في الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أو شبهه ، فصر إليه واسأله ان يعالجه ، قال : فأنيبت إليه ذلك ، فقال : لعلك تريد ان تعالج للفضل بن يحيى ، فقد بلغني ما صنع به ؟ فقلت : إياه اريد ؛ قال : فامض بنا إليه حتى اعالجه ؛ فلما رآه قال : أحسبه ضربه خمسين سوطاً ، قال : إنه ضربه مائتي سوط ، قال : ما اظن إلا ان هذا أثر خمسين سوطاً ، ولكن يحتاج أن ينام على بارية وأدوس صدره ساعة ، فجزع الفضل من ذلك ، ثم أجاب إليه ، ففعل ذلك به ، ولم يزل يدوس صدره ، ثم أخذ بيده فجذبه حتى اقامه عن البارية ، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ، ثم جعل يختلف إليه ويعالجه إلى ان نظر يوماً إليه فخرّ ساجداً ، فقلت : ما لك ؟ فقال : يا أبا يحيى ، قد برىء أبو العباس ، اذن مني حتى ترى ، قال : فدنوت منه فأراني في ظهره لحماً نابتاً ، ثم قال لي : أتخفظ قولي هذا أثر خمسين سوطاً ؟ قلت : نعم ، قال : والله لو ضرب ألف سوط ما كان اثرها بأشد من ذلك الأثر ، وإنما قلت ذلك لكي تقوى نفسه فيعيني على علاجه ، فلما خرج الرجل قال لي الفضل : يا أبا يحيى ، قد احتجت عشرة آلاف درهم ، فسيرني إلى المعروف بالنسائي واعلمه حاجتي إليها ، قال : فأتيته بالرسالة ، فأمر بحملها إليه ، فقال : يا أبا يحيى ، أحب ان تقضي بها إلى هذا الرجل ، وتعتذر إليه وتسأله قبول ما وجهت به ، فقال : فضيت إليه فوجدته قاعداً على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة ، فقال : ما حاجتك يا أبا يحيى ؟ فأقبلت أعتذر عن الفضل ، وأذكر ضيق الأمر عليه ، وأعلمته بما وجه به إليه ، فامتعض من ذلك ونخر حتى

(١) في نسخة : بغير منفرة .

أفزعني ، وقال : عشرة آلاف درهم ، يرددها ؛ فجهدت كل الجهد أن يقبلها فأبى ؛ فصرت الى الفضل ، فأعلمته ، فقال لي : استقلها والله ، ثم قال لي الفضل : أحب أن تعود الى النسائي ثانية وتعلمه أني احتجت الى عشرة آلاف درهم اخرى ؛ فإذا دفعها إليك فسر بالكل<sup>(١)</sup> إلى الرجل ، قال : فقبضت من النسائي عشرة آلاف اخرى ورجعت الى الرجل ومعني المال ، وعرفته الخبر ، فأبى ان يقبل شيئاً منه ، فقال : انا اعالج فتى من الأبناء بكراه ؟ اذهب عني ، فوالله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها ؛ فرجعت الى الفضل وأخبرته الخبر ، فقال لي : يا أبا يحيى ، حدثني بأحسن ما رأيت او بلغك من افعالنا ، قال : فجعلت احده ملبياً ، فقال : دع عنك هذا ، فوالله ان ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه في أيامنا كلها .

وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وقيل : اقل من ذلك ، ومات يحيى بن خالد بالرقعة في سنة تسع وثمانين ومائة على ما قدمنا . قال المسعودي : وللرشيد اخبار حسان وعير ، وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا في ذكر اخبار ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ، وما كان بينه وبين نقفور<sup>(٢)</sup> فيما تقدم من هذا الكتاب ، وللبرامكة اخبار حسان وما كان منهم من الإفضال بالمعروف واصطناع المكارم ، وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ، ومراثيهم ، وقد اتينا على جميع ذلك في كتابينا ، أخبار الزمان ، والكتاب الأوسط ، وإنما نورد في هذا الكتاب لمعاً من الأخبار لم يتقدم لها إيراد في ما تقدم من كتبنا ، وكذلك ذكرنا بدء أخبارهم قبل ظهور الإسلام وكونهم على بيت النوبهار ، وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وعلة تسميته برمك ، وخبر برمك الأكبر مع ملوك الترك ، وخبرهم بعد ظهور الإسلام ، وما كان

(١) في نسخة : فسر بالمشرين ألفاً الى الرجل . (٢) في نسخة : يعفور .

منهم في أيام بني أمية كهشام بن عبد الملك وغيره وما كان منهم في أيام المنصور ، واكتفينا بما ذكرناه في هذا الكتاب من هذه التلويمات من اخبارهم واللمع من آثارهم .

## ذكر

### خلافة محمد الأمين

موجز : وبويع محمد بن هارون في اليوم الذي مات فيه هارون الرشيد ، وهو يوم السبت لأربع ليالٍ خلون من جمادى الأولى ، بطوس ، سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وتقدم بيعته رجاء الخادم ، وكان القيم ببيمته الفضل بن الربيع ، وكان محمد يكنى بأبي موسى . وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر بالرصافة ، وكان مولده بالرصافة . وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً . ودفنت بجثته ببغداد . وحمل رأسه الى خراسان . وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ، وقيل تسعة أشهر ، وقيل : ثمانية أشهر وستة أيام ، على حسب ما وجدنا من اختلاف التواريخ وتباينها . وقيل : إن محمداً أفضت الخلافة اليه وهو ابن اثنين وعشرين سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً وكان أصغر من المأمون بستة أشهر ، وكانت أيامه في الحصار من خلعه الى مقتله سنة ونصفاً وثلاثة عشر يوماً ، حبس فيها يومين .

## ذکر

### جمل من أخباره وسيره

ولمع بما كان في أيامه

كيف جاءه خبر الولاية : قبض الرشيد والمأمون بمرور وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الأمين ، إلى محمد ، فأناه بالخبر في اثني عشر يوماً إلى مدينة السلام يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة .

رؤيا زبيدة أيام حملت بالأمين وعند مولده وبعده : وذكر جماعة من الأخباريين ومن عني بأخبار العباسيين كالمدايني ، والعتبي وغيرهما أن زبيدة رأت في المنام ليلة عُلقتُ بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس فقعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها ، فدنن إحداهن ، فجعلت يدها على بطن أم جعفر ، ثم قالت : ملك فخم عظيم البذل ثقيل الحمل ، نكد الأمر ، ثم فعلت الثانية كما فعلت الأولى ، وقالت : ملك ناقص الحد ، مفلول الحد ، ممذوق الود ، تجور أحكامه ، وتخونه أيامه ، ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية ، وقالت : ملك قصاف ، عظيم الإيلاف ، كثير الخلاف ، قليل الإنصاف ، قالت : فاستيقظت وأنا فزعة ، فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمداً دخلن عليّ وأنا نائمة كما كن دخلن ، فقعدن عند رأسي ، ونظرن في وجهي ، ثم قالت إحداهن : شجرة نضرة ، وريحانة حسنة (١) ، وروضة زاهرة ، ثم قالت الثانية : عين غدقة ، قليل لبثها ، سريع فناؤها ، عجل ذهابها ، وقالت الثالثة : عدو لنفسه ، ضعيف في بطشه ، سريع إلى غشه ، 'مزال عن عرشه ، فاستيقظت من نومي وأنا فزعة بذلك ، وأخبرت بذلك بعض قهارمقي فقالت : بعض ما يطرق النائم ، وعبث من عبث

(١) في نسخة : وريحانة جنية .

التوابع ، فلما تم فصاله أخذت مرقدتي ليلة ومحمد أمامي في مهده ، إذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد ، فقالت إحداهن : **مَلِكُ جِبَارٍ** ، متلاف مهذار ، بعيد الآثار ، سريع العشار ، ثم قالت الثانية : ناطق مخصوم ، ومحارب مهزوم ، وراغب محروم ، وشقي مهموم ، وقالت الثالثة : احفروا قبره ، ثم شقوا لحده ، وقدموا أكفانه ، وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته ، قالت : فاستيقظت وأنا مضطربة ورجلة ، وسألت مفسري الأحلام والمنجمين ، فكل يخبرني بسعادته وحياته وطول عمره ، وقلبي يأبى ذلك ، ثم زجرت نفسي وقلت : وهل يدفع الإشفاق والحذر والاحتراز واقع القدر ، أويقدر أحد أن يدفع عن أحبائه الأجل ؟

**موت ابن عياش** : وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة مات أبو بكر بن عياش الكوفي الأسدي وهو ابن ثمان وتسعين سنة ، بعد موت الرشيد بثماني عشر ليلة .

**عزم الأمين على خلع أخيه** : ولما هم محمد بنخلع المأمون شاور عبدالله بن حازم ، فقال له : **أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تكون أول الخلفاء نكث عهده ، ونقض ميثاقه ، واستخف بيمينه ، فقال : اسكت أسكت الله فاك ؛ فعبد الملك بن صالح كان أفضل منك رأياً حيث يقول : لا يجتمع فحلان في هجمة (١) ، وجمع القواد وشاورهم فأتبعوه في مراده الى أن بلغ الى هرثة بن حازم فقال : يا أمير المؤمنين ، لن ينصحك من كذبك : ولن ينشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك ويبيعتك ، فان الغادر نخذول ، والناكث مفلول ، ودخل علي بن عيسى بن ماهان ، فتبسم محمد وقال : لكن شيخ هذه الدعوة ، وباب هذه الدولة ، لا يخالف إمامه ، ولا يوهن طاعته ، ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى ، فكان علي بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون ،**

(١) في نسخة : أجمه .

فسيره في جيش عظيم نحو خراسان فلما قرب من الري قيل له : ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن أن طاهراً لا يثبت له فقال والله ما طاهر الا شوكة من أغصاني وشرارة من ناري ، وما مثل طاهر يؤمر على جيش ، وما بينه وبين الموت الا ان تقع عينه على سوادكم ، فان السخال لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا تقدر على لقاء الأسد ، فقال له ابنه : ابعث طلائع وارقد موضعاً لعسكرك ، فقال : ليس مثل طاهر يستعد له بالمكايد ويستظهر له بالاحراز والتحفظ ، ان حال طاهر يؤدي الى أمرين : اما ان يتحصن بالري فيشب به اهله ويكفوناً مؤنته ، او يخليها ويدبر راجعاً ، لو قد قربت خيولنا منه ، فقال له ابنه : ان الشرارة ربما ضارت ضراماً ، فقال : اسكت ان طاهراً ليس قرناً في هذا الموضع ، وإنما تحترس الرجال من أقرانها . وسار علي بن عيسى حتى دنت عساكره من الري ، وتبين ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الأطراف ، فعدل الى رُستاق من رساتيق الري متياسراً عن الطريق ، فنزل به ، وانبسطت عساكره ، واقبل طاهر في نحو من اربعة آلاف فارس فاشرف على عساكر علي بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها ، فعلم ان لا طاقة له بذلك الجيش ، فقال لخواص من معه : نجعلها خارجية ، وكردس خيله كراديس ، وصمد في نحو القلب في سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان ، وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى المهدي ، وكان فارساً ، فقصد طاهر وضم يديه على سيفه فانثنى العباس وانضم المعروف بداود سياه الى علي بن عيسى وقد اخلتط الناس ، فضربه ضربة فأتى عليه ، وكان علي في ذلك الوقت على بردون كميث أرجل ، وتمالأ على رأسه الرجال ، وتنازعوا في خاتمه ورأسه ، فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجي ، وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته ، وآخر على خاتمه ، وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعاً للعباس بن الليث ، وبذلك سمي طاهر ذا اليمينين ؛ لجمعه يديه على السيف .

وذكر أحمد بن هشام - وكان من وجوه القواد - قال : جئت الى مضرب طاهر وقد توهم أنني 'قتلت' في المعركة ومعني رأس علي وقد شد ، فقال : البشري ، هذه خصلة من رأس علي مع غلامي في المخلاة ، فطرحة 'قدامة' ، ثم أتى يحمته ، وقد شدت يدها ورجلاه ، كما يفعل بالدواب اذا ماتت ، فأمر به طاهر فألقي في بئر ، وكتب الى ذي الرياستين الفضل بن سهل بالخبر ، فكان في الكتاب : أطال الله بقاءك ، وكتبت أعداك ؛ كتابي اليك ، ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمه في أصبعي ، والحمد لله رب العالمين ؛ فسر المأمون بذلك ، وسلم عليه في ذلك الوقت بالخلافة .

وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد ، فشاوهم بعض مجالس من الحكماء وشكا ذلك اليه ، فأشار عليه بأن 'يغيرها' ، فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه ، فلما وهبت له هاجر علقته منه بإسماعيل فغارت سارة عند ذلك ، فعلمت باسحاق ، فاشترى الرشيد أم المأمون ، فاستخلاها ، فعلمت بالمأمون ، فغارت ام جعفر عند ذلك فعلمت بمحمد .

قال المسعودي : وقد قدمنا التنازع في ذلك - أعني قصص ابراهيم وإسماعيل واسحاق عليهم السلام - وقول من ذهب الى ان إسحاق هو المأمور بذبحه ، ومن قال : بل اسماعيل ، وما ذكر كل فريق منهم في ذلك ، وقد تناظر في ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاة عكرمة ، وقد قال عكرمة : من المأمور بذبحه ؟ فقال : اسماعيل ، واحتج بقول الله عز وجل : ( ومن وراء اسحاق يعقوب ) ألا ترى أنه بشر إبراهيم بولادة اسحاق فكيف يأمره بذبحه ، فقال له عكرمة : أنا أوجدك (١) أن الذبيح اسحاق من القرآن ، واحتج بقول الله عز وجل : ( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى

(١) في نسخة : أنا أراخذك .



آل يعقوب ، كما أتمها على أوبيك من قبل ابراهيم وإسحاق ) فنعمته على ابراهيم : أن نجاه من النار ، ونعمته على اسحاق : أن فداه بالذبح ، وكانت وفاة عكرمة مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ، ويكنى أبا عبدالله ، مات في اليوم الذي مات فيه كثير عزة ، فقال الناس : مات عظيم الفقهاء وأهل العلم وكبير الشعراء ، وفيها كانت وفاة الشعبي .

الاحمر ينصب مجلس غناء وهو محاصر : . وحدث يوسف بن ابراهيم الكاتب قال : حدثني ابو إسحاق إبراهيم بن المهدي ، قال : بعث إليّ الأمين محمد وهو محاصر ، فصرت إليه ، فإذا هو جالس في طارمة خشبها من عود وصندل عشرة في عشرة ، وإذا سليمان بن ابي جعفر المنصور معه في جوف الطارمة ، وهي قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من انواع الإبريسم ، فسلمت فإذا قدّامه قده بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال ، وبين يدي سليمان قده مثله ، فجلست بإزاء سليمان ، فأتيت بقده كالأول والثاني ، قال : فقال : إنما بعثت إليكما لما بلغني قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان ، وما قد صنع في امرنا من المكروه ، وقابلنا به من الإساءة ، فدعوتكما لأفرج بكما وبجديتكما ، فأقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ، ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفاً ؛ قال : فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال ، فقال لها : غنينا ، فوضعت العود في حجيرها وغنت :

كَلَيْبٌ لِعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَكْثَرَ حَزْماً مِنْكَ ضَرْجٌ بِالدَّمِ

فتطير من قولها ، ثم قال لها : اسكتي قبّحك الله ، ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والإقطاب ، فأقبلنا نحادثه ونبسطة ، الى ان سلا وضحك ، ثم أقبل عليها وقال لها : مات ما عندك ، فغنت :

مُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتِ يَوْمًا بِكَسْرِي مَرَازِيَهُ

فأسكتها وزأرها<sup>(١)</sup> وعاد الى حالته الأولى ، فسليناها حتى عاد الى الضحك ، فأقبل عليها الثالثة فقال : غني فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يستمر بمكة سامر  
بلى نحن كما أهلها فأبادنا صروف الليلي والجدود العواثر  
وقيل : بل إنها غنت :

:أما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها : قومي عني فعل الله بك كذا وكذا وصنع بك ، فقامت فعمرت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرتة ، فانهرق الشراب ، وكانت ليلة قمرء ، ونحن على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد ، فسمعنا قائلاً يقول :  
( قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ) قال ابن المهدي : فقامت وقد وثب ، فسمعت منشداً من ناحية القصر ينشد هذين البيتين :

لا تعجب من العجب قد جاء ما يقضي العجب  
قد جاء امر فادح فيه لذي عجب عجب

قال : فما قمنا معه بعدها الى ان قتل .

وكان الأمين معجباً بأبم ولده نظم وهي أم موسى الذي كان سماه الناطق بالحق ، وأراد خلع المأمون والمقصد له من بعده ، فهلكت أم موسى نظم ، فجزع عليها جزعاً شديداً ، فلما اتصل الخبر بأبم جعفر زبيدة قالت : احملوني الى أمير المؤمنين ، فحملت إليه ، فاستقبلها وقال : يا سيدتي ماتت نظم ، فقالت :

نفسى فداؤك لا يذهب بك اللهبُ ففي بقائك مما قد مضى خلف  
عوضت موسى فهانت كل مرزئة ما بعد موسى على مفقودة أسف

(١) في نسخة : وزجرها .

هو الامين وقت الحصار ، وذكر ابراهيم بن المهدي قال : استأذنت على الامين يوماً ، وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه ، فأبوا ان يأذنوا لي بالدخول عليه ، الى ان كاثرت<sup>(١)</sup> ودخلت ، فإذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك ، وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة ، وفي المخترق شبك حديد ، فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم ، والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله ، فقال لي وقد ثنيت بالسلام وكررت : لا تدري<sup>(٢)</sup> يا عمي ؛ فمقرطتي قد ذهبت في البركة الى دجلة ، والمقرطة : سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيها حبتا در ، وقيل : يا قوت ؛ قال : فخرجت وأنا آيس من فلاحه ، وقلت : و ارقدع من وقت لكان هذا الوقت .

صفات الامين : وكان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطن والبهاء والجمال ، الا انه كان عاجز الرأي ، ضعيف التدبير ، غير مفكر في أمره .  
وحكي انه اصطحب يوماً ، وقد كان قد خرج اصحاب اللبايد والحراب على البغال - وهم الذين كانوا يصطادون السباع - الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثنى والقصر ، فاحتالوا في السبع الى ان أتوا به في قفص من خشب على جبل 'بخنتى' ، فحط بباب القصر وأدخل ، فمثل في صحن القصر والأمين مصطح ، فقال : خلوا عنه وشيلوا باب القفص ، فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه سبع هائل أسود وحش ، فقال : خذوا عنه ، فشالوا باب القفص ، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور ، فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس ، وغلقت الأبواب في وجهه ، وبقي الأمين وحده جالساً في موضعه غير مكترث بالأسد ، فقصده الأسد حتى دنا منه ، فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية ، فامتنع منه بها ، ومد السبع يده اليه ، فجذبها

(١) في نسخة : كاثرت . (٢) في نسخة : لا تؤذرنى فمقرطتي .

الأمين وقبض على أصل أذنيه ، وغمزه ثم هزّه أو دفع به الى خلف فوق السبع ميتاً على مؤخره ، وتبادر الناسُ الأمينَ فإذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها ، فأتني بمجبر فردّ عظام أصابعه الى مواضعها ، وجلس كأنه لم يعمل شيئاً ، فشقوا بطن الأسد فاذا مرارته قد انشقت عن كبده .

نبوءة بخلع الامين : وحكي أن المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من أهله؛ فقال لهم وهو مستبشر: أما علمتم أن محمداً المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى؟ فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما حثا في وجوههم الرماد ، وسكتوا ولم يجيروا جواباً ، فنظر اليهم المنصور فقال لهم : هذا موضع دعاء وتهنئة ، وأراكم قد سكتم ثم استرجع ، فقال لهم كأنني بكم لما أخبرتم بتسميتي إياه موسى اغتمتم به ، لأن المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذي على رأسه تختلف الكلمة وتسفك الدماء وتنتهب الخزائن ، ويضطرب الملك ، ويقتل أبوه ، وهو المخلوع من الخلافة ، ليس دو ذا ، لا ، ولا هذا زمانه ، والله إن جدّ هذا المولود - يعني هرون الرشيد - لم يولد بعد قال : فدعوا له وهنوه وهنوا المهدي ، وكان هذا موسى الهادي أخا الرشيد .

وكان العهد الذي كتبه الرشيد بين الأمين والمأمون وأودعه الكعبة أن الغادر منها خارجٌ من الأمر ، أيها غدر بصاحبه ، والخلافة للمغدور به . وذكر ياسر خادم أم جعفر ، وكان من خواصتها ، أنه لما أحيط بمحمد دخلت عليه أم جعفر باكياً ، فقال لها : مه ، إنه ليس يجزع النساء وهلمن هُتِنَتُ التيجان ، وللخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع ، وراءك وراءك . ويقال : إن محمداً قصف<sup>(١)</sup> عند طاهر ، فبينا طاهر في بستانه إذ ورد كتاب من محمد بخطه ، فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم أنه ما قام

(١) في نسخة : ان محمداً كان متضعفاً عند طاهر .

لنا مذ قمتنا قائم بحقنا وكان جزاؤه منا إلا السيف ، فانظر لنفسك أو دع ، قال : فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر ، فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته ، وقال لهم : والله ما هذا كتاب مضعوف ، ولكنه كتاب مخدول .

ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - من أبوه وأمه من بني هاشم ، إلا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومحمد بن زُبَيْدَةَ .

وفي محمد بن زُبَيْدَةَ يقول أبو الغول :

ملك أبوه وأمه من نبتة منها سراجُ الأمة الوهاجُ  
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفي سنة أربع<sup>(١)</sup> وتسعين ومائة كان ابتداءه بالغدر بالمأمون .

عبد الملك بن صالح بن علي : وفي سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقبة عبد الملك بن صالح بن علي في أيام الأمين وكان عبد الملك أفصح ولد العباس في عصره ، يقال : إن الرشيد لما اجتاز ببلاد مَنبِج من أرض الشام نظر الى قصر مشيد ، وبستان مُعتمَّ بالأشجار كثير الثمار ، فقال لعبد الملك : لمن هذا القصر ؟ قال : هو لك ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف بناء القصر ؟ قال : دون منازلك وفوق منازل الناس ، قال : فكيف مدينتك ؟ قال : عذبة الماء ، باردة الهواء ، صلبة الموطأ ، قليلة الأدوية ، قال : كيف ليها ؟ قال : سحر كله ، وقال له : يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم ! قال : فكيف لا تكون كذلك وهي تربة حمراء ، وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ، فيافي فيح ، وجبال وضيق ، بين قيصوم وشيح ، فالتفت الرشيد الى الفضل ابن الربيع فقال : ضرب الشياطين أهون علي من هذا الكلام .

(١) في نسخة : سبع وتسعين ومائة .

ولما سمي محمد ابنه « موسى الناطق بالحق » ، وأخذ له العهد على الناس  
الفضل بن الربيع وزيره ، وموسى يومئذ لا ينطق بأمر ، ولا يعرف حسناً  
ولا يعقل قبيحاً ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه في ليله ونهاره ويقظته  
ومنامه وقيامه وقعوده ، واحضنه علي بن عيسى بن ماهان قال في ذلك رجل  
أعمى من أهل بغداد يعرف بعلي بن أبي طالب :

أضاع الخلافة غش الوزير      وفسق الإمام ورأي المشير  
وما ذاك إلا طريق الغرور      وشر المسالك طرقت الغرور  
فمال الخليفة أعجوبة      وأعجب منه فعال الوزير  
وأعجب من ذا وذا أننا      نباع للطفل فينا الصغير  
ومن ليس 'يخسّن' مسح أنفه      ولم يخل من متنه حجر ظير  
وما ذاك إلا بباغ وغاوير      يريدان نقض الكتاب المنير  
وهذان لولا انقلاب الزمان      أفي العير هذان أم في النفير  
ولكنها فتن كالجبا      ل نرتع فيها بصنع الحفير

ولما قتل طاهر بن الحسين علي بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان ، وذلك  
على خمسة أيام من مدينة السلام ، فتمعجب الناس من زيادة أمره ، وإدبار  
أصحاب الأمين وهزيمتهم على كل حال ، وأيقنت القلوب بغلبة طاهر وظهور  
المأمون ، وأسقط في يدي الفضل بن الربيع وأصحابه ، فقال الشاعر الأعمى  
في ذلك ، وكان مأمونياً متعصباً على محمد بن زبيدة مع المأمون ، وكان من  
أهل بغداد ومقامه بها ، من أبيات :

عجبت لمشر يَرْجُونَ 'نَجْحاً'      لأمر ما تم له الأمور  
وكيف يتم ما عقدوا وراموا      وأس بنائهم منه الفجور  
أهاب الى الضلال بهم غويّ      وشيطان مواعده غرور  
يصيب بهم ويلعب كل لعب      كما لعبت بشارها الخور

وكادوا الحق والمأمون غدرا وليس بمفلح أبد غدور  
هو العدل النجيب البرّ فينا تضمن حبه منا الصدور  
وعاقبة الأمور له يقيناً به شهد الشريعة والزبور  
فيملك أربعين لها وناه تم به الأهلة والشهور  
فكيدوا أجمعين بكل كيد وكيدكم له فيه السرور  
وبلغ محمداً فجمع قواده وبطانته عندما ظهر من أمر طاهر ، وشاورهم  
وقال : أحضروا لي غناءكم كما أحضرت خراسان لعبدالله غناها ، وكانت  
كما قال اعشى ربيعة :

ثم ما هابوا ولكن قدموا كبش غارات اذا لاقى نطح

اما والله لقد حدثت بأحاديث الأمم السالفة ، وقرأت كتب حروبها  
وقصص من اقام دولها ، فما رأيت في حديثهم<sup>(١)</sup> حديثاً لرجل منهم -وابي-  
كهذا الرجل في اقدامه وسياسته ، وقد قصدي واجترأ علي ، وتولى الهامة  
العظيمة من الجند وجمع القواد وساسة الحروب ، فهاتوا اليوم ما عندكم ،  
فقالوا : يُبقي الله امير المؤمنين يكفيه كما كفى الخلفاء قبله بنفي من  
بنفي عليهم .

ولما انهزم جيش محمد بن يدي طاهر ولم يبق له قائمة منهم قال سليمان  
ابن ابي جعفر : لعن الله الغدار ، ماذا جلب على الأمة بغيره وسوء رأيه ،  
وابعد الله نسبه من اهل الفضل ، ما اسرع ما انتصر الله للمأمون بكبش المشرق  
يعني طاهراً وفي ذلك يقول الشاعر :

تباً لذي الآثام والمنتزندق ماذا دعاه الى العظيم الموبق  
والقدر بالبر الزكي أخي التقى والسائس المأمون غير الأخرق  
زين الخلافة والإمامة والنهي اهل السباخة والندی المتدفق

(١) في نسخة : فما رأيت في ذلك كله حديثاً لرجل منهم .

إن تغدروا جهلا بوارث احمد ووصي كل مسدد وموفق  
 فالله للمأمون خير مؤازر والماجد القمقام كبش المشرق  
 من الامين الى طاهر بن الحسين : ولما احيط بمحمد من الجانب الشرقي  
 والغربي ، وكان هرثة بن اعين نازلا مما يلي النهروان بالقرب من باب  
 خراسان ، وثلاثة ابواب ، وطاهر من الجانب الغربي مما يلي اليامرية  
 وباب المحول والكناسة ، جمع قواده فقال : الحمد لله الذي يضع من يشاء  
 بقدرته ويرفع ، والحمد لله الذي يعطي بقدرته من يشاء ويمنع ، والحمد لله  
 الذي يقبض ويبسط واليه المصير ، احمده على نوائب الزمان ، وخذلان  
 الأعوان ، وتشتت الحال ، وكسوف البال ، وصلى الله على محمد رسوله وآله  
 وسلم ، وقال : اني لأفارقكم بقلب موجه ، ونفس حزينة ، وحسرة عظيمة ،  
 وإني محتال لنفسي ، فاسأل الله ان يلفظ بي بمعونته ، ثم كتب الى طاهر :  
 أما بعد ، فإنك عبد مأمور تنصحت فنصحت ، وحاربت فنصرت ، وقد  
 يغلب الغالب ، ويخذل المفلح ، وقد رأيت الصلاح في معاونة أخي ، والخروج  
 اليه من هذا السلطان ، اذ كان أولى به وأحق ، فأعطني الأمان على نفسي  
 وولدي وأمي وجدتي وخدمي وحاشيتي وأنصاري وأعواني حتى أخرج اليك  
 وأتبرأ من هذا الأمر الى أخي ، فان رأى الوفاء لي بأمانك وإلا كان أولى  
 وأحق ، قال : فلما قرأ طاهر الكتاب قال : الآن لما ضيق خناق ، وهيبض  
 جناحه ، وانهمز فساقه ؟ لا والذي نفسي بيده حتى يضع يده في يدي  
 وينزل على حكمي ، فعند ذلك كتب الى هرثة يسأله النزول على حكم أمانه .  
 وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله من الأبناء وغيرهم ممن استأمن اليه  
 لدفع المأمونية عنه ، فمالوا نحو هرثة ، وكان طاهر بن الحسين يمد هرثة بالرجال ،  
 ولم يلق هرثة مع ذلك كثير كيد ، فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثة وعلى  
 الجيش بشر وبشير الأزديان بعث اليها طاهر يتوعدهما ، فلم يأمن صولته ،  
 لإشرافه على الفتح ، فغلبا عن الجيش ، وانقض الجمع ، وكان طاهر قد نزل



في البستان المعروف بباب الكباش الطاهري ؛ ففي ذلك يقول بعض الميادين  
من أهل بغداد ومن أهل السجون :

لنا من طاهر يومٌ عظيمُ الشأن والخطب  
علينا فيه بالأنجاء د عن هرثة الكلب  
ومنا لأبي الطيب يوم صادق الكرب  
أناه كل طرار ولص كان ذا نقب<sup>(١)</sup>  
وعريان على جنبيه آثار من الضرب  
إذا ما حلّ من شرق اتيناه من الغرب

وضاق الأمر بمحمد الأمين ففرق<sup>(٢)</sup> في قواده المحدثين دون هيرم خمائة  
ألف درهم وقارورة غالية ، ولم يعط قدماء أصحابه شيئاً ، فأتت طاهراً  
عيونه وجواسيسه بذلك ، فراسلهم وكاتبهم ، ووعدهم ومنّاهم ، وأغرى  
الأصاغر بالقادة ، حتى غضبوا لذلك ، وشغبوا على الأمين ، وذلك يوم  
الاربعاء لست ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة ، فقال  
رجل من المشغبة على الأمين :

قل لأمين الناس في نفسه ما شئت الجند سوى الغالية  
وطاهر - نفسي فدى طاهر - برؤسه والعُدّة الكافية  
أضحى زمامُ الملك في كفه مقابلاً للفئة الباغية  
يا ناكثاً أسلمه نكته عيوبه من حينه فاشيه  
قد جاءك الليث بشدّاته مستكلباً في أسد ضاربه  
فاهرب فلا مهرب من مثله إلا إلى النار أو الهاويه

ونقل طاهر من الياسرية ، فنزل في باب الأنبار ، وحاصر أهل بغداد ،  
وغادى القتال وراوحوه ، حتى توارى الفريقان ، وخربت الديار ، وعفت

(١) في نسخة : أناه كل كرار . (٢) في نسخة : رأتى عمداً المال ففرق في قواده - الخ.

الآثار ، وغلت الأسعار ، وذلك في سنة ست وتسعين ومائة ، وقاتل الأخ  
أخسائه والابن أباه ، هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية ، وهدمت المنازل ،  
وأحرقت الديار ، وانتهبت الأموال ، فقال الأعمى في ذلك المعروف بعلي  
أبي طالب :

تقطعت الأرحام بين العشائر  
فذاك انتقام الله من خلقه بهم  
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة  
ولم نستمع من واعظ ومذكر  
فنبكي على الإسلام لما تقطعت  
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم  
وصار رئيس القوم يحمل نفسه  
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة  
فمن قائم يدعو إلى الجهد عامداً  
ترام كأمثال الذئب رأت دماً  
إذا هدم الأعداء أول منزل  
فأصبحت الأغنام بين بيوتهم  
وأصبح فساق القبائل بينهم  
فنبكي لقتلى من صديق ، ومن أخ  
ووالدة تبكي بحزن على ابنها  
وذات حليل أصبحت وهي أيمم  
تقول له : قد كنت عزاً وناصرأ  
وأبنت لإحراق وهدم منازل  
وابراز ربّات الخدور حوامراً

وأسلمهم أهل التقى والبصائر  
لما اجترموا من ركوب الكبائر  
ولا نحن أصلحنا فساد السرائر  
فينجع فينا وعظ ناه وأمر  
رجاه ، ورجى خيرا كل كافر  
فمن بين مقهور ذليل وقاهر  
وصار رئيساً فيهم كل شاطر  
ولا يستطيع البرّ دفعا لفاجر  
ومن أول قد سن عنا لآخر  
فأمتنه لا تلوي على زجر زاجر  
بسميهم قاموا يهدم الأواخر  
تحشم بالمرهفات البواتر  
تشد على أقرانها بالحناجر  
كريم ، ومن جار شفيق مجاور  
فبيكي لها من رحمة كل طائر  
وتبكي عليه بالدموع البوادر  
فغيب عني اليوم عزّي وناصري  
وقتل وإنهاب السهى والذنائر  
خرجن بلا خمر ولا بآزر

تراها حيارى ليس تعرف مذهباً  
 كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً  
 بلى ، هكذا كانت فذهب حسنها  
 وحل بهم . ما حل بالناس قبلهم  
 أبغداد ، يا دار الملوك ، ومجتنى  
 ويا جنة الدنيا ، ويا مطلب الغنى  
 أبيني لنا : أين الدين عهدتهم  
 وأين الملوك في المواكب تغتدي  
 وأين القضاة الحاكمون برأيهم  
 أو القائلون الناطقون بحكمة  
 وأين مراح للملوك عهدتها  
 ترش بماء المسك والورد أرضها  
 وراح الندامى فيه كل عشية  
 وهو قياتٍ تستجيب لنغمها  
 فما للملوك الغر من آل هاشم  
 يروحون في سلطانهم وكأنهم  
 تحاذل عما نالهم كبراً وهم  
 فأقسم لو أن الملوك تناصروا

نوافر أمثال الظباء النوافر  
 وملهى رآته عين لاهٍ وناظر  
 وبدد منها الشمل حكم المقادر  
 فأضحوا أحاديثاً لبادٍ وحاضر  
 صنوف المنى ، يا مستقر المنابر  
 ومستنبط الأموال عند المتاجر  
 يحلون في روض من العيش زاهر ؟  
 تشبه حسناً بالنجوم الزواهر ؟  
 لورد أمور مشكلات الأوامر ؟  
 ورصف كلام من خطيب وشاعر  
 مزخرفة فيها صنوف الجواهر  
 يفوح بها من بعد ربح الهامر  
 الى كل فياض كريم العناصر  
 اذ هو لبأها حنين المزاهر  
 وأشباعهم فيها اكتفوا بالمفاخر  
 يروحون في سلطان بعض المشائر  
 فناهم بالكره أيدي الأصغر  
 لذت لها خوفاً رقاب الجبابر

قف على القاب قادة الجيش ( الضباط ) : وبعث هرثة بن أعين بزهير  
 ابن المسيب الضبي من الجانب الشرقي ، فنزل الماطر مما يلي كلواذا ، وعشر  
 ما في السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ، ونصب على بغداد  
 المنجنيقات ، ونزل في رقة كلواذا والجزيرة ، فتأذى الناس به ، وصمد نحوه  
 خلق من العيارين وأهل السجون ، وكانوا يقاتلون عراة في أوساطهم التباين  
 والمنازر ، وقد اتخذوا الرؤوسهم دواخل من الخوص وسموها الخوذ ، ودرقا

من الخوص والبواري قد قُيِّرت وحشيت بالحصي والرمل ، على كل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، ولكل ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده ، فالعريف له أناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة ، وكذلك النقيب والقائد والأمير ، وناس عرابة قد جعل في أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر ، ومقاود قند اتخذت لهم ، ولجم وأذئاب من مكائس ومذاب ، فبأبي العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤوسهم خوذ الخوص ودرق البواري ، وبأبي النقيب والقائد والأمير كذلك ، فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول الفرء الجواشن والدروع والتجايف والسواعد والرماح والدرق التبتية ؛ فهؤلاء عرابة وهؤلاء على ما ذكرنا من العدة فكانت للمرأة على زهير ، وأتاه المدد من هرثة ، فانهزمت العرابة ، ورمت بهم خيولهم : وتحاصروا جميعاً ، وأخذهم السيف ، فقتل منهم خلق ، وقتل من النظارة خلق ، فقال في ذلك الأعمى (١) ، وذكر رمي زهير بالمنجنيق :

لا تقرب المنجنيق والحجرا وقد رأيت القتيل إذ قبرا  
باكرَ كيلا يفوته خبر راح قتيلا وخلف الخبرا  
أراد ألا يقال كان لهم أمر فلم يدر ما به أمرا  
يا صاحب المنجنيق ما فعلت كفاك ؟ لم تبقي ولم تذرا  
كان هواه سوى الذي أمرا هيات أن يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الأمر بالأمين في أرزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرأ ، وأعطى رجاله ، وتميز الى طاهر الحربية وغيرها من الأرباض مما يلي باب الأنبار ، وباب حرب ، وباب قطربل ، فصارت الحرب في وسط الجانب

(١) في نسخة : فقال في ذلك بعضهم .

الغربي ، وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحريق والهدم ببغداد والكرخ وغيره من الجانبين ، حتى درست محاسنها ، واشتد الأمر ، وتقل الناس من موضع إلى موضع ، وعم الخوف ، فقال الشاعر :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين      ألم تكوفي زماناً قرّة العين ؟  
 ألم يكن فيك قوم كان قريهمُ      وكان مسكنهم زيناً من الزين ؟  
 صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا      ماذا لقيت بهم من لوعة البين ؟  
 استودع الله قوماً ما ذكرتهم      إلا تحدرّ ماء الدمع من عيني  
 كانوا ففرّقهم دهر وصدّعهم      والدهر يصدع ما بين الفريقين

ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين اربعة عشر شهراً ، وضافت بغداد بأهلها ، وتعطلت المساجد ، وتركت الصلاة ، ونزل بها ما لم ينزل بها قط مثله ، مذ بناها ابو جعفر المنصور ، وقد كان لأهل بغداد في ايام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من خروج العيارين الى الحرب وقد اتخذوا خيلاً منهم وأمراء كالملقب بنينويه خالويه وغيرهم ، يركب الواحد منهم على واحد من العيارين ويسير الى الحرب في خمسين ألف عرابة ، ولم ينزل بأهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع ، وقد استعظم أهل بغداد ما نزل بهم في هذا الوقت في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خروج ابي اسحاق المتقي لله عنهم ، وما كان قبل هذا الوقت من البريديين ، وابن رائق وتوزون التركي ، وما دفعوا اليه من الوحشة بخروج ابي محمد الحسن بن ابي الهيجاء عبدالله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه علي بن عبدالله الملقب بسيف الدولة عليهم ، لبعده العهد بما حلّ بالمنازل بها ، وطول السنين ، وغيبة ذلك عنهم وبعدهم منه ، وتقدم مثل اولئك العيارين الذين كانوا في ذلك العصر ، واشتد الأمر بين المأمونية والعرابة وغيرهم من اصحاب المخلوع ، وحوصر محمد في قصره من الجانب الغربي ، فكان بينهم في بعض الأيام وقعة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين ، فقال في ذلك حسين الخليع :

لنا النصر بعون الله والكفرة لا الفرة  
وللمرأق أعدائك يوم السوء والبره  
وكأس يلفظ الموت كربه طعمها مره  
سقونا وسقيناهم ولكن لهم آخره  
أمين الله ثق بالله تُعْطَ الصبر والنصره  
كِلِ الأمر الى الله كلاك الله ذو القدره  
كذلك الحرب أحيانا علينا ولنا مره

وقعة دار الرقيق : وكانت وقعة اخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير ، وكثر القتل في الطرق والشوارع ، ينادي هذا بالمأمون والآخر بالخلوع ، ويقتل بعضهم بعضا ، وانتهت الدور ، فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة بما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وماله ، وفي ذلك يقول الشاعر :

بكت عيني على بغداد لما	فقدت غضارة العيش الأنيق
تبدلنا هموماً من سرور	ومن سعة تبدلنا بضيق
اصابتنا من الحساد عين	فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قصرأ	ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادي : يا صحابي	وقائلة تنادي : يا شقيقي
وحوراء المدامع ذات دلّ	مضمخة الجاسد بالخلوق
تنادي بالشفيق ؛ فلا شفيق	وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم اخرجوا من ظل دنيا	متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى	بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتلهم جميعاً	فما يدرون من أي الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه	وقد هرب الصديق عن الصديق
ومها أنس من شيء تولى	فإني ذاكر دار الرقيق

**صرامة العرارة :** وسأل قائد من قواد خراسان طاهراً أن يجعل له الحرب في يومها له فيه ، ففعل طاهر له ذلك ، فخرج القائد وقد حقرهم ، وقال : ما يبلغ من كيد هؤلاء ، ولا سلاح معهم ، مع ذوي البأس والنجدة والسلاح والعدة؟ فبصر به بعض العرارة وقد راماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد ، وظن ان العريان فنيت حجارته ، فرماه بحجر بقيت في الخلاة ، وقد حمل عليه القائد ، فما اخطأ عينه ، وثناه بحجر آخر ، فكاد يصرع القائد عن فرسه ، ووقعت البيضة عن رأسه ، ففكر راجعاً وهو يقول : ليس هؤلاء بناس ، هؤلاء شياطين ، ففي ذلك يقول أبو يعقوب الخريمي :

الكرخ اسواقه معطلة      يستن عيارها وعابرها  
خرجت الحرب من أراذلهم      أسود غيل علت قساورها

وقال علي الأعمى :

خرجت هذه الحروب رجالا      لا لقعطان ، لا ، ولا لنزار  
معر في جواشن الصوف يغدو      ن إلى الحرب كالليوث الضواري  
ليس يدرون ما الفرار إذا ما      أبطال عاذوا من الفنا بالفرار  
واحد منهم يشد على ألفين      عريان ما له من إزار  
ويقول الفقى إذا طمن الطمينة :      خذها من فتى العيار

**الوقائع الحاسمة :** واشتد القتال في كل يوم ، وصبر الفريقان جميعاً ، وصار حامية الخلوغ وجنده العرارة أصحاب خوذ الخوص ودرق البواري ، وضائق طاهر القوم ، وأقبل يقتطع من بغداد الشارع بعد الشارع ، ويصير في حيزه أهل تلك الناحية معاوين له في حربه ، وأقبل الهدم يكثر فيما ليس من حيزه ، ثم جعل يحفر الخنادق بينه وبين أصحاب الخلوغ في مواضع الدور والمنازل والقصور ، وأصحاب طاهر في قوة وإقبال ، وأصحاب الخلوغ في نقص وإدبار ، وأصحاب طاهر يهدمون ، وأصحاب الخلوغ يأخذون بعض

الدور من الحشب وأثواب وغير ذلك ، وينهبون المتاع ، فقال رجل  
من الحمديّة :

لنا كل يوم ثلثة لا نسدها      يزيدون فيما يطلبون وتنقص  
إذا هدموا داراً أخذنا سُوقها      ونحن لأخرى مثلها نتربص  
يثيرون بالطبل القنيص ، وإن بدا      لهم وجهُ صيدٍ من قريب تقنصوا  
وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها      علينا فما ندري إلى أين نشخص  
إذا حضروا قالوا بما يبصرونه      وإن لم يروا شيئاً قبيحاً تخرصوا  
وقد رخصت قراؤنا في قتالهم      وما قتل المقتول إلا المرخص

ولما نظر طاهر إلى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم  
موادّ الأقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرها من الطرق ، فكان الخبز في  
حد المأمونية عشرين رطلاً بدرهم ، وفي حد الحمديّة رطل بدرهم ، وضافت  
النفوس وأيسوا من الفرج ، واشتد الجوع ، وسر من سار إلى حيز طاهر ،  
وأسف من بقي مع المخلوع ، وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة ،  
وقصد باب الكباش (١) ، فاشتد القتال ، وتبادرت الرؤوس ، وعمل السيف  
والنار ، وصبر الفريقان ، وكان القتل أعم في أصحاب طاهر ، وقني خلق  
من العراة اصحاب نخالي الحجارة والآجر وخوذ الخوص ودرق الحصر والبواري  
ورماح القصب وأعلام الخرق وبوقات القصب وقرون البقر ، وكان ذلك في  
يوم الأحد ؛ ففي ذلك يقول الأعمى :

وقعة يوم الأخذ      كانت حديث الأبد  
كم جسد أبصرته      ملقى وكم من جسد  
وناظر كانت له      منية بالرصد  
أناه سهم عائر      فشق جوف الكبد

(١) في نسخة : وتوجه نحو باب العكناس ، واشتد الجلال .



وأخبر ملتهب مثل التهاب الأسد  
وقائل : قد قتلوا ألفاً ولما يزد  
فقائل : أكثر ، بل ما لهم من عدد  
قلت لمطمون وفيه طعنة لم تشد :  
من أنت ؟ يا ويلك يا مسكين من محمد  
فقال : لا من نسب دان ، ولا من بلد  
ولا أنا للغني قا قلت ولا للرشد  
ولا لشيء عاجل يصير منه في يدي

ولما ضاق بمحمد الحال واشتد به الحصار أمر قائداً من قواده يقال له  
ذريح أن يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم ،  
وقرن معه آخر يعرف بالهرش ، فكانا يهجمان على الناس ، ويأخذان بالظنة ،  
فاجتبيا بذلك السبب أموالاً كثيرة ، فهرب الناس بعة الحج ، وفرّ الأغنياء  
من ذريح والهرش ففي ذلك يقول عليّ الأعمى :

أظهروا الحج وما يبغونه بل من الهرش يريدون الهرب  
كم أناس أصبحوا في غبطة ركض الليل عليهم بالعطب  
كل من زار ذريح بيته لقي الذل ووافاه الحرب  
في شعر له طويل .

ولما عم البلاد أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر أنهم  
ممنوعون منه ومن الخروج إليه ، ومغلوب عليهم وعلى أموالهم ، وأن العرأة  
والباعة هم الآفة ، فقال بعضهم : إنكم ان كاتبتم طاهراً لم تأمنوا صولة  
المخلوع بذلك ، فدعوم فإن الله مهلكهم ، وقال قائلهم :

دعوا أهل الطريق فمن قريب تنالهم مخالب الهصور  
فتهتك حجب أكباد شداد وشيكاً ما تصير إلى القبور  
فان الله مهلكهم جميعاً لأسباب التمرد والفجور

وقارت العُراة ذات يوم في نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات من القراطيس على رؤوسها ، ونفخوا في بوقات القصب وقرون البقر ، ونهضوا مع غيرهم من الحمديّة ، وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المأمونية ، فبعث إليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة ، فاشتد الجلاذ ، وكثر القتل ، وكان للعُراة على المأمونية الى الظهر ، وكان يوم الاثنين ، ثم ثارت المأمونية على العُراة من أصحاب محمد ؛ ففرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ، وفي ذلك يقول الشاعر الأعمى :

بالأمير الطاهر بن الحسين صبوحنا صبيحة الاثنين  
جمعوا جمعهم فثار إليهم كل صلب القناة والساعدين  
يا قتيل العُراة ملقى على الشطّ تطاه الخيول في الجانبين  
ما الذي كان في يديك إذا ما اصططح الناس أية الخلتين  
أوزير أم قائد ، بل بعيد أنت من ذين موضع الفرقدين  
كم بصير غدا بعينين كي ينظر ما حالهم فراح بعين  
ليس يُخطون ما يريدون ما إن يقصدوا منهم سوى الناظرين

واشتد الأمر بمحمد الخلوع ، فباع ما في خزائنه سرأ ، وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ، ولم يبقَ معهم ما يعطيهم ، وكثرت مطالبتهم إياه ، وضيق عليه طاهر ، وكان نازلاً بباب الأنبار في بستان هنالك ، فقال محمد : وددت أن الله قتل الفريقين جميعاً ؛ فما منهم إلا عدو : مَنْ معي ومَنْ عليّ ؛ أما هؤلاء فيريدون آمالي ، وأما أولئك فيريدون نفسي ، وقال :

تفرّقوا ودّعوني يا معشر الأعوان (١)  
فلكم ذو وجوه كثيرة الألوان  
وما أرى غير إفك وتُرّهات الأماني

(١) في نسخة : تفرّقوا أو دعوني .

ولست أملك شيئاً فسائلوا إخواني  
فالويل فيما دهاني من نازل البستان

يعني طاهر بن الحسين .

ولما اشتد الأمر عليه وجدّه به ونزل هرثة بن أعين بالجانب الشرقي ،  
وطاهر بالجانب الغربي ، وبقي محمد في مدينة أبي جعفر ، شاور من حضره  
من خواصه في النجاة بنفسه ؛ فكل أدلى برأي ، وأشار بوجه ؛ فقال قائل  
منهم : تكاتب ابن الحسين وتحلف له بما يثق به أنك مفوض أمرك إليه ،  
لعله أن يجيبك الى ما تريد منه ، فقال : ثكلتك أمك ! لقد أخطأت، البرأي  
في طلبي المشورة منك ، أما رأيت ثار رجل لا يؤول الى عذر<sup>(١)</sup> ؟  
وهل كان المأمون لو اجتهد لنفسه وتولّى الأمر برأيه بالفأ عشر ما بلغه  
له طاهر ؟ ولقد دستت وفحصت عن رأيه ؛ فما رأيت يطلب  
إلا تأثيل المكارم ، وبُعْدَ الصيت والوفاء ، فكيف أطمع في استدلاله  
بالأموال وفي غدره والاعتماد في عقله ؟ ولو قد أجاب إلى طاعتي وانصرف  
إليّ ، ثم ناصبني جميعُ الترك والديلم ما اهتمت بمناصبتهم ، ولكنك كما  
قال أبو الأسود الدؤلي في الأزد عند إجارتها زياد بن أبيه :

فما رآهم يطلبون وزيره وساروا إليه بعد طول تمّادٍ  
أتى الأزد إذ خاف التي لا بقا لها عليه ، وكان الرأي رأي زياد  
فقالوا له : أهلا وسهلا ومرحبا أصبّت فكاشف من اردت وعاد  
فأصبح لا يخشى من الناس كلهم عدواً ، ولو مالوا بقوة عاد

والله لو ددت أنه أجابني إلى ذلك فأبجته خزائني، وفوّضتُ إليه ملكي ،  
ورضيت بالمعاش تحت يديه ، ولا أظنني مفلته ، ولو كانت لي ألف نفس .  
فقال السندي : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ولو أنك أبوه الحسين بن

(١) في نسخة : لا يؤول الى غدر .

مصعب ما استبقاك ، فقال محمد : وكيف لنا بالخلاص إلى هرة ولات حين  
مناص اوراسل هرة ، ومال إلى جنبته ، فوعده هرة بكل ما أحب ،  
وأنه يمنعه ممن يريد قتله ؛ وبلغ ذلك طاهراً ، فاشتد عليه وزاد غيظه  
وحنقه<sup>(١)</sup> ، ووعده هرة أن يأتيه في حراقة إلى مشرعة باب خراسان فيصير  
به إلى عسكره هو ومن أحب ، فلما هم محمد بالخروج في تلك الليلة - وهي  
ليلة الخميس ، لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة - دخل إليه  
الصعاليك من أصحابه ، وهم فتیان الأبناء والجنود ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين ،  
ليس معك من ينصحك ، ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة ، وفي إصطبلك  
سبعة آلاف فرس يحمل كل منا على فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ، ونخرج  
في هذه الليلة ، فما يُقدم علينا أحد إلى أن نصير إلى بلد الجزيرة وديار ربيعة ،  
فنجبي الأموال ، ونجمع الرجال ، ونتوسط الشام وندخل مصر ، ويكثر  
الجيوش والمال ، وتعود الدولة مقبلة جديدة ، فقال هذا : والله الرأي ، فعزم  
على ذلك وهم به وجنح إليه ، وكان لظاهر في جوف دار الأمين غلمان  
وتخدم من خاصة الأمين يبعثون إليه بالأخبار ساعة فساعة ، فخرج الخبر إلى  
ظاهر من وقته ، فخاف ظاهر وعلم أنه الرأي إن فعله ، فبعث إلى سليمان بن  
أبي جعفر وإلى ابن نهبك والسندي بن شاهك - وكانوا مع الأمين - إن لم  
تزيلوه عن هذا الرأي لأخر بن دياركم وضياعكم ولأزيلن نعمكم ولأتلفن<sup>(٢)</sup>  
نفوسكم ، فدخلوا على الأمين في ليلتهم ، فأزالوه عن ذلك الرأي ، وأناه  
هرة في الحراقة إلى باب خراسان ، ودعا الأمين بفرس يقال له الزهيري ،  
أغر محجل أدم محذوف ، ودعا الأمين بابنيه موسى وعبد الله فعانقها وشمها  
وبكر ، وقال : الله خليفتي عليكما ، فلست أدري ألتقي معكما بعدها  
أو لا ؛ وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود ، وقُدَّامه شمعة ، حتى أتى باب  
خراسان إلى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة ، فقبل هرة بين

(١) في نسخة : وزاد غضباً . (٢) في نسخة : وأزيل نعمكم وأتلف .

عينيه ، وقد كان طاهر نمي إليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين في الزوارق على الشط ، فدفعت الحراقة ، ولم يكن مع هرثة عدة من رجاله ، فأتى أصحاب طاهر عرّاة ففاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها ، فلم يكن هرثة شاغل إلا أن نجحاً بحشاشة نفسه ، فتعلق بزورق ، وصعد إليه من الماء ومضى إلى عسكره من الجانب الشرقي ، وشق محمد ثيابه عن نفسه ، وسَبَحَ فوق نحو السراة إلى عسكر قرين الديراني غلام طاهر فأخذه بعض السواس حين ثم منه رائحة المسك والطيب ، فأتى به قريناً فاستأذن فيه طاهراً ، فأناه الإذن في الطريق وقد حمل إلى طاهر فقتل في الطريق وهو يصيح : إن لله وإنا إليه راجعون ، أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخو المأمون ، والسيوفُ تأخذه حتى برَدَ ؛ وأخذوا رأسه ، وكانت ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

وذكر أحمد بن سلام - وقد كان مع الأمين في الحراقة حين انقلبت<sup>(١)</sup> - فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر وأراد قتله ، فأرغبه في عشرة آلاف درهم ، وأنه يحملها إليه في صبيحة تلك الليلة ، فقال : فأدخلت بيتاً مظلماً فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ رجلٌ عريان عليه سراويل وعمامة قد تلثم بها ، وعلى كتفه خرقه فجعلوه ممي ، وتقدموا إلى من في الدار في حفظنا ، فلما استقر في الدار حسر العمامة عن وجهه فإذا هو محمد ، فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي ، وجعل ينظر إليّ ثم قال : أيهم أنت ؟ قلت : أنا مولاك يا سيدي ، قال : وأي الموالي أنت ؟ قلت : أحمد بن سلام ، قال : أعرفك بغير هذا ، كنت تأتيني بالرقّة<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : نعم ، ثم قال : يا أحمد ، قلت : لبيك يا سيدي ، قال : ادنُ مني وضمّني اليك فإني أجد واحة شديدة ، قال : فضمته إليّ ، فإذا قلبه يخفق خفقاناً شديداً ، ثم قال : أخبرني عن أخي المأمون أحيي هو ؟ قلت له : فهذا القتال عنم إذن ؟ قال :

(١) في نسخة : حين أصيبت . (٢) في نسخة : أكنت بالحراقة .

قبحهم الله ! ذكروا أنه مات ، قلت : قبح الله وزراءك ! فهم أوردوك هذا المورد ، فقال لي : يا أحمد ليس هذا موضع عتاب ؛ فلا تقل في وراثتي إلا خيراً فما لهم ذنب ، ولست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه ، قلت : ألبس إزارني هذا وارم بهذه الخرقه التي عليك ، فقال : يا أحمد من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ، ثم قال لي : يا أحمد ما أشك أنهم سيحملونني الى أخي أفترى أخي قاتلي ؟ قلت : كلا ، إن الرحم متعطفه عليك ، فقال لي : هيات ! الملك عقيم لا رحم له ، فقلت له : إن أمان هرثة امان أخيك ؛ قال : فلقنته الاستغفار وذكر الله ، فبينما نحن كذلك إذ فتح باب البيت ودخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع في وجه محمد مستتباً له ، فلما أثبتته معرفة خرج وأغلق الباب وإذا هو محمد الطاهري ؛ قال : فعلت ان الرجل مقتول ؛ وقد كان بقي علي من صلاتي الوتر ، فخفت أن أقتل ولم أوتر ، ففقت لأوتر ، فقال لي : يا أحمد لا تبعد مني وصل بقربي ، فإني أجد وحشة شديدة ، فدنوت منه ، فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ، ففتح الباب فإذا قوم من العجم بأيديهم السيوف مُصلّية ، فلما أحس بهم محمد قام قائماً وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهبت والله نفسي في سبيل الله ، أما من حيلة ؟ أما من مغيث ؟ وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه ، وجعل بعضهم يقول لبعض : تقدم ، ويدفع بعضهم بعضاً : فأخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول : أنا ابن عم رسول الله ، أنا ابن هارون الرشيد ، أنا اخو المأمون ، الله الله في دمي ، فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح بالفارسية : قتلني الرجل ، فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه في خاصرته ، وكبوه فذبجوه من قفاه ، وأخذوا رأسه ، ومضوا به الى طاهر . وقد قيل في كيفية قتله غير هذا ، وقد اتينا على التنازع في ذلك في

الكتاب الاوسط .

وأتي بخادمه كوثر ، وكان حظيته ، معه الخاتم والبردُ والسيف والقضيب ، فلما أصبح طاهر أمر برأسه ، فنصب على باب من ابواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قَطْرُبُلْ في الجانب الغربي ، الى الظهر ، ودفنت جثته في بعض تلك البساتين .

ولما وضع رأس الأمين بين يدي طاهر . قال : اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ، وحمل الرأس الى خراسان إلى المأمون في منديل والقطن عليه والأطلية ، فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه ؛ فقال له الفضل بن سهل : الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة ، فان محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيتك (١) ، فأمر المأمون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له : لعن هذا الرأس ، فقال لعن الله هذا ولعن والديه ، وما ولدا وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم ، فقيل له : لعنت أمير المؤمنين ، وذلك بحيث يسمعه المأمون منه فتبسّم وتغافل ، وأمر بحط الرأس ، وترك ذلك المخلوع ، وطيب الرأس وجعله في سبط ، ورده الى العراق فدفن مع جثته ، ورحم الله أهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ، ورتاه الشعراء ، وقالت زبيدة أم جعفر والدته :

أودى بإلفك من لم يترك الناسا فامنح فؤادك عن مقتولك الياسا  
لما رأيت المنايا قد قصدن له أصبن منه سواد القلب والراسا  
فبت متكئاً أرعى النجوم له إخال سنته في الليل قرطاسا  
والموت دان له ، والهـم قارنه حتى سقاه التي أودى بها الكاسا

(١) في نسخة : بحيث أراكه الله .

رزقته حين باهيت الرجال به وقد بنيت به للدهر آسما  
فليس من مات مردوداً لنا أبداً حتى يرد علينا قبله ناسا  
ورثته زوجته لبابة ابنة علي بن المهدي ، ولم يكن دخل بها ، فقالت :

أبكىك لا للنعم والأنس بل للعالي والسيف والترس  
أبكى على سيد فجعت به أرملني قبل ليلة العرس  
يا مالكا بالعراء مطرحاً خائته أشرطه مع الحرامس (١)

ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدماها فقال لها : ما يجلسك وقد  
قتل أمير المؤمنين محمد؟! فقالت : ويلك!! وما أصنع؟ فقال : تخرجين  
فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان ، فقالت : اخساً لا أم  
لك ، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال؟ ثم أمرت بشياها فسودت ،  
ولبست مسحاً من شعر ، ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المأمون :

خير إمام قام من خير عنصُر وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر  
ووارث علم الأولين وفخرم وللملك المأمون من أم جعفر  
كتبت وعيني تستهل دموعها اليك ابن عمي من جفوني ومحجري  
أصبت بأدنى الناس منك قرابة ومن زال عن كبدي فقل تصبيري  
أتى طاهر ، لا تطهر الله طاهراً ، وما طاهر في فعله بيطهر  
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً وأنهب أموالي وأخرب أدوري  
يعز علي هارون ما قد لقيته وما نالني من ناقص الخلق أعور  
فان كان ما أسدى لأمره أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر

فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال : اللهم إني أقول كما قال أمير  
المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان « والله ما قتلت ،  
ولا أمرت ، ولا رضيت ، اللهم جلل قلب طاهر حزناً ؟



قال المسعودي : وللمخلوع أخبار وسير غير ما ذكرنا قد أتينا عليها في كتابينا في أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن ذكرها في هذا الكتاب ، والله - سبحانه - ولي التوفيق .

## ذكر

### خلافة المأمون

موجز : وبويح المأمون عبدُ الله بن هارون ، وكُنْيته أبو جعفر ، وأمه باذغيسية ، واسمها مراجل ، وقيل : ان كنيته أبو العباس ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين ، وتوفي بالبديدون على عين القشيرة<sup>(١)</sup> ، وهي عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون ، وقيل : ان اسمها بالرومية أيضاً رقة ، وحمل الى طرسوس ، فدفن بها على يسار المسجد ، سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، فكانت خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها أربعة عشر شهراً كان يحارب أخاه محمد بن زُبَيْدَةَ على ما ذكرنا ، وقيل : سنتان وخمسة أشهر ، وكان أهل خراسان في تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ، ويُدعى له على المنابر في الأمصار والحرمين والكور والسهل والجليل بما حواه طاهر وغلب عليه ، ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها .

(١) في نسخة : المشيرة .

## ذكر

جمل من أخباره وسيره ، ولمع بما كان في أيامه

المأمون والفضل بن سهل : وغلب على المأمون الفضل بن سهل ، حتى ضايقه في جارية أراد شراءها ، فقتله ، وادعى قوم أن المأمون دس عليه من قتله ، ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك : منهم أحمد بن خالد الأحمول ، وعمرو بن مسعدة ، وأبو عبادة ، وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة .

عمرو بن مسعدة : ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين ، فعرض لماله ، ولم يعرض لمال وزير غيره ، وغلب على المأمون آخر الفضل بن مروان ، ومحمد بن يزيد .

علي بن موسى الرضا : وفي خلافته قبض علي بن موسى الرضا مسموماً بطوس ، ودفن هنالك . وهو يومئذ ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر ، وقيل غير ذلك .

المأمون وعمه إبراهيم : وهجبا المأمون إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمه ، وكان المأمون يظهر التشيع ، وابن شكلة التسنن ، فقال المأمون :

إذا المرَّجِيُّ سرَّك أن تراه      يَمُوتُ لحينه من قبل موته  
فجَدِّدْ عنده ذكرى علي      وصلَّ على النبي وآل بيته  
فأجابه إبراهيم راداً عليه :

إذا الشَّيعِيُّ جَنَجَمَ في مقال      فسَرَّك أن يبوح بذات نفسه  
فصلَّ على النبي وصاحبينه      وزَيَّرينه وجاريته برمسه

ولإبراهيم بن المهدي مع المأمون أخبار حسان ، هي موجودة في كتاب  
الأخبار لإبراهيم بن المهدي .

المأمون وأبو دلف : ودخل أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي على  
المأمون ، فقال له : يا قاسم ، ما أحسن أبياتك في صفة الحرب ، ولذاذك  
بها ، وزهدك في المغنيات ؟ قال : يا أمير المؤمنين أي أبيات هي ؟  
قال : قولك :

لِسَلِّ السِّيفِ وَشَقِّ الصَّفوفِ      ونفضِ الترابِ وضربِ القُللِ  
قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

ولبس العجاجة والخافقات      تُريكِ النسايا بروس الأمل<sup>(١)</sup>  
وقد كشفت عن سبأ نايها      عروس المنية بين الشعل  
وجاءت تهادي وأبناؤها      كأن عليهم شروق الطفل  
خروس نطوق اذا استنطقت      جهول يطيش على من جهل  
اذا خطبت أخذت مهرها      رؤوسا تساقط بين القلل  
ألد وأشهى من المسمات      وشرب المدامة في يوم طل  
أنا ابن الحسام ، وترب الصفاح ،      ورئب المنون ، وقرب الاجل  
ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه لذتي مع أعدائك ، وقوتي مع أوليائك ،  
ويدي معك ، ولئن استلذت مستلذ شيئا من المعاقرة ملت الى المصادمة  
والمحاربة ، قال : يا قاسم ، اذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة لذتك ،  
فماذا تركت للوسنان مما خلفت ، وأظهرت له من قليل ما سترت ؟ قال :  
يا أمير المؤمنين ، وأي أشعاري ؟ قال : حيث تقول :

أها الراقد المورق عيني .      نَمِّ ، هنيئا لك الرقاد اللذيد  
علم الله أن قلبي مما      قد جئت مقلتك فيه وقيد

(١) في نسخة : بروس القلل .

قال : يا امير المؤمنين ، سهوة بعد سهرة غلبت ، وذلك قسم متقدم ،  
وهذا ظن متأخر ، قال : يا قاسم ، ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين :  
أذم لك الأيام في ذات بيننا وما لليالي في الذي بيننا عذر  
إذا لم يكن بين المهين زوارة سوى ذكر شيء قدمضى درس الفكر

فقال أبو دلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين !! هذا السيد الهاشمي  
والملك العباسي ، قال : وكيف أدتلك الفطنة ، ولم تداخلك الظنة ، حتى تحققت  
أني صاحبها ، ولم يداخلك الشك فيها ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما الشعر  
بساط صوف ، فمن خلط الشعر بنقي الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ،  
ونار ضوئه عند التأليف .

من كلمات المأمون : وكان المأمون يقول ، يغتفر كل شيء إلا القدح في  
الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحرم .

وقال المأمون : أختر الحرب ما استطعت ، فإن لم تجد منها بداً فاجعلها  
في آخر النهار .

وذكر أنه من كلام أنوشروان .

وكان المأمون يقول : أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر ، وإذا  
أدبر أن يقبل

ولما تآتى الملك للمأمون وخلص قال : هذا جسم لولا أنه عديم ، وهذا  
ملك لولا أنه بعده هلك ، وهذا سرور لولا أنه غرور ، وهذا يوم لو كان يوثق  
بما بعده .

وكان المأمون يقول : البشر منظر مونتق ، وخلق مشرق ، وزارع  
للقلوب ، ومحل مألوف ، وفضل منتشر ، وثناء بسيط ، وتحف للأعرار ،  
وذرع رحيب ، وأول الحسنات ، وذريمة الى الجاه ، وأحمد للشيم ، وباب  
لرضى العامة ، ومفتاح لمحبة القلوب .

وكان المأمون يقول : سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأنبياء (١) وإن الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام على ميزاب البخل : لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان قميصاً ما لبسته .  
 وحضر المأمون إملأ كما لبعض أهل بيته ، فسأله بعض من حضر أن يخطب ، فقال : الحمد لله ، الحمد لله ، والصلاة على المصطفى رسول الله ، وخير ما عمل به كتاب الله ، قال الله تعالى : ( وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُغنيهم الله من فضله ، والله واسع عليم ) ، ولو لم يكن في المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة إلا ما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد والقريب لسارع إليه الموفق المصيب ، وبادر إليه العاقل النجيب ، وفلان من قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه ، فخطب إليكم فتاتكم فلانة ، وبذل لها من الصداق كذا وكذا ، فشفعوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا ، وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجروا ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

بين ثمامة ويحيى بن أكثم عند المأمون : وذكر ثمامة بن أشرس قال : كنا يوماً عند المأمون (٢) ، فدخل يحيى بن أكثم وكان قد ثقل عليه موضعي منه ، فتذاكرنا شيئاً من الفقه ، فقال يحيى في مسألة دارت : هذا قول عمر ابن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمرو وجابر . قلت : أخطأوا كلهم ، وأغفلوا وجه الدلالة ، فاستعظم مني ذلك يحيى وأكبره ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ، فقال المأمون : سبحان الله !! أكذا يا ثمامة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لا يبالي ما قال ولا ما شنع به ، ثم أقبلت عليه فقلت : ألسنت تزعم أن الحق في واحد عند الله عز وجل ؟ قال : نعم ، قلت : فزعمت أن تسعة

(٢) في نسخة : في مجلس المأمون .

(١) في نسخة : الأتقياء .

أخطأوا وأصاب العاشر ، وقلت أنا : أخطأ العاشر ، فما أنكرت ؟ قال : فنظر المأمون إليّ وتبسم ، وقال : لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب ، قال يحيى : وكيف ذلك ؟ قلت : أأست تقول : إن الحق في واحد ؟ قال : بلى ، قلت : فهل يُخلي الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فقد دخلت فيما عبت ، وقلت بما أنكرت وبه شئنت ، وأنا أوضح دلالة منك ، لأنني خطأتهم في الظاهر ، وكل مصيب عند الله الحق ، وإنما خطأتهم عند الخلاف وأدّتني الدلالة إلى قول بعضهم ، فخطأت من تخالفني ، وأنت خطأت من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل

وفد الكوفة والمأمون : وقدم وفد الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون ، فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ، يدك أحق يد بتقبيل ؛ لعلوها في المكارم ، وبعدها من المآثم ، وأنت يوسفى (١) العفو في قلة التثريب ، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك ، فقال : يا عمرو ، نعم الخطيب خطيبهم ، أقض حوائجهم فقضيت .

المأمون والزنادقة ومعهم طفيلي : وذكر ثمامة بن أشرس قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة ، من أهل البصرة ، فأمر بحملهم إليه بعد أن يُسمّوا واحداً واحداً ، فلما جمعوا نظر إليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع فدخل في وسطهم ، ومضى معهم ، وهو لا يعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة ، فقال الطفيلي : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان

(١) في نسخة : وأنت توسع العفو المذنب .

بأسرع من أن جيء بالقيود ، فقيد القوم والطفيلي معهم ، فقال الطفيلي :  
بلغ أمر تطفيلي إلى القيود ، ثم أقبل على الشيوخ فقال : فديتكم أيش أنتم؟  
قالوا : بل أيش أنت ؟ ومن أنت من إخواننا ؟ قال : والله ما أدري غير  
أني والله رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظراً  
جميلاً وعوارض حسنة وبزة ونعمة <sup>(١)</sup> فقلت : شيوخ وكهول وشباب جمعوا  
لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذيت بعضكم كأني في جملة أحدكم ،  
فصرتم إلى هذا الزورق ، فرأيتهم قد فرّشوا لهذا الفرش ومهدوا رأيت سفراً  
مملوءة وجرّباً وسلاً ، فقلت : نزهة يمضون إليها إلى بعض القصور  
والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سروراً ، إذ جاء هذا الموكل  
بكم فقيدكم وقيدني معكم ، فورد عليّ ما قد أزال عقلي ، فأخبروني ما  
الخبر ، فضحكوا منه وتبسّموا وفرجوا به وسرّوا ، ثم قالوا : الآن قد  
حصلت في الإحصاء ، وأوثقت في الحديد ، وأما نحن فهانية غمز بنا إلى  
المأمون ، وسندخل إليه ، ويسائلنا عن أحوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ،  
ويدعونا إلى التوبة والرجوع عنه بامتجانتنا بضروب من الهن : منها اظهار  
صورة ماني لنا ، ويأمرنا أن نتفعل عليها ، ونتبرأ منها ، ويأمرنا بذبح  
طائر ماء ، وهو الدّرّاج ، فمن أجابه إلى ذلك نجأ ، ومن تخلف عنها قتل ،  
فاذا دعيت وامتحنيت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤدّيك  
الدلالة إلى القول به ، وأنت زعمت أنك طفيلي ، والطفيلي يكون معه  
مداخلات وأخبار ، فاقطع سفرنا هذا إلى مدينة بغداد بشيء من الحديث  
وأيام الناس ، فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم  
رجلاً رجلاً فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالإسلام ، فيمتحنه ويدعوه إلى  
البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره أن يتفعل عليها والبراءة منها ،  
وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ إلى الطفيلي بعد فراغه

(١) في نسخة : وعوارض حسنة ونعمة ظاهرة .

من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : من هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أنا وجدناه مع القوم فجبنا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إمرأتي طالت إن كنت أعرف من أقوالهم شيئاً ، وإنما أنا رجل طفيلي ، وقص عليه خبره من أوله إلى آخره ، فضحك المأمون ، ثم أظهر له الصورة ، فلحنها وتبرأ منها ، وقال : أعطونيها حتى أسلح عليها ، والله ما أدري ما ماني : أهودياً كان أم مسلماً ، فقال المأمون : يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه .

وكان إبراهيم بن المهدي قائماً بين يدي المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ذنبه وأحدثك بحديث عجب في التطفيل عن نفسي ، قال : قل يا إبراهيم .

إبراهيم بن المهدي يتطفل : قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت يوماً فررت في سلك بغداد متطرفاً ، حتى انتهيت إلى موضع ، فشممت رائحة أبازير من جناح في دار عالية ، وقدور قد فاح قنارها ، فتأقت نفسي إليها ، فوقففت على خياط فقلت : لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرفعت طرفي إلى الجناح ، فإذا فيه شباك ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك ومِعصم ما رأيت أحسن منها قط ، فشغلتني يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور ، فبقيت باهتاً وقد ذهبل عقلي ، ثم قلت للخياط : هو بمن يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، ولا ينادم إلا تجاراً مثله ، مستورين ، فأنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لي الخياط : هذان منادماه ، قلت : ما اسمهما وما كُنماهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي حتى دخلت بينهما ، وقلت : جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله ، وسأيرتها حتى انتهينا إلى الباب ، فقد ماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رأاني صاحب المنزل لم يشك إلا أنني منها بسبيل .



فرحب وأجلسني في أجل موضع ، فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز  
نظيف ، وأتينا بتلك الألوان : فكان طعمها أطيب من رائحتها ، فقلت في  
نفسى : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقي الكف والمعصم ، ثم رفع الطعام  
ففسلنا أيدينا ، ثم صرنا الى مجلس المنادمة ، فإذا هو أنبل مجلس وأجل  
فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث ، والرجلان لا  
يشكان أنه منى بسبيل ، وإنما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن أني منها  
بسبيل ، حتى إذا شربنا أقداحاً خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غصن بان ،  
فسلمت غير خجيلة ، وهيئت لها وسادة ، وأتي بعُود فوضع في حجرها ،  
فجسته فتبينت الحذق في جسها ، ثم اندفعت تغني :

توهّمها طرّفي فألم خدها فصار مكان الوهم من نظري أثر  
وصافحها كفي فألم كفها فمن لمس كفي في أناملها عقر  
ومرّت بقلبي خاطراً فجرحتها ولم أر شيئاً قط يجرحه الفكر  
فهبجت والله يا أمير المؤمنين عليّ بلابلي ، وطرّبت لحسن غنائها وحذقها ،  
ثم اندفعت تغني :

أشرّت اليها : هل علمت مودتي فردّت بطرف العين : إني على العهد  
فحدثت عن الإظهار عمداً لسرها وحادثت عن الإظهار أيضاً على عمد  
فصحت السلامة ، وجاءني من الطرب ما لا أملك معه النفس ولا الصبر ،  
واندفعت تغني :

أليس عجيباً أن بيننا يضمني وإياك لا نخلو ولا نتكلم  
سوى أعين تشكو الهوى يجفونها وترجيع أحشاء على النار تضم  
إشارة أفواه ، وغمز حواجب وتكسير أجفان ، وكفّ يسلم  
فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ، ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها  
معنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته ، فقلت : بقي عليك يا  
جارية شيء ، ففضبت وضربت بعودها الارض ، ثم قالت : متى كتم

الجزء الثالث : ذكر أيام المأمون عبد الله بن هارون الرشيد ..... ٤٢٥

تحضرون مجالس البُغضَاء ؟ فندمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد  
تغيروا إليّ ، فقلت : أليس ثمَّ عردٌ ؟ قالوا : بلى يا سيدنا ، فأتيت بعود ،  
فأصلحت من شأنه ما أردت ، واندفعت أغني :

ما للنازل لا يُحِبُّ حزيناً ؟ أصممن أم بعد المدى فبلينا ؟  
زاحوا العشيّة روضةً مذكورة إن متن متن ، وإن حين حيننا  
فما استتمته جيداً حتى خرجت الجارية فأكبّت على رجلي تقبلها ، وهي  
تقول : المذرة والله لك يا سيدي ، فما سمعت من يغني هذا الصوت  
مثلك ، وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القوم ،  
واستحووا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت أغني :

أبالله هل تُمسينَ لا تذكريني وقد سَجَمَت عينايا من ذكر كالدِّمَا  
إلى الله أشكو بُخلها وسماحي لها غسل مني وتبذل علقها  
فردّي مُصاب القلب أنت قتلتها ولا تتركه ذاهل العقل مغرماً  
إلى الله أشكو أنها أجنبية وأنّي لها بالود ما عشت مكرماً  
فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت أن يخرجوا من عقولهم ،  
فأمسكت ساعة ، حتى إذا هدأ القوم اندفعت أغني الثالثة :

هذا محبك مطويٌّ على كمده صبّ ، مدامعه تجري على جسده  
له يدٌ تسأل الرحمن راحته مما به ، ويدٌ أخرى على كبده  
يا من رأى كلفاً مستهتراً أسفاً كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح : السلامة ، هذا والله الغناء يا  
مولاي ، وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد  
الشراب وندياه دونه ، فأمر غلماناً مع غلمانهم بحفظهم وصرقهم إلى منازلهم ،  
وخلوت معه فشربنا أقداحاً ، ثم قال : يا سيدي ، ذهب والله ما خلا من  
أيامي باطلاً ، إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت يا مولاي ؟ فلم يزل يلح عليّ  
حتى أخبرته فقام فقبل رأسي ، وقال : يا سيدي ، واني أعجب أن يكون

هذا الأدب الالمثلك ، واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم ، وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته ، فأخبرته خبر الطعام والكف والمعصم ، فقال : يا فلانة ، لجارية له ، قولي لفلانة تنزل ، فجعل ينزل إلي جواريه واحدة واحدة ، فأنظر الى كفها وأقول : ليست هي ، حتى قال : والله ما بقي غير أمي وأختي ، ولأنزلنها إليك ، فمجببت من كرمه وسعة صدره ، فقلت له : جعلت فداك ، ابداً بالأخت قبل الأم ، فمسي أنت تكون صاحبتني ، فقال : صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كفها ومعصمها قلت : هي هي ، جعلت فداك ، فأمر غلمانها من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فأحضروا ، وجيء ببدرتين فيها عشرون ألف درهم ، ثم قال : هذه أختي فلانة ، وأنا أشهدكم أنني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبلت النكاح ، ودفعت اليها البدره الواحدة ، وفرقت الأخرى على المشايخ ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذي حضرني في هذا الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ، ثم قال : يا سيدي أهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك ، فأحشمني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل أحضر عمارية وأحملها الى منزلي ، فقال : افعل ما شئت ، فأحضرت عمارية وحملتها الى منزلي ، فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاق عنه بعض دوري .

فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وأطلق الطفيلي ، وأجازه بجائزة حسنة وأمر إبراهيم بإحضار ذلك الرجل ، فصار بعد<sup>(١)</sup> من خواص المأمون وأهل مودته ، ولم يزل معه على أفضل الأحوال السارة في المنادمة وغيرها . اسحاق الموصلي وكلثوم العتابي عند المأمون : وذكر المبرد وثعلب قالا : كان كلثوم العتابي واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكرم ، فقال له

(١) في نسخة : فصار بعد .

العتابي : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني ، قال : لست بحاجب ، قال :  
 قد علمت ، واكنك ذو فضل ، وذو الفضل ممنون ، قال : سلكت بي  
 غير طريقي ، قال : إن الله قد أحقك بجاه ونعمة منه ، فهما مقيدان عليك  
 بالزيادة إن شكرت ، وبالتقتير إن كفرت ، وأنا لك اليوم خير منك  
 لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاة ،  
 وزكاة الجاه بذله للمستمين ، فدخل يحيى فأخبر المأمون الخبر ، فأدخل إليه  
 العتابي ، وفي المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأمره بالجلوس ، وأقبل  
 يسأله عن أحواله وشأنه ، فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ  
 في مداعبته ، فظن الشيخ أنه قد استخف به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإبناس  
 قبل الإبناس ، فاشتبه عليه قوله فنظر الى إسحاق فغمزه بعينه ثم قال :  
 ألف دينار ، فأتي بها فوضعت بين يدي العتابي ، ثم دعا إلى المفاوضة ،  
 وأغرى المأمون إسحاق بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره  
 ويزيد عليه ، فمجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال : أياذن أمير  
 المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فقال : افعل : فقال له  
 العتابي : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمي كل بصل ! فقال  
 له العتابي : أما النسبة فقد عرفت ، وأما الاسم فننكر ، وما كل بصل من  
 الأسماء ؟ فقال له إسحاق : ما أقل إنصافك ، وما كلثوم ؟ والبصل أطيب  
 من الثوم ، قال العتابي : قاتلك الله ! ما أملحك !! ما رأيت كالرجل  
 حلاوة ، أياذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به فقد والله غلبي ؟ فقال  
 له المأمون : بل ذلك موفّر عليك ونأمر له بمثله ، فانصرف إسحاق الى  
 منزاه ، ونادمه بقية يومه .

العتابي : وكان العتابي من أرض جند قنسرين والعواصم ، وسكن للرقعة من  
 ديار مضر ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم  
 للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكة

المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ<sup>(١)</sup> وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره .

وذكر أنه قال : كاتب الرجل لسانه ، وحاجبه وجهه ، وجليسه كله ، ونظم في ذلك شعراً فقال :

لسان الفقى كاتبه ووجهُ الفتى حاجبه  
وندمانه كلُّه وكلُّ له واجبُه

وذكر عنه أنه قال : إذا وليت عملاً فانظر مَنْ كاتبك ، فإنما يعرف مقدارك مَنْ بعد عنك بكاتبك ، واستعقل حاجبك ، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك ، واستكرم واستطرب جليسك ونديمك ، فإنما يوزن الرجل بمن معه .

بين كاتب ونديم : وقد فاخر كاتب نديماً فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلام ، فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للنقمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة ، وتقوم وأجلس ، وتحتشم وأنا مؤنس ، تدأب لحاجتي ، وتشقى بما فيه سمادتي ، وأنا شريك وأنت معين ، وأنا قرين وأنت تابع<sup>(٢)</sup> ، وإنما سميت نديماً للنديم على مفارقتي .

وللعتابي أخبار حسان ، وتصنيفات ملاح ، في ذكرها خروج عما إليه قصدنا ، ونحوه يَمُنَّا ، وإنما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا إليها وتشعبه نحوها .

رجل يرفع قصة للمأمون : حكى الجوهري عن العتبي ، عن عباس الديري ، قال : رفع رجل قصة إلى المأمون ، وسأله أن يأذن له في الدخول عليه ، والاستماع منه ، فأذن له ، فدخل فسلم ، فقال له المأمون : تكلم

(١) في نسخة : رجودة الخط . (٢) في نسخة : وأنا تائم وأنت قرين .

بماجتك ، قال أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدهر وأعاجيب الأيام  
ومحن الزمان قصدتني فأخذت مني ما كانت الدنيا أعطتني ، فلم تبق لي ضيعة  
إلا خربت ، ولا نهر إلا اندقر<sup>(١)</sup> ، ولا منزل إلا تهدم ، ولا مال إلا ذهب ،  
وقد أصبحت لا أملك سبداً ولا لبداً ، وعليّ دين كثير ، ولي عيال  
وأطفال وصبية صفار ، وأنا شيخ كبير ، قد قعدت بي المطالب ، وكبرت  
عني المكاسب ، وبي حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه ، قال فبينما هو في  
الكلام إذ ضرب ، فقال : وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ، ولا  
والله ما ظهر مني قط إلا في موضعه ؛ فقال المأمون لجلسائه : ما رأيت قط  
أقوى قلباً ولا أربطاً جأشاً ولا أشد نفساً من هذا الرجل ، ثم أمر له  
بخمسين ألف درهم مُعجّلة .

المأمون وأبو العتاهية : قال أبو العتاهية : وجّه إليّ المأمون يوماً  
فصرتُ إليه فالفيتَه مطرقاً متفكراً مغموماً ، فأحجمت عن الدنو إليه وهو  
على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده أن أدن ، فدنوت ، فأطرق ملياً ثم رفع  
رأسه فقال : يا إسماعيل ، شأن النفس الملل ، وحب الاستطراف ، والأنس  
بالوحدة ، كما نانس بالألفة ، قلت أجل يا أمير المؤمنين ، ولي في هذا بيت  
شعر ، قال : وما هو ؟ قلت :

لا يُصلح النفس إذ كانت مصرفة إلا التنقلُ من حال إلى حال

قال : أحسنت زدني ، فقلت : لا أقدر على ذلك ، وآنسته بقية يومه ،  
وأمر لي بمال ، فأنصرفت .

المأمون ورجل عامي : ويحكى أن المأمون أمر بعض خواصه من خدمه  
أن يخرج فلا يرى أحداً في الطريق إلا أتى به كائناً من كان من رفيع أو  
خسيس ، فأتاه برجل من العامة ، فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكرم

ومحمد بن عمرو<sup>(١)</sup> الرومي ، وقد طبخ كل واحد منهم قدرأ ، فقال محمد بن إبراهيم الطاهري للرجل العامي : هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فأجبهم عما يسألون ، فقال المأمون : الى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقي عليك من الليل ثلاث ساعات ؟ فقال : غرني القمر ، وسمعت تكبيراً فلم أشك أنه أذان ، فقال له المأمون : اجلس ، فجلس ، فقال له المأمون : قد طبخ كل واحد منا قدرأ هوذا يقدم اليك من كل واحد منها قدرأ فذق ذلك فأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها ، فقال : هاتوا ، فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لا تميز بينها ، ولكل واحدة ممن طبخها علامة ، فبدأ فذاق قدرأ طبخها المأمون فقال : زه ، وأكل منها ثلاث لقيات ، وقال : أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ، ثم ذاق قدر المعتصم ، فقال : هذه والله فكأنها والأولى من يد واحدة خرجتنا ، وبجكمة متساوية طبختنا ، ثم ذاق قدر محمد بن عمرو الرومي فقال : وهذه قدر طباخ ابن طباخ أجاد ما أحكمه ، ثم ذاق قدر يحيى بن أكرم القاضي فأعرض بوجهه ، وقال : شه ، هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرا ، فضحك القوم وذهب بهم الضحك كل مذنب ، وقعد بحادثهم ويطايبهم ويتلهم معهم ، وطابوا معه ، فلما برق الفجر قال له المأمون : لا يخرجن منك ما كنا فيه ، وعلم أنه علم بهم ، فوصله بأربعة آلاف دينار<sup>(٢)</sup> ، وقسطن له على أصحاب القدور كل واحد منهم على قدر مرتبته ، وقال : إياك انت تعود الى الخروج في مثل هذا الوقت مرة أخرى ، فقال لا أعدمكم الله الطيبخ ولا أعدمني الخروج ! فسألوه عن تجارته ، وعرفوا منزله ، وجعل يعد في خدمة المأمون وخدمة الجميع ، وصار في جملتهم .

عبي المأمون عن جواب ثلاثة : وحدث أبو عباد الكاتب - وكان خاصاً

(٢) في نسخة : بأربعة آلاف درهم .

(١) في نسخة : محمد بن عمرو .

بالمأمون - قال : قال لي المأمون : ما أعياني إلا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم ذي الرياستين أعزبها عنه فقلت : لا تأسي عليه ولا تحزني لفقده ، فإن الله قد أخلف عليك مني ولداً يقوم لك مقامه ، فمها كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضين عني منه ، فبكت ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولداً مثلك ؟ وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران عليه السلام ، فقلت : ويحك ! إن موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره ، منها أنه ألقى عصاه فابتلعت كبد السحرة ، ومنها إخراج يده من جيبه وهي بيضاء ، وجعلت أعداد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة ، وقلت له : لو أتيتني بشيء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك ، وإلا قتلتك ، فقال : صدقت ، إلا أنني أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى ، فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيت به ، والثالثة أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملاً كنت أنت أحمد مذهبهم وأرتضي سيرته ، فوجهت اليهم إني أعلم سيرة الرجل ، وأنا عازم على القعود لكم في غداة غد ، فاختراروا رجلاً يتولى المناظرة عنكم ، فأنا أعلم بكثرة كلامكم ، فقالوا : ما فينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين ، إلا رجلاً أطروش ، فإن صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك ، فوعدتهم الصبر عليه ، وحضروا من الغد ، فأمرت بالرجال فدخلوا والأطروش ، فلما مثل بين يدي أمرتهم بالجلوس ، ثم قلت له : ما تشكو من عاملكم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو شر عامل في الأرض ، أما في أول سنة ولينا فإننا بعنا أثاثنا وعقارنا ، وفي السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا ، وفي السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمر المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطوّل علينا بالأمر بصرفه عنا ، فقلت له : كذبت<sup>(١)</sup> لا أمان لك ، بل هو رجل أحدث سيرته ومذهبه ،

(١) في نسخة : كذبت ، لا أم لك .



وارتضيت دينه وطريقته ، واخترت له لمعرفتي بكثرة سخطكم على عمالك ، قال : يا أمير المؤمنين ، صدقتَ وكذبتُ انا ! ولكن هذا العامل الذي ارتضيت دينه وأمانته وعفته وعدله وإنصافه ، كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد التي قد ألزمتك الله عز وجل من العناية بأمرها مثل ما ألزمتك من العناية بأمرنا ! فاستعمله على هذه البلاد حتى يشملهم من إنصافه وعدله مثل الذي شملنا ، فقلت له ، قم في غير حفظ الله ، فقد عزلته عنكم .

**مناظرة المأمون للفقهاء :** وكان يحيى بن أكرم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ، ثم أحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب وجدّوا الضوء ، ومن خفه ضيق فليزعه ، ومن تقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فاذا فرغوا أتوا بالمجامرة فبخروا وطيبوا ، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ، ويناظروهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعداها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون ، قال : فإنه يوماً لجالسٌ اذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ، ويطلب الدخول للمناظرة ، فقلت : إنه بعض الصوفية ، فأردت بأن أشير أن لا يؤذن له ، فبدأ المأمون فقال : ائذن له ، فدخل رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده ، فوقف على طرف البساط فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال المأمون : وعليك السلام ، فقال : أتأذن لي في الدنو منك ؟ قال : ادن ، فدنا ، ثم قال : اجلس ، فجلس ، ثم قال : أتأذن في كلامك ؟ فقال : تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا ، قال : أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت قد جلسته أبا اجتماع من المسلمين عليك ، ورضاً منك ، أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك ؟ قال : لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم ، إنما

كان يتولّى أمر المسلمين سلطان قبلي أحمد بن محمد<sup>(١)</sup> إما على رضا وأما على كره ، فعقد لي ولآخر معي ولاية هذا الأمر بعده في أعناق من حضره من المسلمين ، فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لي ولآخر معي فأعطوه ذلك أما طائعين وأما كارهين ، فمضى الذي عقد له معي على هذه السبيل التي مضى عليها ، فلما صار الأمر اليّ علمت أنّي احتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضا ، ثم نظرت فرأيت أنّي متى تخلّيت عن المسلمين اضطرب جبل الإسلام ومرج عهدهم ، وانتقضت أطرافه ، وغلب الهرج والفتنة ، ووقع التنازع ، فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ، ولم يحجّ أحد بيته ، ولم يجاهد في سبيله ، ولم يكن لهم سلطان يجمعهم ويؤسّسهم ، وانقطعت السبل ، ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم ، فمقت بهذا الأمر حياة المسلمين ، وبجأهداً لعدومهم ، وضابطاً لسبلهم ، وآخذاً على أيديهم ، إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به ، فأسلم الأمر إليه ، وأكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولي إلى جماعة المسلمين ، فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت إليه من هذا الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وقام ، فأمر المأمون عليّ ابن صالح الحاجب بأن ينفذ في طلبه<sup>(٢)</sup> من يعرف مقصده ، ففعل ذلك ثم رجع وقال : وجهت يا أمير المؤمنين من اتبع الرجل فمضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً في هيئته وزيه فقالوا له : لقيت الرجل ؟ فقال : نعم ! قالوا : فما قال لك ؟ قال : ما قال لي إلا خيراً ، ذكر أنه ضبط أمور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم ، ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ، ويأخذ للمظلوم من الظالم ، ولا يعطل الأحكام ، فاذا رضي المسلمون برجل وسلم

(١) في نسخة : احتمله المسلمون .

(٢) في نسخة : أن يوجه من يقبمه حتى يعلم أين يقصد .

الأمر اليه وخرج اليه منه ، قالوا : ما نرى بهذا بأساً ، وافترقوا ، فأقبل المأمون على يحيى ، فقال : كفيينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب ، فقلت : الحمد لله الذي أهلك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول والفعل .

يحيى بن أكرم قاضي البصرة : قال المسعودي : وكان يحيى بن أكرم قد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون ، فزفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ، فقال المأمون : لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر ، واستفاض ذلك عنه ، وهو القائل يا أمير المؤمنين ، في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم قوله المشهور ؛ فقال المأمون : وما الذي قال ؟ فدفعت إليه القصة فيها 'جمل' مما رمي به وحكي عنه في هذا المعنى ، وهو قوله :

أربعة تفتينُ الحاظهم	فمين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه في وجهه	مناقق ليست له آخره
وآخر دنياه مفتوحة	من خلقه آخرة وافره
وثالث قد حاز كليهما	قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم	ليست له دنيا ولا آخره

فأنكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه ، وقال : أيكم سمع هذا منه ؟ قالوا : هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين ، فأمر بإخراجهم عنه ، وعزل يحيى عنهم .

وفي يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد أكرمهُ ولم تطأ أرض العراق قدمهُ  
الوطُ قاضي في العراق نعله أي دواة لم يلقها قلبه  
وأي شعب لم يلجه أرقمه

وضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون وتادمه ، ورخص له في أمور كثيرة ، فقال له يوماً : يا أبا محمد ، من الذي يقول :

قاص يرى الحد في الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس

قال : ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين ، وهو القائل :

أميرنا يرتشي ، وحاكنا يلوط ، والرأس شر ما راس  
قاص يرى الحد في الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس  
ما أحسب الجور ينقضي وعلى أمة وآل من آل عباس

فأطرق المأمون خجلاً ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : ينفي ابن أبي نعيم

إلى السند .

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقبَاء وسيف  
بمعاليق وساسية<sup>(١)</sup> وإذا كان الشتاء ركب في أقبيبة الخنز وقلائس السمور  
والسروج المكشوفة ، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط أن المأمون أمره أن  
يفرض لنفسه فرضاً يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ، ففرض أربعائة  
غلاماً مرداً اختارهم حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، وقال في ذلك راشد بن  
إسحاق يذكر ما كان من أمر يحيى في الفرض :

خليلي انظر متعجبين لأظرف منظر مقلته عيني  
لفرض ليس يقبل فيه إلا أسيل الحد حلو المقلتين  
وإلا كل أشقر أكشمي قليل نبات شعر العارضين  
يقدم دون موقف صاحبيه بقدر جماله وبقبح ذن  
يقودهم إلى الهيجاء قاص شديد الطعن بالرمح الرديني  
إذا شهد الوغى منهم شجاع تجدل للجبين واليدين

(١) في نسخة : وشاشية .

يقودهم على علم وحلم ليوم سلامة لا يوم حين  
 وصار الشيخ منحنيًا عليه بمدججه يحوز الركبتين  
 يغادرهم إلى الأذقان صرعى وكلهم جريح الخصيتين  
 وفيه يقول راشد أيضاً :

وكنانرجي أن نرى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء 'قنوط'  
 متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوطن ؟

وكان يحيى بن أكرم بن عمرو بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة  
 مرو ، وكان رجلاً من بني تميم ، وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة  
 ومائتين وذلك بمصر ، وبعث به إلى العراق مغضوباً عليه ، وكان قد كتب  
 الحديث وتفقهه للبصريين كعثمان البتّي وغيره ، وله مصنفات في الفقه وفي  
 فروعه وأصوله ، وكتاب أفردته سماه بكتاب «التنبيه» يرد فيه على العراقيين  
 وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دؤاد بن علي مناظرات كثيرة .

وفاة الامام الشافعي : وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن  
 إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن  
 هاشم بن المطلب بن عبد مناف الشافعي ، في رجب ليلة الجمعة ، وذلك  
 سنة أربع ومائتين ، ودفن صبيحة الليلة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ،  
 ودلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ ، كذلك ذكر عكرمة بن محمد  
 ابن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن ، وذكر أيضاً محمد بن سفيان بن سعيد  
 المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ، ودفن الشافعي بمصر بحومة<sup>(١)</sup>  
 قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم ، وبين قبورهم وعند رأسه عمود من  
 الحجر كبير ، وكذلك عند رجله ، وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد  
 كتب فيه في ذلك الحجر : هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله ، وما

(١) في نسخة : نحو قبور الشهداء .

ذكرنا فمشهور بمصر ، والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف ، لأنه من ولد المطلب بن عبد مناف ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « نحن وبنو المطلب كهاتين » وأشار بأصبعيه مضمومتين ، وقد كانت قريش حاصرت بني المطلب مع بني هاشم في الشعب .

وحدثني فقير بن مسكين عن المزني بهذا ، وكان فقير يحدث عن المزني ، وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة أسوان بصعيد مصر ، قال : قال المزني : دخلت على الشافعي غداة وفاته ، فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وإخوتي مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، ولا أدري إلى الجنة تصير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيبها ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلتُ الرجا مني لعفوك سلماً  
تعاظمني ذنبي ، فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

أبو داود الطيالسي وابن الكلبي : وفي هذه السنة الذي مات فيها الشافعي - وهي سنة أربع ومائتين - مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسي ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة ، وفيها مات هشام بن محمد بن السائب الكلبي . المأمون ورجل يدعي النبوة : وادعى رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون ، فحمل إليه مؤثقاً بالحديد ، فمثل بين يديه ، فقال له : أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنا مؤثق ، قال : ويلك !! من غرك ؟ قال : أبهذا تخاطب الأنبياء ؛ أما والله لولا أني مؤثق لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم ؟ قال له المأمون : والموثق لا تجاب له دعوة ؟ قال : الأنبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها ، فضحك المأمون ، وقال : من قيدك ؟ قال : هذا الذي بين يديك ، قال : فنحن نطلقك وتأمرك جبريل أن يدمدمها ، فإن أطاعك آمننا بك وصدقناك ، فقال : صدق الله إذ يقول : ( فلا يؤمنوا حتى

يروا العذاب الأليم ) إن شئت فافعل ، فأمر بإطلاقه : فلما وجد راحة العافية ، قال : يا جبريل ، ومدّ بها صوته ، ابعثوا من شتمت فليس بيني وبينكم الآن عمل ، غيري يملك الأموال وأنا لا شيء معي ، ما يذهب لكم في حاجة إلا كشيخان فأمر بإطلاقه والإحسان إليه .

المأمون ورجل يدعي انه ابراهيم الخليل : وحدث ثمامة بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون وقد أتى برجل ادعى أنه ابراهيم الخليل ، فقال له المأمون : ما سمعت بأجراً على الله من هذا ، قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في كلامه ، قال : شأنك وإياه ، قلت : يا هذا إن ابراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : وما براهينه ؟ قلت : أضرممت له النار وألقي فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، فنحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها فإن كانت عليك برداً وسلاماً كما كانت عليه آمناً بك وصدقناك ، قال : هات ما هو ألين علي من هذا ، قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : وما هي ؟ قلت : ألقى العصا فآذا هي حية تسمى تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين علي من هذا ، قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام في براهين عيسى وقال : جئت بالطامة الكبرى ، دعني من براهين هذا ، قلت : فلا بد من براهين ، قال : ما معي من هذا شيء ، وقد قلت لجبريل إنكم توجهونني الى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها وإلا لم أذهب ، ففضب جبريل عليه السلام علي ، وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم ، فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة .

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون أخاه القاسم ابن الرشيد من ولاية المهد .

خروج ابي السرايا وابن طباطبا وقوم من العلويين : وفي سنة تسع

وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق ، واشتد أمره ، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ، وهو ابن طباطبا ، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله ، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام ، وزيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، فغلبوا على البصرة .

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو إليه أبو السرايا ، وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي . وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، وإليه دعت السبئية<sup>(١)</sup> من فرق الشيعة وقالت بإمامته وقد اختلفوا فرقا : فمنهم من غلا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا في كتاب المقالات في أصول الديانات ، وفي كتاب أخبار الزمان ، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا - وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن - دعا لنفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وليس في آل محمد من ظهر لإقامة الحق من سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا ، وكان يسمى بالديباجة ، لحسنه وبهائه ، وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها إلى المأمون بخراسان ، والمأمون يومئذ بمرو ،

(١) في نسخة : السبئية .



فأمنه المأمون ، وحمله معه الى جرجان فلما صار المأمون مات محمد بن جعفر ، فدفن بها ، وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبي طالب ومقاتلهم ببقاع الارض في كتابنا « حدائق الأذهان » في أخبار آل أبي طالب ومقاتلهم في بقاع الأرض .

ظهور ابن الأفطس : وظهر في أيام المأمون ايضاً بالمدينة الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي ، وهو المعروف بابن الأفطس ، وقيل : انه دعا في بدء أمره الى ابن طباطبا ، فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بإمامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ، ومضى الناس الى عرفة ، ودفنوا الى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفطس وافى الموقف بالليل ، ثم صار الى المزدلفة والناس بغير إمام فصلى بالناس ، ثم مضى الى منى ، فنحَرَ ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القبطي البيض فقط .

الظفر بأبي السرايا : وفي سنة مائتين ظفر عماد المعروف بالكندغوش بأبي السرايا ، فأتى به الحسن بن سهل ، فقتله وصلبه على الجسر ببغداد ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على خبر أبي السرايا وخروجه وما كان منه في خروجه وقتله عبدوس بن محمد بن أبي خالد ومن كان معه من قواد الأبناء واستباحته عسكره .

قال المسعودي : وفي سنة مائتين بعث المأمون برجاء بن أبي الضحاك وياسر الخادم الى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الرضا لإشخاصه ، فحمل اليه مكرماً ، وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً .

المأمون وعلي بن موسى الرضا : ووصل الى المأمون أبو الحسن علي بن

موسى الرضا ، وهو بمدينة مرو ، فأنزله المأمون أحسن انزال ، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا ، فبايع له بولاية الهد ، وضرب اسمه على الدنانير والدرهم ، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك ، ونمي ذلك الى من بالعراق من ولد العباس ، فأعظموه اذ علموا ان في ذلك خروج الأمر عنهم ، وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر اخو الرضا بأمر المأمون ، واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم ، على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شيكلة ، فبويع له يوم الخميس خمس ليال خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وقيل ان ذلك في سنة ثلاث ومائتين .

**مقتل الفضل بن مهمل :** وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين في حمام غيلة ، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان ، وذلك في دار المأمون ، في مسيره الى العراق فاستعظم المأمون ذلك وقتل قتله ، وسار المأمون الى العراق .

**موت علي بن موسى الرضا :** وقبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه ، وقيل : انه كان مسموماً ؛ وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين ، وصلى عليه المأمون ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : سبع وأربعين سنة وستة اشهر . وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، وكان المأمون زوج ابنته ام حبيبة لعلي بن موسى الرضا ، فكانت احدي الأختين تحت محمد بن علي بن موسى ، والأخرى تحت أبيه علي بن موسى .

ابراهيم بن المهدي يخرج على المأمون ، واضطربت بغداد في أيام ابراهيم ابن المهدي ، وثارت الرويضة (١) ، وسموا أنفسهم المطوعة (٢) ، وهم رؤساء العامة والتوابع ، ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدي بالناس في يوم النحر ، واختفى في يوم الثاني من النحر ، وذلك في سنة ثلاث ومائتين ، فخلعه أهل بغداد ، وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ، ولبسه الخضرة ، ثم غير ذلك ، وعاد إلى لباس السواد ، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه .

خروج بابك الخرمي : وفي سنة أربع ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها ، وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد البدين في اصحاب جاويدان بن شهزك ، وقد قدمنا ذكرنا بلاد بابك ، وهي البدين من أرض أذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والباب والأبواب ونهر الراس وجريانه نحو بلاد البدين .

الظفر بابراهيم : وبث المأمون عيون في طلب ابراهيم بن المهدي ، وقد علم باختفائه فيها ، فظفر به ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين في زي امرأة ، ومعه امرأتان ، أخذته حارس بن أسود في الدرب المعروف بالطويل ببغداد ، فأدخل إلى المأمون فقال : هيه يا ابراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ولي الشار محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو ، كما جعل كل ذي ذنب دوني ، فان تعاقب فبحقك ، وإن تعفو فبفضلك ، قال : بل العفو يا ابراهيم ، فكبر ثم خر ساجداً ، فأمر المأمون فصيرت المقنعة التي كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التي أخذ عليها ، ثم أمر به فصير في دار الحرس أياماً ينظر الناس اليه ، ثم حول إلى أحمد بن أبي خالد ، ثم رضي عنه من بعد أن كان وكل به ، فقال ابراهيم (١) في نسخة : الرويضة . (٢) في نسخة : المطوعة .

في ذلك من كلمة له :

إن الذي قَسَمَ المكارم حازها من صلب آدم للإمام السابع  
جمع القلوب عليك جامع أهلها وحوى ودادك كل خير جامع  
فبذلت أعظم ما يقوم بحمله وسع النفوس من الفعال البارع  
وعفوت عنم لم يكن عن مثله عفو ، ولم يشفع إليك بشافع ،

زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل : وانحدر المأمون الى قم  
الصلح في شعبان سنة تسع ومائتين ، وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل  
التي تسمى بوران ، ونثر الحسن في ذلك الإملاك من الأموال ما لم ينثره ولم  
يفعله ملك قط في جاهلية ولا في إسلام ، وذلك أنه نثر على الهاشميين  
والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء  
جوارٍ وصفات دواب وغير ذلك ، فكانت البندقية إذا وقعت في يد الرجل  
فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها ، فيمضي الى الوكيل  
الذي نصب لذلك فيقول له : ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا  
من رُستاق كذا ، وجارية يقال لها فلانة الفلانية ، ودابة صفتها كذا ، ثم  
نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافج المسك وبيض العنبر ،  
وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام  
مقامه عنده حتى المكارين والمهالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع  
ومتبوع مرتزق وغيره ، فلم يكن أحد من الناس يشتري شيئاً في عسكر  
المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما أراد المأمون أن يصعد في دجاة  
منصرفاً الى مدينة السلام قال للعسن : حوائجك يا أبا محمد ، قال : نعم  
يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تحفظ عليّ مكاني من قلبك ، فإنه لا يتهاى لي  
حفظه إلا بك ، فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز اليه سنة ،  
فقال في ذلك الشعراء فأكثر ، وأطنبت الخطباء في ذلك وتكلمت ، فما  
استظرف مما قيل في ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلي :

بارك الله للحسن ولبوران في الحسن  
يا ابن هارون قد ظفرت ولكن ببنت من

فلما نمي هذا الشعر الى المأمون قال : والله ما ندري خيراً أراد أم شراً .  
اهل المأمون يحملونه على قتل ابراهيم بن المهدي ، ودخل ابراهيم بن المهدي  
يوماً على المأمون بعد مدة من الظفر به فقال : ان هذين يحملاني على قتلك -  
يعني المعتصم اخاه والعباس بن المأمون - فقال : ما اشارا عليك الا بما يُشار  
به على مثلك ، ولكن تدع ما تخاف لما ترجو ، وأنشد :

رددت مالي ولم تبخل علي به      وقبل ردك مالي قد حقنت دمي  
فبؤت منها وما كافيتها بيدي      هما الحياتان من موت ومن عدم  
البر وطأ منك العذر عندك لي      فيما أتيت ، ولم تعذل ، ولم تلم  
وقام عذرك بي فاحتج عندك لي      مقام شاهد عدل غير متهم

ولا ابراهيم اخبار حسان ، وأشعار ملاح ، وما كان من أمره في مال  
اختفائه في سويقة غالب ببغداد ، وتنقله من موضع الى موضع بها ، وخبره  
في الليلة التي قبض عليه فيها ، وقد أتينا على جميعها فيما سمينا من كتبنا التي  
كتابنا هذا قال لها ومنه عليها .

وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدي كتباً منها:  
كتابه في أخبار المتطبين مع الملوك في المآكل والمشرب والملابس ، وغير  
ذلك ، وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم بن المهدي في أنواع الأخبار ، وغير  
ذلك من كتبه .

من اخبار ابراهيم بن المهدي ، ومن أحسن ما اختير من اخبار ابراهيم في  
حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين ، وهو ان المأمون لما دخل بغداد  
على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الباب من بثه العيون طالباً لابراهيم بن المهدي ،  
وجعل لمن دل عليه جعلاً خطيراً من المال ، قال ابراهيم : فخرجت في يوم

صائف في وقت الظهر لا أدري أين أتوجه ، فصرت الى زقاق ولا منفذ له ، فرأيت أسوداً على باب دار ، فصرت اليه وقلت له : أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار؟ فقال : نعم ، وفتح بابه ، فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ، ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومضى ، فتوهمته قد سمع الجمالة في ، وأنه خرج ليدل علي ، فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه طبق<sup>(١)</sup> عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم ، وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف ، كل ذلك جديد ، وقال لي : جعلني الله فداك ، اني حجام ، واني اعلم انك تتقدر ما اتولاه ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي ، وكانت بي حاجة شديدة الى الطعام ، فقمت فطبخت لنفسي قدراً ما اذكر اني اكلت اطيبَ منها ، ثم قال لي بعد ذلك : هل لك في النبيذ؟ فقلت : ما اكره ذلك ، ففعل مثل فعله في الطعام ، وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيئاً منه بيده ، ثم قال لي بعد ذلك : أتأذن لي جعلني الله فداك ان اقعده ناحية منك فأتي بنبيذ فأشرب منه سروراً بك؟ قال : فقلت : افعل ذلك ، فلما شرب ثلاثاً دخل خزانة له وأخرج منها عوداً وقال : يا سيدي ، ليس من قدرتي ان أسألك ان تغني ، ولكن قد وجبت عليك جرمتي ، فإن رأيت ان تشرف عبدك بأن تغنيه ، قال : فقلت : وكيف توهمت علي اني احسن الغناء؟ فقال متعجباً : يا سبحان الله ! ! أنت اشهر من ان لا اعرفك ، انت ابراهيم بن المهدي الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف درهم ، قال : فلما قال لي ذلك تناولت العود ، فلما همت بالغناء قال : ياسيدي أتجعل ما تغنيه ما اقترحه عليك؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة اصوات اتقدم فيها كل من غنى ، قلت : هبك عرفتي ، هذه الأصوات من اين لك بمعرفتها؟ قال : انا اخدم اسحاق بن ابراهيم الموصلية ، وكثير ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يحميدونه ، ولم اتوهم اني اسمع ذلك منك في منزلي ، فغنيتسه ، وأنت به ،

(١) في نسخة : ومعه جمال عليه الخ .

واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده ، وقد كنت حملت معي خريطة فيها دنانير ، فقلت له : خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ، ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى ، فقال : ما اعجب هذا ! والله لو كنت على ان اعرض عليك جملة ما عندي ، وأسألك أن تتفضل بقبولها ثم أجلتلك عن ذلك ، وامتنع من قبول شيء ، ومضى حتى دلثني على الموضع الذي احتجت اليه ، وانصرف ، وكان آخر العهد به .

يزيد بن هارون : وفي سنة ست ومائتين - وذلك في خلافة المأمون - مات يزيد بن هارون بن زاذان الواسطي ، وله تسع وثمانون سنة ، وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى لبني سليم ، وكان ابوه يخدم في مطبخ زياد بن أبيه وعبيدالله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف ، ويزيد هذا عند اهل الحديث من عليتهم<sup>(١)</sup> وعظيم من عظمائهم ، وكانت وفاته بواسط العراق .

موت جماعة من اهل العلم : وفيها مات جرير بن خزيمة بن حازم ، وشيبة ابن سوار المدني ، والحجاج بن محمد الأعور الفقيه ، وعبدالله بن نافع الصائغ المدني مولى لبني مخزوم ، ووهب بن جرير ، ومؤمل بن اسماعيل ، وروح بن عبادة ، وفيها مات الهيثم بن عدي وكان يغمز عليه نسبة ، وفيه يقول القائل :

اذا نسبتَ عدياً في بني ثعلٍ فقدم الدال قبل العين في النسب

قصة وفاة وايشار : وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي ، وهو محمد بن عمرو بن وايشار مولى لبني هاشم ، وهو صاحب السير والمغازي ، وقد ضعف في الحديث ، وذكر ابن أبي الأزهري قال : حدثني ابو سهل الرازي ، عن حدثه عن الواقدي قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضيقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا

(١) في نسخة : وهذا عمدة اهل الحديث في علمهم .

فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ لما حضر ، فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قراري حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليبي مستحياً من امرأتي ، فلما دخلت عليها استعسنت ما كان مني ولم تعنني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ؛ فقال لي : اصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته الخبر على جهته ، فقال : إنك وجهت إليّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه بكيسي بخاتمي قال . فتواسينا الألف ثلاثاً بعد أن أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم ، ونمي الخبر إلى المأمون ، فدعاني ؛ فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار : لكل واحد ألفا دينار ، وللرأفة ألف دينار ، يقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة .

وفيهما كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ببغداد ، وصلى عليه المأمون ، وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا .

بين أزهر وأبي جعفر المنصور : وفيها مات أزهر السمان ، وكان صديقاً لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعاً وسمعا الحديث ، وكان المنصور يألّفه ، ويأنس إليه ، ويكبر عنده ، فلما أفضت الخلافة إليه أشخص إليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته ، وكان يعرفهن بأسمائهن ، وأظهر بره وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يقدم إليه مستنجحاً ، فلما كان بعد حول صار إليه ، فقال له : ألم آمرك أن تسير إليّ مستنجحاً ، فقال له : ما صرت إليك إلا مسلماً ومجدداً بك عهداً .



قال : ما أرى الأمر<sup>(١)</sup> كما ذكرت ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن يصير اليه مسلماً ولا مستميحاً ، فلما كان بعد سنة صار اليه ، فقال : إني لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإنما بلغني أن علة عرضت للأمير المؤمنين فأتيته عائداً ، فقال ما اظنك أتيت الا مستوصلاً ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته ، وقلن له يا أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه ، فقال : ويحك ! ! ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحاً ومسلماً وعائداً ؟ ماذا أقول في هذه المرة ؟ وبم أحتج ؟ فأبوا على الشيخ الا الالحاح ، فخرج فأتى المنصور وقال : لم آتتك مسترفداً ، ولا زائراً ولا عائداً ، وإنما جئت لسماع حديث كذا سمعناه جميعاً في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته ، فقال له المنصور : لا تردده فإني قد تجربته فليس هو بمستجاب ، وذلك اني منذ جئتني أسأل الله به ان لا يردك إليّ ، وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلماً او عائداً او زائراً ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وقال له : قد أعيتني فيك الحيلة فصر إلي متى شئت .

مقتل ابن عائشة : وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة ، وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب ، واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام اخي ابي العباس والمنصور ، وقتل معه محمد بن ابراهيم الإفريقي وغيره ، وابن عائشة هذا اول عباسي صلب في الإسلام ، وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر :

اذا الذار في احجارها مستكنة متى ما يُهيجها قاذحٌ تنصرم

وكان رجل من ولد العباس بن علي بن ابي طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة ، وهو العباس بن العباس العلوي ، بمدينة السلام ، وكان

(١) في نسخة : ما أرى الأمر الا كما ذكرت .

المتصم يشناه لحال كانت بينها ، فكان في نفس المأمون انه شانىء له ولدولته ، ماقت لأيامه ، فلما كان في تلك الليلة لحق العباس بالمأمون على الجسر فقال له المأمون : ما زلت تنتظرها حتى وقعت ، فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ولكني ذكرت قول الله عز وجل ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ) فحسن موقع ذلك منه ، ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق ، فلما قتل ابن عائشة قال : يأذن أمير المؤمنين في الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : الله الله في الدماء ، فإن الملك إذا ضرى بها لم يصبر عنها ، ولم يُبتقِ على أحد ، قال : لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دماً ، وأمر له بثلاثمائة ألف درهم .

وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الإيقاع بالمأمون ، وما كان من أمره في كتابنا في « أخبار الزمان » .

موت أبي عبيدة معمر بن المثنى : وفي سنة إحدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة معمر بن المثنى بالبصرة ، وكان يرى رأي الخوارج ، وبلغ نحواً من مائة سنة ، ولم يحضر جنازته أحد من الناس ، حتى اكرى لها من يحملها ، ولم يكن يسلم عليه<sup>(١)</sup> شريف ولا وضيع إلا تكلم فيه ، وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها : منها كتاب المثالب ، ويذكر فيه أنساب العرب وفسادها ، ويرميهم بما يُسيء الناس ذكره<sup>(٢)</sup> ، ولا يحسن وصفه ، وكان أبو نواس الحسن بن هاني كثير العبث به ، وكان أبو عبيدة يقعد في مسجد البصرة إلى سارية من سواريه ، فكتب أبو نواس عليها في غيبته عنها بهذين البيتين يُعرضُ به :

صلى الإله على لوط وشيعته      أبا عبيدة قل بالله آمينا  
وأنت عندي بلا شك بقيتهم      مذ احتلمت ، وقد جاوزت تسعينا

(١) في نسخة : ولم يكن يسلم منه الخ. (٢) في نسخة : ويرميهم بما ليس في السياسة ذكره.

فلما جاء أبو عبيدة ليجلس في مجلسه ويستند على تلك السارية رأى ذلك فقال : هذا فعلُ الماِجِنِ اللولِطِ أبي النواس ، حُكِّوه وإن كان فيه صلاة على نبي .

موت أبي العتاهية وشيء من أخباره : وفي هذه السنة - وهي سنة إحدى عشرة ومائتين - مات أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ، الشاعر ، متنسكاً لابساً للصوف ، وكان له مع الرشيد أخبار حسان : من ذلك ما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله إليه ، وأمر أن لا يكلم في طريقه ، ولا يعلم ما يراد منه ، فلما صار في بعض الطريق كتب له بعض مَنْ معه في الطريق : إنما يراد قتلك ، فقال أبو العتاهية من فوره :

ولعلَّ ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه سوف يكون  
ولعل ما هَوَّنتَ ليس بهين ولعل ما شددت سوف يهون  
وحج في بعض الحجج مع الرشيد ، فنزل الرشيد يوماً عن راحلته ، ومشى ساعة ، ثم أعيا ، فقال : هل لك يا أبا العتاهية أن تستند إلى هذا الميل<sup>(١)</sup> ؟ فلما قعد الرشيد أقبل على أبي العتاهية وقال له : يا أبا العتاهية : حركنا ، فقال :

هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا  
ألا يا طالبَ الدنيا دع الدنيا لشانيكا  
وما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيكا

ولأبي العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان ، قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملاً مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه ، وكذلك قدمنا من ذلك لمعاً فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار خلفاء بني العباس ، ومما

(١) في نسخة : ان نترجح الى ظل هذا الميل .

استحسن من ذلك قوله :

أحمدُ قال لي ولم يدُر ما بي : أتحب الفداة عتبه حقاً ؟  
فتنفسْتُ ثم قلت : نعم حباً جرى في العروق عرقاً فمرقا  
ليتني 'مت' فاسترحت ؛ فإني أبداً ما حييت منها ملقى  
لا أراني أبقي ، ومن يلقى ما لا قيتُ من لوعة الجوى ليس يبقى  
فاحتسبُ صحبتي ، وقل رحمة الله على صاحب لنا مات عشقا  
أنا عبْدٌ لها وإن كنت لا أر زقُ منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضاً قوله :

يا عُتْبَ ما لي ولكِ يا ليتني لم أركِ  
ملكنتي فانتهكي ماشئت أن تنتهكي  
أبيتُ ليلي ساهراً أرعى نجوم الفلك  
مفترشاً جمرَ النضى ملتحفاً بالحسك

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله :

أخلاي بي شجوة ، وليس بكم شجوة وكل امرئ من شجو صاحبه خلنو  
رأيت الهوى جمرَ النضى ، غير أنه على حره في صدر صاحبه حلو  
أذاب الهوى جسمي وعظمي وقوتي فلم يبق إلا الروح والبدن النضو  
وما من حبيب نال ممن يحبه هوى صادقاً إلا يداخه زهو  
وإني لنائي الطرف من غير خلتي وما لي سواها من حديث ولا لهو  
لها دون إخواني وأهل مودتي من الود مني فضلة ، ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله :

يا لهف نفسي على الذي اجتنبت بأي جرم ترونها عتتت  
تبارك الله بش ما صنعت بي في هواها ، وبش ما ارتكبت (١)

(١) في نسخة : بي من هواها .

أَتَيْتَهَا زَائِراً فَمَا انْتَجَزَتْ      وَعَدِي إِذْ جِئْتُهَا وَمَا احْتَسَبْتُ  
 كَمْ مِنْ دِيونِ وَاللهِ يَعْلَمُهَا      لَنَا عَلَيْهَا لَمْ تُقْضَ إِذْ وَجِبْتُ  
 مَا وَهَبْتُ لِي مِنْ فَضْلِهَا عِدَّةٌ      إِلَّا اسْتَرَدَّتْ جَمِيعَ مَا وَهَبْتُ  
 فَأَيُّ خَيْرٍ وَأَيُّ مَنْفَعَةٍ      لِذَاتِ دَلِّ تَرِيقِ مَا حَلَبْتُ ؟  
 اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ ظَالِمِي      طَلَبْتُ مِنْهَا وَصَالِمَا فَأَبْتُ  
 مَاذَا عَلَيْهَا لَوْ أَنهَا يَعْثُ      مِنْهَا رَسُولاً إِلَيَّ أَوْ كَتَبْتُ  
 رَغِبْتُ فِي وَصْلِهَا وَقَدْ زَهَدْتُ      عَتَبَةً فِي وَصْلَانَا وَمَا رَغِبْتُ

وكان ابو العتاهية قبيح الوجه ، مليح الحركات ، حلو الانشاد ، شديد الطرب ومن مليح شعره ايضاً قوله :

من لم يذق لصبابة طعاماً      فلقد احطت بطعمها علماً  
 إني منحت مودتي سَكناً      فرأيته قد عدّها جرماً  
 يا عتّب ما ابقيت من جسدي      لهما ، ولا ابقيت لي عظماً  
 يا عتب ما أنا من صنيعك بي      أعمى ، حولكن الهوى أعمى  
 إن الذي لم يدر ما كلفني      ليري على وجهي به وسماً

وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله :

هم القاضي بيت يطرب      قال القاضي لما عوتب  
 ما في الدنيا إلا مذنب      هذا عذر القاضي واقلب

وزنه فعلن فعلن اربع مرات ، وقد قال قوم : إن العرب لم تقل على وزن هذا شعراً ، ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين .

الزيادة في العروض على الخليل : قال المسعودي : وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض : من ذلك المديد ، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل ، وفيه عروض رابع وضربان محدثان ، فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثه قول الشاعر :

من لعين لا تنام دمعها سح سجام<sup>(١)</sup>

والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثه قول الشاعر :

يا لبكر لا تنوا ليس ذا حين ونا

وغير ذلك مما قد تكلموا فيه ، وذكروه في هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في « أخبار الزمان » .  
 ابو العباس الناشيء : وقد صنف ابو العباس عبدالله بن محمد الناشيء الكاتب الأنباري على الخليل بن احمد في ذلك كتاباً ذكر فيه أنواعاً من هذا المعنى مما خرج فيه الخليل بن احمد عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن ارضاع الجدل ، كان ذلك له لازماً ، ولما اورده كاسراً ، وللناشوء اشعار كثيرة حسان : منها قصيدة واحدة نحو من اربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها اهل الآراء والنحل والمذاهب والملل ، وأشعار كثيرة ومصنفات واسعة في انواع من العلوم ، فمما جود فيه قوله حين سار من العراق إلى مصر ، وبها كانت وفاته ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره :

يا ديار الأحباب هل من مجيب عنك يشفي غليل نائي المزار ؟  
 ما أجابت ، ولكن الصمت منها فيه للسائلين طول اعتبار  
 إن تكن اوحشت فبعد انيس أو خلت منهم فبعد قرار  
 قد لهونا بها زماناً وحيناً ووصلنا الأسحار بالأسحار  
 واغتبقتنا على صبوح وهو وحنين النايات والأوتار  
 بين ورد وفرجس وخزامى وبنفس وسوسن وبهار  
 وأقاح وكل صنف من النور والشهي الجنى والجلتار  
 فرمتنا الأيام أحسن ما كنا على حين غفلة واغترار

(١) في نسخة : ما لعيني لا تنام .

فافترقنا من بعد طول اجتماع ونأينا بعد اقتراب الديار  
 نداء المأمون في امر معاوية وسببه : وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى  
 منادي المأمون : برئت الذمة من احد من الناس ذكر معاوية بخير او قدمه  
 على احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكلم في اشياء من  
 التلاوة انها مخلوقة ، وغير ذلك ، وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر  
 بالنداء في امر معاوية ، ف قيل في ذلك أقاويل : منها أن بعض ستماره حدث  
 بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي ، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن  
 بكار في كتابه في الاخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق ، وهو ابن  
 الزبير ، قال : سمعت المسدائي يقول : قال مطرف بن المغيرة بن شعبة :  
 وَفَدَّتْ مَع أَبِي الْمَغِيرَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَكَانَ أَبِي يَأْتِيهِ يَتَحَدَّثُ عِنْدَهُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ  
 إِلَيَّ فَيَذْكُرُ مَعَاوِيَةَ وَيَذْكُرُ عَقْلَهُ وَيَعْجَبُ بِمَا يَرَى مِنْهُ ، إِذْ جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ  
 فَأَمْسَكَ عَنِ الْعِشَاءِ ، فَرَأَيْتَهُ مَفْتَمًا ، فَاَنْتَظَرْتُهُ سَاعَةً ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَشَيْءٍ  
 حَدَثَ فِينَا أَوْ فِي عَمَلِنَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا لِي أُرَاكَ مَفْتَمًا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : يَا  
 بَنِي ، إِنِّي جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَخْبَثِ النَّاسِ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ  
 وَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ : إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ مِنَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ أَظْهَرْتَ عَدْلًا  
 وَبَسَطْتَ خَيْرًا فَانْكَ قَدْ كَبُرْتَ ، وَلَوْ نَظَرْتُ إِلَى إِخْوَتِكَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَوَصَلْتُ  
 أَرْحَامَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمُ الْيَوْمَ شَيْءٌ تَخَافُهُ ، فَقَالَ لِي : هِيَّاتِ هِيَّاتِ !!  
 مَلِكٌ أَخُو تَيْمٍ فَعَدَلَ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ،  
 إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ مَلِكٌ أَخُو عَدِيٍّ ، فَاجْتَهَدَ وَشَمَّرَ عَشْرَ  
 سِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : عَمْرٌ ، ثُمَّ  
 مَلِكٌ أَخُو نَاعِمَانَ فَمَلِكٌ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي مِثْلِ نَسَبِهِ ، فَعَمِلَ مَا عَمِلَ  
 وَعَمِلَ بِهِ فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ، وَذَكَرَ مَا فَعَلَ بِهِ ، وَإِنْ أَخَا  
 هَاشِمٍ يُضْرَخُ بِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ : أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَيُّ  
 عَمَلٍ يَبْقَى مَعَ هَذَا ؟ لَا أُمَّ لَكَ ؛ وَاللَّهِ أَلَا دَفْنَا دَفْنَا ، وَإِنَّ الْمَأْمُونَ لَمَّا سَمِعَ

هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا ، وانشتت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم الناس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة منه فأشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عما كان همّ به .

وفاة أبي عاصم النبيل ، وجماعة من اهل العلم : وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عاصم النبيل ، وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيباني ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين ، وفيها مات محمد بن يوسف الفارابي ، وفي سنة خمس عشرة ومائتين - وذلك في خلافة المأمون - مات هوزة بن خليفة بن عبد الله ابن أبي بكر ، ويكنى بأبي الأشهب ، ببغداد ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بباب البردان ، في الجانب الشرقي ، وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري ، وفيها مات إسحاق بن الطباع ، بأذنة من الثغر الشامي ، ومعاوية بن عمرو ، ويكنى بأبي عمرو ، وقبيصة بن عقبة ، ويكنى بأبي عامر ، من بني عامر بن صعصعة .

وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر ، وقتل بها عبدوس ، وكان قد تغلب عليها .

غزو الروم : وفي سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم ، وقد كان شرع في بناء الطوانة ، مدينة من مدنها على فم الدرب ، مما يلي طرسوس ، وعمد إلى سائر حصون الروم ، ودعاهم إلى الاسلام ، وخيرهم بين الاسلام والجزية بالسيف ، وذلك النصرانية ، فأجابه خلق من الروم إلى الجزية .

قال المسعودي : وأخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقي بدمشق ، قال : لما توجه المأمون غازياً ، ونزل البديدون ، جاءه رسول ملك الروم فقال له : إن الملك يخبرك بين أن يرُدّ عليك نفقتك التي أنفقتها في طريقك من بلدك الى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل



بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان ، وترجع عن غزائك ،  
 فقام المأمون ودخل خيمة<sup>(١)</sup> ، فصلى ركعتين ، واستخار الله عز وجل وخرج ،  
 فقال للرسول : قل له ، أما قولك ترد علي نفقتي ، فاني سمعت الله تعالى  
 يقول في كتابنا<sup>(٢)</sup> ، حاكياً عن بلقيس : ( وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة  
 بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال : أتمدونني بمال ؟ فما آتاني الله خير مما  
 آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ) وأما قولك : إنك تخرج كل أسير من  
 المسلمين في بلد الروم ، فما في يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز  
 وجل والدار الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وإما رجل يطلب الدنيا ، فلا  
 فك الله أسره ، وأما قولك : إنك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم ،  
 فلو أني قلمت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة في  
 حال أسرها ، فقالت : واحمداه واحمداه ، 'عد' إلى صاحبك ، فليس بيني  
 وبينه إلا السيف ، يا غلام اضرب الطبل ، فرحل ، فلم ينثن عن غزاته ،  
 حتى فتح خمسة عشر حصناً ، وانصرف من غزاته ، فنزل على عين البديدون ،  
 المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، فأقام هنالك حتى  
 ترجع رأسه من الحصون ، فوقف على العين ومنبع الماء ، فأعجبه برؤ ماها  
 وصفائوه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة ، فأمر بقطع خشب  
 طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر ، وجعل فوقه كالأزج من الخشب  
 وورق الشجر ، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته ، وطرح  
 في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد  
 يدخل يده في الماء من شدة برده .

علة المأمون وموته : فيينا هو كذلك إذا لاحت سمكة نحو الذراع كأنها  
 سبيكة فضة ، فجعل لمن يخرجها سبقاً ، فبدر بعض الفراشين فأخذها  
 وصعد ، فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون  
 اضطربت وافلتت<sup>(٣)</sup> من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر ، فنضح

(١) في نسخة: فدخل إلى خيمته. (٢) في نسخة: في كتابه العزيز. (٣) في نسخة: وانغلت من يد الفراش.

من الماء على صدر المأمون ونحره وتوقوتته فبلت ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب ، فقال المأمون : ثقلي الساعة ، ثم أخذته رعدة من ساعته ، فلم يقدر يتحرك من مكانه ، فنطى باللحف والدواويج ، وهو يرتعد كالسفة ، ويصيح البرد البرد ، ثم حول إلى المضرب ، ودثر ، وأوقدت النيران حوله ، وهو يصيح : البرد البرد ، ثم أتى بالسمة وقد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها ، وشغله ما هو فيه عن تناول شيء منها ، ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بجثيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المأمون وهو في مكثرات الموت ، وما الذي يدل عليه علم الطب من أمره ؟ وهل يمكن برؤه وشفائه ؟ فتقدم ابن ماسويه ، فأخذ إحدى يديه وبجثيشوع الأخرى ، وأخذ الجسة من كلتا يديه ، فوجدنا نبضه خارجاً عن الاعتدال ، مُنذراً بالفناء والانحلال ، والتزقت أيديها ببشرته لِعَرَقٍ كان يظهر منه من سائر جسده ، كالزيت ، أو كلعاب بعض الأفاعي ، فأخبر المعتصم بذلك ، فسألها عن ذلك ، فانكرا معرفته ، وأنها لم يجدها في شيء من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد ، وأفاق المأمون من غشيته ، وفتح عينيه من رقدته ، فأمر بإحضار أناس من الروم ، فسألهم عن اسم الموضع والعين ، فأحضر له عدة من الأسارى والأدلة ، وقيل لهم : فسروا هذا الاسم القشيرة <sup>(١)</sup> ، فقليل له تفسيره مُدَّ رجلِك ، فلما سمعها اضطرب من هذا الفأل وتطير به ، وقال : سلوم ما اسم الموضع بالعربية ، فقالوا : الرقة ، وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرققة ، وكان المأمون كثيراً ما يجيد عن المقام بمدينة الرقة فرقاً من الموت فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذي وُعد فيه فيما تقدم من مولده ، وأن فيه وفاته ، وقيل : إن اسم البديدون تفسيره مُدَّ رجلِك ،

(١) في نسخة : ما تفسير هذا الاسم وهو القشيرة .

والله أعلم بكيفية ذلك ، فأحضر المأمون الأطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه ، فلما ثقل قال : أخرجوني أشرف على عسكري ، وانظر إلى رجالي ، وأتبعين ملكي ، وذلك في الليل ، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران ، فقال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ثم رُدَّ إلى مرقده وأُجْلَسَ المعتصم رجلاً يشهده لما ثقل<sup>(١)</sup> ، فرفع الرجل صوته ليقولها ، فقال له ابن ماسويه : لا تصيح فوالله ما يفرق بين ربه وبين ماني في هذا الوقت ، ففتح المأمون عينيه من ساعته ، وبها من العظم والكبر والاحمرار ما لم يُرَ سِله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بآبن ماسويه ، ورام مخاطبته ، فمجز عن ذلك ، فرمى بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعاً ، فانطلق لسانه من ساعته ، وقال : يا من لا يموت ارحم من يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس فدفن بها ، على حسب ما قدمنا في أول أخباره من هذا الكتاب .

قال المسعودي : وللمأمون أخبار حسان ومعيان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة ، قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن ذكرها .

وفي المأمون يقول أبو سعيد الخزومي :

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئاً وملكه المأمون<sup>(٢)</sup>  
 خلفوه بعرضي طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس  
 وكان المأمون كثيراً ما ينشد هذه الأبيات :

وَمَنْ لَا يَزَلْ غَرَضًا لِلنُّوْمِ      ن يتركه ذات يوم عيدا  
 فإِنَّ هُنَّ أَخْطَانَهُ مَرَّةً      فيوشك مخطئها أن يعودا  
 فبينا يجيد وتخطينه      قصدن فأعجلنه أن يجيدا

(١) في نسخة : رجلا يلقنه الشهادة لما ثقل . (٢) في نسخة : وملكه المأمون .

## ذكر

### خلافة المعتصم

**موجز :** وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون ، وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، واسمه محمد بن هارون ، ويكنى أبا إسحاق ، وكان بينه وبين العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ، ثم انقاد العباس إلى بيعته ، والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين ، وأمه يقال لها ماردة بنت شبيب ، وقيل إنه بويع سنة تسع عشرة ومائتين ، وتوفي بسر من رأى سنة سبع وعشرين ، وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر ، فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ، وقبره بالجوسق بسر من رأى على ما ذكرنا .

## ذكر

### جمل من أخباره وسيره ، ولعل مما كان في أيامه

ابن الزيات وزير المعتصم وأحمد بن أبي دؤاد : واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه ، وغلب عليه أحمد بن أبي دؤاد ، ولم يزل محمد بن عبد الملك في أيام المعتصم والوائق إلى أن ولي المتوكل ، وكان في نفسه عليه شيء ، فقتله ، وسندكر لمعاً من خبر مقتله فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المتوكل ، وإن كنا قد أتينا على ذلك ملخصاً في الكتاب الأوسط .

**حب المعتصم للعبارة :** وكان المعتصم يحب العبارة ، ويقول : إن فيها

أموراً محمودة ، فأولها عمران الأرض التي يحيي بها العالم ، وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه .  
بأس المعتصم وقوته : وكان المعتصم ذا بأس وشدة في جسمه ، وشجاعة في قلبه ، فذكر أحمد بن أبي دؤاد - وكان به أنساً - قال : لما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوماً وعنده ابن ماسويه ، فقام المعتصم فقال لي : لا تبرح حتى أخرج إليه ، فقلت ليحيى بن ماسويه : ويحك !! إني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ، ونقصت قوته ، وذهبت سورتاه ، فكيف تراه أنت ؟ قال : هو والله زبرة من زبر الحديد ، إلا أن في يديه فأساً يضرب بها تلك الزبرة ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : كان قبل ذلك إذا أكل السمك اتخذ له صباغاً من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل والجوز فأكله بذلك الصباغ ، يدفع أذى السمك وأضراره بالعصب ، وإذا أكل الرؤوس اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطئها ، وكان في أكثر أموره يلفظ غذاءه ويكثر مشورتني ، فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيئاً خالفني ، وقال : آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه فما أقدر أن أصنع ، قال : وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه ، فقلت : ويلك يا أبا يحيى !! أدخل أصبعك في عينيه<sup>(١)</sup> ، قال : جعلت فداك ، ما أقدر أرده ولا أجتريء عليه في خلاف ، فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم ، فقال لي : ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه ؟ قلت : ناظرته يا أمير المؤمنين في لونسك الذي أراه حائلاً ، وفي قلة طعمك الذي قد هدّ جوارحي وأنحلّ جسمي ، قال : فما قال لك ؟ قلت : شكاً أنك كنت تقبل منه ما يشير به عليك وكنت ترى في ذلك على ما يجب ، وأنت الآن تخالفه ، قال : فما قلت له أنت ؟

(١) في نسخة : أدخل أصبعك في عينه .

قال : فجعلت أصرف الكلام ، قال : فضحك وقال : هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك ؟ قال : فارتفضت عرقاً وعلت أنه قد سمع ما كنا فيه ، ورأى ما قد داخلني ، فقال : يغفر الله لك يا أحمد ، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك إذ سمعته وعلت أنه نوع من أنواع الانبساط والآنس .

المعتصم وعلي بن الجنيد : وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الإسكافي ، وكان عجيب الصورة عجيب الحديث ، فيه سلامة أهل السواد<sup>(١)</sup> ، فقال المعتصم يوماً لمحمد بن حماد : اذهب بالغداة إلى علي بن الجنيد ، فقل له يتبها حتى يزاملني ، فأناه فقال : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تزامله ، فتبها لشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد : وكيف أتبها ؟ أهيه لي رأساً غير رأسي ؟ أشتري لحية غير لحيتي ! أزيد في قامتي ! أنا متبهي وفضلة ، قال : لست تدري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ! فقال علي بن الجنيد : وما هي ؟ هات يا من تدري ، قال له ابن حماد وكان أديباً ظريفاً وكان يرسم الحجاب : شرط المعادلة الإمتاع<sup>(٢)</sup> بالحديث والمذاكرة والمناولة ، وأن لا يبزق ، ولا يسعل ، ولا يتنحج ، ولا يخط ، وألا يتقدم الرئيس في الركوب إشفاقاً عليه من الميل ، وأن يتقدمه في النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان هو والمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة سواءً ، وليس له أن ينام وإن نام الرئيس ، بل يأخذ نفسه بالتيقظ ، ومراعاة حال من هو معه وما هو راكمه ؛ لأنها إذا ناما جميعاً فمال جانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لا يخفاء به ، وعلي بن الجنيد ينظر إليه ، فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد : آه حرها ، اذهب له فقل له : ما يزاملك إلا من أمه زانية وهو كشيخان ، فرجع ابن حماد ، فقال للمعتصم ما قال ، فضحك المعتصم وقال : جئني به ، فجاءه ، فقال : يا علي ، أبعث إليك تزاملني فلا تفعل ؟ فقال : إن ربيولك هذا

(١) في نسخة : سلامة أهل السواد . (٢) في نسخة : الامتناع .

الجاهل الأزعر<sup>(١)</sup> جاءني بشروط حسن الشاشي وخالويه الهاكي فقال : لا تبزق ، ولا تفعل كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمطط في كلامه ، ويفرقع في صاداته ، ويشير بيديه ، ولا تسعل ، ولا تمطس ، وهذا لا يقوم لي ، ولا أقدر عليه ، فإن رضيت أن أزاملك فإن جاءني الفسّاء فسوت عليك وضرّطت ، وإذا جاءك أنت فأده فافس واضرط ، وإلا فليس بيني وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب ، وقال : نعم زاملني على هذه الشريطة ، قال : نعم وكرامة ، فزاملته في قبة على بغل ، فسارا ساعة ، وتوسطا البر ، فقال علي : يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى ؟ قال : ذلك إليك إذا شئت ، قال : تحضر ابن حماد ، فأمر المعتصم بإحضاره ، فقال له علي : تعال حتى أسارك ، فلما دنا منه فسّأ ، وناوله كفه ، وقال : أجد دبيب شيء في كمي فنظر ما هو ، فأدخل رأسه ، فشم رائحة الكنيف ، فقال : ما أرى شيئاً ، ولكني لم أعلم أن في جوف ثيابك كنيفاً ، والمعتصم قد غطى فمه بكفه ، وقد ذهب به الضحك كل مذهب ، ثم جعل يفسو فسّاء متصلاً ، ثم قال لابن حماد : قلت لي لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط ، فلم أفعل ولكني أخترى عليك ، قال : فاتصل فسأوه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ، ثم قال للمعتصم : قد نضجت القدر ، وأريد أخترى ، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه : ويلك ! يا غلام الأرض ، الساعة أموت .

ودخل علي بن الجنيد الاسكافي يوماً على المعتصم فقال له بعد ان ضاحكه وهازله : يا علي ، ما لي لا أراك ويلك ! ؟ أنسيت الصحبة وما حفظت المودة ؟ فقال له حينئذ : بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت ، ما أنت إلا إبليس ، فضحك ، ثم قال : لم لا تجيئني ؟ قال : آه كم أجيء فلا أصل إليك ، أنت اليوم نبيل ، فكأنك من بني مارية ، وبنو مارية اناس من

(١) في نسخة : الأرعن .

اهل السواد يضرب بهم اهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم ، فقال له المعتصم : هذا سندان التركي ، وأشار الى غلام على رأسه بيده مذبة ، وقال له : يا سندان ، إذا حضر علي فاعلمني وإن أعطاك رقعة فأوصلها إليّ ، وإن حملك رسالة فاخبرني بها ، قال : نعم يا سيدي ، وانصرف علي فأقام أياماً ثم جاء يطلب سنداناً فقالوا : هو نائم ، فانصرف ثم عاد ، فقالوا : هو داخل ، ولا تصل اليه ، فانصرف وعاد ، فقالوا : هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة اخرى ، فضاحكه ساعة وعاتبه ، وقال له : يا علي ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين ، ان رأيت سندان التركي فاقره مني السلام ، فضحك وقال : ما حاله ؟ قال : حاله انك جعلت بيني وبينك انساناً رأيتك قبل أن أراه ، وقد اشتقت اليه ، فأسألك ان تبلفه مني السلام ، فغلب المعتصم الضحك ، وجمع بينه وبين سندان ثانية ، وأكد عليه في مراعاة أمره ، فكان لا يمنع عنه .

المعتصم وشيخ زلق حمارة في الطين : وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي - وذلك في يوم مطير ، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة - وانفرد من اصحابه ، وإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك ، وهو الشوك الذي توقد به التناير بالعراق ، وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انساناً يمر فيعينه على حملة ، فوقف عليه ، وقال : ما لك يا شيخ ؟ قال : فديتك حماري وقع عنه هذا الحمل ، وقد بقيت انتظر انساناً يعينني على حملة ، فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين ، فقال الشيخ : جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي أشمه من أجل حماري هذا ؟ قال : لا عليك ، فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين ، فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويتعجب منه ، ويترك الشغل بجواره ثم شد عنان فرسه في وسطه وأهوى الى الشوك وهو حزمتهان فحملها فوضعها على الحمار ، ثم دنا من غدیر فغسل يديه واستوى على فرسه ؛ فقال الشيخ السوادى : رضي الله عنك ، وقال بالنبطية : أشقل



غرمي ناحتكا ، وتفسير ذلك : فديتك يا شاب ، وأقبلت الخيول ، فقال لبعض خاصته : أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه حتى تجاوز به اصحاب المسالح ، وتبلغ به قريته .

وفاة جماعة من العلماء : وفي سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة ابي ذئعم الفضل بن دكين مولى آل طلحة بن عبيد الله بالكوفة ، وبشر بن غياث المريسي ، وعبدالله بن رجاء الغداني (١) .

وفيهما ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطاً ليقول بخلق القرآن .

محمد بن علي بن موسى بن جعفر : وفي هذه السنة - وهي سنة تسع عشرة ومائتين - قبض محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وذلك لخمس خلون من ذي الحجة ، ودفن ببغداد في الجانب الغربي من مقابر قريش مع جده موسى بن جعفر ، وصلى عليه الواثق ، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقبض ابوه علي بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية اشهر ، وقيل : غير ذلك ، وقيل : ان ام الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته ، وإنما ذكرنا من امره ما وصفنا لأن اهل الإمامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة أبيه ، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في رسالة «البيان في أسماء الأئمة» وما قالت في ذلك الشيعة من القطعية .

محمد بن القاسم ، العلوي : وفي هذه السنة - وهي سنة تسع عشرة ومائتين - اخاف المعتصم محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رحمهم الله ، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف ، فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان ، فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا ، فكانت له هناك

(١) في نسخة : العراقي .

حروب وكوائن ، وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس ، ثم حمله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم ، فحبسه في أزج اتخذه في بستان بسر من رأى ، وقد تنوزع في محمد بن القاسم ، فمن قائل يقول : انه قتل بالسم ، ومنهم من يقول : ان ناساً من شيعة من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا<sup>(١)</sup> للخدمة فيه من غرس وزراعة ، واتخذوا سلام من الحبال واللبود والطاقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به ، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية ، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمداً لم يميت ، وأنه حي يرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه مهدي هذه الأمة ، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان ، وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية ، ونحو من قول الواقفية في موسى بن موسى بن جعفر ، وهم المطورة ، بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة ، وقد اتينا على وصف قولهم في كتابنا في « المقالات في اصول الديانات » ، ووصف قول غلاتهم من المعنوية<sup>(٢)</sup> وغيرهم من الحمدية وسائر فرق اهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح في انواع الاشخاص من بهائم الحيوان وغيره في كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة .

جمع المعتصم للاتراك : وكان المعتصم يجب جمع الاتراك وشراءهم من أيدي مواليهم ، فاجتمع له منهم أربعة آلاف ، فالبسهم انواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة ، وأبانهم بالزبي عن سائر جنوده ، وقد كان اصطنع قوماً من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس ، فسماه المغاربة ، واستعد<sup>(٣)</sup> رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الأشروسية ، فكثرت جيشه ، وكانت

(١) في نسخة : فتأقوا للخدمة فيه . (٢) في نسخة : من العلوية .

(٣) في نسخة : واستنقذ . ج ٣ - مروج الذهب ( ٣٠ )

الأبرك تؤذي العوام بمدينة السلام يجرها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك ، فكان أهل بغداد ربما قاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير ، فعزم المعتصم على النقلة منهم ، وأن ينزل في فضاء من الأرض ، فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد ، فلم يستطب هواءها ، ولا اتسع له هواؤها ، فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والأماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول ، فاستطاب الموضع ، وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول أخذوا من دجلة ، فبنى هناك قصرا وبنى الناس وانتقلوا من مدينة السلام ، وخلت من السكان إلا اليسير ، وكان فيما قاله بعض العيارين في ذلك معيراً للمعتصم بانتقاله عنهم :

أيا ساكن القاطول بين الجرامقة تركت ببغداد الكباش البطارقة

ونالت من مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه ، وتأذوا بالبناء ؛ ففي ذلك يقول بعض من كان في الجيش :

قالوا لنا إن بالقاطول مشتنا فنحن نأمل صنع الله مولانا

الناس يأمرون الرأي بينهم والله في كل يوم 'محدث' شانا

تخطيط سامرا ؛ ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى الموضع ، فانتهى الى موضع سامرا ، وكان هناك للنصارى دير عادي ، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع ، فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال : نجدتها في الكتب السالفة والأمم الماضية أنها مدينة سام بن نوح ، قال له المعتصم : ومن أي بلاد هي ؟ وإلام تضاف ؟ قال : من بلاد طبرهان ، واليه تضاف ، فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار ، وهواء طيب ، وأرض صحيحة ، فاستمرأها واستطاب هواءها ، وأقام هنالك ثلاثا يتصيد في كل يوم ، فوجد نفسه تتوق الى الغذاء ، وتطلب الزيادة على العادة الجارية ، فلم أن ذلك لتأثير الهواء والترية والماء ، ف

استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف ديناراً ، وارتاد لبناء قصره موضعاً فيها ، فأسس بنيانه ، وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسُرٍّ من رأى ، واليها يضاف التين الوزيري ، وهو أعذب الاتيان وأرقها قشراً ، وأصفرها حباً ، لا يبلغه تين الشام ، ولا يلحقه تين أرجان وحلوان ، فارتفع البنيان ، وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ، ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار ، فجعل للاتراك قطائع متحيزة ، وجاورهم بالفراغنة والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع أشناس التركي وأصحابه من الأتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ، ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط ، واقتطعت القطائع والشوارع والدروب ، وأفرده أهل كل صنعة بسوق ، وكذلك التجار ، فبنى الناس ، وارتفع البناء ، وشيدت الدور والقصور ، وكثرت العمارة ، واستنبطت المياه ، وجرت من دجلة وغيرها ، وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت ، فقصدوها وأجهزوا اليها من أنواع الأمتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان ، وكثر العيش ، واتسع الرزق ، وشملهم الإحسان ، وعمهم العدل ، فاتسع الخصب ، وأقبلت الأرض ، وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين .

خروج بابك الخرمي : واشتد أمر بابك الخرمي ببلاد الران والبيلقان ، وكثرت غزوه في تلك البلاد وسار عساكره نحو تلك الأمصار ، ففرق الجيوش ، وهزم العساكر ، وقتل الولاة ، وأفنى الناس ، فسير إليه المعتصم الجيوش وعليها الأفسين ؛ وكثرت حروبه واتصلت ، وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه ، وقتل رجاله ، وامتنع بالجبل المعروف بالبدين<sup>(١)</sup> من أرض الران ، وهي بلاد بابك ، وبه يعرف هذا الموضع إلى هذا الوقت ، فلما

(١) في نسخة : بالبد . وفي شرحي تمام : البد .

استشر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه ، وزال عن مكانه ،  
فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه ، وقد تزيا بزبي السفر  
وأهل التجارة والقوافل ، فنزل موضعاً من بلاد أرمينية من أعمال سهل  
ابن سباط من بطارقة أرمينية على بعض المياه ، وبالقرب منهم راعي غنم ،  
فابتاعوا منه شاة ، وساموا شراء شيء من الزاد لهم ، فمضى من قفوره إلى  
سهل بن سباط الأرميني ، فأخبره الخبر ، وقال : هو بابك لا شك فيه ،  
وقد كان الأفسين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشي أن يعتم  
ببعض الجبال المنبعا أو يتحصن ببعض القلاع ، أو ينضاف إلى بعض الأمم  
القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف إليه فلول عسكره ،  
فيرجع إلى ما كان من أمره ، فأخذ الطرق ، وكاتب البطارقة في الحصون  
والمواقع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان ، وضمن في ذلك  
المرغائب ، فلما سمع سهل بن سباط من الراعي ما أخبره به سار من قفوره  
فيمين حضره من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذي فيه بابك ، فترجل  
له ، ودنا منه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : أيها الملك ، قم إلى قصرك  
الذي فيه وليك وموضع يمنعك الله فيه من عدوك ، فسار معه ، إلى أن  
أتى قلعه ، وأجلسه على سريره ، ورفع منزلته ، ووطأ له منزله ومن معه ،  
وقدمت المائدة ، وقعد سهل يأكل معه ، فقال له بابك - بجهل - وقلة  
معرفة بما هو فيه وما دفع إليه - : أمثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة  
وقال أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتل عبده ، إذ كانت منزلي  
ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بجداد ، وقال له : مُدِّ رجلك أيها  
الملك ، وأوثقَه بالحديد ، فقال له بابك : أغدراً يا سهل ؟! قال : يا ابن  
الخبثثة إنما أنت راعي غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات  
وتدبير الجيوش ؟! وقيد من كان معه وأرسل إلى الأفسين يخبره الخبر ، وأن

الرجل عنده ، فسرح إليه الأفشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد ، وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فقتلوا بابك ومن معه ، وأتى به إلى الأفشين ومعه سهل بن سباط ، فرفع الأفشين منزلة سهل ، وخلع عليه ، وجعله ، وتوجه ، وقاد بين يديه ، وأسقط عنه الخراج ، فأطلقه ، وأطلقت الطيور إلى المعتصم ، وكتب إليه بالفتح ، فلما وصل إليه ذلك ضج الناس بالتكبير ، وعمهم الفرح ، وأظهروا السرور ، وكتبت الكتب إلى الأمصار بالفتح وقد كان أفني عساكر السلطان ، فسار الأفشين ببابك ، وتنقل بالعساكر ، حتى أتى 'سر' من رأى ، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتلقى الأفشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، وبعث إليه بالفيل الأشهب ، وكان قد حمله بعض ملوك الهند إلى المأمون ، وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الأحمر والأخضر وأنواع الحرير الملون ، ومعه ناقه عظيمة بُختية <sup>(١)</sup> قد جللت بما وصفنا ، وحمل إلى الأفشين دراعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رُصعَ صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ، ودراعة دونها ، وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر ، وألبس بابك الدراعة الجليلة ، وألبس أخوه الأخرى ، وجعلت القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها . وُقِّدَمَ إليه الفيل ، وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال : ما هذه الدابة العظيمة ؟ واستحسن الدراعة ، وقال : هذه كرامة ملك عظيم جليل ، إلى أسير فقد العز ذليل ، أخطأته الأقدار ، وزالت عنه الجدود ، وتورطته المحن ، إنها لفرحة تقتضي فرحة ، وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبند ، من القاطول إلى سامرا ، مدد واحد متصل غير منفصل ، وبابك على الفيل

وأخوه وراه على الناقة ، والفعل يخطر بين الصفين به ، وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال ، ويميز الرجال والعُدَدَ ، ويظهر الأسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ولم يرَ الناس مثل ذلك اليوم ، ولا مثل تلك الزينة ، ودخل الأفسين على المعتصم فرفع منزلته ، وأعلى مكانه ، وأتى ببابك فطوّفَ به بين يديه ، فقال له المعتصم ، أنت بابك ؟ فلم يجب ، وكررها عليه مراراً ، وبابك ساكت ، فقال إليه الأفسين وقال : الويل لك ! أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، وأمر بقطع يديه ورجليه .

قال المسعودي : ورأيت في كتاب أخبار بغداد أنه لما وقف بابك بين يديه لم يُكلّمه مِلياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك وغلّامك ، وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبدالله ، قال : جردوه ، فسلبه الخدام ما عليه من الزينة ، وقطعت يمينه ، وضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك ببساره ، وثلك برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ، وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، وأمر المعتصم السيف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ، ففعل ، ثم أمر بجز لسانه<sup>(١)</sup> وصلب أطرافه مع جسده فصلب ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ، ونصب على الجسر ، وحمل إلى خراسان بعد ذلك ، يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ، لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره ، وعظم شأنه ، وكثرة جنوده ، وإشرافه على إزالة ملكٍ وقلب ملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ، ففعل به إسحاق بن إبراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، وصلبت جثة بابك على خشبة طويلة

(١) في نسخة : ثم أمر بجز رأسه وضم أطرافه الى جسده .

في أقاصي سامرا ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بنخبة بابك ، وإن كانت سامرا في هذا الوقت قد خلا منها ساكنها ، وبجان عنها قاطنها ، إلا يسيراً من الناس في بعض المواضع بها .

ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء : فمن قام في ذلك اليوم إبراهيم بن المهدي فقال شعراً بدلا من الخطبة ، وهو :

يا أمين الله ، إن الحمد لله كثيرا  
هكذا النصر ؛ فلا زال لك الله نصيرا  
وعلى الأعداء أعطيت من الله ظهيرا  
وهنيئاً هياً الله لك الفتح الخطيرا  
فهو فتح لم ير الناس له فتحاً نظيرا  
وجزى الأفسنين عبداً لله خيراً وحُبوراً  
فلقد لاقى به بابك يوماً قنطريرا  
ذاك مولاك الذي ألفيته جليداً صبورا  
لك حتى صرّج السيف له خدأ نصيرا  
ضربة ألفت على الدهر له في الوجه نورا

وتوج الأفسنين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر ، وإكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين ، وزوج المعتصم الحسن بن الأفسنين بأترجة بنت أشناس ، وزفت إليه ، وأقيم لها عرسٌ يجاوز المقدار في البهاء والجمال ، وكانت توصف بالجمال والكمال ، ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيراً من عوامهم ، قال المعتصم أبياتاً يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما ، وهي :

زفت عروس إلى عروس بنت رئيس إلى رئيس



أبها كان ليت شعري أجلّ في الصدر والنفوس  
أصاحب المرفف المهلى أم ذو الوشاحين والشموس

غزو الروم زبطرة ، وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وعشرين  
ومائتين - خرج توفيل<sup>(١)</sup> ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر  
والصقالبه وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم حتى نزل على مدينة زبطرة  
من الثغر الخزري ، فافتتحها بالسيف ، وقتل الصغير والكبير وسبى وأغار  
على بلاد ملطية ، فضج الناس في الأمصار ، واستغاثوا في المساجد والديار ،  
فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم ، فأنشده قائماً قصيدةً طويلةً يذكر  
فيها ما نزل بمن وصفنا ويحضه على الانتصار ويحثه على الجهاد ، فمنها :  
يا غارة الله قد عاينت فانتهي هتك النساء وما منهن يرتكب<sup>(٢)</sup>  
هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنهب

وإبراهيم بن المهدي أول من قال في شعره « يا غارة الله<sup>(٢)</sup> » .

فخرج المعتصم من فوزه نافراً عليه دُرّاعةٌ من الصوف بيضاء ، وقد  
عمم بعمامة الغزاة ، فمسكر في غربي دجلة ، وذلك يوم الاثنين ، لليلتين  
خلتا من جمادى الأولى ، من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونصبت الأعلام  
على الجسر ، ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين ، فسارت  
إليه العساكر والمطوعة من سائر الإسلام ، وجعل على مقدمته أشناس التركي ،  
ويتلوه محمد بن إبراهيم ، وعلى يمينته إيتاخ التركي ، وعلى يسرته جعفر بن  
دينار الخياط وعلى ساقته بُغَا الكبير ويتلوه دينار بن عبد الله وعلى القلب  
عجيف ، وسار المعتصم من الثغور الشامية ، ودخل من درب السلامة ،  
ودخل الأفسين من درب الحدث ، ودخل الناس من سائر الدروب ، فلم  
يكن يحصي الناس العدد ، ولا يضبطون كثرة ، فمن مكثر ومقلل ، فالكثر

(١) في نسخة : نوفل .

(٢) في نسخة : يا غارة الله .

يقول : خمسمائة ألف ، والمقلل يقول : مائتي ألف . ولقي ملك الروم الأفشين ، فحاربه فهزمه الأفشين ، وقتل أكثر بطارفته وأصحابه ، وحماه رجل من المنتصرة يقال له نصير في خلق من أصحابه ، وقد كان الأفشين قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولي ، وقال : هو ملك ، والملوك تُبقي بعضها على بعض ، وفتح المعتصم حصوناً كثيرة ، ونزل على مدينة عمورية ، ففتحها الله على يديه ، وخرج إليه لاوي البطريق منها ، وسلمها إليه ، وأسر البطريق الكبير منها ، وهو باطس ، وقتل منها ثلاثين ألفاً ، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق ، وأراد المسير إلى القسطنطينية ، والنزول على خليجها ، والحيلة في فتحها برأ وبحراً ، فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون ، وأن ناساً قد بايعوه ، وأنه كاتب طاغية الروم ، فأعجل المعتصم في مسيره وحبس العباس وشيعته .  
وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون .

خروج المازيار صاحب طبرستان وموته : وفي سنة خمس وعشرين ومائتين أدخل المازيار بن قارن بن بندار هرمس ، صاحب جبال طبرستان إلى سامرا وقد كان اصطنعه المأمون ، فعصى في أيام المعتصم ، وكثرت عساكره ، واتسعت جيوشه ، وكتب المعتصم إليه يأمره بالحضور ، فأبى ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحربه ، فسير إليه من نيسابور عمه الحسن بن الحسين بن مصعب ، فنزل مدينة السارية من بلاد طبرستان ، بعد حروب كثيرة كانت له مع المازيار ، وأتت الحسن بن الحسين عيونهُ بركوب محمد بن قارن - وهو المازيار - إلى الصيد في نفر يسير ، فبادره الحسن وفاوضه الحرب ، فأمر وحمل إلى سامرا ، فأقر على الأفشين أنه بعثه على الخروج والعصيان ، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس ، وقبض على الأفشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم ، وأقر عليه كاتب له يقال له : سابور ، فضرب المازيار بسوط حتى

مات ، بعد أن شهر و صلب إلى جانب بابك ، وقد كان المازيار رغب المعتصم في أموال كثيرة يحملها إليه إن هو من عليه بالبقاء ، فأبى قبول ذلك ، وتمثل :

إن الأسود أسود الغيل همتها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب  
ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك ، فتدانت أجسامها ، وقد كانت  
صلب في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية ، وقد انحنى نحوها خشبته ،  
ففي ذلك يقول أبو تمام حبيب بن أوس من كلمة له :

ولقد شفى الأحشاء من بُرحائها إذ صار بابكُ جارَ مازيارِ  
ثانيه في كبدِ السماء ، ولم يكن لاثنين ثانٍ إذ هما في الغارِ  
فكانما انحنيا لهما يطنويا عن باطس خيراً من الأخبارِ

ومات الأفسين في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار ، فأقر عليه ،  
وأخرج الأفسين ميتاً ، فصلب بباب العامة ، وأحضرت أصنام زعموا أنها  
كانت حملت إليه ، فألقيت عليه ، وأضرمت النار ، فأتت على الجميع .

موت أبي دلف العجلي : وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف  
القاسم بن عيسى العجلي ، وكان سيد أهله ، ورئيس عشيرته ، من عجل  
وغيرها من ربيعة . وكان شاعراً مجيداً وشجاعاً بطلاً ، مفضياً مصيباً ، وهو  
القائل :

يوماً تراني على طميرٍ ترهيني الأجبُلُ الرواسي  
ويوم لهو أحتُ كاساً وخلف أذني قنصب آس

وذكر أن أبا دلف طعن فارساً ، فنفذت الطعنة إلى أن وصل السنان  
إلى فارس آخر كان من خلفه فقتلها ، ففي ذلك يقول بكر بن النطاح من  
كلمة له :

قالوا : وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا نراه كليلا  
لا تعجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظمت الفوارس ميلا  
وذكر عيسى بن أبي دلف أن أخاه دلف - وبه كان يكنى أبوه أبادلف -  
كان ينتقص علي بن أبي طالب ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل  
وأنه قال يوماً وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضراً : إنهم يزعمون أن لا  
ينتقص علياً أحد إلا كان لغير رشدة ، وأنتم تعلمون غيرة الأمير ، يعني أباه ،  
وأنه لا يتبها الطعن على أحد من حرمه ، وأنا أبغض علياً ، قال : فما كان  
بأوشك من أن خرج أبو دلف ، فلما رأيناه قناله ، فقال : قد سمعت ما  
قاله دلف ، والحديث لا يكذب ، والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف ،  
هو والله لزنينة وحيضة ، وذلك أني كنت عليلاً فبعثت إليّ أختي جارية  
لها ، كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً فعلقت به ،  
فلما ظهر حملها وهبتها لي .

عداوة أبي دلف وابنه : فبلغ من عداوة دلف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته  
له لأن الغالب على أبيه التشيع والميل إلى علي أن شنع عليه بعد وفاته ،  
وهو ما حدث به محمد بن علي القوهستاني قال : حدثنا دلف بن أبي دلف ،  
قال : رأيت في المنام آتياً أتاني بعد موت أبي ، فقال لي : أجب الأمير ،  
فقلت معه ، فأدخلني داراً وحشة وعرة ، وأصعدني على درج منها ، ثم  
ادخلني غرفة في حيطانها أثر النار ، وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا به عريان  
واضع رأسه بين ركبتيه ، فقال كالمستفهم : دلف ؟ قلت : دلف ، فأنشأ  
يقول :

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شي

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت .

موت جماعة من العلماء : وفي خلافة المعتصم - وذلك في سنة اربع

وعشرين ومائتين - مات جماعة من نقلة الأخبار وعلية أصحاب الحديث :  
منهم عمرو بن مرزوق الباهلي البصري ، وأبو النعمان حازم بن محمد بن الفضل  
السدوسي ، وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري من الأزدي ، وسعيد  
ابن الحكم بن أبي مريم البصري ، وأحمد بن عبد الله الفُدَاني ، وسليمان  
الشاذكوني ، وعلي المدني .

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين مات بشر الحافي ببغداد ، وكان من بلاد  
مرو ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة ، وهو ابن ثلاث  
وتسعين سنة ، وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي ، وإبراهيم بن يسار الرمادي  
وقيل : إن فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدي ، والصحيح أن وفاته كانت  
في سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

وفاة المعتصم : قال المسعودي : وفي سنة سبع وعشرين ومائتين كانت  
وفاة المعتصم ، على دجلة في قصره المعروف بالخانقاني ، يوم الخميس ، لثاني عشرة  
ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وقيل : لساعتين من ليلة الخميس ، وهو ابن  
ثمان وأربعين سنة ، وقيل : ست وأربعين سنة ، على ما قدمنا في صدر هذا  
الباب ، وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن من السنة .  
وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، ومات عن ثمانية بنين ،  
وثمان بنات .

وللمعتصم أخبار حسان ، وما كان من أمره في فتح عمورية ، وما كان  
من حروبه قبل الخلافة في السفارة نحو الشام ومصر ، وغير ذلك ، وما كان  
منه بعد الخلافة ، وما حكى عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة أحمد  
ابن أبي دؤاد القاضي ، ويعقوب بن إسحاق الكندي ، في ليه أوردها في رسالته  
الترجمة بسبيل الفضائل ، وقد اتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار  
الزمان ، والكتاب الأوسط ، وقد ذكرنا في هذا لمعاً منبهة على ما سلف ،  
وباعثة على درس ما تقدم .

## ذكر

### خلافة الواثق بالله

موجز : وبويح هارون بن محمد بن هارون الواثق بالله ، ويكنى بأبي جعفر ، وأمه أم ولد رومية ، وتسمى قَرَاطِيسَ ، وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم ، وهو يوم الخميس لثاني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وبويح وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر ، وتوفي بسامرا وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : إنه توفي في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، ووزيره محمد بن عبد الملك ، على حسب ما قدمنا في أيام المعتصم من هذا الكتاب ، والتواريخ متباينة في مقادير أعمارهم وأيامهم في الزيادة والنقصان .

## ذكر

### لمع من أخباره وسيره

ولمع مما كان في أيامه

صفات الواثق : كان الواثق كثير الأكل والشرب ، واسع المعروف ، متعظفاً على أهل بيته ، متفقداً لرعيته ، وسلك في المذهب مذهب<sup>(١)</sup> أبيه وعمه من القول بالعدل .

غلب عليه اثنان : وغلب عليه أحمد بن أبي دؤاد ، ومحمد بن عبد الملك

(١) في نسخة : طريقة أبيه .

الزيات ، فكان لا يصدر إلا عن رأيها ، ولا يعتب عليها فيما رآها ، وقلدها الأمر وفوض إليها ملكه .

أعرابي يصف الواثق وأعوانه ، وذكر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الجاسمي ، نسبة إلى جاسم - وهي قرية من أعمال دمشق بين بلاد الأردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بجاسم على أميال من الجابية وبلاد نوى وهي من مراعي أيوب عليه السلام - قال : خرجت في أول أيام الواثق إلى سُرٍّ من رأى ، فلما قربت منها لقيني أعرابي ، فأردت أن أعلم خبر العسكر منه ، فقلت : يا أعرابي ، ممن أنت ؟ قال : من بني عامر ، قلت : وكيف علمك بعسكر أمير المؤمنين ؟ قال : قتل أرضاً عالمها ، قلب : ما تقول في أمير المؤمنين ؟ قال : وثق بالله فكفاه ، أشجى العاصية ، وقصم العادية ، وعدل في الرعية ، ورغب عن كل ذي جناية ، قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد ؟ قال : هضبة لا تُرام ، وجبل لا يضام ، تشخذ له المدى ، وتنصب له الجبائل ، حتى إذا قيل قد هلك وثب وثبة الذئب ، وختل ختلة الضب ، قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك الزيات ؟ قال : وسع الداني شره ، ووصل إلى البعيد ضره ، له في كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلب ، قلت : فما تقول في عمرو بن فرج ؟ قال : ضخم نهم ، استعذب الدم ، ينصبه القوم ترساً للوغى ، قلت : فما تقول في الفضل ابن مروان ؟ قال : رجل نبش بعد ما قبر ، ليس تعد له حياة في الأحياء ، وعليه خفئة الموتى ، قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : تخاله كبش الزنادقة ، أما تراه إذا أخمله<sup>(١)</sup> الخليفة سمن ورتع ، وإذا هزه أمطر فأمرع ، قلت : فما تقول في أحمد بن الحصب ؟ قال : ذاك أكل أكلة نهم ، فزرق زرقه بشم ، قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء وما يشعرون أيتان يبعثون . قلت : فما تقول في أحمد بن إبراهيم ؟ قال : لله

(١) في نسخة : أهله الخليفة .

دوره ! أي فاعل هو ؟ وأي صابر هو ؟ اتخذ الصبر دثاراً ، والجود شعاراً  
 وأهون عليه بهم ؛ قلت : فما تقول في المعلى بن أيوب ؟ قال : ذاك رجل خير ،  
 نصيح السلطان ، عفيف اللسان ، سلم من القوم وسلموا منه ، قلت : فما تقول  
 في إبراهيم بن رباح ؟ قال : ذاك رجل أوثقه كرمه ، وأسلمه فضله ، وله  
 دعاء لا يسلمه ، ورب لا يخذله ، وفوقه خليفة لا يظلمه ، قلت : فما تقول في  
 الحسن ابنه ؟ قال : ذاك عود نضار ، غرس في منابت الكرم ، حتى إذا  
 اهتز حسدوه ، قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أي طالب  
 وتسرير ، ومدرك ثار ؟ يلتهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة في الأحيات  
 جلسة تزيل نعماً ، وتحمل نقماً ، قلت : يا أعرابي أين منزلك حتى آتيتك ؟  
 قال : اللهم غفراً ما لي منزل ، أنا أشتمل النهار ، وألتحف الليل ، فحيثما  
 أدركني الرقاد رقدت ، قلت : فكيف رضاك عن أهل السكر ؟ قال : لا  
 أخلق وجهي بمسالتهم ، إن أعطوني لم أحدم ، وإن منعوني لم أذمهم ، وإني  
 كما قال هذا الغلام الطائي :

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقهُ      حَقَنْتَ لي ماء وجهي أو حقنت دمي

قلت : فأنا قائل هذا الشعر ، قال : أئتتك أنت الطائي ؟ قلت : نعم ،  
 قال : لله أبوك ، وأنت القائل :

ما جودُ كَفِّكَ إن جادت وإن بخلت      من ماء وجهي وقد اخلقتَه عوض

قلت : نعم ، قال : أنت أشعر أهل زمانك .

وفي رواية أخرى ليست في الكتاب قلت : أنشدني شيئاً من شعرك ،  
 فأنشدني :

أقول وجنح الدجى ملبدٌ      وللليل في كل فج يدٌ  
 ونحن ضجيمان في مجسدٌ      فله ما ضمن الجسدُ  
 فيا غدُ إن كنت بي محسناً      فلا تدنُ من ليلتي يا غدُ



ويا ليلة الوصل لا تنفدي كما ليلة الهجر لا تنفد

فقلت : لله أبوك !! ورددته معي حتى لقيت ابن أبي دؤاد وحدثت  
بخبيره فأوصله الى الواثق ، فأمر له بألف دينار ، وأخذ له من سائر الكتاب  
وأهل الدولة ما أغناه به ، وأغنى عقبه بعده .  
وهذا الخبر فمخرجه عن أبي تمام ، فإن كان صادقا فيما قال ، ولا أراه ،  
فقد أحسن الأعرابي في الوصف ، وإن كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه  
إلى هذا الأعرابي فقد قصر في نظمه ، إذ كانت منزلته اكبر من هذا .  
أبو تمام الطائي ، وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين ،  
وكان خليعا ماجنا في بعض أحواله ، وربما أداه ذلك الى ترك موجبات  
فرضه ، تماجنا لا اعتقادا .

وحدث محمد بن يزيد المبرد ، عن الحسن بن رجاء ، قال : صار إلي أبو  
تمام وأنا بفارس ، فأقام عندي مقاما طويلا ، ونمي إلي من غير وجه أنه لا  
يصلي ، فوكلت به من يراعيه ويتفقد في أوقات الصلاة ، فوجدت الأمر على  
ما اتصل بي عنه ، فعاتبته على فعله ذلك ، فكان من جوابه ان قال : أتراني  
أنشط للشخص إليك من مدينة السلام واتجشم هذه الطرقات الشاقة وأكمل  
عن ركعات لا مثونة علي فيها ، لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثوابا أو على من  
تركها عقابا ، قال : فهمت والله بقتله ، ثم تخوفت أن يصرف الأمر الى غير  
جهته ، وهو القائل :

وأحق الأنام أن يقضي الدين امرؤ كان للإله غريبا

وهذا قول مبين لهذا الفعل ، والناس في أبي تمام في طرفي نقيض :  
متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ويتجاوز به في الوصف قدره ، ويرى أن  
شعره فوق كل شعر ، أو منحرف له معاند ، فهو ينفي عنه حسنه ، ويعيب  
مختاره ، ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق إليها وتفرد بها .

الجزء الثالث : ذكر أيام الراحل بالله هارون بن محمد بن هارون الرشيد ..... ٤٨١

وذكر عبدالله بن الحسن بن سعد ، ان المبرد قال : كنت في مجلس القاضي  
أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، وحضر جماعة منهم ، منهم الحارثي الذي  
قال فيه علي بن الجهم الشامي :

لم يطلما إلا لآبدة الحارثي وكوكب الذنب

فجرى ذلك الشعر وإن كان الكلام تسلسل إلى ذكر أبي تمام وشعره ،  
وأن الحارثي أنشد لأبي تمام معاتبة أحسن فيها ، وأن المبرد استجيب أن  
يستعيد الحارثي الشعر أو يكتبه منه لأجل القاضي ، قال ابن سعد : فأعلت  
المبرد أني أحفظ الشعر ، فأنشدته إياه ، فاستحسنه واستعادته مني مراراً حتى  
حفظه مني ، وهو :

جعلت فداك عبد الله عندي بعقب النأي عنه والبعثاد  
له لمة من الفتيان بيض قضوا حق الصداقة والوداد  
دعوتهم عليك وكنت ممن أناديه على الثوب الشداد (١)

قال : وسألته عن أبي تمام والبحثري أيهما أشعر ؟ قال : لأبي تمام  
استخراجات لطيفة ، ومعان ظريفة ، ونجيدته أجود من شعر البحثري ، ومن  
شعر من تقدمه من المحدثين ، وشعر البحثري أحسن استواء من شعر أبي  
تمام ؛ لأن البحثري يقول القصيدة كلها ، فتكون سليمة من طعن طاعن أو  
عيب عائب ، وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف ، وما  
أشبهه إلا بفائض البحر يخرج الدرة والمخشلة فيجعلها في نظام واحد ،  
وإنما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل بأشعارهم ، وإلا فلو أسقط من  
شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه ، فدعاني هذا القول  
منه إلى أن قرأت عليه شعر أبي تمام ، وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من

(١) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الاصول : بعينه على الفقر الجياد .

شعره ، وأفردت جيده ، فوجدت ما يتمثل به ويمجري على السنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتاً ، ولا أعرف شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ، ثم قال المبرد: وبالبحثري يُختَمُ الشعر، وأنشدني له بيتين زعم المبرد انها لو أضيفا إلى شعر زهير لجازا فيه ، وهما :

وما سفه السفية وإن تعدتني بانجح فيك من حلم الحليم  
متى أحفظت ذا كرم تخطى إليك ببعض أفعال اللثيم

قال : وكان مما ذكرناه من شعر البحتري في هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه قوله في ابني صاعد بن مخلد :

وإذا رأيت مخايل ابني صاعدي أدت إليك مخايل ابني مخلد  
كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعلّ موضع فرقده من فرقده

وقوله :

من شاكر عني الخليفة للذي أولاه من بر ومن إحسان ؟  
حتى لقد أفضلت من إفضاله وأريت نهج الجود حيث أراني  
أغنت يدها يدي ، وشرّ دجوده بخلي ، فأفقرني ها أغناني  
ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه ، وأعطيت الذي أعطاني

وقوله :

وددت بياض السيف يوم لقينني مكان بياض الشيب كان بخرقي

وقوله :

دنوت تواضعا وعلوت قدراً فشأنك انحدار وارتقاع  
كذاك الشمس تبعد أن تسامي ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله في الفتح بن خاقان ، وقد نزل الى أسد فقتله :

حملت عليه السيف ، لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

فأحجم لما لم يجد فيك مطعماً وصتم لما لم يجد منك مهرباً  
وكنت متى تجمع يمينك والعلا لدى ضيغم لم تبق للسيف مضرباً  
وقوله :

ما زال صرف الدهر يؤيس صفقتي حتى رهنت على المشيب شبابي  
وقوله في المنتصر :

وإن علياً لأولى بكم وأزكى بدأ عندكم من عمر  
وكلُّ له فضله ، والحجو لُ يوم البراذين دون الغرر  
وقوله :

تعب الغانيات عليّ شبي ومن لي ان امتع بالمشيب  
ثم ذكر انتقال الصلح بين عشيرته فقال :

إذا ما الجرح زمّ على فساد تبين فيه تفريط الطبيب  
وقوله :

وللسهم الشريد أخف عبأ على الرامي من السهم المصيب  
وقوله :

وما منع الفتح من خاقان نيله ولكنها الأيام تعطي وتحرم  
سحاب خطاني جوده وهو مسبل وبجر عذاني فيضه وهو مُفعم  
وبدر اضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلي منه أسود مظلم  
أشكو نداه بعدان وسع الوري ومن ذا يذم الغيث إلا مذمم ؟

وذكر محمد بن ابي الأزهر قال : كان ابراهيم بن المدبر - مع محله في العلم والأدب والمعرفة - يسيء الرأي في ابي تمام ، ويحلف انه لا يحسن

شيئاً قط ، فقلت له يوماً : ما تقول في قول من يقول :

غدا الشيب يختط بفوذي خطة سبيل الردي منها الى النفس مهيبع  
هو الزور ينفو، والمعاشر يجتوي، وذو الإلف يُقل، والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع . ولكنه في القلب أسود أسفع  
ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع  
وفيمن يقول :

فإن ترم عن عمرو قداعى به المدى فخانك حتى لم تجد فيه مزرعا  
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة لقطعها ثم اثنى فتقطعا  
وفيمن يقول :

شرف على أول الزمان وانما ال شرف المناسب ما يكون كريما  
وفيمن يقول :

إذا احسن الأقوم أن يتناولوا بلا نعمة أحسنت أن تتطولا  
وفيمن يقول :

مطر لي الحياة والمال لا ألك إلا مستوهبا أو وهوبا  
وإذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قلبيا  
وفي القائل :

خشعوا لصولتك التي عودتهم كالوت يأتي ليس فيه عشار  
فالشي همس، والنداء اشارة، خوف انتقامك والحديث سِرَّارُ  
أيامنا معقودة أطرافها بك، والليالي كلها أسحار  
تندى عفاتك للعفاة، ويغتدي رفقا إلى زوارك الزوار  
وفيمن يقول :

إذا أوهدت ارضا كان فيها رضاك فلا نحن إلى رباها<sup>(١)</sup>  
قال ابن أبي الأزهري : فوالله لكأني اغريت ابن المدبر بأبي تمام ، حتى

(١) في نسخة : فلا نحل إلى رباها .

سبه ولعنه ، فقلت : اذا فعلت ذلك لقد حدثني المعروف بأبي عمرو بن الحسن الطوسي الراوية ان اياه وجهه به الى ابن الأعرابي يقرأ عليه أشعار هذيل ، قال : فمرت بنا أراجيز ، فأنشدته أرجوزة لأبي تمام ، لم أنسبها اليه ، وهي :

وعاذل عدلته في عدله	وظن أني جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله	من لك يوماً بأخيك كله
لبست ريعاني فدعني أبله	وملك في كبره ونبله
وسوقه في قوله وفعله	بذلت مدحي فيه باغي بذله
فجز حبل أمني من وصله	من بعد ما استعبدني بمطله
ثم اغتدي معتذراً يجهله	ذا عنق في الجهل لم يخله
يلحظني في جده وهزله	يعجب من تعجبي من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله	حق كأني جثته بعدله
يا واحداً منفرداً بعدله	اكسبتك المال فلا تمله
ما يصنع الفمد بغير نصله	والمدح ان لم يك عند أهله

فقال لابنه : اكتبها ، فكتبها على ظهر كتاب من كتبه ، فقال له : جعلت فداك ! إنها لأبي تمام ، فقال : خرق خرق .

وهذا من ابن المدبر قبيح مع علمه ، لأن الواجب ان لا يدفع إحسان محسن عدواً كان او صديقاً ، وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع ، فقد روي عن أمير المؤمنين علي انه قال : الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك . وقد ذكر عن بزرجهر بن البختكان - وكان من حكماء الفرس ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية - أنه قال : بأخذت من كل شيء أحسن ما فيه ، حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب ، قيل له : ما أخذت من الكلب ؟ قال :

إفقه لأهله ، وذبحه عن صاحبه ، قيل : فما أخذت من الغراب ؟ قال : شدة حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال : بكوره في حوائجه ، قيل : فمن الهرة ؟ قال : حسن نغمتها وتملقها لأهلها عند المسألة .

ومن عاب مثل هذه الأشعار التي تروح لها القلوب ، وتحرك بها النفوس ، وتصفي اليها الأسماع ، وتشهد بها الأذهان ، ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة ان قائلها قد بلغ في الإجادة أبعد غاية وأقصى نهاية ، فإنما غص من نفسه وطمع على معرفته واختياره .

وقد روي عن ابن عباس أنه قال : الهوى إلهٌ معبود . واحتج بقوله تعالى : ( افرأيتَ مَنْ اتَّخَذَ إلهَهُ هَواهُ ) .

ولأبي تمام أشعار حسان ، ومعان لطاف ، واستخراجات بديعة . وحكي عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبي تمام ، فقال : كأنه جمع شعر العالم ، فانتخب جوهره ، وقد كان أبو تمام ألف كتاباً وسمّاه : « الحماسة » وفي الناس من يسميه كتاب « الخبيجة » انتخب فيه شعر الناس ، ظهر بعد وفاته .

وقد صنف أبو بكر الصولي كتاباً جمع فيه اخبار أبي تمام وشعره وتصرفه في أنواع علومه ومذاهبه ، واستدل الصولي على ما وصف عن أبي تمام بما يوجد من شعره ، من ذلك قوله في صفة الخمر :

جَهْمِيَةِ الْأوصاف ، إلا أنهم قد لَقَّبُوهَا جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ

وقد رثته الشعراء بعد وفاته ، والأدباء من إخوانه : منهم الحسن بن وهب الكاتب ، وكان شاعراً ظريفاً له حظ في المنثور والمنظوم ، فقال :

سقى بالموصل الجَدَثَ الغريباً      سحائبٌ ينتعبن له نجيباً  
إذا أطلننه أطلنن فيه      شبيب المزن يتبعها شيباً  
ولطُثمت البروق له خدوداً      وشققت الرعود له جيوباً

فإن تراب ذاك القبر يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيباً  
 ليبياً شاعراً فطناً أديباً أصيل الرأي في الجلوس أريباً  
 إذا شاهدته رواك فيما يسرك رقعة منه وطيباً  
 أبا تمام الطالبي ، إنا لقينا بعدك المعجب المعجيباً  
 فقدنا منك علقاً لا تراثاً نصيب له مدى الدنيا ضريباً  
 وكنت أخاً لنا أبدي إلينا ضمير الود والنسب القريباً  
 فلما بنت كدرت الليالي قريب الدار والأقصى الغريباً  
 وأبدي الدهر أقبح صفحتيه ووجهاً كالحاً جهماً قطوباً  
 فأحرر بأن يطيب الموت فيه وأحرر بعيشنا أن لا يطيباً

وللهسن أشعار حسان ومعان جواد ، منها قوله :

أبت مقلتك لفرط الحزن عليك الرقاد وبرد الوسن  
 وحق لعينيك أن لا تناما وقلبك مختلس مرتين  
 وبين الجوانح داء دفين لعمرك مستتر قد كمن  
 نجى الموم ، وقرن الكلوم ووهي الحلوم ، وبعد الوطن  
 شديد النفار ، كثير العثار ، خليع العذار ، يجر الرسن  
 أني كل يوم تطيل الوقوف تناجي الديار وتبكي الدمن ؟  
 وتستخبر الدار عن أهلها وتذري الدموع على من ظعن  
 كأنك لم تر فيما مضى من الدهر ذا صبوة مفتن  
 عذرتك أيام شرح الشباب وفرعك فرع نضير الغصن  
 فأما وقد زال ظل الشبا ب عنك وولت كأن لم يكن  
 وألبسك الشيب بعد الشباب قناع بياض كلون القطن  
 وصرت قذى في عيون الحسا ن يخنك عهداً وإن لم تخن  
 ويصندين عنك إذا رمتين وكنت لمن زماناً سكن  
 فما لك عنبر وأنت امرؤ بما فيه رشك طب فطن



علي بن الجعد : وفي خلافة الواثق مات علي بن الجعد مولى بني مخزوم ، وكان من عليّة أصحاب الحديث وأهل النقل ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين . قتل في الهنة : وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في الهنة على القرآن .

نديم : قال المسعودي : وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء وكان يقوم قائماً لصفه ، ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الأسنان وكان ذكياً ماذوناً له في الإفاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه ، والتكلم بما يسبح ويختلج في صدره : من مثل سائر ، وبيت قادر ، وحديث تمتع ، وجواب مسرع ، قال : وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالة ، فقال لهم الواثق يوماً : ما تختارون من النّقل ؟ فبعض قال : نبات السكر ، وبعض قال : رمان ، وبعض قال : تفاح ، وبعض قال : قصب السكر<sup>(١)</sup> ينضح بماء الورد ، وبعض أخرجه الفيلسفة إلى النقيض ، فقال : ملح يغلى ، وبعض قال : صبر يحمى بمذاب النبيذ ، ويحلى على سورة الشراب ومرارة النقل ، قال : ما صنعت شيئاً ، ولكن ما تقول أنت يا غلام ؟ قال خشكناج مسير ، فوافق ذلك مراد الواثق وقرع به ما في نفسه ، وقتل : أصبت وأحسنت بآرك الله لك ، وكان ذلك أول جلوسه .

محمد بن علي بن موسى : وقيل : إن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب ، وقيل : إنه كتب إلى الواثق : يا أمير المؤمنين ! ليس من أحد وإن ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه ، ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب .

(١) في نسخة : نبات السكر ينضح بماء الورد .

عبد الله بن طاهر ، وفي سنة ثلاثين ومائتين - وذلك في خلافة الواصل  
- توفي أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين في ربيع الأول من هذه  
السنة ، وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر :  
يقول أناس : إن مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر  
وأبعد من مصر رجال ترامم بحضرتنا معروفهم غير حاضري  
عن الخير موتي ، ما تبالي أزرتهم على طمع أم زرت أهل المقابر

مجلس للواصل في الفلسفة والطب : وكان الواصل بالله محباً للنظر ، مكرماً  
لأهله ، مبغضاً للتقليد وأهله ، محباً للاشراف على علوم الناس وآرائهم ، ممن تقدم  
وتأخر من الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين ، فعضرم ذات يوم جماعة من  
الفلاسفة والمتطبيين ، فجرى بحضرة أنواع من علومهم في الطبيعيات وما  
بعد ذلك من الإلهيات ، فقال لهم الواصل ، قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك  
معرفة الطب وماخذ أصوله ، أذلك من الحس أم من القياس والسنة ؟ أم يدرك  
بأوائل العقل ، أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب إليه  
جماعة من أهل الشريعة ؟ وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن  
حضر ، وقيل : إن حنين بن إسحاق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس  
أيضاً .

فقال منهم قائل : زعم طوائف من الأطباء وكثير من متقدميهم أن  
الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط ، وحدوده بأنه علم يتكرر  
الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة ، فيوجد بالحس في آخر الأحوال  
كما يوجد في أولها ، والحافظ لذلك هو المجرى ، وزعموا أن التجربة ترجع  
إلى تبادر أربعة من لها أوائل ومقدمات ، وبها علمت وصحت ، وإليها  
تنقسم التجربة ، فصارت بذلك أجزاء لها ، فزعموا أن قسماً من تلك  
الأقسام طبيعي ، وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض : من الرعاف ،  
والعرق ، والإسهال ، والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضرراً .

وقسماً عرضياً ، وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل ، وذلك كما يعرض للإنسان أن يجرح أو يسقط فيخرج منه دم قليل أو كثير أو يشرب في مرضه أو صحته ماء بارداً أو شراباً فيعقب في المشاهدة منفعة أو ضرراً ، وقسماً إرادياً ، وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة ، وذلك كمثل منام يراه الإنسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضاً به علة مشاهدة معقولة بشيء من الأشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه ، أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره ، فيتردد ويعطب ظنه بعطبه فيجربه بأن يفعله كما يرى في منامه ، فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ، ويفعله مراراً ، فيجده كذلك .

وقسماً هو نقل ، وهو على ثلاثة أقسام : إما أن ينقل الدواء الواحد من مرض إلى مرض يشبهه ، وذلك كالنقلة من ورم الحمة إلى الورم المعروف بالنملة ، وإما من عضو إلى عضو يشبهه ، وذلك كالنقلة من : العضد إلى الفخذ ، وإما من دواء إلى دواء يشبهه ، كالنقلة من السفرجل إلى الزعرور في علاج انطلاق البطن<sup>(١)</sup> وكل ذلك لا يعمل به عندهم إلا بالتجربة .

وذهبت طائفة أخرى منهم إلى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن تردّ أشخاص من العلل ومولداتها إلى الأصول الحاضرة الجامعة لها ، إذ كان لا غاية لتولدها ، وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت ، دون الأسباب المؤثرة الفاعلة التي عدمت ، ودون الأزمان والأوقات والأسباب والعادات ومعرفة طبائع الأعضاء وحدودها ، والرصد والتحفظ لكل ما يكون في كل علة وجدت أو لم توجد ، وبرهنوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعها في حال ، وإن وجود أحدهما ينفي وجود الآخر في الحال لا محال ، قالوا : وليس هذا كشيء ظاهر يستدل به على كل شيء خفي ، والشيء الظاهر يحتمل الوجود ، فيختلف في الاستدلال ؛ فيكون القطع على ما يوجبه غير بين ، وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل

(١) في نسخة : بفتنة .

الجزء الثالث : ذكر أيام الواصل بالله هارون بن محمد بن هارون الرشيد ..... ٤٩١

التقدم في اليونانيين مثل ثامونيس وباساليس وغيرها ، وهم قوم يعرفون بأصعاب الطب الجبلي<sup>(١)</sup> .

قال الواصل لهم جميعاً : فأخبروني عن جمهورهم الأعظم إلام يذهبون في ذلك ؟ فقالوا : الى القياس ، قال : وكيف ذلك ؟ قالوا جميعاً : زعمت هذه الطائفة ان الطبريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية ، فمنها معرفة طبائع الأبدن والأعضاء وفعالها ، ومنها معرفة الأبدان في الصحة والمرض ومعرفة الأهوية واختلافها والأعمال والصنائع والعادات والأطعمة والأشربة والأسفار ومعرفة قوى الأمراض ، وقالوا : ثبت في الشاهد ان الحيوان يختلف في صورته وطباعه ، وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها ، وأن الأجساد الحيوانية تتغير بالأهوية المحيطة بها وبالحرارة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه والأعراض النفسانية من الغم والحزن<sup>(٢)</sup> والغضب والحلم ، قالوا : والغرض بالطب في تدبير الأجسام حفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح ، واجتلابها للعليل ، فالواجب ان يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الأسباب المصححة ، فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قد صحت إذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الأمراض والأبدان والأغذية والعادات والأزمان والأوقات الحاضرة والأسباب ليستدل بجميع ذلك ، وهذا يا أمير المؤمنين قول أبقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم ، قالوا : وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الأغذية والأدوية ، مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال ؛ فمنهم من زعم انه يستدل على طبيعة الشيء من الأغذية والأدوية بطعمه او ريحه او لونه او قوامه او فعله او تأثيره في الجسد ، وزعموا ان الوثيقة في الاستدلال بالأجزاء اذا كانت الألوان والأرايح<sup>(٣)</sup> وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الأربع ، كما أن الاسغان

(١) في نسخة : الطب الجبلي .. (٢) في نسخة : والفرع . (٣) في نسخة : والروائح .

والتبريد والتلين<sup>(١)</sup> فعل لها ، وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء بما اخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة ، وما سوى ذلك ، فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ، ولا يعول في الحكم على طبيعة الدواء المفرد والمركب .

قال الوراق لحنين من بين الجماعة : ما أول آلات الغذاء من الانسان ؟ قال : أول آلات الغذاء من الانسان الفم ، وفيه الأسنان ، والأسنان اثنتان وثلاثون سنًا ، منها في اللحي الأعلى ستة عشر سنًا ، وفي اللحي الأسفل كذلك ، ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحين عراض محددة الأطراف يسميها الأطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الأطعمة اللينة ، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين ، وهي الثنايا والرباعيات ، وعن جنبي هذه الأربعة في كل واحد من اللحين سنان رؤوسها حادة وأصولها عريضة ، وهي الأنياب ، وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل ، وعن جنبي النابين في كل واحد من اللحين خمس اسنان أخر عوارض خشن ، وهي الأضراس ، ويسميها اليونانيون الطواحن ، لأنها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل ، وكل واحد من الثنايا والرباعيات والأنياب له اصل واحد ، وأما الأضراس فما كان منها في اللحي الأعلى فله ثلاثة أصول ، خلا الضرسين الأقصيين ، فإنه ربما كان لكل واحد منها اصول أربعة ، وما كان من الأضراس في اللحي الأسفل فللكل واحد منها أصلان ، خلا الضرسين الأقصيين ، فإنه ربما كان لكل واحد منها اصول ثلاثة ، وإنما احتيج الى كثرة أصول الأضراس دون سائر الأسنان لشدة قوة العمل بها ، وخصت العليا منها بالزيادة في الأصول لتعلقها بأعلى الفم .

قال الوراق : أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات ، فصنف لي كتابا

(١) في نسخة : والتبييس .

تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك ، فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات ، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد .  
الواثق وحنين بن اسحاق ايضاً ، وقد ذكر ان الواثق سأل حنيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وأن حنيناً أجاب عن ذلك ، وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المسائل الطبيعية » ، يذكر فيه انواعاً من العلوم ، فكان مما سأل الواثق حنيناً من المسائل ، وقيل : بل أحضر له الواثق نديماً من ندمائه فكان يسأله بحضرة الواثق يسمع ويتمجب مما يورده السائل والمجيب ، إلى أن قال : فما الأشياء<sup>(١)</sup> المغيرة للهواء ؟ قال حنين : خمس ، وهي أوقات السنة ، وطلوع الكواكب وغروبها ، والرياح ، والبلدان ، والبحار .

أوقات السنة : قال السائل : فكم هي أوقات السنة ؟ قال حنين : أربع : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ؛ فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة ، ومزاج الصيف حار يابس ، ومزاج الخريف بارد يابس ، ومزاج الشتاء بارد رطب .

الكواكب : قال السائل : أخبرني عن كيفية تغير الكواكب للهواء ، قال حنين : إن الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونة ، وخاصة كلما كانت أعظم ، ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد برداً .

الرياح : قال السائل : أخبرني عن كيفية أعداد الرياح ، قال حنين : أربع : الشمال ، والجنوب ، والصبأ ، والدبور ، فأما قوة الشمال فباردة يابسة ، وأما الجنوب فحارة رطبة ، وأما الصبأ والدبور فمعتدلان ، غير أن الصبأ أميل إلى الحرارة واليبس ، والدبور أميل إلى البرودة والرطوبة من الصبأ .

(١) في نسخة : كم الاسباب المغيرة للهواء .

البلدان ، قال : فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك ، قال : هي أربع ؛ الأول الارتفاع ، والثاني الانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار ، والرابع طبيعة تربة الأرض ، والنواحي أربع ، وهي : الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب ، فناحية الجنوب أسخن ، وناحية الشمال أبرد ، وأما ناحيتنا المشرق والمغرب فمعتدلتان ، واختلاف البلدان بارتفاعها وانخفاضها ؛ لأن ارتفاعها يجعلها أبرد ، وانخفاضها يجعلها أسخن ، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها ؛ لأن الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد برداً لأنه يستره من الرياح الجنوبية ، وإنما تهب فيه الرياح الشمالية فقط ، ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن .

قال : فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت؟ تأثير البحار في البلدان ؛ قال حنين : إن كان البحر من البلد في ناحية الجنوب ، فإن ذلك البلد يسخن ويرطب ، وإن كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد .

قال السائل : فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها ، قال : إن كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد أبرد وأخف وإن كانت تربة البلد حصانية جعلت ذلك البلد أخف وأسخن وإن كانت طيناً جعلته أبرد وأرطب .

قال : فلم اختلف الهواء من قبل البحار؟ قال : إذا جاورت<sup>(١)</sup> نقائع ماء أو جيفاً أو بقولاً عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها .

فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب أضجر ذلك الواصل ، فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر ، ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والفرور فذكر كل واحد

(١) في نسخة : إذا جاورته أنقع ماء أو جيف أو بقول عفنة - الخ .

الجزء الثالث: ذكر أيام الواثق بالله هارون بن محمد بن هارون الرشيد..... ٤٩٥

منهم ما سَنَحَ له من الأخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكام المتقدمين كسقراط وديوجانس .

نطق الحكماء على جدث الاسكندر : قال الواثق : قد أكثرتم فيما وصفتم ، وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم ، فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الإسكندر وقد جعل في التابوت<sup>(١)</sup> الأحمر . فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، كل ما ذكروه حسن ، وأحسن ما نطق به مَنْ حضر ذلك المشهد من الحكماء ديوجانس ، وقد قيل : إنه لبعض حكماء الهند ، فقال : إن الإسكندر أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أو عَظُّ منه أمس .

وقد أخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال :

كفى حَزَنًا بَدْفَنِكَ ثم إني      نفضت تراب قبرك من يدينا  
وكانت في حياتك لي عِظَات      وأنت اليوم أو عِظَ منك حَيًّا

فاشتد بكاء الواثق ، وعلا نحيبه ، وبكى معه كل من حضر من الناس ، ثم قام من فَوْرِهِ ذلك وهو يقول :

وصروف الدهر في تقديره      خلقت فيها انخفاضاً وانحداراً  
بيننا المرء على إعلائها      إذ هوى في هُوَّةٍ منها فحاراً  
إنما مُتَعَةٌ قوم ساعة      وحياة المرء ثوب مستعار

قال المسعودي : وللواثق أخبار حسان مما كان في أيامه من الأحداث وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقلية والسمعية في جميع الفروع والأصول ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب في

(١) في نسخة : في تابوت الذهب الأحمر .



باب خلافة القاهر بالله بن المعتضد بالله جلا من الأخبار في أخلاق الخلفاء من بني العباس لمعنى أوجب إيرادها في باب خلافة القاهر .

واعتلّ الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبي دؤاد ، وكان قاضي القضاة ، فدعا في خطبته للواثق ، فقال : اللهم اشفه بما ابتليته ، وقد قدمنا ذكر وقت وفاته فيما سلف من أخباره في هذا الباب ، فأغنى ذلك عن إعادته .

تم الجزء الثالث بحمد الله وتوفيقه

# فهرس الموضوعات

الواردة في الجزء الثالث من

كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي

- ٣ - ٢٩ ذكر خلافة معاوية بن ابي  
سفيان وذكر لمع من اخباره وسيره  
ونوادير من بعض افعاله .
- مقتل حجر الكندي ٣ - عدي بن حاتم  
ومعاوية ٤ - بين عمرو بن عثمان واسامة عند  
معاوية ٥ - الحاق زياد بابي سفيان ٦ - كتاب  
معاوية الى علي ١٣ - جواب علي ١٣ ، ١٤ -  
بين سعد ومعاوية ١٤ ، ٢٢ - بين معاوية  
وعمر بن العاص ووردان ٢٢ - وفاة عمرو بن  
العاص ٢٣ - ابو ايوب الانصاري ٢٤ - المغيرة  
ابن شعبة ٢٤ - موت زياد ٢٦ - البيعة  
ليزيد ٢٥
- ٢٩ - ٥٠ ذكر حمل من اخلاقه  
ومياسته وطرائف من عيون اخباره .
- من اخلاق معاوية وعاداته ٢٩ - من دعاه  
معاوية ٣١ - من غفلة اهل الشام والعراق ٣٢ -  
متطبب في عهد الرشيد ٣٤ - من اخلاق  
العامه ٣٤ - عقيل بن ابي طالب ومعاوية ٣٦ -  
وصف بني صوحان ٣٧ - من صعصعة الى  
عقيل ٣٧ - بين علي ووجوه اصحابه ٣٨ -  
معاوية وجماعة من اصحاب علي ٤٠ - صعصعة  
ابن صوحان عند معاوية يصف له اهل البلاد ٤٣ -  
من اخبار صعصعة ٤٣ - ابو ايوب وصعصعة ٤٧ -  
من قول علي في ربيعة ٤٨ - معاوية وجميل بن  
كعب ٤٨ - معاوية عند موته ٤٩
- ٥٠ - ٥٣ ذكر الصحابة ومدحهم  
وعلي والعباس وفضلها .
- معاوية وعبد الله بن العباس ٥٠ - وصف  
عمر ٥١ - وصف عثمان ٥١ - وصف علي ٥١ -  
وصف الصحابة عامة ٥٢
- ٥٣ - ذكر ايام يزيد بن معاوية بن  
ابي سفيان .
- موجز ٥٣
- ٥٤ - ٦٣ ذكر مقتل الحسين بن علي  
ابن ابي طالب ومن قتل معه من اهل  
بيته وشيعته .
- اهل الكوفة يدعون الحسين ٥٤ - مسلم بن  
عقيل يتقدم الحسين الى الكوفة ٥٤ - ابن  
عباس ينصح الحسين ٥٤ ، ٥٥ - الحسين وابن  
الزبير ٥٥ - نصيحة ابي بكر بن هشام ٥٦ -  
يزيد يستعد ٥٧ - مقتل هانئ بن عروة ٥٩ -  
الحسين يقاتل جيش ابن زياد ٦٠
- ٦٣ - ٦٤ اسماء ولد علي بن ابي طالب .
- اسماء ولد علي وامهاتهم ٦٣ - ذر العقب من  
اولاد علي ٦٤ - رثاء قتيل الطف ٦٥
- ٦٥ - ٧٢ ذكر لمع من اخبار يزيد  
وسيره ونوادير من بعض افعاله .

والختار الثقفي ومقتل الختار ٩٨ - وفاة عبد  
الله بن العباس ١٠١ - مقتل عمرو بن سعيد  
الأشدق ١٠٢ ، ١٠٩ - اربع رؤوس في  
مكان واحد ١٠٩ - الناس يبأيعون عبد  
الملك ١١٠ - روح بن زنباع وبشر بن  
مروان ١١٠ - الحجاج في مكة ١١٢ - ولاية  
الحجاج الحجاز ١١٥ - جابر بن عبد الله ١١٥ -  
محمد بن الحنفية ١١٦ - ملك الروم والشمي ١١٧ -  
وصف معاوية عبد الملك ١١٧ - عبد الملك  
وعامل له قبل هدية ١١٨ - عبد الملك وعمرو  
ابن بلال يصلح بينه وبين زوجته ١١٨ -  
الحجاج يصف الفتنة ١١٩ - كتاب من عبد  
الملك الى الحجاج لم يفهمه ١٢٠ - عبد الملك  
يخرج ١٢١ - روح بن زنباع وعبد الملك ١٢٢ -  
عبد الملك الهذلي وسليمان بن منصور ١٢٤

### ١٢٥ - ١٥٦ ذكر طرف من اخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض افعاله .

سب ولوع الحجاج بسفك الدماء ١٢٥ -  
عبد الملك يولي المهلب قتال الخوارج ١٢٦ -  
خطبة الحجاج عند مقدمه العراق ١٢٧ ، ١٣١ -  
خروج ابن الاشعث ١٣١ - وقائع دير الجماجم  
وقتل ابن الاشعث ١٣٢ - من عبد الملك الى  
الحجاج ١٣٣ - الحجاج يلتبس محدثا  
مؤنسا ١٣٥ ، ١٣٨ - بعض ما اتفق عليه  
الخوارج وما اختلفوا فيه ١٣٨ - ذكر بعض  
الخوارج ١٣٨ - الحجاج وشيبي الخارجي ١٣٩ -  
ابن القرية ١٤٠ - ليلي الاخيلية والحجاج ١٤٠ -  
بعض عادات العرب ١٤١ - خطبة لعلي بن  
ابي طالب يعاتب اصحابه ١٤٢ - الحجاج  
يسأل عن النعمة ١٤٢ - خطبة للحجاج وقد  
ارجف الناس بموته ١٤٢ - خطبة للحجاج  
يهدد ويتوعد ١٤٣ - الحجاج وعبد الله بن

خروج يزيد لوفود العرب ٦٥ - بين يزيد  
وعبد الملك ٦٧ - فسوق يزيد وعماله ٦٧ -  
ما قيل في مقتل الحسين ٦٨ - اهل المدينة  
وعمال يزيد ٦٨ - وقعة الحرة ٦٩ - رمي  
الكعبة بالجانبين ٧١

### ٧٢ - ٩٠ ذكر ايام معاوية بن يزيد ابن معاوية ومروان بن الحكم والختار ابن ابي عبيد وعبد الله بن الزبير .

موجز عن معاوية بن يزيد ٧٢ - الختار  
في الكوفة ٧٣ - حال ابن الزبير ٧٥ - ابن  
الزبير واخوه عمر ٧٥ - ابن الزبير وعبد الله  
ابن محمد بن الحنفية ٧٦ - بين ابن عباس وابن  
الزبير ٨٠ - بين ابن الحنفية وابن الزبير ٨٠ -  
ابن الزبير ينتقص ابن العباس ٨٧ - بين ابن  
الزبير والحسين بن علي ٨٢ - ابن الزبير يبني  
الكعبة على قواعد ابراهيم ٨٣ - عبد الله بن  
زياد والخلافة ٨٤ - الكوفة تأبى الانقياد له ٨٤ -  
تدبير مروان بن الحكم ٨٥ - البيعة لمروان ٨٦ -  
لقاء مروان والضحاك بن قيس ٨٧ ، ٨٩ -  
موت مروان بن الحكم ٨٩ - ترجمة مروان ٨٩

### ٩١ - ذكر ايام عبد الملك بن مروان .

موجز ٩١

### ٩٢ - ١٢٤ ذكر جهل من افعاله وسيره ولمع بما كان في ايامه ونوادر من اخباره .

منادمة الشعبي لعبد الملك ٩٢ - مهب  
الرياح ٩٢ - حركة للشيمة ٩٣ - موقعة عين  
الوردة ٩٤ ، ٩٦ - وصف القرآن لعلي كرم  
الله وجهه ٩٦ - مقتل عبيد الله بن زياد ٩٧ -  
اضطراب في كل ناحية ٩٧ - بسين مصعب

خطبته اول ما ولي الخلافة ١٧٤ - خالد  
القسري في مكة ١٧٤ - كان سليمان اكلوا  
١٧٥ - لبس سليمان فاعجبته نفسه ١٧٦ -  
بين سليمان وكاتب الحجاج ١٧٧ - بين سليمان  
وابي حازم الاعرج ١٧٧ - بين سليمان واعرابي  
١٧٨ - سليمان يصف معاوية ١٧٩ - خالد  
القسري في العراق ١٧٩ - سليمان على الضد  
من الوليد ١٨٠ - غضب سليمان عن خالد  
القسري - بعض الكتاب ينمي سليمان ١٨١

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن  
مروان بن الحكم ولمع من اخباره  
وسيره وزهده .

كيف آلت الخلافة لعمر ١٨٣ - خلق  
عمر ودينه ١٨٣ - بين السدي وعمر ١٨٤ - من  
طاوس الى عمر - بين عمر وعامله على المدينة  
١٨٤ - تقدير ملك الروم لعمر ١٨٥ - وصية  
الاعرج - زهده بعد الخلافة - من مطرف الى  
عمر ١٨٦ - بين عمر وعبد له ١٨٧ - بين  
عمر وغلام ورد عليه في وفد الحجاز ١٨٧ -  
قصة جارية عند قاضي المدينة ١٨٨ - بين فقي  
اموي وجارية لبعض قریش ١٨٩ - عمرو الخوارج  
١٩٠ ، ١٩٣ - بعض شعراء الخوارج ١٩٣ -  
بعض علماء الخوارج ١٩٤ - رأي عمرو بن  
عبيد فيه ١٩٤ - الفرزدق يرثي عمر ١٩٥

١٩٥ - ٢٠٤ ذكر ايام يزيد بن عبد  
الملك بن مروان مع ذكر لمع من اخباره  
وسيره .

حبه سلامة القس ١٩٦ - يزيد وحبابة  
وشعر للفند الزماني ١٩٧ - موت حبابة وجزع  
يزيد عليها ١٩٨ - يزيد بن المهلب يخرج على  
يزيد بن عبد الملك ١٩٩ - صنيع يزيد في آل

هانيء ١٤٤ - الحجاج والشعي ١٤٥ - الحجاج  
يريد الحج ١٤٦ - عبيد بن ابي الخارق يتولى  
عملاً ويطلب المشورة ١٤٦ - الغضبان بن  
القيمري ١٤٧ - وصف البصرة والكوفة ١٥١ -  
الحجاج يصف الدنيا ١٥١ - رسول المهلب الى  
الحجاج ١٥١ - الحجاج وجريير بن الحطفي  
١٥٢ - بين الحجاج واعشى ممدان ١٥٤

١٥٦ - ١٥٧ ذكر ايام الوليد بن  
عبد الملك .

موجز

١٥٧ - ١٧٣ ذكر لمع من اخباره  
وسيره وما كان من الحجاج في ايامه .

خلق الوليد وولده ١٥٧ - بناء مسجد  
دمشق والمدينة ١٥٧ - بين الوليد والحجاج  
١٥٨ - بين الحجاج وأم البنين ١٥٩ - موت  
علي بن الحسين السجاد ١٦٠ - موت عبد الملك  
ابن مروان ١٦٠ - موت عبيد الله بن العباس  
١٦١ - عبيد الله بن العباس ويسر بن ارطاة  
١٦٢ - موت عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي  
١٦٣ - مقتل سعيد بن جبير ١٦٤ - بين  
الوليد واخيه سليمان ١٦٤ - وصية عبد الملك  
لاولاده ١٦٦ - موت الحجاج ١٦٦ - موت عبد  
الله بن جعفر ١٦٧ ، ١٦٩ - كتاب من عبد  
الملك الى الحجاج لم يفهمه ١٦٩ - كتاب من الحجاج  
الى المهلب ١٦٩ - ليلي الاخيلية والحجاج ١٧٠ -  
ابن عم للحجاج يطلب منه ان يوليه فيمتحنه فيوليه  
فينجح ١٧٠ - ابن ابراهيم التميمي في سجن الحجاج  
١٧١ - الحجاج يسأل ابن القرية عن النساء ١٧٢

١٧٣ - ١٨١ ايام سليمان بن عبد الملك  
ولمع من اخباره وسيره .

الامامة ٢٢٣ ، ٢٢٦ - ظهور مروان بن محمد  
(المحار) ٢٢٦ - سبب زوال ملك الامويين ٢٢٨  
٢٢٨ - ٢٣٢ ذكر السبب في العصبية  
بين النزارية واليانية .

الكميت يعرض شعره على الفرزدق ٢٢٨ -  
الكميت يعرض شعره على ابي جعفر محمد بن  
علي وعلى عبد الله بن الحسن ٢٢٩ - عبد الله بن  
جعفر يثيب الكميته ٢٣٠ - دعبل الخزاعي  
يرد على الكميته ٢٣١ - كانت العصبية من  
دواعي زوال ملك بني امية ٢٣٢

٢٣٢ - ٢٣٤ ذكر ايام مروان بن  
محمد بن مروان بن الحكم ، وهو  
الجمدي .

٢٣٤ - ٢٣٦ ذكر مقدار المدة من  
الزمان وما ملكت فيه بنو امية من  
الاعوام .

المدة اجمالاً ، تفصيل المدة ٢٣٤ - مدة  
ملك بني العباس ٢٣٥

٢٣٦ - ٢٥٠ ذكر الدولة العباسية ولمع  
من اخبار مروان ومقتله وجوامع  
من حروبه وسيره .

قول الراوندي في الخلافة ٢٣٦ - من  
حوار فاطمة الزهراء وابي بكر الصديق ٢٣٧ -  
المثانية للجاسط ٢٣٧ - كتب اخرى للجاسط  
٢٣٧ - نقض الشيعة لكتب الجاسط ٢٣٨ -  
المعتزلة تنقض المثانية ٢٣٨ - رأي الجريانية  
في الامامة ٢٣٨ - اصل ابي مسلم الخراساني  
٢٣٨ - بين نصر بن سيار ومروان بن محمد  
الحمدي ٢٣٩ - بعض خلال واعمال مروان

المهلب ٢٠٠ - بين ابن هبيرة والشعبي وابن سيرين  
والحن المصري ٢٠١ - موت جماعة من العلماء  
٢٠٣ - محمد بن سيرين واخوته ٢٠٣

٢٠٥ - ٢١١ ذكر ايام هشام بن عبد  
الملك بن مروان مع لمع من اخباره  
وسيره .

ارصافه واخلاقه ٢٠٥ - استشهاد زيد بن  
علي ٢٠٦ - صنيع العباسيين بقبور الامويين  
٢٠٧ - فريق الزيدية من الشيعة ٢٠٨ - بين  
هشام ورجل من اهل مصر ٢٠٩ - هشام  
والابرش الكلبي وجارية من جواري هشام  
٢٠٩ - امثلة من بخل هشام ٢١٠ - السواس  
من بني امية ٢١١

٢١٢ - ٢١٩ ذكر ايام الوليد بن يزيد  
بن عبد الملك بن مروان مع لمع من  
اخباره وسيره .

ظهور يحيى بن زيد ومقتله ٢١٢ - هو  
الوليد وخلاعته ٢١٣ - الوليد وشراعة بن  
زيد ٢١٤ - من قوله في الشراب ٢١٤ -  
ميمر الوليد يتحدث عنه ٢١٥ - ورث الوليد  
الخلاعة عن يزيد ابيه ٢١٥ - فمله بالصحف .  
شعر له الحد فيه - نسب امه - من خواص  
اليشب ٢١٦ - كان مغربى بالخييل - مراتب  
خييل الحلبة ٢١٧ - وفاة ابي جعفر محمد بن  
علي بن الحسين ٢١٩

٢٢٠ - ٢٢٨ ذكر ايام يزيد و ابراهيم  
ابني الوليد مع لمع بما كان في ايامهما .

وصف يزيد الناقص - قول المعتزلة في  
التوحيد - قولهم في المدل ٢٢١ - قولهم في  
الوعيد - قولهم في المنزلة بين المنزلتين - قولهم  
في الامر بالمعروف ٢٢٢ - الاختلاف في

رؤيا ام المنصور - المنصور ورفيق سفره  
 ضرير شاعر ٢٨٢ - المنصور واهله يتحدثون  
 عن سير بني امية ٢٨٣ - وفاة محمد بن جعفر  
 الطالبي - المنصور يسأل عن تدبيرات هشام بن  
 عبد الملك ٢٨٥ - المنصور وممن بن زائدة  
 ٢٨٦ - المنصور يقع بين يديه سهم كتب عليه  
 شعر وظلامة ٢٨٧ - المنصور يستشير في أمر ابي  
 مسلم ٢٨٩ - خروج عبدالله بن علي ٢٨٩ -  
 خلاف ابي مسلم للمنصور وقتله ٢٩٠ - خطبة  
 المنصور بعد قتل ابي مسلم ٢٩٣ - الحرمية  
 الفرقة التي تتولى ابا مسلم ٢٩٣ - بين الحرمية  
 وجيش المنصور ٢٩٤ - ظهور محمد بن عبدالله  
 ابن الحسن ( النفس الزكية ) ٢٩٤ - تفرق  
 اخوة محمد بن عبدالله في البلاد ٢٩٦، ٣٠١ -  
 بين المنصور والربيع ٣٠٢ - بين المنصور  
 وعمرو بن عبيد ٣٠٢ - موت عمرو بن  
 عبيد ٣٠٣ - موت هشام بن عروة - موت ابي  
 حنيفة النعمان وجماعة - مقتل عبد الله بن علي  
 عم المنصور ٣٠٤ - وفاة المنصور ٣٠٧ -  
 صفات المنصور ٣٠٧

٣٠٩ - ٢٢٤ ذكر خلافة محمد بن  
 عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن  
 العباس مع جمل من اخباره وسيره .

المهدي وشريك القاضي - المهدي وعمرو  
 ابن الربيع يجوعان في طريقها للصيد ٣١٠ -  
 وزراء المهدي ٣١٢ - خصال المهدي واعماله  
 ٣١٢ - الخيزران وامرأة مروان بن محمد ٣١٣ -  
 عبدالله بن عمرو بن عتبة يعزي المهدي وهنئه -  
 عتبة الجارية وابو العتاهية ٣١٥ - من ابي  
 العتاهية الى المهدي ٣١٧ - محمد المهدي والشرقي  
 ابن القطامي ٣٢٠ - المهدي ومروان بن ابي  
 حفصة ٣٢٢ - بن المهدي وسفيان الثوري ٣٢٢ -

ابن محمد الجمدي ٢٤٠ - نصر يكتب لابن  
 هبيرة يستنجده ٢٤١ - دعاة الى طلب الحق  
 بالحجاز ٢٤٢ - مروان يجهز لحرب الخوارج  
 ٢٤٢ - خديعة مروان للقبض على ابراهيم  
 الامام - موت نصر بن سيار ٢٤٣ - مقتل  
 ابراهيم وجماعة معه ٢٤٤ - موقعة الزاب بين  
 عبدالله بن علي ومروان ٢٤٥ - اهل حران  
 ومروان ٢٤٥ - بنات مروان بين يدي صالح  
 ابن علي ٢٤٧ - عبد الحميد بن يحيى الكاتب  
 ٢٤٨ - مروان يعتزم الفرار الى ارض الروم  
 فيرده اسماعيل القشيري ٢٤٩

٢٥٢ - ٢٨٠ ذكر خلافة ابي العباس  
 عبدالله بن محمد السفاح مع ذكر جمل  
 من اخباره وسيره .

وصية ابراهيم الامام له ٢٥٢ - مقدم السفاح  
 الكوفة ، كيف آلت الامامة للسفاح ٢٥٢ -  
 عامر بن اسماعيل قاتل مروان ٢٥٦ - بين  
 السفاح و عامر بن اسماعيل ٢٥٦ - رأس مروان  
 بين يدي السفاح ٢٥٧ - بين عبدالله بن علي  
 واخيه داود في ولاية عهد السفاح ٢٥٩ - زواج  
 السفاح بام سلمى بنت يعقوب ٢٦٠ - كان  
 السفاح يحب مسامرة الرجال ٣٦٣ - السفاح  
 وابو نخيلة ٢٦٤ - بعض عادات وسياسات  
 السفاح ٢٦٤ - من الفضائح في مخالطة الملوك  
 ٢٦٦ - احسن المواقع من الملوك ٢٦٧ -  
 معاوية وابن شجرة الرهاوي ٢٦٨ - من ادب  
 الحديث ٢٦٩ - اول وزير في الدولة العباسية  
 ٢٧٠ - مسامرات السفاح ٢٧١ ، ٢٨٠

٢٨٢ - ٣٠٨ ذكر خلافة ابي جعفر  
 المنصور وجمل من اخباره وسيره  
 ولعل ما كان في ايامه .

٣٤٠ - ظهور محمد بن جعفر ثم هربه الى المغرب ٣٤٣ - الرشيد يحج آخر حجة - موت الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني - يحيى بن خالد - سقط الرشيد على عبد الملك ابن صالح ٣٤٣ - ابن بختيشوع الطبيب يمنع عن الرشيد سمكة اهديت اليه ٣٤٤ - رؤيا للرشيد يؤمر بالتخلية عن موسى بن جعفر ٣٤٦ - ابراهيم بن المهدي يغني لاسود ٣٤٧ - بين الرشيد وممن بن زائدة - بين الرشيد والكسائي ٣٤٩ - فرصة الرشيد لمؤدب الأمين الاحمر النحوي ٣٥١ - العماني عند الرشيد يحرضه على تجديد العهد للأمين ٣٥١ - حرر الرشيد على ولاية عهده ٣٥٢ - الرشيد يعلق كتاب العهد في الكعبة ٣٥٣ - وفاة الفضيل بن عياض ٣٥٤ - موت موسى بن جعفر الطالبي - من شعر العتابي في الرشيد - العتابي ينال من ابي نواس ٣٥٥ - أبو العتاهية وعنبه ٣٥٦ - اسحاق الموصلي يغني الرشيد ٣٥٩ - جماعة المغنين عند الرشيد ٣٦٠ - الرشيد يحرق حلبسة الخيل ٣٦٢ - طبق سمك يتكلف الف درهم ٣٦٣ - احسن الاسماء واسمها ٣٦٣ - ادب مخاطبة الامراء ٣٦٤ - رجل يتعرض للرشيد بقصة فيثيبه باربعة آلاف دينار ٣٦٥ - السكر اطيب او المشان ٣٦٥ - تمزية وتهنئة ٣٦٥ - علة الرشيد ٣٦٥ - شعر لابي العتاهية يبكي الرشيد ٢٦٦

٤٦٨ - ٣٨٧ ذكر جمل من اخبار البرامكة وما كان منهم في ايامهم .

اسام خالد بن برمك ٣٦٨ - سبب نكبتهم ٣٦٨ - الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد فيجزره ابوه بامر الرشيد ٣٦٨ - جعفر البرمكي عند الاصمعي ٣٧٠ - مجلس عند يحيى بن خالد

رؤيا المهدي قبل وفاته ٣٢٣ - وفاة زفر بن الهذيل وجماعة من العلماء ٣٢٣

٣٢٥ - ٣٣٦ ذكر خلافة موسى الهادي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه .

اوصاف الهادي - مثل من شجاعته - بين الهادي وعيسى بن دأب - جريمة غلام سدي ٣٢٥ - وزراء المهدي - ظهور الحسين بن علي بن الحسن ٢٢٦ - من مرثي الحسين بن علي صاحب فخ ٣٢٨ - طاعة الهادي لام الخيزران ٣٢٧ - اخذ العباسيون ثار بني هاشم من بني مروان ٣٢٨ - بعض فضائل مصر وبعض اخبارها وبعض عيوبها ٣٢٩ - مدينة دنقلة - بين البصرة والكوفة ٣٣٠ - رغبة الهادي في خلع الرشيد من ولاية العهد ٣٣٢ - بين الهادي والرشيد ٣٣٤ - رؤيا المهدي لولديه الهادي والرشيد ٣٣١ - حاز الهادي سيف عمرو بن معد يكرب (الصمصامة) ٣٣٥

٣٣٦ - ٣٦٧ ذكر خلافة هارون الرشيد مع جمل من اخباره وسيره ولمع من ايامه .

الرشيد يستوزر يحيى بن خالد البرمكي ٣٣٧ - محمد بن سليمان وسوار القاضي يعترضها مجنون ٣٣٧ - موت شريك النخعي القاضي ٣٣٩ - موت مالك بن انس الامام ٣٣٩ - حماد بن زين - ابن المبارك - القاضي ابو يوسف - عبدالله بن مصعب الزبيري وموسى ابن عبدالله بن الحسن الطالبي بحضرة الرشيد

٤٢٩ - المأمون ورجل عامي ٤٢٩ - عي  
 المأمون عن جواب ثلاثة ٤٣٠ - مناظرة  
 المأمون للفقهاء ٤٣٢ - يحيى بن اكرم قاضي  
 البصرة ٤٣٤ - وفاة الامام الشافعي ٤٣٦ -  
 ابو داود الطيالسي وابن الكلبي ٤٣٧ - المأمون  
 ورجل يدعي النبوة ٤٣٧ - المأمون ورجل  
 يدعي انه ابراهيم الخليل ٤٣٨ - خروج ابي  
 السرايا وابن طباطبا وقوم من العلويين ٤٣٨  
 ظهور ابن الاقطس ٤٤٠ - الظفر بابي السرايا  
 ٤٤٠ - المأمون وعلي بن موسى الرضا ٤٤٠ -  
 مقتل الفضل بن سهل ٤٤١ - موت علي بن  
 موسى الرضا ٤٤١ - ابراهيم بن المهدي يخرج  
 على المأمون ٤٤٢ - خروج بابك الخرمي  
 ٤٤٢ - الظفر بابراهيم ٤٤٢ - زواج المأمون  
 ببوران بنت الحسن بن سهل ٤٤٣ - اهل  
 المأمون يحملونه على قتل ابراهيم بن المهدي  
 ٤٤٤ - من اخبار ابراهيم بن المهدي ٤٤٤ -  
 يزيد بن هارون ٤٤٦ - موت جماعة من اهل  
 العلم ٤٤٦ - قصة وفاء راينار ٤٤٦ -  
 بين ازهر وابي جعفر المنصور - موت  
 أبي عبيدة معمر بن المثنى ٤٤٩ - موت  
 أبي العتاهية وشيء من اخباره ٥٠٠ - الزيادة  
 في العروذ على الخليل ٤٥٢ - ابو العباس  
 الناشئ ٤٥٣ - نداء المأمون في أمر معاوية  
 وسببه ٤٥٤ - وفاة ابي عاصم النبيل وجماعة  
 من اهل العلم ٤٥٥ - غزو الروم ٤٥٥ - علة  
 المأمون وموته ٤٥٦

٤٥٩ - ٤٧٦ ذكر خلافة المعتصم ،  
 ذكر جهل من اخباره وسيره ، ولمع  
 بما كان في أيامه .

موجز ، ابن الزيات وزير المعتصم وأحد  
 ابن أبي دؤاد ، حب المعتصم للمهارة ٤٥٩ -

٣٧٠ - حديث لهم عن المشق ٣٧١ - المشق  
 وعة وقوعه ٣٧٢ - الرشيد يزوج اخته  
 العباسة لجعفر البرمكي ٣٧٥ ، ٣٨٠ -  
 سلطة البرامكة ورتاء الشعر لهم ٣٨٠ ، ٣٨٧

٣٨٧ - ٤١٦ ذكر خلافة محمد الامين  
 وجمل من اخباره وسيره ولمع بما  
 كان في أيامه .

كيف جاء خبر الولاية - رؤيا زبيدة ايام  
 حلت بالأمين وعند مولده وبعده ٣٨٨ - عزم  
 الأمين على خلع اخيه ٣٨٩ - الامين ينصب  
 مجلس غناء وهو محاصر ٣٩٢ - هو الأمين  
 وقت الحصار ٣٩٤ - صفات الامين ٣٩٤ -  
 نبوة بخلع الأمين ٣٩٥ - عبد الملك بن صالح  
 ابن علي ٣٩٦ - من الامين الى طاهر بن الحسين  
 ٣٩٩ - قف على القاب قادة الجيش ( الضباط )  
 ٤٠٢ - وقعة دار الرقيق ٤٠٥ - الوقائع  
 الحاسمة - صرامة العروة ٤٠٦ ، ٤١٦

٤١٦ - ٤٥٨ ذكر خلافة المأمون  
 وجمل من اخباره وسيره ولمع بما  
 كان في أيامه .

المأمون والفضل بن سهل ٤١٧ - عمرو  
 ابن مسعدة - علي بن يوسف الرضا - المأمون  
 وعمه ابراهيم ٤١٧ - من كلمات المأمون ٤١٩ -  
 بين ثامة ويحيى بن اكرم عند المأمون ٤٢٠ -  
 وفد الكوفة والمأمون ٤٢١ - المأمون والزيادة  
 ومهم طفيلي ٤٢١ - ابراهيم بن المهدي يتطفل  
 ٤٢٣ - اسحاق الموصلي وكلثوم العتابي عند  
 المأمون ٤٢٦ - العتابي ٤٢٧ - رجل يرفع  
 قصته للمأمون ٤٢٨ - المأمون وأبو العتاهية



لمع من اخباره وسيره ولمع بما كان  
في ايامه .

موجز ، صفات الواثق ، غلب عليه اثنان  
٤٧٧ - اعرايي يصف الواثق واعوانه ٤٧٨ -  
أبو تمام الطائي ٤٨٠ - علي بن الجعد ، قتيل  
في الهنة ، نديم ، محمد بن علي بن موسى ٤٨٨ -  
عبدالله بن طاهر ، مجلس للواثق في الفلسفة  
والطب ٤٨٩ - الواثق وحنين بن اسحاق  
أيضاً ، أوقات السنة ، الكواكب ، الرياح ٤٩٣ -  
البلدان ، تأثير البحار في البلدان ٤٩٤ - نطق  
الحكام على جدث الاسكندر ٩٥ .

باس المتصم وقوته ٤٦٠ - المتصم وعلي بن  
الجنيد ٤٦١ - المتصم وشيخ زلق حمارة في  
الطين ٤٦٣ - وفاة جماعة من العلماء ،  
محمد بن علي بن موسى بن جعفر ، محمد بن  
القاسم ( العلوي ) ٤٦٤ - جمع المتصم للأتراك  
٤٦٥ - تخطيط سامرا ٤٦٦ - خروج بابك  
الخرمي ٤٦٧ - غزو الروم زبطرة ٤٧٢ -  
خروج المازيار صاحب طبرستان وموته ٤٧٣ -  
موت أبي دلف المعجلي ٤٧٤ - عداوة ابي دلف  
وابنه ، موت جماعة من العلماء ٤٧٥ - وفاة  
المتصم ٤٧٦

٤٧٧ - ذكر خلافة الواثق بالله وذكر



المجلد

تاريخ الخلفاء

ومسئرين الجوهرة

الملك